منتدى مكتبة الاسكندرية

دوستوبفسکی

الأعمال الأدبية الكاملة المجلد المحالا

ترجَمة الدّكتورسَامي الدّرُوبي





الاعهال الأدبية الكاملة المجلد السابع عشر

دوستويفسكي: الأعمال الأدبية الكاملة - ١٨ مجلدًا ترجمها عن الفرنسية: د.سامي الدروبي

الطبعة العربية الاولى: المؤسسة الصهة العامة للناكيف والنشر دارالكاتب العسري للطباعة والنشر العاهرة ١٩٦٧

الطبعة العربية الثانية: دارابن رشد للطباعة والنشر بيروت لبنان شارع فردان بناية شيارو ص. ب ١٤/٥٥ ٣٧ مالف ٢٥٢٨٣٣

الخطوط والعلاف: عماد حسليم

طبعت بإشراف: نتوورك ايطاليا ١٩٨٥

اللخفة كارلمازوف

جميع الحقوق محفوظة

الباب الخامس: ماللأم روما جليه

السيدة هوخلاكوفا هي التي استقبلت أليوشا من جديد في الدهليز • كانت تبدو منهكة جداً • لقد وقع حادث خطيير: ان نوبة الهستريا التي أصابت كاترين ايفانوفنا قد « انتهت الى اغماء

أعقبه ضعف فظيع واعياء رهيب • لقد رقدت كاترين ايفانوفنا ، وأغمضت عينيها ، وأخذت تهذى ، وارتفعت حسرارتها • واسستدعينا الدكتور هر تسنشتوبه والعمتين ، فوصلت العمتان ، ولكن الطبيب تأخسر وصوله • الجميع محتشدون الآن في غرفتها • انهم ينتظرون قلقين خانفين • ماعسى يحدث ؟ انها في غيبوبة • آمل أن لا تكون قد أصابتها حمى دماغية • » •

كانت هيئة السيدة هوخلاكوفا تدل على ذعر حق • فهى تصيح فى كل لحظة قائلة لأليوشا من أجل أن تطلعه على الواقع: « الأمر فى هذه المرة خطير ، خطير جدا ، ، كأن كل ما جرى حتى ذلك الحين لم يكن على شىء من خطورة • كان أليوشا يصغى اليها بمرارة • أداد أن ينهى اليها نتيجة المساعى التى قام بها ، ولكنها كانت تفاطعه منذ ينطق بأول كلمة قائلة كه: « ليس الآن » • ان وقتها لا يتسع للاستماع اليه • وطلبت منه أن يتفضل فينتظر عند ليزا ، واعدة "اياه أن تلحق به فيما بعد •

قالت له بما يشبه الهمس في أذنه ، مفضية" اليه بسر :

ــ تصور یا عزیزی ألکسی فیدوروفتش ! لقد أدهشتنی لیزا أشــد الدهشة منذ قليل ؟ ولكنها تبلغ من التأثير في فلبي أنني أغفر لها راضية " ما ان خرجت أنت حتى استبدت بها ندامه صادقة جدا ، لأنها فيما نزعم قد سخرت منك أمس واليوم • الحقيقة أنها لم تسخر سخراً ، فأنا أعرفها، وانما هي مزحت مزاحاً • ومع ذلك فقد بلغت من الأسف العميق أنهما أوشكت أن تبكى، فما وسعنى الا أن أدهش. لم يتفق لها أن ندمت يوماً حين كانت تسيخر مني ، سخراً لا خنث فيه على كل حال . وهي تسخر منى بغير انقطاع كما تعلم • أما الآن فالأمر خطير • لقد أصبح كل شيء خطيرًا • انها تحرص كثيرًا على رأيك يا ألكسي فدوروفتش ، وما ينسغي لك أن تؤاخذها وأن تسناء منها . لا تسوءنثك أسالسها . أما شخصاً أفعل ما أستطيع أن أفعله لأداريها وأراعيها ، ذاك أنها لطيفة جدا ، ذكية جدا ٠٠٠ ليتك تعلم كم هي لطيفة وذكية ! ولقد ذكرت لي منــذ هنيهــة أنك كنت صديق طفولتها ، أنك كنت « خير أصدقاء طفولتهـــا ، وأخلصهم ، وأصدقهم ٥ • كذلك قالت • أصدقهم ، هل تفهم ؟ فأين مكاني أنا من نفسها اذن ؟ ان لها في هذا المجال ذكريات حية وعواطف عمقة • وهنالك خاصة " تلك العبارات وتلك الكلمات التي تنجيد استعمالها ، تلك التراكيب التي لا يتوقعها المـــر. ! ذلك يخرج من فمها فجأة ، ارتجالاً • قصــة الصنوبر تلك مثلاً • لقد كان في حديقتنا شجرة صنوبر ، أيام كانت ليزا صغيرة جدا . أحسب أن هذه الشحرة ما تزال موجودة الى الآن ، فما ينبغي أن تتحدث عنها بصيغة الفعل الماضي • ليست الأشحار بشراً يا ألكسي فدوروفتش ، انها لا تتغير · قالت لنزا منذ أيام : « ماما ، انني أرى شجرة الحق أنها قالت لى ذلك بطريقة أخرى * • نسيت الآن كيف قالت لى ذلك . المهم أن كلمــة الصنوبر كلمــة سخيفة في ذاتها • ولكن ليزا بلغت من الطرافة والأصالة في توشيتها أنني لا أستطيع أن أقلدها • ثم ان هذا كله قد خرج من رأسي • والآن ، الى اللقاء • ان هـنه الأحداث قد قلبت نفسي رأساً على عقب ، حتى لأخشى أن تذهب بعقـــلى • لقد أوشــكت يا عزيزى ألكسي فيدوروفتش أن أ'جن مرتين في حياتي • فاضـطروا الى معالجتي • اذهب الى ليزا ، وواسها كما تجيد أنت ذلك ايما اجادة •

ثم صرخت تنادى ليزا وهي تقترب من الباب:

ــ ليزا ! جئتك بألكسى فيدوروفتش الذى تظنين أنك أسأت اليه اساءة كبرى • انه غير غاضب منك ولا عاتب عليك ، أؤكد لك ذلك ، بل انه لىدهشه أن يكون قد خطر ببالك هذا الخاطر !

ــ شكراً يا ماماً! ادخل يا ألكسي فيدوروفتش •

دخل أليوشا الغمر فق • ان ليزا تبدو مضطربة اضطرابا شديدا ، خجلى خجلاً قوياً ، فقد احمر وجهها فجأة حتى الأذبين • كان واضحاً أنها تشعر بشيء من البخزي • وكما يبحدث دائما في مثل هذه الحمالة ، طفقت تتحدث في أمور لا شأن لها في نظرها ، متظاهرة بأنها مهتمة بها في هذه اللحظة اهتماما كبرا • قالت :

- حدثتنى أمى منذ برهة يا ألكسى فيدوروفتش عن الماثنى روبل ، وعن المهمة التى كلفت بها ٠٠٠ لدى ذلك الضابط المسكين ٠٠٠ وقد وصفت لى الاهانة الفظيعة التى ألطقت به ٠٠٠ رغم أن أمى لا تحسن سرد قصة من القصص ، وانما هى تخلط الأمور بعضها ببعض ، وتسقط فى جميع الأحيان تفاصيل هامة ٠٠٠ لقد تأثرت تأثراً شديداً ، وبكيت ، فقل لى الآن : هل أعطيته المبسلغ وكيف تصرف هسذا الانسان الشقى المغذب ؟

أجاب أليوشا متظاهراً هو أيضاً بأن اخفاق مسعاه هو ما يشغل باله، أجاب يقول:

ــ المشكلة هي أنني لم أعطه المبلغ! تلك قصة طويلة!

وأدركت ليزا مع ذلك أنه يشيح عينيه في ضيق وحرج ، ويحاول مثلها تماماً أن يتحدث في أمور لبست بذات بال • وجلس ألنوشا قسرب المائدة وأخذ بروى الحكاية ، فما ان قال بضع كلمات حتى زال ارتباكه تماما ، وحتى أسر انتساه ليزا • كان يتكلم وهـــو ما يزال تبحث وطأة الانفعال الذي ما يزال قوياً في نفسه لم يحمد أواره ، ذلك أن الضابط المتقاعد قد أحدث في نفسه أثرًا شديدًا • وقد عرف كيف يروى القصة رواية أمنة صادقة ، جذابة أخاذة • كان قد اعتاد في الماضي ، بموسكو ، أن يجيء الى ليزا أيام كانت ما تزال طفلة صغيرة ، فيقص عليها حادثًا وقعر له منذ وقت قصیر ، أو ببحدثها عن قراءاته ، أو يثير أمامها ذكري من ذكريات سنبه الأولى ، فكان يتفق لهما في كثير من الأحسان أن يلفقا أحلاما مشتركة أو أن يخترعا حكايات هي في الغالب مضحكة خسالبة غريبة . وها هما يستعدان الآن جو موسكو ، ويشسحران في نفسيهما باستيقاظ مناخ الحياة التي قضياها هنالك قبل سنتين • اضطربت ليزا من رواية هذه القصة اضطرابا قوياً • لقد عرف ألبوشا كيف يرسم للصبى ايليوشا صورة حارة • فلما فرغ من سرد جميع تفاصيل المشهد ، ووصف كف داس المسكين الورقتين النقديتين ، هنفت ليزا تقول وقد استبد بها انفعال عنىف:

ــ ألم تعطه المال اذن؟ أتركته ينصرف؟ أوه! يا رب! كان عليك أن تلحق به وأن تدركه ، فتحاول أن تكلمه مزيدا من الكلام ٠٠٠ ــ لا يا لبزا ، لقد كنت على حق حين لم أحاول أن أدركه • ذلك أفضل ٠٠٠

قال أليوشا ذلك وهو ينهض شارد النظرة حالم الهيئة ، وأخذ يسير في الغرفة • ــ هذا أفضل ؟ كيف يكون هدا أفضـــ ؟ لسوف يهلكون الآن فقراً !

ــ لن يهلكوا ، لأن هاتين المائتين من الروبلات ستصلهما على كل حال • سيقبلهما في الغد حتماً •

ثم تابع كلامه يقول وهو ما يزال يسير في الغرفة مطرفاً مفكراً :

ـ نعم ٠٠٠ لن يعارض في الغد ٠٠٠ هذا أكيد ٠٠٠

ولم يلبث أن توقف فنجأة أمامها فقال :

ــ لقد ارتكبت خطأ ، ولكن هذا الخطأ ستكون له تمرات طيبة •

ــ ما هو الخطأ الذي ارتكبته ، ولماذا تتصور أنه ستكون له نمرات طبية ؟

- اسمعى ، ان هذا الرجل له طبع ضعيف وجل ، لقد أرهقه القدر ، ولكن له قلباً طبياً ، حاولت أن أفهم لماذا شعر فجأة بأنه أنهين فأخذ يدوس هاتين الورقتين النقديتين ، ذلك أنه كان هو نفسه يجهل حتى آخر لحفلة أنه ستصرف هذا التصرف ، نفى بهذا ! وأحسب أننى استشف الآن الأسباب الكثيرة التى جعلت شعوره نجرح ، ٠٠٠ وكان ذلك أمراً لا بد منه ، ٠٠٠ فهو أولا قد أسرف فى اظهار ابنهاجه بهدذا المال أمامى ، ولم يكتم سعادته فى اللحظة الأولى ، فلا بد أنه نعر بعد ذلك بمذلة من استجابته تلك السريعة التى لم يستعلم أن يسيطر عليها وأن يتحكم بها ، فلو أنه اغتباطا أقل ، لو أنه امتنع عن اظهسار هذا الاغتباط ، لو أنه امتنع عن اظهسار هذا لاغتباط ، لو أنه امتنع عن اظهسار هذا الاغتباط ، لو أنه الصطنع أوضاعاً واتخذ مظاهر كما يفعل كثير من الناس لأخذ المال ، لقبل الوضع بسهولة أكبر ، ولما رفض هذه المساعدة ، لقد أسرف فى الصدق والاخلاص ، وذلك هو ما يجرح شعوره ، آه يا ليزا !

انه انسان طبب صادق ، وهذا يصعبُّ الأمور دائماً في منل هذه الأحوال. لقد كان طوال مدة حديتنا يتكلم بصوت ضعيف مرهق مكدود متعجل ٠ وكان يضمحك ضحكه صنيرة أيضا ٠٠٠ يضحك أو يبكى ٠٠٠ لا أدرى ٠٠٠ بل أدرى ٠٠٠ لقد كانت ضحكاته أقرب الى البكاء ٠٠ كان يبكي حماسة " ٠٠٠ حدثني عن ابنتيه ٠٠٠ عن الوظيفة التي عُرضت عليه في مدينة أخرى ٠٠٠ لقد فتح لى قلبه ، وأسر ً لى بذات نفسه ، وأفاض في الافصاح عن عواطفه ٠٠٠ فما لبث بعد ذلك أن شعر من ذلك بخزى وعار ٠٠٠ ثم اذا هو يشعر نحوى بكره على حين فجأة ٠ انه واحد من أولئك الناس المماكين الذين يسرفون في الاحساس بالخجل والعبار • لقد شعر بالذل من انه سارع يعدني صديقا ، وأنه استسلم لي بغير مقاومة. في بيته كان قد هدَّ دني و توعَّدني تقريبا ، ثم ها هو ذا حين تلقي المال يسارع فيوشك أن يرتمي على عنقي • لقد ود لو يقبلني ، وكانت يداه تلامسني في كل لحظة • فلهذه الاساب جمعا أحس أنه أذل نفسه أمامي ؛ ومما زاد الطين بلة أنني ارتكبت تلك الخطيئة ، أنني قارفت تلك الغلطة الخطيرة : لقد صرَّحت له فجأة بأنه سلمنح مزيدا من المال اذا كان ما يملكه لا يكفيه للهجرة الى مدينة أخرى ، حتى لقد عرضت عليه أن أسهم أنا في ذلك بمالي اسهاماً كبيرا • ذلك ما فاجأه • لفد نساءل : لماذا أقحم نفسي في مساعدته أنا أيضاً ؟ يجب أن تعلمي يا ليزا أن المذلين أمثاله لا يحبون أن يروا جميع الناس تنقدم اليهم محسنة • ذلك يشق على أنفسهم كثيرًا • سبعت هذا الرأى كثيرًا ، ولا سبمًا من الشيخ زوسيمًا • لا أعرف كف أوضح هذه الحقيقة ، ولكن أتبح لي أن ألاحظها بنفسي مراراً • ثم اننی لو کنت فی مکانهم لکان ردّی کردُّهم • اننی آشـــس بذلك في ذات نفسي • يجب أن ننصور خاصةً أنه رغم جهله حتى آخر لحفلة بأنه سيدوس المال أخيرا ، كان يشعر بذلك شعورا غامضا مبهما • هذا أكيد و ولم تكن حماسته فائضة ذلك الفيض كله الا لأنه كان يبصن هذا الاحساس الغامض المبهم بأنه سيقوم بهذه الحركة ٠٠٠ على كل حال ، مهما تكن هذه الحاتمه داعية الى الأسف والحسرة ، فما ينبغي أن نقلق منها و بل انني لعلى يقين بأن ما حدث كان هو الأفضل ، وأن الأمور هي الآن على خير ما يرام ٠٠٠

ـ على خير ما يرام ؟ كيف هذا ؟ انني لا أفهم !

_ لو أنه لم يدس الورقين النقديتين بقدميه ، لو أنه أخذ المال ، اذن الخلل يبكى في بيته من الذل ساعة بكاملها ، ذلك أمر محتوم ، واندم على ما فعل و لجاءني مع الغد حائقاً ساخطاً ليرمى بهما وجهي ، أو ليدوسهما بقدميه كما فعل منذ قليل ، أما وقد حسنع ما صنع ، فسيشعر بعد الآن بالكرامة والكبرياء ، وبالغلفر والانتصار ، رغم علمه بأنه فد « ضييت بفعلته نفسه » ، يترتب على ذلك أنه لن يكون هنائك شيء أسهل من رد ، الى فبول هاتين الماثين من الروبلان منذ لغد ، ما دام قد برهن على شرفه برفض المال ودوسه ، ذلك أنه حين أخذ يدوس الورقين بقدميه لم يكن يتنبأ أنني سأردهما اليه في الغداة ، وهو في حاجة رهية الى هذه المساعدة يتنبأ أنني سأردهما اليه في الغداة ، وهو في حاجة رهية الى هذه المساعدة طوال النهار ، وسيدرك مدى الخسارة التي منى بها ، وسيكون أمره في الليل أدهى ، فان الندم والحسرة سيقضان مضجمه، وسيعذبانه في أحلامه، فما ان يطلع الصبح حتى يكون ميالا الى المجيء الى معتذرا ، وفي تلك فما ان يطلع الصبح حتى يكون ميالا الى المجيء الى معتذرا ، وفي تلك اللحظة انما سأذهب اليه أنا ، وقد لاح في وجهي انني أقول له معترفا : اللحظة انما سأذهب اليه أنا ، وقد لاح في وجهي انني أقول له معترفا : المنت السان كريم على نفسك ، وقد برهنت على ذلك ، فاقبل الآن هذا الآن هذا

المال ، واغفر لى واعف عنى ، • وسوف يقبل المال عندئذ ، ما فى ذلك ريب •

نطق أليوشا هذه الكلمات الأخيرة وهو نميما يشبه السكر • وصففت لمنزا يديها احداهما بالأخرى ، وقالت :

سه هذا صحيح جدا! هذا واضح جدا! فهمت كل شي فهما تما! أوه! أليوشا، كيف تستطيع أن تعرف هذه الأشياء كلها؟ ما تزال في ريعان الشباب ثم تدرك ما يجرى في النفس الانسانية هذا الادراك العميق مده ما كان لي أنا أن أستطيع ذلك!

تابع أليوشا كلامه يقول وهو في غمرة الحماسة :

ـ الأمر الأساسى الآن هو أن نقنعه بأننا سنعامله على قدم المساواة رغم أنه يقبل أخذ المال منا ، يجب أن يشمر بأننا لا نعامله على قدم المساواة فحسب ، بل على قدم التفوق أيضا ٠٠٠

ـــ « على قدم التفوق ، هذا تعبير راثع يا ألكسى فيدوروفتش ، ولكن هلاً شرحته لى ٠٠٠

ـ أقصد ٠٠٠ الحق أننى لم أحسن الافصاح ٠٠٠ لا ٠٠٠ ليس الأمر أمر قدم ٠٠٠ ولكن سبان ٠٠٠

ے طبعا ۰۰۰ سیان ۰۰۰ أنت علی حق ! اغفر لی یا ألیوشا ، یاعزیزی ألیوشا ۰۰۰ لقد كنت حتى الآن لا أكاد أحترمك كثیراً ، هل تعلم ؟ أقصد ۰۰۰ كنت أحترمك ، ولكن على قدم المساواة ، أما بعد الآن فسأحترمك على قدم التفوق ۰۰۰

وسرعان ما أردفت تقول بحرارة :

- لا تؤاخذني يا صديقي العزيز اذا أنا تفكيت وتندرت قلملاً .

أنا فتاة صغيرة تحب أن تضحك ، ولكن أنت ، أنت ، • • قل لى يا ألكسى فيدوروفتش ، ألا تظن أن في استدلالاتنا ، أو قل في إستدلالاتك أنت _ لا في استدلالاتنا نحن _ شيئاً من الاستخفاف بهذا المسكين ، شيئا من الازدراء له ؟ اننا نشر ت عواطفه واضعين أنفسنا فوفه • أفلا تبرهن على احتقار له حين نظمتن كل هذا الاطمئنان منذ الأن الى أنه سيقبل أخذ المال ؟

فأجاب أليوشا بلهجة جازمة ، كأنه كان ينتظر هذا السؤال :

لا أستطيع أن أقطع برأى فيما يتصل بك أنت يا ليزا ، ولكنى على المكنا المنقار البتة والمنسر جميعا على نفسى هذا السؤال ذاته وأنا عائد الى هنا و فكرى قليلا : كيف بمكننا أن نحتقره والبشر جميعا مثله ؟ ذلك أننا لسنا خيراً من هذا المسكين ، وهبينا خيراً منه الآن ، فاننا لن به عنى خيراً منه متى و جدنا في ظرف كالظرف الذي هو فيه ولا أستطيع أن أقطع برأى فيما يتصل بك أنت يا ليزا ، ولكننى على يقين من أننى أنا « مسكين ، في بعض الأمور و أما ذلك الضابط فليس هم مشكيناً ، ، ان له نفساً مرهفة جداً و لا يا ليزا ، صدقيى ، ليس في موقفنا هذا احتقار ولا ازدراه و هل تعرفين ماذا علمنى شيخي مرة ؟ قال لى : يجب أن تعامل أكثر الناس معاملتك أطفالاً ، وأن تعسامل بعض الناس معاملتك مرضى وو وو وو وو وو وو وو وو وو وا الناس معاملتك أطفالاً ، وأن تعسامل بعض

ــ قل لى يا ألكسى فيدوروفتش ، قل يا صديقى ! ما رأيك مى أن تنذر نفسينا أنا وأنت للاهتمام بالناس كما لو كانوا مرضى ؟

.. أوافق يا ليزا ، أتمنى ، ولكننى لست متأهباً بعد كل التأهب ، ان صبرى ينفد فى بعض الأحيان ، فأضيق ذرعاً ، وفى أحبان أخرى أرانى غائباً فما ألاحظ شيثا ، أما أنت فشأنك شأن آخر ،

ــ لا أصدق من هـــذا الكلام شيئًا! آم يا ألكسى فيدوروفتش! ما أعظم سعادتي!

ـ ما أحلى أن أسمعك تقولين هذا يا لزا!

_ ألكسى فيدوروفتش ، أنت طيب طيبه خارقة ، ولكنك توهم فى بعض اللحظات بأنك متفيهق قليلا ، ومع ذلك فان المسرء حين يعرفك مزيدا من المعرفة ، يدرك أنك لست كذلك ، • • اقترب من الباب فى رفق وهدوء ، فافتحه بلا ضبحة ولا ضوضاء ، وتأكد من أن ماما ليست تتنصت علينا .

كذلك أضافت ليزا تقول بهمس سريع عصبى • فاتجه أليوشا نحو الباب ، فشقه قليلا ، ثم عاد فقال ان أحدا لا يتجسس عليهما •

وتابعت ألبوشا كلامها تقول وهي تزداد احمرارا :

ــ أقترب منى مزيدا من الاقتراب • هات يدك ••• هكذا ••• يحجب أن أبوح لك بسر كبير : ان الرسالة التى بعثت بها اليك أمس لم تكن مزاحا ، بل جداً •••

قالت ذلك وغطت عينيها بيدها • كان واضعط أنها تشعر من هــذا الاعتراف بحياء شديد • وفحأة ، أمسكت يد أليوشا فلثمتها ثلاث مرات بعنف وقوة وحرارة •

هتف ألوشا يقول:

ــ أوه ! ليزا ! حسن منك هذا ! ولقد كنت مقتنعا كل الافتناع على كل حال بأنك كنت جادةً في رسالتك .

ـ كنت مقتنعا ؟ أهذا كلام ؟

قالت ذلك وأقصت عنها يد ألوشا ، ولكن دون أن تتركها ، وقد احمر وجهها احمرارا شديدا مرة أخرى ، وضحكت ضحكة خفيفة سعيدة .

ــ ألثم يده فيقول « حسن منك هذا »!

على أن هذا اللوم كان لا يخلو من ظلم ، فلقد كان أليوشا يشعر باضطراب شديد هو أيضًا .

تمتم يقول بخراقة ، وهو يحمر " أيضاً :

_ لشد ما أحب أن أرضيك يا ليزا ، ولكننى لا أعرف كيف أحتال لهذا ولا كيف أتدبره •

_ أليوشا ، عزيزى ، أنت فاتر ووقح ، أليس هذا ما يمكن أن يتصوره المرء ؟ لقد تفضل فاختارنى زوجة له ثم ها هو ذا هادى النفس! كان مقتنعاً بأننى جادة فى رسالتى ، لا مؤاخذة ! ولكن هـذه وقاحة ، وقاحة

سألها ألبوشا ضاحكاً:

_ أكان عيباً الى هذا البحد اذن أنني كنت مقتنعاً بذلك ؟

فقالت له ليزا وهي نلقي عليه نظرة حنونا رقيقة سعيدة :

_ أوه ! أليوشا ! بالعكس ٠٠٠ كان ذلك منك حسبا جدا ، حسنا جدا جدا .

وكان أليوشا ما يزال ممسكا يدها بيده ، فما هي الالحظة حتى مال عليها فجأة فقبلها في فمها •

هتفت ليزا تسأله:

ـ ما هذا أيضا ؟ ماذا دهاك ؟

كان ألبوشا قد فقد سيطرته على نفسه • قال :

- اغفری لی ۰۰۰ ان کنت قد أخطأت ۰۰۰ لعلنی ۰۰۰ حقا انها لحماقة رهیبة ۰۰۰ لقد أخذت علی آننی بارد ، لذلك ۰۰۰ قبلتك ۰۰۰ ولکننی أدرك الآن أن هذا كان حماقة منی ۰

انفجرت ليزا ضاحكة ، وأخفت وجهها بيديها ، ثم لم تملك أن تمنع نفسها من أن تقول له من خلال ضحكها وقد اتخذ وجهها هيشة رصنة بل قاسة :

ـ أتفعل هذا وأنت فى مسوح الراهب أيضا ؟ ان علينا أن ننتظر قليلا فيما يتعلق بالقبلات يا أليوشا • نحن لا نعـــرف حتى الآن كيف نتدبرها ، لا أنا ولا أنت • لا بد لنا أن ننتظر زمناً طويلا أيضا •

بهذا ختمت كلامها فعبأة • ثم أردفت بعد لحظة تقول :

ــ ولكن اشرح لى : ما الذي حملك على أن تختار بلهاء حقيرة مثلى هي فوق ذلك كسيحة ، في حين أنك على هذا الجانب العظيم من الذكاء والتعقل والفطنة ؟ ٠٠٠ أوه ! أليوشا ، أنا سعيدة جدا ، لأننى لا أستحقك أبدا ٠٠٠

ــ لا تقولی مثل هذا الکلام یا لیزا • سوف أترك الدیر تماما بعد بضعة أیام • فاذا عشت فی العالم فسیکون علی آن أتزوج ، أنا أعـرف ذلك • ثم انه « هو » الذی أمرنی بهذا • فأین عسی أجد امرأة خمیرا منك • • • ومن عسی یریدنی سواك ؟ لقد فكرت فی كل شی • • أنت أولاً تعرفیننی منذ الطفولة • وأنت ثانیا تملكین مزایا كثیرة لا أملكها • نفسك أقرب الی المرح من نفسی • وأنت خاصة أكثر براءة منی • فأنا

قد عرفت حتى الآن أشياء كتسيره • أوه ! أنن لا تعلمين هذا ! اتنى كارلمازوف أنا أيضا • أى ضير فى أن تضحكى وأن تمز حى دائما وأن تسخرى حتى منى ؟ بالعكس : اسخرى ما شاء لك هواك أن تسيخرى • اننى لأسعد بهذا • • • انك تضحكين كطفلة صغيرة ، وتحكمين على نفسك بأنك شهيدة •

_ شهيدة ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

- نعم يا ليزا • انظرى مثلا فى ذلك السؤال الذى ألقيته منه خطات حين قلت : أليس فى نفسنا شىء من احتقار لذلك الضابط المسكين الذى نشر م قلبه ؟ تلك فكرة تخطسر ببال شهيدة يا ليزا • • • لست أعرف كيف أفصح عما أريد أن أقول ، غير أن من يشعر بمثل هذه الأنواع من القلق فادر فى رأيى على أن يتألم كثيرا • • • لا شهد أنك قلبت معانى كثيرة وأنت قاعدة على هذا الكرسى المتنقل • • •

قالت ليزا بصوت أوهنته السعادة :

ـ أليوشا ، ناولني يدك ! لماذا تستحبها دائما ؟ قل لى يا أليوشا : أى زى تنوى أن ترتدى حين تترك الدير ؟ لا تضحك ، ولا تغضب ، ذلك أن هذا الأمر يهمني كثيرا .

لم أفكر بعد في الزي الذي سأرتديه يا ليزا • ولكنني أريد أن ألبس ما يرضيك أكثر من غيره •

قالت لـزا :

ـ أحب أن ترتدى سترة من مخمل أزرق فاتم ، وصديرة من « بكيه » بيضاء ، وقبعة رمادية من جوخ طرى ٠٠٠ قل لى التحقيقة : لقد

صدَّقتَ في مساء أمس أتنى لا أحبك ، حين تنكرت' لرسالتي ، أليس كذلك ؟

- _ لا ٠٠٠ لم أصدِّق!
- _ أوه ! ألا انك لفتى لا سبيل الى اصـــــــلاحه ! انك لا تطاق ولا تعتمل ، هل تعلم ذلك ؟
- ــ كنت أعرف أنك ٠٠٠ تحبينني ، ولكنني تظاهرت بأنني أعتقــد بأنك لا تحبينني ٠٠٠ وذلك لأجعلك ٠٠٠ أكثر ارتياحا ٠٠٠
- _ هذا شر وأدهى ! ولكن لا ٠٠٠ حسنا فعلت يا أليوشا ! اننى أحبك حباً رهبا ! قلت لنفسى فى هذا الصباح وأنا أتنظـــر زيارتك : « سأطلب منه مرة ثانيه أن يرد الى رسالتى ، فاذا أخرجها من جيه بلا مقاومة فمد ها الى (كما يمكن توقع ذلك منه) فانه يكون فتى أبله لا يحبنى ولا يستحق حبى ٠٠٠ وأكون أنا قد هلكت ٠ ، ٠ غـير أنك تركت الرسالة فى الدير ، فرد هذا الى شيئاً من شجاعتى ٠ انك لم تحملها لأنك كنت تحس سلفاً أننى قد أطلبها منك ، وأنت لا تريد أن تردها ، أليس كذلك ؟ قل ! نعم ؟
- ــ أوه ! ليزا ! كلا ••• الرسالة معى الآن ، ولقد كانت معى من قبل هي هذا ، في هذه الجيب انظرى !

قال أليوشا ذلك وأخرج الرسالة من جيبه ضاحكا ، وأطهرها عليها من بعد ، ثم أضاف :

- اعلمي مع ذلك أنني لن أردها اليكُ انظرى اليها من بعيد •
- ــ كيف هــــذا ؟ أكذبت اذن حين طالبتــك بها ؟ أتكذب وأنت راهب ؟

فقال ألوثا مسلِّما باتهامها وهو يضحك :

ـ نعم أكذب! لفد أبيت أن أقول الحقيقة حتى لا أردَّ اليـك الرسالة •

ثم أضاف يقول بانفعال شديد وقد احمر وجهه من جديد :

_ هذه الرسالة عزيزة على ً الى أقصى حد • سأحتفظ بها ما حييت، ولن يستطيع أحد أن ينتزعها منى !

كانت ليزا شاخصة اليه ببصرها مأخوذة مفتــونة • ثم قالت له هامسة :

ــ أليوشا ! همًّا انظر هل تتنصت علينا ماما وراء الباب ؟

_ طيب يا ليزا ، سأنظر ما دمت تريدين ذلك · والكن أليس الأفضل أن لا نحاول التثبت من هذا ؟ لماذا نظن في أمك هذا الظن ؟ لماذا تنصور أنها يمكن أن ترتكب سماجة كهذه ؟

فقالت لـزا مستاءة وقد احمر وجهها احمرارا شديداً :

- أية سماجة ؟ فيم الكلام عن السماجة ؟ هل من السماجة أن تراقب أم" ابنتها وأن تحاول سماع أحاديتها ؟ ان من واجب الأم أن تفعل هذا مع ابنتها و وليس في عملها ذاك أي اخلال بقواعد اللبافة وأصول الأدب وكن على يقيين يا ألكسي فيدوروفتش من أنني حين سيكون لي ابنة أنا أيضاء فلن يفوتني أن أتجسس عليها في كل مناسة!

ــ صحيح ؟ ولكن هذا شر يا ليزا !

ــ لماذا یکون هذا شرآ ؟ أی ضیر فیه ؟ لو قد تجسست هذا التجسس

على حديث عادى يعجرى فى المجتمع ، اذن لكان ذلك منى ضعة وحفارة بدون ريب ، أما هنا فالأمر مختلف كل الاحتلاف ، هنا فتاة مختليه بشاب ، • • اسمع يا أليوشا : أحب أن أقول لك منذ الآن الني سأراقبك أنا أيضا متى تمت خطوبتنا ، وسأفض بريدك ، وأقرأ جميع رسائلك ، اعلم هذا ، هأناذا أبلغك منذ الآن ،

_ موافق ۰۰۰ ما دمت تریدین ذلك ۰۰۰ ولكن هذا لیس حسناً . صدقینی ۰

بهذا تمنّم أليوشا • فقالت ليزا :

_ أوه ! حذا الاحتقار ! أليوشا ، صديقى ، لا نتشاجرن منذ أول يوم • اننى أوثر أن أعترف لك بالحقيقة : أنا أعرف أن التجسس على الناس معيب جدا • لقد أخطأت أنا ، وأصبت أنت • ولكننى سأراقبك مع ذلك •

فقال أليوشا ضاحكاً :

راقبینی ، راقبینی ۰۰ ولن تکتشفی أشیاء کثیرة ، أقول لك ذلك منذ الآن ٠

ــ أليوشا ، هل ستطيعني ؟ تلك أيضا مسألة يعجب أن تســـو يها سلفاً .

ـ سأطيعك يا ليزا ، سيسرنى جدا أن أطيعك ، ولكن لا فى الأمور الأساسية ، فى الشئون الهامة ، سأعمل بما يمليه على ضميرى ، حتى ولو خالفتنى ،

_ مكذا أفهم أنا الأمر • ألا فاعلم يا أليوشا أننى مستعدة من جهتى لأن أطبعك لا في الشئون الاساسية فحسب ، بل في كل شيء ، وفي كل

وقت ، مدى الحياة ٥٠٠ أعاهدك على هذا منذ الآن ٠ واذا خضعت لك، فاننى أخضع راضية سميدة فرحة ٠ (كذلك هتفت ليزا تقول بحرارة) واننى لأحلف لك أيضا أننى لن أراقبك أبدا ، لن أراقبك مرة واحدة واحدة لأ ولن أفرأ رسائلك قط ، في يوم من الأيام • ذلك أنك على حق ، واننى على خطأ • أعرف أن رغبة رهيبة في مراقبتك سوف تتأجيج في نفسى ، ولكننى سأحبس هذه الرغبة ، لأن هذا معيب في نظرك • ستكون لى بمثابة العناية الالهية • • • • اسمع يا ألكسى فيدوروفتش : لماذا أنت حزين هذا الحزن كله في هذه الآونة الأخيرة ، أمس واليوم ؟ أنا أعرف أن هناك أنواعا من الهم والقلق تمالاً جوانب نفسك ، ولكنى لاحظت في كناحا من أم وألم سرى ؟

فال أليوشا بصوت مكبوح :

ے نعم یا لیزا ، ہو حـــزن سری • اننی آری أنك تعجبیننی حقاً ما دمت قد أدركت ذلك •

سألته ليزا بلهجة فيها رجاء وضراعة :

_ ما سبب حزنك ؟ هل أستطيع أن أعرفه ؟

فأجابها أليوشا محرَجًا :

.. سأذكره لك يا ليزا ٠٠٠ ولكن فيما بعد ٠ اذا حدثتك الآن عن سبب حزنى ، فلن تفهمى ٠ ثم اننى لن أحسن شرحه كما ينبغى ٠

قالت لنزا:

أحسب أن موضوع أخويك وأبيك هو الذي يعذبك!
 قال ألوئا حالماً مفكراً:

ــ نعم ، هناك أخواى أيضاً !

قالت ليزا فجأة :

ـ أنا لا أحب أخاك ايفان يا أليوشا •

استقبل أليوشا هذا التصريح بشيء من الدهشــــة - وتابع كلامه يقول :

- أخواى يسيران الى الضياع ، وكذلك أبى ، وهم ينجر ون الى الشقاء كائنات أخرى ، انهم ألعوبة فى يدى « القوة الخفية الغامضة التى تتحرك آل كارامازوف » ، كما قال الأب بائيسى فى الآونه الأخيرة ، ، مى قوة خفية ، عارمة ، لا يمكن السيطرة عليها والتحكم به ، ، حتى أنى لست واثقا من أن روح الله تحليق فوق هذه القوة ، ، ولكننى أعلم أننى واحد من آل كارامازوف ، أنا أيضا ، أنا فى الظاهر راهب ، فهل أنا راهب حقاً يا ليزا ؟ لقد قلت منذ هنيهة اننى راهب ، ، ،

_ نعم قلت ذلك ٠٠

ــ راهب ٥٠٠ ومع ذلك قد لا أكون مؤمناً بالله ٥٠٠

ـ أأنت لا تؤمن بالله ؟ ماذا دهاك ؟

كذلك سألته ليزا قلقة محاذرة بصوت خافت •

ولكن أليوشا لم يرد • ان هذا القول الذى أفلت من لسدنه يعبّر عن فكرة تثوى فى قرارة قلبه ولعله لا يستطيع هو نفسه أن يستبينها ، ولكنها كانت تعذبه ما فى ذلك ريب • وتابع ألبوشا كلامه :

_ وفوق ذلك كله ، هذا هو يموت ٠٠٠ ان الانسان الدى أعــده خير انسان في هذا العالم سيبارح الأرض ٠ آه ! ليزا ! لو علمت مدى تعلقی بهذا الانسان ، ومدی شعوری بالارتباط به ارتباطاً لا انفصام له ! ••• سوف أكون بعد اليوم وحيداً ••• سأجی، اليك كثيرا يا ليزا ••• لن نفتری بعد الآن •••

ـ تعم سيظل كل منا قرب الآخر • سنكون متحدين مدى الحياة ، متحدين الى الأبد • • • أليوشا ، قبلنى الآن • • • اســـمح لك الآن بأن تقبلنى •

قبلها أليوشا •

- والآن اذهب • كان المسيح ممك • (فالت ذلك وهي ترسم عليه اشارة الصليب) • أدركه « هو » قبــل أن يموت • الآن أفهـم أننى أضعت لك وقتاً ثمياً • سأصلى له ولك اليوم • أليوشا ، سنكون سعيدين، سنكون سعيدين ، أليس كذلك ؟

ـ أعتقد يا ليزا •

لم بر أليوشا ، حين خرج من عنه ليزا ، أن من الضرورى أن يذهب أولاً الى السيدة هوخلاكوفا ، وانما تأهب لمغادرة المنزل دون أن يودعها ، ولكنه ما ان فتح باب البيت وخطا خطهوة على السلمّم حتى انبجست السيدة هوخلاكوفا أمامه ، فأدرك أليوشا فورا أنها كانت تترقب انصم افه ،

_ هذا فظيع يا ألكسى فيدوروفتش ! هذه أمور صبيانية ، هــــذه سيخافات وحماقات ، آمل أن لا تحمل أقوال ابنتى على محمل العجد ، وأن لا تهدهد أوهاماً وأحلاماً ! يا للحماقة ! يا للحماقة ! يا للحماقة ! يا للحماقة ! كذلك أخذت تردد وقد لاح عليها أنها تُدينه ، فقال لها أليوشا :

ـ لا تقولى هذا الكلام لها على الأقل ، والا اضـــطربت اضطرابا شديدا وساءت حالها كثيرا ،

ــ هذا أخيرا كلام متزن يبرهن لى على أنك شاب عاقل • هل أفهم من كلامك هذا أنك انســـا وافقتها اشفاقا على حالتهـــا ، حتى لا تنير بممارضتك حنقها ؟

قال ألبوشا بلهجة قاطعة :

ـ لا بل كنت جاداً في حديثي معها كل الحد .

ــ لا شأن للعجد هنا • هذا شيء لا يمكن تصوره ، لا يمكن تخيله ! اعلم أولاً انني لن أستقبلك بعد اليوم في منزلى ، واعلم ثانيا أنني سأسافو من هذه المدينة مبتعدة بابنتي • هل فهمت ؟

قال أليوشا :

ـ فيم تقلقين هـــذا القلق كله ؟ انمــا الأمر أمر مشروع ما يزال تحيققه بعيدا جدا • لا بد أن ننتظر سنة ونصفا على الأقل •

لوقت للتشجر معها والانفصال عنها مائة مرة ٠ آه ٠٠٠ ما أشقاني ! الوقت للتشجر معها والانفصال عنها مائة مرة ٠ آه ٠٠٠ ما أشقاني ! صحيح أن هذا كله صبيانيات ، ولكنني صعقت حقا ٠ أنا الآن في موقف فاموسوف في آخر مساهد المسرحية الهزيلة * ٠ أما تشاتسكي فأنت ، وأما صوفيا فهي ٠ انظر الى هذا التطابق ٠ لقد رابطت على السلم لأنتظرك ٠ وفي تلك المسرحية الهزلية حدثت جميع المصائب على السلم أيضا ٠ سمعت كل شي ٠ وتجلدت تجلداً شديدا حتى أستطيع أن أسيطر على نفسي ٠ هذا هو اذن سر الأرق الرهيب في الليل وسر نوبات الهستريا بالأمس ! البنت عاشقة ٠ ولم يبق للأم الا أن تموت ! نوبات الهستريا بالأمس ! البنت عاشقة ٠ ولم يبق للأم الا أن تموت ! الرسالة التي تحدثتما عنها ؟ هل كتبت اليك رسالة ؟ أرنيها فورا ! انني الرسالة التي تحدثتما عنها ؟ هل كتبت اليك رسالة ؟ أرنيها فورا ! انني أطالك بذلك وأصر ٠

ــ لا تلحتّی • والأفضل من هذا أن تقولی لی كیف حال كاترین ایفانوفنا الآن • اننی أحرص علی معرفة ذلك •

ما زالت تهذى ، لم تسترد حواسها بعد ، وعمتاها معها ، ما تنفكان تتفجعان وتثنان وتصلطنمان مظاهر الأبهة ، أما الدكتور هرتسنشتوبه فقد وصل ، ولكنه بلغ من الذعر أتنى أصبحت لا أعرف ماذا يجب على أن أعمل لأهدى، روعه ، حتى لقد خطر ببالى أن أستدعى طبيبا له، وجى، بالطبيب في عربتى، ثم هأناذا الآن أمام مشكفتك ومشكلة هذه الرسالة ، تتمة للشقاء والبلاء! صحيح أن هناك ثمانية عشر شهرا مده ولكننى أستحلفك بكل ما هو عزيز عندك مقدس لديك ، أستحلفك بشيخك المحتضر ، أن ترينى هذه الرسالة يا ألكسى فيدوروفتش ، أرنيها أنا ، أنا أم ليزا ، امسكها بأصابعك اذا ششت ، فلن الحذها ، وانما أقرؤها من بعيد ،

ــ لا يا كاترين أوسيبوفنا ، لن أريك الرســـالة • لا جدوى من الالحاح • لن أريك الرسالة حتى لو أذنت لى هى بذلك • سأعود غدا، فاذا نشت ناقشنا جميع المشاكل • أما الآن فالى اللقاء •

قال أليوشا ذلك ، وهبط السلُّم راكضا ، فخرج الى الشارع •

قيس ثارة سم روبالكون

ینغذ البخطی و فحین و دع لیزا کانت فد برقت فی ذهنه فکرة عن الطریقة التی یستطیع بها أن یفساجی، أخاه دمتری الذی کان واضحا أنه یحاول أن یتجنب لقاءه و الوقت متأخر و هی

الساعة النالتة بعد الظهر تقريبا • كان أليوشا يتمنى بكل كيانه أن يعود الى الدير قرب شيخه المحتضر ، ولكن حاجته الى رؤية أخيه دمترى مرة أخرى قد تغلبت أخيرا : ان احساسه بوشك وقوع كارثة ، بوشك حدوث أمر رهيب ، يرسخ فى نفسه مزيدا من الرسوخ كلما انقضت الساءات • أما ما هى تلك الكارثة التى ستقع ، أما ما هو ذلك الشقاء الذى سينزل ، فان ذلك شىء لم يكن يعلمه أليوشا ، لا وكان يستطيع فى تلك اللحظة أن يوضح لنفسه ما يريد أن يقوله لأخيه دمترى • « اذا مات شيخى المحسن الى "أثناء غيابى ، فلن ألوم نفسى فى أقل تقدير ، مدى الحياة ، على اننى كان فى وسمى أن أحول دون وقوع السر ثم أهملت الحياة ، وأغفلت واجبى وأسرعت أعود الى مسكنى بأقصى سرعة وانى اذ أفعل الآن ما أفعل انها أطيع أوامر معلمى • ، •

كانت خطته هي أن يعثر على دمترى فجأة ، متسللاً الى الحديقة من خلال السياج الذي سبق أن تخطاه أمس داخلا الى « الكشــك » . وكان يقول لنفسه : « فان لم أجده ، فسأختبى ، في الجناح دون أن أنبى ،

لا أهل لدار ولا توماس ، ثم انتظره هنالك حتى المساء اذا وجب الأمر ، فاذا كان ينوى أن يترقب جروشنكا كما فعل أمس ، فربما جاء الى هذا الكشك ٠٠٠ ، • ولم يتأخر أليوشا في وضع خطته بجميع تفاصيلها ، ولكنه قرر أن يضعها موضع التنفذ فورا ، ولو اقتضاه ذلك أن لا يرجع الى الدير في ذلك اليوم ٠٠٠

وفد جرى كل شيء على ماصورته له نبوءاته • تخطي السياج في موضع غير بعيد عن الموضع الذي تخطاه فيه أمس ، وتسلل الى الجناح دون أن يراه أحد • وكان يريد أن لا يلاحظ حضوره أحد • ذلك أن م البحائز أن يكون أهل الدار وتوماس (في حالة وجــوده بالدار) منحازين الى صف دمترى ، فقد يمنعونه اذن من دخول الحديقة ، أو قد يبلغون دمتري وسمسوله في الوقت المناسب ، تنفيذاً لتعليمات دمتري نفسه • لم يكن في الحديقة أحـــد • جلس ألبوشــا في مكان الأمس وانتظر • ونظر الى الكشك فيدا له أكثر تداعيا مما بدا له كذلك في الـوم السابق ، وأحدث في نفسه شـــعورا بالشقاء • ولكن النهار كان مضيًّا مشمساً كما كان يوم َ زيارته الأولى • وعلى المائدة الخضراء تُنرى علامة مستديرة خلَّفها قدح الكوناك الذي لعله صدُّم أثناء المناقشية ٠ وساورت ألبوشا خواطر تافهة كثيرة لا صلة لها بالظروف الراهنة ، كما يبحدث عامةً أثناء انتظار مضجر ممل • تساءل مثلاً : لماذا جلس في المكان نفسه الذي جلس فيـــه بالأمس ، ولم يجلس في مكان آخــر • واجتاحه شيئًا فشيئًا حزن كبير مردُّه الى قلة التأكد وشدة القلق • وبعد أن مكث هنالك قرابة ربع ساعة أو أقل من ذلك ، سمع ألحان قيشارة تنطلق قريدً منه • لا شك أن أحداً كان مثلثاً في الغابة الصغيرة على مسافة عشم بين خطوة في أكثر تقدير ، أو أن أحداً وصل الى ذلك المكان منذ برمة قصيرة • وتذكر ألوشا فجأة أنه حين ترك أخاه أمس ، وابتعد

عن « الكشك ، قد لمح على اليسار قرب الحاجز دكه ريفية قديمة غائرة في الأدغال ، فهنالك اذن لا بد أن يكون قسد جلس الواصل أو الواصلون ، ولكن من عساه يكون أو من عساهم يكونون ؟ وهذا رجل ينطلق في تلك اللحظة مغنياً أبياتاً من الشعر يرافقها عزف على القيشارة (ان الصوت صوت مترقق من طبقة التينور ، عامي النبرات) :

بقوة عظيمة انجلب *
ال الجميلة التى لا تغلب
رفقا بنا يارب
بى وبها يارب
بى وبها يارب
بى وبها يارب

وصمت الصوت ذو التثنيات العامية • وهذا صـــوت امرأة لطيف وجل يُسمع عندئذ قائلاً في غنج ودلال :

ـــ لماذا لا تنجى، الينا الا نادرا يا بافل فيـــدوروفتش ؟ أأنت تكر. صحتنا ؟

فقال صوت الرجل في تأدب ، بلهجة يدرك المرء فيها مع ذلك شيئا من ارادة تأكيد الرصانة والوقار والتفوق :

... Y ... Y _

كان واضحا أن الرجل مسيطر على الموقف ، في حين أن المرأة تبدو مستعجلة ، قال أليوشا لنفسه : « ولكن هذا سمر دياكوف ! هذا صوته على الأقل ، أما المرأة فأتخيل أنها ابنت صاحب الدار ، التي رجعت من موسكو في الآونة الأخيرة بثوب طويل الذيل ، والتي تنجى، كل يوم الى مارفا اجناتفنا التماسا لشيء من حساء ، ، ،

وعاد صوت المرأة يقول :

ــ اتنى أعبد الأشعار ، ولا سيما اذا كانت متسقة متناغمة ، لمــاذا توقفت عن الغناء ؟

فاستأنف صوت الرجل صداحه :

تاج الملوك هين في نفسى مادمت احظى بصديقة انسى رفقا بنا يارب بي وبها يارب بي وبها يارب بي وبها يارب بي وبها يارب

قال صوت المرأة :

ـ غنيتها في المرة الماضية خيراً مما تغنيها الآن. كنت في المرة الماضية تقول: « صــديقة أسى العذبة » ، فكان ذلك أرق عاطفــة . حل سست ؟

فقال سمر دياكوف بلهجة قاطعة :

_ ما الأشعار الاستخف وحماقة!

... أوه ! لا ٠٠٠ أنا أحب الأشعار كثيرا •

ـ الشعر هزل لا جد ، افطى فى الأمر بنفسك: من ذا الذى يتكلم فى هذا العالم مقفياً لا ولو أخذ جميع الناس يتكلمون شعراً ، بأمر صادر عن السلطات مثلاً ، لما وجدوا أشياء كثيرة يقولونها ، لا ٠٠٠ صدقيني يا ماريا كوندراتيفنا: ما الشعر الا كذب وتصنع!

فاستأنف مسوت المرأة كلامه قائلا وقد ازداد غنجاً ودلالاً :

ــ ما أذكاك ! كيف تفعل من أجل أن تكون على هدا الجانب العظليم من التقافه ؟

وأغرر علما ، لو ان القدر لم يحاربني مند المهد • كان يمكنني ان أقتل في مبارزة بالمسدس دلك الذي فد يصفني بأنني امرؤ جلف لانني لس ني أب ، ولأن أمي امرأة نتنه * • لقد قذف أحدهم هذا الكلام في وجهي ذات يوم بموسكو ، حيث شاع سر مولدي بفضل جريجوري فاستلفتش. ان جربيجوري فاسبلفتش يعب على " تسردي على ميلادي . وقد قال في معرض حديثه عن أمي : « لقد مزقت لها أحشاءها • » • انهي أسلم بذلك ، ولكنني كنت أوثر أن أ'قتل في بطنها على أن أجيء الى هــــذا العالم • أن الناس يتناقلون في السوق (وقد ظنت أمك ، لقلة لياقتها ، ان من واجبها أن تقول لى ذلك أيضًا) أن أمي كانت مصابة بداء تلبد الشعر ، وأن طولها كان لا يزيد على خمس أقدام • وكانت أمك تمط أحرف المد وهي تكلمني ، فلماذا كانت تفعل ذلك مع أن من السهل جداً على المرء أن يتكلم كما يتكلم سائر الناس؟ لأنها كانت تحب أن تظهر عاطفيتها • ولكن هذه العاطفية تفوح منها رائحة الفلاح (الموجيك) • هل يستطيع الموجيك أن يشعر بعواطف نحو رجل منقف ؟ انه أجهل من أن يشعر بأى شيء • انني حين أسمع أحرف المدِّ تنمط مذا المط أتمني لو ألطم رأسي بجدار • وذلك أمر أعرفه في نفسي منذ طفولتي ! أوه ! اننی أکره روسیا یا ماریا کوندراتفنا ۰

ــ لو كنت ضابطا أو من سلاح الفرسان لما فكرت هذا التفكير ، بل لجر ّدت سيفك دفاعاً عن روسا .

- لا أحب أن أكون من سلاح الفرسان يا ماريا كوندراتفنا ، بل ان من رأيي الغاء الجيش أصلاً • ـ فمن يدافع عنا اذن اذا هاجمنا العدو ؟

ـ لا داعى الى الدفاع • فى عام ١٨١٧ غزا امبراطور الفرنسيين ، نابوليون الأول ، وهو أبو الامبراطور الحالى * ، غزا روسيا ، فلو قد نم له الاستيلاء عليها لكان ذلك سعادة كبرى ، وحظاً عظيماً ؟ لأن أمة ذكية تمخضع لنفسها عندئذ أمة غبية ، وتلحقها بها • فلو قد تم تحقيق ذلك اذن لكان عندنا الآن نظام محتلف عن نضامنا كل الاختلاف •

ــ كأنهم خير منا ! ٠٠٠ ألا اننى لأرفض أن أستبدل بشاب واحد من شبابنا الحسان ثلاثة رجال من الانجلىز ٠٠٠

كذلك هتفت تقول ماريا كوندراتفنا بأرق صوت وأعذب نغمة ٠ ولا شك أنها كانت تلقى على صــاحبها عندئذ نظــرات تفيض حبــاً وحناناً ٠

قال الرجل:

_ المسألة مسألة ذوق !

_ هيئتك أنت نفسك هيئة أجنبى ، أجنبى نبيل جداً • أعترف لك بهذا دون أن أحمر خجلا •

.. هل تريدين أن أقول لك الحقيقة ؟ انهم جميعا سواسية من ناحية التحلل من الأخلاق ، أجانب كانوا أم روساً ، هم جميعا أوغاد أوباش ، مع فارق واحد هو أنهم هناك ينتعلون أحذية ملمتعة ، في حين أن أهلنا الحفاة هنا قانعون ببؤسهم النتن ، لا يجدون فيه ضيراً ، ان الشعب الروسي بستحق أن يُجلد ، لقد صدق فيدور بافلوفتش أمس حين قال هـــذا الكلام ، رغم أنه مجنون ، هو وأبناؤه جميعا ،

ــ ولكن سبق لك أن قلت انك تحترم ايفان فيدوروفتش احتراما كبيرا • سذلك لم يمنعه من أن يصفنى بأننى خادم نذل • هو يتخيل أننى واحد من أولئك المتمردين • ولكنه مخطىء • لو ملكت فدراً كافيا من المال ، اذن لسافرت منذ زمن طويل • أما دمترى فيدوروفتش فهو شرمن خادم ، سواء بسلوكه وقلة ذكائه أو ببؤسه وشقائه • هذا رجل لا خير فيه ، ولا يصلح لشى • و ومع ذلك يحترمه جميع الناس • أنا أعلم أننى لست الا طباخاً فاشلا ، ولكن لو أوتيت شيئاً من حظل فسسوف أفتتع « مقهى مطعماً » بموسكو ، في شارع بتروفكا • اننى أجيد اعداد أطباق حسب الطلب ، وما من أحد من زملائي قادر على ذلك ، الا الأجانب • ودمترى فيدوروفتش هذا ليس الا انسانا دنيئاً ، ومع ذلك لو طلب الى ودمترى فيدوروفتش هذا ليس الا انسانا دنيئاً ، ومع ذلك لو طلب الى غيره ؟ انه أقل منى ذكاء ! وما أكثر ما أتلف من مال في سبيل حماقات غيره ؟ انه أقل منى ذكاء ! وما أكثر ما أتلف من مال في سبيل حماقات

قالت ماريا كوندراتفنا :

ـ لا بد أن المبارزة شيء جميل جدا .

_ لماذا ؟

- هى خطرة جدا وتحتاج الى شجاعه ، لا سيما حين يتواجه ضباط شبان بمسدسات فى سبيل سيدة ! ما أروعه من منظر ! لو كانت تأقيل فتيات فى مشاهدة مبارزة ، لو هبت أى شىء فى سبيل أن أشهد مبارزة ،

ــ المبارزة ممتعة حين يسدُّد المرء بنفسه ، أما حين يكون الآخر هو الذي يسدُّد اليك ، فالأمر يصبح عندئذ كريها ، وربما تهربين ياماريا كوندراتفنا .

أتخاف أنت في مثل هذه الحالة ؟

لم يتنازل سمردياكوف فيجيب عن سؤالها • وبعد برهه من الوفت سُمع لحن آخر تعزفه القيثارة وصوت مترقق من طبقة التينور يصدح منساً:

سارحل مهما اكابد
فانی سئمت العدابا ،
سیبهجنی ان آعیش بعیدا
آمتع نفسی واحیا سعیدا
حیاة العواصم ،
فلا شیء یمسکنی ها هنا
ولست بباك علیك كدلك

وفى تلك اللحظة حدث شيء ليس فى الحسبان : لقد عطس أليونا فحبأة • فسرعان ما صمت الأصوات • فنهض أليونا عن مكانه وانجه نحو الدكه • الرجل هو سمر دياكوف فعلا ، بنبابه الجميلة ، وحذاءيه الملمتين ، وشعره المدهن حتى لكأنه مجعند • كان قد وضع القيارة على الدكة • والمرأة الشابة هى ماريا كوندراتقنا بنت صاحبة الدار • انها ترتدى ثوبا أزرق فاتحا ذا ذيل طويل جدا • وكان يمكن أن تبدو جيلة لولا تلك البقع الحمراء البشعة فى وجهها المسرف فى الاستدارة •

سأل أليوشا بلهيجة هادئه وهو يتحاول أن يسبغ على سؤاله مظهر سؤال بسيط لا قيمة له:

ے مل سیأتی أخی دمتری الی هنا بعد قلیل ؟ فنهض سمردیاکوف بدون تعجل، وکذلك فعلت ماریا کوندراتفنا. ۔ أنتَّی لی أن أعرف ما یفعله دمتری فیدوروفتش ؟ اننی لم أکلف بحراسته فیما أعلم ۰۰۰ كذلك أجاب سمردياكوف مقطِّعاً ألفاظه دون أن يرفع صوته ، وفد بدا في وجهه الاهمال .

فقال ألموشا شارحاً :

- انما سألتك لتجيبني اذا كنت تعلم ٠

ـ أنا أجهل أين يمكن أن يكون الآن ، ولا أحـــرص على أن أعرف ٠٠٠

ــ لكن أخى أسر ً الى ً أنك تطلعه على كل ما يبحدث فى الدار ، وأنك وعدته بابلاغه عن مجىء آجرافين ألكسندروفنا .

فرفع سمردياكوف بصره الى أليوشا ببطء دون أن يضطرب • ثم قال وهو يحدّق الى أليوشا ويتفرس فيه :

ــ هل يمكننى أن أسألك أنا أيضا كيف فعلت حتى استطعت أن تدخل الى هنا رغم أن باب المدخل مقفل بالمفتاح منذ أكثر من ساعة ٢ قال ألوشا :

مررت بالزقاق وتعخطيت السياج لأصل الى الكشك رأساً .
 ثم أضاف يقول مخاطبا ماريا كو ندراتفنا :

۔ أرجو أن لا تؤاخذيني على عدم تحرجي • لقد كنت أحرص على أن أرى أخي بأقصى سرعة •

فأجابت المـــرأة الشابة تقول بصوت ممطـــوط وقد بدا واضحاً أن اعتذار ألوشا المها قد سرها كثيراً:

ـ كيف أؤاخذك ؟ ان دمترى فيدوروفتش يسلك هــــذا الطرىق

نفسه لبلوغ الكشك ، فما ان تلاحظ وصوله حتى يكون قد اســــتقر فه .

ــ لا بدلى أن أراه حتماً • اننى أبحث عنـــه فى كل مكان • ألا تستطيعين أن تقولى لى أين يمكننى أن أعثر علبه الآن ؟ ان الأمر أمر مسألة تهمه كثيرا •

فتمتمت المرأة الشابة تقول:

ـ انه لا يطلعنا على تنقلاته .

واستأنف سمر دياكوف كلامه فقال:

- اننى أجىء الى هنا زائراً ، فاذا هو يلاحقنى حتى الى هذا المكان ليسألنى عن أخبار سيدى ، لهد طالبنى بأن أذكر له ماذا يفعل أبوه ، ومن يدخل الدار ومن يحرج منها ، وكل ما يمكننى أن أطلع عليه من أمور أخرى ، حتى لقد هد دنى بالقتل مرتين !

ہ بالقتل ؟ لماذا ؟

انه ، بما له من طبع خاص ، لا يتورع عن شيء ٠٠٠ ولقد أتيج لك أن ترى ذلك بنفسك أمس على كل حال ، لقد أنذرني بأن عاقبتي ستكون وخيمة اذا أنا تركت لآجرافين ألكسندروفنا أن تدخل وأن تقضى ليلة في الدار ، اتنى أخافه وأخشاه ، ولولا أنه يثير في نفسي هذا الجزع كله اذن لأبلغت عنه السلطات ، الله وحده يعلم مايمكن أن يفعله دمترى فيدوروفنش !

وأضافت ماريا كوندراتفنا تقول :

ـ وقد صر على منسذ أيام بأنه سيسحقه بالهاون سحقاً ، ويدقه دقاً ٠٠٠

قال أليوشا :

- لأن تكلم عن الهاون ، فليس الأمر بالجد ، ليني أستطيع أن أعثر عليه الآن ، اذن لقلت له كلمة عن هذه النهديدات أبضا .

قل سمر دياكوف وكأنه قد غيَّر رأيه فجأة :

سالیك المعلومات الوحیدة التی أسنطیع أن أنهیها الیك و اننی أجیء الی هنا كصدیق قدیم و لیم لا أزور جیرانا ؟ هذا من جهة و و من جهة أخری فان ایفان فیدوروفتش قد أرسلنی فی ساعه مبكرة من هذا الصباح الی أخیك فی « شارع البحیرة » و لقد كلفنی ، دون أن یحملنی رسالة مكتوبة ، بأن أعلم دمتری فیدوروفتش جهارا أنه یرجوه ملحا أن یجیء لتناول طعام الغداء معه فی الكاباریه الذی یقع فی المیدان و لم أجد دمتری فیدوروفتش فی مسكنه و كانت الساعة هی الثامنة صباحا وقالت لی صاحبتا المنزل « ان دمتری فیدوروفتش فد خرج « و أنا مستعد لأن أحلف أنهما متواطئتان معه و من الجائز جدا أن یكون أخوك دمتری فیدوروفتش وقد تندی أخیراً منه فیدوروفتش وقد تندی أخیراً منه مناعة ، ولا بد أنه الآن یکوبل و أتوسل الیك مع ذلك أن لا تحداث أخاك عنی ، وأن لا تقول له اننی ذکرت لك هذه المعلومات و فلقد یقنلنی اذا عنی ، و ذلك !

سأله أليوشا كأنما ليتأكد من الأمر مزيدا من التأكد :

هل ضرب ایفان موعدا لدمتری فیدوروفتش فی لکابار به ؟
 تماما ٠

ـ أهو كاباريه « العاصمة الكبرى » الذي يقع في الميدان ؟

ــ هو نفسه ٠

هتف أليونا يقول وقد ألمَّ به انفعال شديد :

قال سمردياكوف ملحا:

ــ اياك أن تفضحني !

ــ لا تخف ٠ سأتظاهر بأننى دخلت الكاباريه مصادفة ٠

وبينما كان أليوشا يتجه نحـــو السياج ، هتفت ماريا كوندراتمنا قائلة :

- ـ الى أين أنت ذاهب ؟ سأفتح لك باب البستان •
- ــ لا داعي الى ذلك من هنا أقرب سأتخطى السياج •

أحدث هذا النبأ في أليوشا أثرا قويا • وأسرع متجها الى الكاباريه• ليس من الحشمة طبعا أن يدخل أليوشا الكاباريه وهو في مسوح راهب• ولكن أليوشا قد قرر أن يسأل عن أخويه دون أن يدخل الصالة ، وأن يستدعيهما اليه على السلم • وانه ليقترب من مبنى الكاباريه اذا بايفان بناديه سائلا :

- ـ هل تستطيع أن تجيئني الى هنا يا ألبوشا؟
- ـ طبعاً ولكنني أتحرج من الدخول بثوبي هذا •
- أنا في حجرة خاصة + تعال الى سلَّم المدخل ، فأتلقال هناك +

وبعد دقيقة ، كان أليوشا يجلس الى جانب أخيه ، لقد كان ايفان وحيدا ، وكان يتناول غداء ، لالفوخمسدة يتسسارفون

يكن ايفان يحل حجرة خاصة بمعنى الكلمه • وانما كان جالساً فرب النافذة في ركن تعزله عن الصالة حواجز • فالأشخاص الذين يجلسون في هذا المكان الخاص لا يراهم روَّاد الكاباريه

الآخرون و هي قاعة مدخل تفضى الى الصالات التي بعدها ، قد نصب « بوفيه » أمام جدارها الحانبي و والعدم يعتازون هذه القاعة في كل لحظة و ولم يكن في القاعة حينذاك الا زبون واحد هو ضابط محال على التقاعد كان يحتسى الشاى و ولا كذلك الصالات الأخرى فهي تزخر بما تزخر بها أمثال هنده الأماكن عادة من نداوات عالية ، وصرخات فرحة ، وقرقعات الزجاجات التي تنفتح ، وطقطقات الكرات على مائدة اللياردو ، مع أصوات أرغن بربارى تشق هذه الجلبة كلها و

کان ألبوشا بلعم أن أخاه ايفان لا يكاد يرتاد هذا الكاباريه أبدا ، لأنه لا يحب جو الأماكن التي من هـــذا النوع على وجه العموم • فقال ألبوشا لنفسه : « فانما هو جاء اذن ليلقى دمترى ، ولكن دمترى لم يلب ً دعوته » •

قال ايفان وكان يبدو سعيدا بحضور أليوشا :

ـ هل تربد أن آمر لك بحساء سمك ؟ يخيُّل الى ۖ أنك لا تتغذى بالشاى وحده !

وكان ايفان قد فرغ من تناول طعامه ، فهو الآن يحسو فنجاناً من الشاى . أجابه أليوشا مبتهجاً مرحاً :

ـ يسرنى أن أصيب طبقاً من حساء الســـمك ؟ واطلب لى كذلك شايا ، فاننى جائع .

ا فما قولك اذن بشىء من مربب الكرز؟ ان عندهم هنا مربّب كرز ، وعهدى بك أنك كنت تحب هسذا المربب فى الماضى حين كنت صغيرا وكنا نعيش كلانا عند أسرة بولينوف ، أما تزال تتذكر هذا؟

_ أأنت تنذكره اذن يا ايفان ؟ موافق على المربب ، ف ننى ما أزال أحبه كما كنت أحبه في الماضي .

نادی ایفان العضادم وأمر بطبق من حساء السمك ، وبشمای ، وبمر ب کرز .

- اننى أنذكر طفولتك يا أليوشا حتى الحاديه عشرة من عمرك وكنت أنا عندند في المخامسة عشرة و ما كان يمكن أن تنعقد أواصر رفاقة بين أخوين في ذلك العمد اذا كانت تفصل بينهما أربع سنين ولست على يقين من أننى أحببتك في ذلك الأوان و وبعد سفرى من موسكو لم تخطر ببالى قط أثناء السنين الأولى و حتى اذا جئت بعد ذلك الى موسكو أنت أيضا ، لم أصادفك الا مرة واحدة لا أدرى أين اومانذا أعيش هنا منذ أكثر من ثلاثة أشهر ، دون أن يتاح لنا أن تتبادل حديثا حقيقيا مرة واحدة و واني مسافر غدا ، لذلك تساءلت منذ لحظات: ه ترى أين يمكن أن أجده لأود عه ا ، وفيما أنا أتساءل هذا التساؤل لحتك من النافذة و

ـ أكنت تحرص حرصا كبيرا على أن ترانى اذن ؟

- نعم ، حرصا كبيرا ، اننى أود أن أعرفك مرة ، وأن تعمرفنى كذلك مزيدا من المعرفة ، ان أفضل لحظة للتعارف هى فى دأيى اللحظة التى تسبق الفراق ، لقد راقبت تعبير نظراتك خلال هذه الأشهر الثلاثة، كان فى عينيك انتظار دائم وتوقع مستمر ، وهذا ما لا أستطيع أن أحتمله، لذلك لم أحاول أن أقترب منك ، ولكننى تعلمت أن أحترمك ، قلت لنفسى : « ما يزال الرجل الصغير ثابتا على مواقعه ، ، اننى أمزح قليلا ، ولكننى أتكلم الآن جاداً ، أنت فتى ثابت جدا ، أليس همذا صحيحا ؟ وأنا امرؤ يحب الثبات كيف ظهر وأين ظهر ، حتى لدى صبية صغار وأنا امرؤ يحب الثبات كيف ظهر وأين ظهر ، حتى لدى صبية صغار ولا تنفرنى ، حتى لدى صبية مصغار ولا تنفرنى ، حتى لدى صبية مصغار ولا تنفرنى ، حتى لدى المعمد محببة الى المدول لى أنك تحبنى ولا تنفرنى ، حتى لقد أصبحت محببة الى المدول لى أنك تحبنى ولا أليوسا ، أليس كذلك ؟

- أحبك يا ايفان • دمترى يصفك بأنك « قبر » ، أما أنا فأقـول الله لغز • ولم أستطع أن أحل هذا اللغز حتى الآن • هناك نقطة مع ذلك أحسب أننى أبصرتها واضحة " في نفسك ، ولكن منذ هذا الصباح فحسب •

سأله ايفان ضاحكاً:

- _ فما هي ؟
- _ ألن تغضب ؟
 - _ طبعا لا ٠٠٠

اذن فاعلم أننى اكتشفت أنك شاب شبيه سائر الشباب الذين هم
 فى الثالثة والعشرين من أعمارهم ، تزخر فتوة ونضارة وعفوية مثلهم ،
 ويعوزك النضج كما يعوزهم ، أى ٠٠٠ هل كدَّرك قولى هذا كثيرا ؟

ـ بالعكس ! بل أدهشني صدق رأيك ، وهو يتفق ورأيي • لفد كنت منذ لقائنا في هذا الصباح أفكر في هذا الجانب من طبيعني ، في هذا الفتوة العارمة الجامحة التي تزخر بها سنتي الثالثة والعشرون ، فاذا أنت تقع على هذه الحقيقة دفعة واحدة! ••• هل تعلم بماذا كنت أحدَّث نفسى قبل وصولك ؟ كنت أقول لنفسى : مهما تخيب الحياة ظنى ، ومهما أفقد ايمانى بالمرأة التى أحبها ، ومهما أقتنع بأن الكون سديم ملعون لعله خاضع لمشيئة الشيطان ، فلن يغير هذا من الأمر شيئًا ٠٠٠ قد أغوص في جميع وهاد اليأس الانسماني ، ثم أظل أحب الحيماة مع ذلك ورغم كل شيء م أود لو أعب كأس الحياة متلذذا حتى الثمالة ، وقد لا أستطيع تركه قبل أن أفرغه • ولكن حين أبلغ الثلاثين من العمر فقــــد أرمَى الكأس قبل نفاده ، ثم أمضى ٠٠٠ الى أين ؟ لا أدرى بعسد ٠٠٠ أما حتى ذلك الحين ، أى الى أن أبلغ التلائين ، فان الشباب سينتصر على كل شيء _ أنا واثق من هــــذا _ سينتصر على تبدد الأحلام وعلى مشــــاعر الاشمئزاز • لقد تساءلت مرارا : « هل في هذا العالم يأس يمكن أن يحنق في نفسي هذا الفلما الى الحياة ، هذا الظمأ المسعور الذي قد لايكون لائقاً ؟ » • وانتهيت الى الاعتقاد بأن لا ، ولكن حتى الثلاثين من عمـرى فحسب ، ثم أزهد وأعف من تلقاء نفسي بعد ذلك ٠٠٠ فيما أظن ٠٠٠ ان الواعظين بالأخلاق ، المصدورين المحزاني ، وكذلك الشعراء ، يحلو لهم أن يصفوا بالنجين والضعة هذا الحب الحار ّ للحياة • وينجب أن نعترف على كل حال أن من السمات الخاصة بآل كارامازوف ارادة ُ الحاة هذه بأي ثمن • لا بد أن تكون هذه الارادة قائمة فيك أنت أيضا. ولكن لماذا توصف بالجبن والضعة ؟ ان القوة الصادرة عن المركز لم تنفد في كوكنا الستَّار هذا يا ألـوشا • الحياة ممتعة ، و نبي لأحيا ولو على خلاف كل منطق • أنا لا أؤمن بقيمة النظام الذي يحكم العالم • لنسلم بهذا •

ولكنني أحب وريقات الأشجار الطريات النديات حين تطلع في الربيع * ، وأحب السماء الزرقاء ، وأحب أيضا دون أن أدرى لماذا ــ هل تصــــــــق ذلك ؟ ــ أحب أيضا بعض البشر وتهــزني الحماسة لأعمال من أعمال البطولة الانسانية التي انقطعت مع ذلك عن الايمان بها منذ زمن طويل، ولكنني ما زلت أقدسها بحكم عادة عـــزيزة على نفسي أثيرة في قلبي • جاءوك بحساء السمك . كُلْمُه وتَدُوقَه . انهم يحسنون اعداده هنا . أنوى أن أسافر الى الخارج يا ألبوشا • سأسافر الى الخارج من هنا رأساً• وانى لأعلم مع ذلك اننى لن أجد هنــالك الا مقبرة ، ولكننى شــــديد الارتباط بذكري هؤلاء الموتى • ان كل حيجر بذكرني بسورة جامحة من سورات الايمان بالحياة ، وبقيمة العمل ، وبالحقيقة ، وبالكفــاح ، وبالعلم أيضًا • أوه ! أنا أعلم سلفًا أنني سأرتمى على ركبتي ُّ جاثياً أمام هذه الذكريات الكثيرة ، وأننى سأبكى على أحبجار القبور هذه ، وأغمرها بالقبل ، مع شعوری فی قرارة قلبی بأن ذلك ماض تصر ّم وان يعود • على أننى لن أبكي من كرب ويأس ، بل من سعادة الشعور بانسكات دموعى • سيسكرني حزني وحناني • انني أحب البراعم في الربيع ، أحب السماء الزرقاء • ليس الأمر أمر عقب ل ومنطق • ان حب العجياة يسجس من أرحامي ، وان قوى شـــابي التي لم تضعف ولم تهــن ولم يمسسها سوء هي التي أحبها هـــذا الحب • أأنت تفهم شيئا من هــذه المعميّات يا صغيري ألبوشا ؟ هه ؟

أَلْقَى ايفان هذا السؤال وهو يضحك • فأجابه ألبوشا بقوله :

ـ أفهمها جدا يا ايفان ، أفهمها أكثر مما يحب ! من قرارة الأرحام الما ينبع حب الحياة ؛ لقد أجدت التعبير عن هذه العقيقة • وانى لأبتهج لك كثيرا حين أراك راغبا في الحياة رغبة قوية هذه القوة •

كذلك هتف يقول أليوشا ثم أضاف :

ــ وعندى أن على كل انسان في هذا العالم أن يتعلم حب الحياة قبل كل شيء .

_ حب الحاة لا محاولة فهمها ؟

_ نعم ، حب الحياة ، دون اكتراث بالمنطق ، كما قلت أنت ، وبهذا وحده انما يصل الانسان الى اكتشاف معنى الحياة ، أنا من جهتى أفكر في هذا منذ زمن طويل ، لقد ملكت نصف الحقيقة ما دمت تريد أن تحيا ، ولم يبق عليك الا أن تملك نصفها الآخـــر حتى تحقق لنفسك الحخلاص والسلامة ،

ـ أأنت تهتم بمخلاصي وسلامتي ؟ ماكنت أحسب أنني بسبيل الضياع والهلاك • وما هو النصف التاني في رأيك ؟

ــ النصف الثاني هو بعث أولئك المـــوتي الذين لعلهم لم يبرحوا الحاة • اعطني الشاي • انني سعد جدا بحديننا هذا يا ايفان •

ـ صحيح! ان شيخي أمرني بالذهاب الى العالم •

ـ سوف نلتقی اذن ، سوف نلتقی اذن فی هـ ذا العالم قبل حلول الثلاثین ، قبل أن أرمی الكأس ، أبونا لا يريد أن يعدل عن التمتع بالحياة قبل أن يبلغ السبعين ، ولعله يحلم أن يعيش ثمانين عاما ، كما يقول ذلك هو نفسه ، انه جاد فی هذا كل الجد ، مهما يكن مهر تجا ، انه يتهالك علی اللذة ، ويحسب أنه مقيم عليها اقامته علی صخرة وطيدة ، م صحيح أن الانسان لا يبقی له بعد الثلاثين شیء غير اللذة ، م ولكن الحياة علی

على هذا الطراز حتى السبعين شيء معيب مقيت • فالأفضل أن يمسك المرء حين يبلغ الثلاثين • وبذلك يستطيع أن يحافظ على « مظهر نبل ٍ » في أقل تقدير ، كاذباً على نفسه • هل رأيت دمترى اليوم ؟

ـ لا ۰۰۰ ولکننی رأیت سمردیاکوف ۰

وقص أليوشا على أخيه بسرعة تفاصيل لقائه بالحادم • فكان ايفان يصغى اليه وقد اكتسى وجهه تعبيرا عن الهم والقلق على حين فجأة ، حتى أنه استوضح ألبوشا بعض النقاط •

وأضاف أليوشا قوله :

_ وقد ألبح ً سمردیاكوف على أن لا أذكر لدمترى شیئا مما أسر ً به الى ً •

فقطب آيفان حاجبيه ، ووجم يفكر لحظة .

سأله ألىوشا :

- أبسب سمر دياكوف ألم " بك هذا الانزعاج ؟

ـ نعم ، بسببه • شيطان يأخذه على كل حال ١٠٠١

ثم أضاف يقول كأنما على مضض :

ے حقاً لقد کنت أرغب في أن أرى دمترى ، ولكن لم تبق بي حاجة الى ذلك الآن .

ــ هل تنوى أن تسافر بمثل هذه السرعة فعلاً ؟

ــ العم +

فسأله أليوشا قلقًا :

ــ ما عسى يصير اليه حال دمترى والأب ؟ ترى كيف ينتهى هــذا الأمر كله ؟

ــ انك ما تفتأ تعود الى هذا الموضوع! فيم يعنينى نزاعهما ؟ أأنا حارس لأخك؟

كذلك أجاب ايفان بلهجة حانقة ، ولكنه لم يلبث أن تدارك نفسه ، فابتسم ابتسامة مرة وقال :

- ذلك جواب قابيل لله عن الأخ الذى قتله قابيل، أليس هذا ماخطر ببالك فى هذه اللحظة ؟ الى جهنم على كل حال ! • • • أنا لا أستطيع أن أبقى هنا لأراقبهما ! لقد أنهيت أعمالى ، وسأسافر • أتراك تتخيل أننى غيور من دمترى ، واننى حاولت خلال هذه الأشهر الثلانة المنصرمة أن أنتزع منه جميلته كاترين ايفانوفنا ؟ دعك من هذا ! لقد كانت لى أنا شئونى وأعمالى • وقد أنجزتها فسأسافر • أنجزتها فى هذا الصسباح ، وكنت أنت شاهدا عليها •

مل تعنى ذلك الحديث الذى جرى بينك وبين كاترين ايفانوفنا ؟ عدم ، لقد قطعت صلتى بها دفعة واحدة ، أليس هذا طبيعيا جدا ؟ فيم يهمنى دمترى ؟ انه لا شأن له بهذا الأمر ، ولا دخل له فيه كانت علاقاتى بكاترين ايفانوفنا شأناً خاصاً بى ، ثم انك تعسرف أنت نفسك أن دمترى فد تصرف فى هذا الأمر كله تصرف متواطىء معى ، أنا لم أطلب منه شيئاً ، وانما هو تركها لى من تلقاء نفسه ، وزاد على ذلك فبارك ، لكأنها تمثيلية ، أف ، م ليتك تعسلم يا أليوشا مدى شعورى بالتخفف الآن ! حين كنت أتناول غدائى منذ قليل هنا ، اشتهيت أن أطلب شيئاً من الشمبانيا احتفالاً بأول ساعة من ساعات حريتى التى عادت الى بين أفكر فى هذا الأمر ، م ، آه ، ه ، القد دام ستة أشسهر ، وهأناذا

أتحرر دفعة واحدة • حتى أمس ، ما كنت لأتخيل أننى سأستطيع أن أقطع الصلة بمثل هذه السهولة متى شئت !

ـ أعن حبك تتكلم يا ايفان ؟

- عن الحب أتكلم ان شأت أن تستعمل هذا التعبير • لقد عشقت آسة من الآسات ، فناة هي طالبة في مدرسة داخلية ؟ فتألمت ، وجعلتني هي أتألم • وكنت أحسب أنني مشدود البها • • • ثم اذا بكل شيء يتبدد في طرفة عين • في هذا الصباح كنت أكلمها مستهاماً ، حنى اذا صرت في الشارع الطلقت أضحك ضحكا مجلجلا ، هل تصدق هذا ؟ تلك هي الحقيقة بعينها مع ذلك •

قال أليوشا وهو يتفرس في وجه أخيه الهاديء المطمئن :

ـ أنت حتى في هذه اللحظة تتكلم في الأمر بمرح وحبور •

.. كيف كان يمكننى أن أحزر أننى لا أحبها البتة ؟ هأهأ ! ••• ومع ذلك فهذه هى الحقيقة • أنا لا أحبها • وضيح هذا الآن • ولـكن ما أكثر ما كانت تعجبنى ! فى هذا الصباح نفسه ، حين أجريت معها ذلك الحديث ، كنت لا أمل ولا أكل من الاعجاب بها ! وحتى فى هذه اللحظة تعجبنى كثيرا ، هل تصدق ؟ ورغم هذا فما كان أسهل تركها على "! أتحسبنى أقول هذا الكلام تباهياً وتبجحاً ؟

ــ لا ••• ولكن لعله لم يكن بالحب حقاً ؟

قال ايفان ضاحكا:

ـ يا صغيرى أليوشا ، لا تندفع فى اصدار آراء فى العجب ! ذلك لا يناسب حالتك ، اننى أفكر فى اندفاعك هذا الصباح يا بنى ! أى ... كان ينبغى لى أن أقبلك عندئذ ! ومع ذلك ما أشد ما آلمتنى وعذبتنى ! ...

لقد اضطررت أن أحتمل جميع تلك التمزقات ، أوه ! كانت تعلم حق العلم أننى أحبها ، وكانت تحبنى أنا لا دمترى (قال ذلك مرحاً) ، ولم يكن دمترى الا عذراً لها وتعلة في سبيل أن تعذب نفسها ، ان كل ماقلته لها هو الحق ، هو الحق اطلاقاً ، ولكن من المؤسف أنها تحتاج الى خمسة عشر عاما أو الى عشرين عاما أخرى ـ وهذا هو الشيء الأساسي ـ من أجل أن تدرك أخيرا أنها لا تحب دمترى البتة ، ولا تحب أحداً سواى رغم أنها تؤلني وتعذبني ، وقد لا تدرك هذه التحقيقة في يوم من الايام على كل حال ، رغم درس هذا الصباح! بالمناسبة ، ما الذي صارت اليه ؟ ماذا حدث بعد انصرافي ؟

أطلعه أليوشا على النوبة العصبية التي ألمت بهــــا ، وذكر له أنها ما تزال مغشياً عليها في أغلب الظن ، وأنها ما تزال تهذي .

_ لعل هو خلاكوفا قد بالفت ؟

_ لا أظن •

ـ يجب أن أذهب أستطلع أنباءها • على كل حال ، لا أحد يموت من نوبة عصية ١٠٠٠ ولقد يحسن اليها هذا • • فد ينفعها ولا بضرها • • • ان الرب قد شاء كرمه أن يهب للنساء هذه النعمة: النوبات العصبية • لا • • • لن أذهب اليها! فيم استثناف الامر ؟

_ زعمت َ لها منذ فليل أنها لم تحبيك يوماً .

ـ زعمت ذلك عامدا ما أليوشا ! سأطلب شيئاً من الشمبانيا فنشرب احتفالا باستردادى حريتى • ليتك تعلم مدى ما أشعر به من سعادة ! أحابه ألبوشا بحرارة قائلا :

_ أخى ، الأفضل أن لا تشرب ، اننى أحس بحزن شديد ، ثم ان ٠٠٠

- ـ أنت حزين منذ زمن طويل ، لقد لاحظت أنا هذا .
 - ـ أأنت مصر" على أن تسافر غدا في الصباح ؟
- لذا في الصباح ؟ أنا لم أقل اتنى مسافر في الصباح ٠٠٠ على أتنى قد أفعل ٠ هأنت ذا ترى أتنى أصبت غدائي هنا حتى لا أخلو الى العجوز على مائدة واحدة ، فالى هذا الحد يثير العجوز اشمئزازى ٠٠٠ كان يمكن أن أسافر منذ زمن بعيد لأتحرر من وجوده ٠ ولكن لماذا يقلقك سفرى هذا الاقلاق ؟ ما يزال أمامنا وقت طويل ، ما يزال أمامنا أبد تقريبا ٠٠٠
 - ــ أيكون أمامنا أبد" وأنت مسافر غدا ؟

قال ايفان ضاحكاً:

_ فيم يهمنا هذا السغر ؟ سيكون لنا من الوقت متسع لأن تتحدث عما يهمنا نحن الاثنين ، لأن تتحدث عما جمعنا في هذا المكان • لمساذا تنظر الى بهذه الدهشة ؟ ما هو الأمر بالنسبة الينا ؟ أجب ! أنحن هنا من أجل أن تتحدث عن الحب ، وعن كاترين والعجموز ودمترى ، وعن ظروف الحياة في الخارج ، وعن أحوال روسيا المتردية وعن الامبراطور بابوليون ؟ أنحن هنا من أجل أن تتحدث في هذه الأمور ؟

ـــ لا ٠٠٠ طبعا ٠٠٠

ـ هأنت ذا تدرك بنفسك اذن ما ينجمعنا هنا • هناك أناس آخرون يتناقشون في شئون هذا العالم ، أما ننحن ، ننحن الأغرار البسطاء ، فنريد أن ننحل "أولا" مشكلات الحياة الميتافيزيقية • ذلك هو همنا ننحن شباب روسيا • ان جميع شباب روسيا يعالجون الآن ألغاز الكون المخالدة • وقد اختاروا للاهتمام بهذه الألغاز الكونية المخالدة اللحظة التي قرر الشيوح فيها أن يدرسوا المسائل العملية • ما الذي كان يدفعك طيوال هذه الأشهر الثلاثة الى أن تنظر الى نظرة فيها ذلك التعبير عن الانتظار ؟ كنت تريد أن تعرف أأنا مؤمن أم ملحد د • • • ذلك ما كان يثوى في أعماق نظرتك منذ ثلاثة أشهر ، ألس هذا صيحيحا يا ألكسى فيدوروفتش ؟

أجاب أليوشا مبتسما :

ــ جائز جدا • ولكننى أرجو أن لا تكون في هذه اللحظة بسبيل السخر منى والضحك على يا أخى •

- أأنا أسخر ، أنا ؟ ألا اننى لا أحب أن أشجى قلب أخى الصغير الندى يبدو أنه انتظر منى أشياء كثيرة طوال هذه الأشهر الثلانة ، أليوشاء انظر الى جيداً ، ألست ، أنا أيضا ، فتى صغيرا مثلك ، مع فارق واحد هو اننى لست راهبا مبتدئا ؟ كيف يتصرف اليوم شبابنا الروس أو بعضهم على الأقل ؟ انهم يلتقون فى خمارة تفسوح فيها رائحة كريهة كهذه الحجرة ، ويجلسسون الى مائدة ، وه لقد عاشوا دون أن يتعارفوا حتى الآن ، وسينكر بعضهم بعضا من جديد ، بعد اربعين عاما ، متى خرجوا من الخمارة ! ، و من فساء الذي يتناقشون فيه أثناء هذه اللحظات القصار التى تتيجها لم المصادفة فى كاباريه ؟ يتناقشون فى الكون وسرالكون حتماً ، هم يتساءلون : هل الله موجود ، وهل النفس خالدة بعد الوت ؟ والذين أصبحوا منهم لا يؤمنون بوجود الله ، يتساقشون فى الاشتراكية والفوضوية ، وفى اعادة بناء الانسانية بناء كاملاً على أسس جديدة ؟ والفريقان كلاهما سواء ، فالمشكلات التى يعالجها هؤلاء ، هى المشكلات التى يعالجها هؤلاء ، هى المشكلات التى يعالجها أولئك ، ولكنهم يعالجونها من الجهة المعارضة ، النسكلات التى يعالجها أولئك ، ولكنهم يعالجونها من الجهة المعارضة ، في بلادنا ، هؤلاء الشبان الروس ، الذين يفيضون ان عددهم لا ينحصى فى بلادنا ، هؤلاء الشبان الروس ، الذين يفيضون النبين يفيضون بالنبين يفيضون بالنبين يفيضون بلادنا ، هؤلاء الشبان الروس ، الذين يفيضون بالنبين يفيضون بلادنا ، هؤلاء الشبان الروس ، الذين بلادنا ، هؤلاء الشبان الروس ، الذين بلادنا ، ولكنا ، هؤلاء الشبان الروس ، الذين بلادنا ، هؤلاء الشبان الروس ، الذين ، ألادنا ، ألادنا ، هؤلاء الشبان الروس أللدين الروس أللدين الروس أللدين الروس أل

أصالة وطرافة والذين أصبحوا الآن لا يجيدون أن يناقشوا الا المسائل الأبدية • ألست متفقاً معى في هذا الرأى !

أجاب أليوشا أخاه وهو ينظر اليه نظرة مشفوعة بابتسامة رقيقة عذبة ، كأنما ليشجعه على أن يفصح عن أعماق فكره مزيدا من الافصاح:

ـ حتماً • ان المسائل المتضلة بوجود الله وخلود النفس أو هذه المسائل نفسها التي تعالَج من الجهة المعارضة كما قلت ، هي في نظـر الروسي الحق ذات خطورة حيوية ، ومن الخير جدا أن تكون كذلك •

- اعلم يا أليوشا أن الروسى لا يلمع دائماً بالذكاء والعقل ، واعلم على كل حال أن هذه الأمور التي تشغل بال الشبان في روسيا هي أغبى ما يمكن أن يتصوره الخيال من أمور ، غير أن بين هـــولاء المراهقين واحدا أحبه كثيرا يا ألبوشا .

قال أليوشا ضاحكا :

_ هذه نشيجة بلغت في استخلاصها غاية اللطف •

_ بماذا تريد أن نبدأ ؟ اننى أترك لك الخيار • هل تريد أن نتكلم عن الله وأن نتساءل أهمو موجود أم لا ؟ قل •••

ــ ابدأ من حيث تؤثر أن تبدأ ، ولو بمعالجة تلك المســـائل التى وصفتها بأنها تعالَج من « الجهة المعارضة ، • ألم تؤكد أمس ، في منزل أبينا ، أن الله غير موجود ؟

كذلك سأل أليوشا أخاه ، وهو يحدق اليه متفرساً فيه ٠

ـ تعمدت أن أقول ذلك بالأمس لدى العجوز لأناكدك وأغينلك ، ورأيت لهيباً ينبجس فى عينيك ، أما الآن فأنا أنســعر بأننى على أنم الاستعداد لأن أناقش هذا الامر معك ، ولسوف أناقشه جاداً لا هازلاً ،

اننی أحب كثيرا أن أتفاهم معك يا أليوشا ، لأننی لس لی أصدقاء • اننی أحاول أن أقترب منك •

قال ايفان ذلك ثم أضاف يسأل أخاه ضاحكا :

ے هل تتصور أننى ربما سلَّمت بوجود الله ؟ هذا يدهشك ، أليس كذلك ؟

_ نعم ٠٠٠ اللهم الا أن تكون مازحاً من جديد ؟

ــ مازحاً ؟ لقد أخذوا على ّ ذلك بالأمس ، عند شيخك ، ولكنهم أخطأوا • اسمع يا عزيزى : ان عجوزاً آثماً عاش في القرن الثامن عشر قد قال : « أذا كان الله غير موجود فيجب اختراعه »* . والحق أن الانسان قد اخترع الله • ولـس أغربَ ما في الأمر ولا أبرزَ ه أن الله لا وحود له في الواقع ، بل أن هذه الفكرة ، فكرة وجود الله بالضرورة ، قد أمكن أن تنبت في دماغ حنوان يبلغ ما يبلغه الانسان من توحش وخبث وشرى ذلك أن هذه الفكرة فكرة مقدسة تؤثر في لقلب، وهي في الوقت نفسه ذكة عاقلة • المحق أن هذه الفكرة تشمر ُّف الانسان • أما أنا فقد قررت منذ أمد طويل أن لا أتساءل هل الله هو الذي تصور الانسان ، أم الانسان هو الذي تخسَّل الله • فسأعفى نفسي اذن من فحص البديهيات التي يستند البها نسابنا الروس في هذه الأيام والتي يستمدونها في حقيقة الامر كما هي من الافتراضات التي يفترضها الناس في الىلاد الأوروبية الأخرى • ذلك أن ما هو افتراضٌ لا أكثر ، في نظـر العلماء الأجانب ، سرعان ما يصبح بديهية في نظر مراهقينا ، بل وفي نظر أساتذتهم الذين لايفضلون المراهقين سدادً رأى وصدق حكم في كثير من الأحيان • فسأترك جانبا جمع الافتراضات اذن ، وأتساءل ما هي غايتنا الآن على وجه الدقة ؟ أما أنا فانما يهمني أن أشرح لك طبيعتي بأقصى سرعة ممكنة ، يهمني أن أُفهمك أي انسان أنا ، وما هو ايماني ، وأين أضع آمالي ؟ لذلك سأقول لك فوراً انني أسلم بوجود الله دون مناقشة أخــرى • ولكنني أحب أن تلاحظ ما يلي : إذا كان الله موجوداً ، وإذا كان قد خلق الأرض فعلاً ، فهو انما اتبع في هذا الخلق ، كما أصبحنا نعرف ذلك اليوم حق المعرفة ، قوانين هندسة اقليدس ، ولم يهب للمقل الانساني الا فكرة مكان ٍ ذي ثلاثة أبعاد • ومع ذلك فقد و'جد وما يزال يوجد الى يومنا هذا أناس من أشهر علماء الهندسة ومن الفلاسفة يشكُّون في أن يكون الوجود وأن يكون الخلق كله بوجه أعمُّ ، مستنداً الى قوانين هندسة اقليدس وحدها؛ حتى ليقررون أن الخطين المستقيمين المتسوازيين اللذين ترى هندسة اقلىدس أنهما لا يمكن أن يتقاطعا على الأرض ، يمسكن في الواقع أن يتقاربا و يتلاقيا فينقطة موجودة في اللانهابة* . ولقد قلت لنفسي ياعزيزي: اذا كنت عاجزاً عن فهم هذه الحقيقة ، فلن أستطيع أن أعرف أي شيء عن مسألة الله ! انني أعترف في كثير من التواضع أنني لا أملك المواهب اللازمة للقطع برأى في مسائل من هـــذا النوع ، لأن عقلي اقليــدسي قد خُـلق للأرض ، ومن العبث الذي لا طائل تحته أن نشغل أنفسنا بأمور ليست من هذا العالم • وانك لتحسن صنعاً أنت نفسك يا ألبوشا اذا أنت لم تفكر في هذه الأمور ، واذا أنت لم تتسامل خاصةً هل الله موجود أم هو غير موجود! هذه عناصر لا سبل لعقلنا الى ادراكها ، لأن عقلنـــا قد خُلق لمعرفة مكان ليس له الا ثلاثة أبعاد • ذلك هو السبب في انني أسلم بوجود الله • ولست أسلم بوجود الله فحسب ، ولكنني أسلم أيضا بحكمته العليا ـ وبغاياته ، رغم أن من المستحيل علينا أن ندرك هذه الغايات • انني أؤمن بوجود نظام كونى شامل يضفى على الحياة معنى ، وأؤمن بانسلجام أبدى علينا أن نذوب فيه جميما ذات يوم فيما يبسدو • أؤمن « بالكلمة ، التي

يتجه اليها الكون ، « الكلمة التي هي الله » ، وهلم َّ جرا الى غير نهــاية · لقد قيل في هذا المجال كلام كثير مسرف في الكثرة • ولكنسي على طريق الصواب، ألا ترى هذا الرأى ؟ فاعلم اذن الآن ، ختاماً لكل ماقلته ، أنني لا أقبل العالم على نحو ما خلقه الله ، ولا أستطيع الموافقة على فبوله ، رغم علمي بوجوده • لست أرفض الله ••• افهمني جَبِداً ••• وانما أنا أرفضُ العالم الذي خلقه ولا أريده • وهأناذا أشرح لك ما أريد قوله : اتني أؤمن ايماناً جازماً ، كايمان طفل ، بأن آلام هذا العالم ستخف شيئا بعد شيء وستزول آخر الأمر ، وأن هذه المهزلة الحقيرة ، مهزلة التناقضات الانسانية ستتبدد تبدد سراب باطل ، تبدد كشيء تافه اخترعه كائن ضعيف صغير ، وأنها ستتبدد تبدد الذرة في ذهن افليدس • أؤمن بأن حقيقة عليا ستنبئق في خاتمة المطاف من هذه الحياة ، حين يتأكد الانستجام الأبدى ، فاذا هي تبلغ من السمو والنقاء أنها تهديء جسيع القلوب، وتسكن جميع أنواع الغضب ، وتكفر عن جميع جرائم الانســـانية ، وتفدى كل الدم الذِّي سُفح على الأرض. وهذه الحقيقة لن تنيح العفو عن جميع الأخطاء الانسانية فحسب ، كاثنة ما كانت تلك الأخطاء ، وانما هي ستسوَّغها فوق ذلك . لنسلتِّم بهذا كله ! ولكن حتى في هذه الحالة ، فاتنى لن أفيل الأمر ولن أريد أن أقبله ! ألا فلتلتق الخطوط المستقيمة المتــوازية ولأرها ، فاعنر ف ّ بأنها التقت ، ولكنني لن أقب ل ذلك • تلك طبيعتي يا أليوشا ، وذلك احساسي بالعالم • لقد حدثتك حديثاً جاداً كل العجد في هذه المرة • تعمدت أن أبدأ حديثنا على أغبي نحو ممكن ، ولكنني قدته إلى حبث أبلغ اعترافاً كاملاً صادقاً ، لأن ذلك وحده يهمك • ليس البحديث عن الله هو ما كنت تريد أن تسمعه مني ، وانما كنت تريد أن تسمعني متحدثاً عن نفسي ، بنية أن تعرف ما يدور في نفس أخ ِ تحبه ٠ فهأنت ذا عرفت ذلك الان • أتهى ايفان كلامه المطنب الطويل بفيض من عاطفة كان يبدو غمير متوقع منه •

سأل ألبوشا أخاه وهو يلقى عليه نظرة شاردة :

_ قل لى : لماذا تعمدت أن تبدأ الحديث بيننا « على أغبى نحــو ممكن ، ؟

فأجابه ايفان بقوله :

_ أولاً لأننى أحبيت أن أجارى عادات الناس: فان الأحاديث حول هذا الموضوع فى روسيا غية دائما • ونانيا لأن المسر • يكون أقرب الى المحقيقة حين يكون غيباً • ان الغباء يمضى نحو الهدف رأساً ، دون لف ودوران غامضين • الغباء بساطة وايجاز ، أما الذكاء فمكر ومعاتلة • ان الفكر الذكى فاجر فاسد ، أما الغباء فمستقيم شريف • لقد شرحت لك بأسى ، وعلى قدر ما يكون الشرح غيباً ، يكون الأمر أفضل فى نظرى •

سأله أليوشا مرة أخرى :

ـ أتقول لى لماذا ترفض « قبول الخليقة » ؟

_ طبعاً أقول لك • ليس هذا بسر • وأنا انما بدأت هذه المناقشة لأصل منها الى ذلك •

بهذا أجابه ايفان ، ثم أردف يقـــول وهو يبتسم ابتســامة بريئة كمراهق خجول :

ـ يا أخى الحبيب ؛ لست أريد بحال من الأحوال أن أصرفك عن ايمانك ، وأن أحو لك عن اعتقاداتك ٠٠٠ بالعكس ٠٠٠ انني أتمنى أنا نفسى أن أنشفي وأبرأ بالاتصال بك ٠

لم يره أليوشا يبتسم هذه الابتسامة في يوم من الايام •

لالتمسدد

ايفان كلامه يقول :

يحب أن أعترف لك بهذا الأمر: اتنى لم أستطع في يوم من الأيام أن أفهم أن يحب المرم الناس القريبين منه • ففى رأيى أن أقرب الناس الينا يصعب علينا أن تحبهم أكثر مما يصعب علينا



أن نحب غيرهم • ان الاسسان لا يحب الأمن بعد • لقد قرأت في موضع ما أن رجلاً اسمه « يوحنا الرحيم » * (هو قديس من القديسين) فد تضرع اليه في ذات يوم متشرد جائع مرتعد من شدة البرد أن ينجده ويدفئه • فأضحه على سريره وأحاطه بذراعيه ونفخ في فمه النتن المتقيح المصاب بمرض رهيب • انني أعتقد اعتقاداً قاطعاً بأن اندفاعة هذا القديس مصطنعة ، وأنه لا يقوم بفعله هذا من تلقاء نفسه ، وانما هو يلزم نفسه به الزاماً باسم حب لا يشعر به ، فكأنه قد قام بهذا الفعل بدافع التكفير عن ذابه ، فهو يعاقب نفسه على افتقادها المحبة • اننا لا تستطيع أن نحب الساناً الا اذا ظل مختفيا عن نظرنا • فمتي لمحنا وجهه تبدد الحب •

قال أليوشا :

مده ملاحظة طالما ردَّدها الشيخ زوسيما • كان يقول ان وجه الانسان يخلق في كثير من الأحيان حاجزاً يحول دون الحب لدى أولئك الذين لما يتعلموا بعد أن يحبوا • ومع ذلك فان في الانسانية كثيرا من

المحبة ؟ ان هناك محبة تكاد تشب محبة المسيح ٠٠٠ أنا أعرف ذلك بتجربة يا ايفان ٠٠٠

ــ جائز • أما أنا فلم أستطع أن ألاحظ ذلك ولا أن أفهمه ، وما أكثر الناس الذين يشبهونني من هذه الناحية ! وانما السؤال هو : هل يرجع هذا الى خبث القلب الانساني أم هو قانون طبيعي ، واني لأرى أن محبة المسبح للناس معجزة لا يمكن أن تتحقق على هذه الأرض • ان المسيح اله ونحن بشر • لنفرض مثلاً اننى قادر على أن أتألم كثيراً • ان من الصعب على شخص آخر غيري أن يعرف عمق الألِم الذي أعانسه ، وذلك لسبب بسيط هو أنه ليس أنا بل آخــــر • ثم انه يعز! على المرء دائماً أن يسلِّم بألم غيره (كما لو كان ذلك عزة واباء !) • فهل تعلم لماذا يعز ُ عليه أن يسلِّم بألمي ؟ ربما لأن رائحة فسي كريهة ، أو لأن وجهى غبى ، أو لأننى دست على قدمه في يوم من لأيام! على أن الآلام أنواع : فهنــاك آلام تخفض قيمتنا أو تنقص قدرنا ، كالجـــوع مثلاً ؛ فالناس تحب أن تصدقنا فيما يتعلق بهذا النوع من الآلام ، ليجعلوا من أنفسهم محسنين الينا بعد ذلك • أما اذا كان الألم أرفع من ذلك درجة " أو درجتين ، اذا كان ألما نحتمله في النضال من أجل فكرة مثلاً ، فان الناس يرفضون أن يصدُّقوه ، باستثناء قلة قلملة • وهم لا يصدقونه لأنهم حين نظروا الى صاحبه رأوا أن رأسه ليس ذلك الرأس الذي لا بد أن يكون في نظرهم رأس ً من يتألم في سبيل قضية رفيعة تلك الرفعة كلهاء وهم عندثذ يأبون أن يتعاطفوا معه أي تعاطف، دون أن يكون في موقفهم هذا شيء من روح الشر على كل حال. ان على الشيحاذين المستعطين، ولا سيما حين تكون نفوسهم نبيلة ، أن يظلوا مختبثين عن الأنظار ، وأن لا يطلبوا الاحسان الا باعلانات ينشرونها في الجرائد • أن من المكن أن يحب لانسان الانسان حماً مجرداً ، وأن يحمه في بعض الأحمان

فعلاً ، ولكن من بعد • أما من قرب فذلك يشبه أن يكون مستحلاً • لو كانت الأمور تجرى كما تجرى على المسرح ، في باليه نرى فيـــه الشحاذين يظهرون ، اذا ظهروا ، لا بسين اسمالاً من حرير ومغطَّين بتخاريم ممزقة ، ويطلبون الصدقة راقصين برشـــاقة ، فقد نعجب بهم عنــدئذ ، نعجب بهم ولكن دون أن نحيهم • حســـبنا الآن ما قلناه حول هذا الموضوع • لقد كان في نيتي ان أحدثك عن آلام الانسانية عامة ، ولكنني أحسب أن من الأفضل أن نقتصر على آلام الأطفال وحدهم • ولئن كانت حجتي ستفقد من ذلك تسعة أعشـــار دلالتها ، فانني أظل أحسب أن هذا أفضل. لسوف تكون المناقشة أقل مواتاة ً لى بطبيعة الحال. ولكن الأطفال يمتازون على الأقل بأن المرء يستطيع أن يحبهم من قرب ، مهما تكن وساختهم ودمامتهم (وان كنت أعتقد أن وجه طفل لا يمكن أبداً أن يكون دميماً) ؟ ثم انني لا أحب أن أتكلم عن الكبار ، لا لأنهم يبعثون على الاشمئزاز ولا يستحقون الحب فحسب ، بل لأنهم ينمتعون من جهة أخرى بتعويض : فهم قد أكلوا تفاحة شيجرة المعرفة وأصبحوا « شبيهين بالآلهة ».، وما يزالون يأكلون منها ••• أما الأطفال فانهم لمَّا يذوقوا تلك الثمرة ، فبراءتهم ما تزال سليمة لم يمسسها سوء . هل تحب الأطفال يا أليوشا؟ أحسب أنني أعلم أنك تحبهم ، ولسوف تفهم اذن لماذا لن أحدثك الا عنهم • اذا اتفق للأطفال أن يتألموا ألماً قاسياً في هـــذا العالم ، فذلك لا يمسكن الا أن يكون بذنب آبائهم الذين أكلوا التفاحة ، ومن أجل أن يكفِّروا عن تلك البخطيئة • ألا ان هذا فهم ليس من هذا العالم ، وسيظل قلب الانسان على هذه الأرض عاجزاً عن ادراكه. ان من الظلم أن يُعذُّب أبرياء _ أبرياء الى هذه الدرجة من البراءة ـــ لذنب اقترفه غيرهم • أنا أيضا أحب الأطفال كثيرا يا أليوشا ، تخيل هذا ٠٠٠ سبجيِّل هذا! ان القساة الضواري أصحاب الأهواء الجاميحة ، من

أمثال آل كارامازوف ، كثيرا ما يحبون الأطفال ، فالأطفال يختلفون عن الكبار اختلافاً عظيماً ما ظلوا صغاراً لما يتجاوزوا السابعة من أعمارهم ، حتى لكأنهم ينتمون الى نوع آخر لأن طبيعتهم ليست كطبيعتنا ، اننى أعرف حالة لص من اللصوص كان سجيناً في أحد السجون ، لقد اتفق لهذا اللص أثناء حياته أن قتل أسراً بكاملها في المنازل التي تسلل اليها ليلا ليسرقها ، فلم يوفر الأطفال ، ومع ذلك استبدت بهذا الرجل أثناء وجوده في السجن عاطفة قوية نحر الصغار ، فكان يقضي وقته ناظراً من خلال الكوة الى الصبية يلهون ويتسلون في ساحة السجن ، فالمرا من خلال الكوة الى الصبية يلهون ويتسلون في ساحة السجن ، واستطاع أخيرا أن يكسب مودة واحد منهم ، فكان هذا يجيء يتحدث معه بغير تنخلف واقفاً تحت الكوة ، وما لا شك في أنك تتساءل يا أليوشا مين فجأة ،

قال أليوشا قلقاً:

- انك تتكلم بطريقة عجبة غريبة ، كأنك لا تملك وعيك كله . وتابع ايفان كلامه يقول وكأنه لم يسمع ملاحظة أخيه :

ما بالناسبة ٥٠٠ لقد قص على المغارى في الآونة الأخيرة بموسكو أن الأتراك والشراكسة يعمدون في بلاده بلغاريا الى أنواع شديدة من القسوة بغية ارهاب الشعوب السلافية التي يخشون أن تثور عليهم ثورة عامة شاملة فهم يحرقون القرى وينهبون الأرزاق، ويذبحون السكان، وينتهكون النساء والأطفال ، ويسمترون بعض السجناء من آذانهم بسياج فيدعونهم هنالك طول الليل ثم يعودون اليهم في الصباح ليشنقوهم ، أمور تنفوق العنال ، يقال أحيانا ان الانسان «حيوان كاسر ، ، ألا ان في هذا القول اهانة للحيوانات لا داعي اليها : فالحيوانات لا تبلغ مبلغ البشر في

القسوة أبداً ، وهي لا تتفنن في قسوتها تفنن الانسان ، النمر يكتفي بتمزيق فريسته والتهامها ، انه لا يمضى الى أبعد من ذلك ، ولا يخطر باله يوماً أن يسمس أحداً من أذنيه بسياج ، ولو قدر على ذلك ، وأولئك الأتراك يتسلنون خاصة بتعذيب الأطفال تعذيباً سادياً ، انهم يننزعون بالسيف صغاراً من أحضان أمهاتهم ويرمونهم من النوافذ فيتلقفهم في الفناء أتراك آخرون بأسنة الرماح على مرأى من أمهاتهم اللواتي يعد خضورهن أهم عنصر من عناصر هذه المتعة ، ولقد حفظت ذاكرتي على الخصوص مشهداً و صف لى : أم "ترتجف جزعاً وهلعاً وفي يديها طفل صغير ؟ وأتراك يحيطون بها ويتخيلون لعبة صغيرة ، انهم يلاعبون وجه الطفل ويلاطفونه ويسلنونه ويضحكونه ، والطفل سعيد فها هو ذا يمد اليهم ذراعيه ، وفي تلك اللحظة يصوب اليه أحد الأتراك مسدسه فينفجر الطفل ضاحكاً ، ويمد يديه الصغيرتين ليتناول المسدس ، فيضغط الفنان عند ثذ على الزناد فينطلق الرصاص ويهشس جمجمة الصبي ، اليس هذا فناً في الواقع ؟ يظهر أن الأتراك يحبون الحلاوي ، و المحلاوي ، و السروي المحلوي ويضعل المحلوي المحلوي المحلوي المحلوي ويضعل المحلوي المحلوي المحلوي المحلوي ويضعل المحلوي المحلوي ويصوب المحلوي ويضعل المحلوي المحلول المحلوي المحل

- ــ أخى ، الى ماذا تريد أن تنتهى ؟
- ــ أعتقد أنه اذا لم يكن الشيطان موجودا ، واذا كان الانسان قــد خلقه ، فلا شك في أن الانسان قد خلقه على صورته هو .
 - _ كما خلق الله اذن ؟
 - ــ انك تنجيد قلب الألفاظ كما يقول بولونيوس في « هملت » كذلك قال ايفان ضاحكاً ، وتابع كلامه يقول :
- مده حرب شريفة ، وأنا أقبلها ألا فاعترف مع ذلك أنه جميل الهك اذا كان الانسان قد خلقه على صورته لقد سألتنى الى أين أريد

أن أنتهى ؟ انني امرؤ يجمع وقائع شتى يقتطفها مصادفة ً من الجرائد أو من أحاديث الناس ثم يدونها على الفور • تخل هذا • لقد جمعت منـــذ الآن حصاداً كبيراً من هذه الوقائع • والأتراك يحتلون في هذه الوقائم مكانا كبيرا بطبيعة الحال ، ولكن الأتراك أجانب . وأنا أملك كذلك وقائع بلادنا روسيا انما يُعمد خاصةً إلى السوط والعصا ٠٠٠ هــذا اختصاص قومي لنا ان صبح التعبيب • نحن لا نسمتِّر النِّياس من آذانهم ، لأننا أوروبيون رغم كل شيء • ولكننا في مقابل ذلك نملك السياط والعصي ، وما من أحد يستطيع أن ينتزعها منا • يظهر أن الناس في البلاد الأجنبية قد عدلت عن هذه الأسالب • فاما أن العادات هنالك أصمحت أقرب الى اللمين ، واما أن القوانين النافذة هنالك أصبحت لا تجيز للانسان أن يجلد أخاء الانسان • على أن الانسان قد وجد هنالك ما يعوِّض به ما افتقده تعويضاً يتصف كذلك بطابع قومي خاص فيبدو للوهلة الأولى مستحيلاً في بلادنا • على أن هنالك علامات تدل ، والحق يقال ، على أن أساليب التعويض هذه قد أخذت تتسرب الى روسيا منذ زمن ، ولا سيما بفضــل المحركة الدينية التي انتشر في الآفاق العليا من مجتمعنا • إن عندي نشرة شائقة* مترجمة عن الفرنسية تروى قصة اعدام مجرم في مدينة جنيف مو قاتل شاب اسمه ریشار فی الثالثة والعشرین من عمره ، فیما أظن ، قد ندم على فعلته واعتنق المسيحة قبل أن يصعد الى المقصلة • ان الواقعــة حديثة قد وقعت منذ حوالي خمس سنين • وريشار هذا زنيم كان أبواه قد « أهدياه » وهو في السادسة من عمره الي رعاة جبليين ربُّتُوه بنية أن يعمل لهم بعد ذلك • شبُّ الصبي كحيوان صـــغير متوحس • والرعاة الذين تبنوه لم يعلموه شيئاً ، وأرسلوه يحرس القطعان منـــ بلغ السنة السابعة من عمره دون أن يلبسوه ودون أن يطعموه تقريباً ، وذلك في جميع الفصول والأجواء • وكانوا يعاملونه هذه المعاملة دون أن يشمعر ضميرهم بأن عذاب ، لأن الصبي كان قد « أ هدى ، اليهم كما يُهدى شيء من الأشياء ، فهم لذلك لا يعتقدون أن من واجبهم أن يطعموء كما يجب أن يطعموء لقاء ما يقوم به من عمل ٠ وقد روى ريشار هذا أمام المحكمة أنه كان يتفق له خلال هذه السنين (كالابن الضال الذي يحدثنا عنه الانجيل) أن يشتهي أن يأكل ثمار المخروب التي كانت تُعلف بها الحنازير المسمَّنة للبيع • ولكن لم يكن يُسمح له بذلك ، وكان يُضرب اذا سرق بعضها من المذود • هكذا عاش ريشار سنى طفولته وشبابه الى الساعة التي شب فيها عن الطوق وشعر بأنه أصبيح قوياً ، فترك الرعاة وأخذ يسرق • وأصبح هذا المتوحش يمجنى رزقه في جنيف من العمل بأجر يومي ، ولكنه كان ينفق ما يجنيه في السكر ويعيش حياة كريهة مستهجنة . وانتهى به الأمر الى قتــل رجل عجوز في سبيل أن يسلبه ما معه • وقد اعتقل وحوكم وحكم عليه بالاعدام • ان الناس ليسوا عاطفيين في البلاد الأجنبية • وسرعان ما وجد نفسه في السجن متحاطاً بقسيس_ بروتستانتي وأعضاء جمعيات دينية مختلفة وسيدات من مترثسات الأعمال الخيرية ، الخ ؟ فاذا هو أثناء مدة اعتقاله يُعلُّم القراءة والكتابة ويفسُّر له الانجيل ويوعظ ، ويُردُ الى الصــواب ، ويُـلام ويقرَّع ،ويؤنب ويوبخ ، وتُشرح له العقيدة ويُلقن ُّ تعاليم المسيحية ، فاذا هو يعلن جهاراً في ذات يوم أنه نادم على فعلته وأنه تاب وأناب • وقد وجه الى المحكمة رسالة يصف فيها نفسه بأنه كان شيطاناً رجيماً ، وأضاف الى ذلك قوله ان الرب قد أدركه أخيراً برحمته فهداه الى الحق وأتم عليه نعمته • وقد اهتزت المدينة كلها للأمر ، فاذا جنيف الفاضلة العاقلة الحكيمة تغلى وتفور ، واذا جميع الناس في المجتمع الراقي ، اذا جميع « الأخيـــار » يريدون أن يزوروه في سنجنه : حضنوه وعائقوه وقبُّلوه ، وقالوا له :

« أنت أخونا وقد أدركتك نعمة الله » ، فكان ريشار يبكى حنانا ويكرر توله : « نعم لقد أدركتني نعمة الله • كنت أثناء طفولتي وشبابي أحسد الخنازير على طعامها ، وها هو ذا الرب يرسل الى" الآن نعمته • سأموت في صلح مع الله » ؛ فيبجيبه الآخرون : « نعم َ ما تقول يا ريشار ، ستموت منصالحاً مع الرب • لقد سفحت دماً فيجب أن تموت • صحيح أنك لم تكن مذنباً اذ جهلت الله أيام ً كنت تحسد الخنازير على علفها وأيام كنت تُنصّرب اذا أنت سرقت بعض هذا العلف من مذودها ﴿ وَأَنت مَخْطَىءَ فَي ذلك على كل حال لأن السرقة حرام) ، ولكنك سمكت دماً فلا بد أن تموت.، • وحان اليوم الأخير • فكان ريشار ، وقد ضعف ضعفاً شديداً، ما ينفك يردد بغير كلال ولا ملال : « هذا أسعد يوم في حباتي ، فانني ذاهب الى ملكوت الرب ، ، وكان القسس والقضاة والسيدات رئسات الجمعيات الخيرية يرددون بعده متنافسين : « نعم نعم ٥٠٠ هذا أسعد يوم في حياتك ، لأنك ذاهب الى ملكوت الرب! ، • وقد رافق هذا الجهمور ريشار الى المقصلة ، فبعضهم يتبع عـــربة العار التي تقل الجـاني راكباً يتعالى من كل مكان قائلاً : « مت أيها الأخ ، مت في صلح مع الله ، لأن نعمة الله قد أدركتك ٠ » • ود ُفع ريشار الى المقصلة تغمره القبــلات ، وأُ ضجع عليها ، وقطع رأسه قطعاً أخويا جدا لأن نعمة الله قد أدركته • أليس هذا شيئًا يتميز بطابع خاص ؟ لقد تُرجمت هذه النشرة عن اللغة الفرنسة ٠٠٠ ترجمها أشخاص ينتمون الى الأوساط اللوثرية والجمعيات الخبرية من أعلى طبقات المجتمع الروسي ، وأرسلوا منها أعداداً ضخمة الى جميع الصحف لتوزع مجانا في سبيل تثقيف شعبنا •

، ان حالة ريشار هذا شائقة بما تتصف به من طابع قومي • فنحن في بلادنا ، والحق يقـــال ، لا نقطع رأس رجل* لأنه أصبح أخانا ولأن

نهمه الله قد أدركته • ولكنَّ عندنا شيئًا لا بأس به هو أيضًا • نحن في روسيا نضرب ضرباً قاسياً مبرَّحاً ، وقد أصبح هذا نوعا من تقلمد تاريخي ومتعة مألوفة طبيعية مشروعه • لقد صـــو َّر نكراســوف ، في احدى قصائده ، شقاء حصان كان فلاح من الفلاحين يضربه بالسوط علىالعينين ، على «عينيه الوديمتين» * • • من ذا الذي لم يشمهد في يوم من الأيام منظراً كهذا المنظر الشائع كثيرا ، الروسي جدا ان جاز التعبير ؟ ان ذلك الحيوان السكين الضعيف الذي كان يجر عربة منقلة المأحمال فوق طاقنه قد سقط في الوحل ثم لم يستلع أن يتخلص منه • فأخذ الفلاح يضربه ثم يضربه ٠٠٠ وبلغ من شدة حنقه وهو يرفع سوطه في الهواء ويهوى به على الحبوان أنه أصبيح لا يشعر بما يفعل ، فهو فيما هو فيه من سكر وحشى بضراوته المستيقظة يضاعف ضرباته بمزيد من القسوة قائلاً: « أصبحت لا تقوى على جر العربة ، ولكنك ستجرها رغم أنفك ٠٠٠ سأجرك على ذلك اجبارا أيها الحيوان القذر • مت ان شئت ، ولكن عليك أن تنجر العربة! » • وأخذ الحيوان يتخبط ، فما كان من الفلاح وقد استند به غضب أعمى الا أن أخذ يجلده على عينيه اللتين تتضرعان طالبتين الرأفة والرحمة ٠٠٠ على « عشه الوديعتين » العزلاوين اللتين لا تملكان ما تدفعان به عن نفسهما الأذي • واستطاع الحيوان بوثبة مستميتة فصوى أن يتخلص من سقطته فـقف على قوائمه فستأنف سيره مرتعشاً مجللاً بالخزى والعار ، لا يكاد يستطع أن يتنفس ، يتقدم بخطى متقطعةمقهورة تبعث الشفقة في القلب • ان أشعار نكراسوف هذه تحدث في النفس أثراً رهيباً • والأمر مع ذلك أمر حيوان ، ونحن نعلم ان الرب قد وهب لنا الحيوانات لنضربها ، أو هذا على الأقل ماتعلمناه من التتر الذين أورثونا السوط هدية تذكرنا بهم • ولكن البشر يُضربون أيضًا • انني أعرف حالة سيد مرموق مثقف تعاون مع زوجته في ضرب ابنته الصغيرة وهي

طفلة في السابعة من عمرها *• لقد دو "نت الواقعة بجميع تفاصيلها • كان للعصى مُ أشواك ، فسُمر مَ الأب من ذلك أعظم السرور • قال : م لتشعرن بالعقوبة شعوراً أقوى » ٠٠٠ وأخذ يضرب ابنته ٠ هناك أشخاص ــ وأنا أعلم ذلك علم اليقين ــ يسكرون من الضربات التي يكيلونها ، ويبلغون من النشـــوة بها حدًّ اللذة الجســـدية ويتمتعون بالضرب تمتعاً وحشاً متزايداً • ضُربت الصبية دقيقة ، فخمس دقائق ، فعشر دقائق ، ضرباً ما ينفك يزداد قوة وضراوة • والصبية تصرخ وتبكى ، ثم تقول مختنقة الصوت بدموعها : « بابا ، بابا ، بابا الحسب ! ه • وبمصادفة شيطانيه غير لائقة ، ر'فعت القضية الى المحكمة • واستعان الأبوان بمعجام • ان الشعب يقول منذ زمن طويل: « المحامي ضمير يؤجر نفسه ، • وأخذ المحامي يصبح قائلاً أمام المحكمة : « أب أدَّب ابنته • فما هذا الا حادث مبتذل شائع من حوادث الحياة العائلية • ومن عار هذا العصر الذي نعيش فيه أنه ظنُّن أن هــــذه قضية يجب أن ترفع الى المحكمة ! ٥ • وقــــد تأثر المحلَّقُونَ أَشِدَ التَّأْثُرِ بِأَقُوالَ المحامي ، فمضوا يتداولون في الأمر ، ثم عادوا يعلنون حكمهم بالبراءة • وضبح الحمهور فرحاً حين سمع الحكم ببراءة الحلاد • اننى لم أشهد المحاكمة ، والا لاقترحت انشاء صـندوق اعانة ، تكريماً لهذا الأب الجلاد ! هذه لوحة جميلة يا أليوشا ، غير أنني أملك لوجات أخرى ربما كانت أجمل منها ، وهي تتعلق خاصة الأطفال من الروس • اليك قصة بنية في النخامسة من عمرها ، غضب منها أهلها، وهم « أناس محترمون ، موظفون مثقفون ، نشأوا نشأة كريمة وأ'حسنت تربيتهم » • أؤكد لك جازماً يا ألبوشا أن هناك أناساً يشعرون بمـل خاص الى تعذيب الأطفال ، الأطفال وحدهم دون سواهم • ان هؤلاء الجلادين يبر هنون في تعاملهم مع سائر البشر على كثير من الدماثة واللبونة ، كما يليق ذلك بأوروبيين متعلمين متنورين • ولكنهم في مقابل ذلك يجدون

لذة كبيرة في تعذيب الأطفال ، مع حبهم لهم على طريقتهم الخاصة • ان منظر هذه الكائنات الصغيرة العزلاء التي لا تحسن الدفاع عن نفسها ، ولا تعرف كنف تشتكي ولا الى أين تلجأ ولا بماذا تعتصم ، مع ما تتصف به هذه الكائنات من ثقة ملائكية ، يملك القدرة على ايقاظ القسوة الغريزية في نفوس أولئك الناس • لا شك أن في قرارة كل إنسان وحشاً نائماً ، وحشاً ضاريًا مسعوراً يلتذ بسماع صرخات ضـــحيته ، فينطلق عندئذ الطلاقاً كاملاً بكل قسوته التي ضاعفها الفجور وضاعفها كل ما يولده الفحور من أمراض كالنقرس والتهاب الكبد وما الى ذلك • ولنعد الى أهل تلك البنية • لقد أنزل الأبوان المثقفان في ابنتهما المسكينة أنواعاً من التعذيب لا يتصورها الخيال • كانا يضربانها ويجلدانها ويدوسانها بدون أى سبب ، حتى انهد جسم البنية المسكينة وامتلأ بقعاً زرقاء • وشيئاً فشيئاً توصلا الى صور من القسوة فيها كثير من التفنن • من ذلك أنهما أثنــاء الليالي الباردة كانا يحبسان الطفلة في المرحاض ، بحجة أنها كانت لا تطلب الخروج لقضاء حاجاتها في حينها (كأن طفلاً في المخامسة من عمـره يســتطيع دائما أن يســـتيقف من نومه الهادىء العميق في الوقت المناسب للذهاب الى المرحاض) ؟ وكانا يلطخان لها وجهها بغائطها نفسه « لتعليمها » ، ويجبرانها على أن تبلع غائطها ، وكانت أمها ، أمها نفسها ، هي التي تكرهها على ذلك • وكانتُ هذه الأم تستطيع أن تنام بعدئذ نوماً هادئاً دون أن تهزها صرخات طفلتها السجينة في ذلك المكان الموبوء ! فهل تستطع أن تتخيل يا أليوشا ذلك الكائن الصغير الذي ما يزال عاجزاً عن أن يفهم ما يجرى له ، هل تستطيع أن تتخيله لاطماً صدره المختنق بيديه الصغيرتين في غياهب الفللام والبرد ضارعاً الى « الرب الرحيم » بدموع شقية بريثة أن يحميه ؟ هل تستطيع أن تفهم علة وجود عالم سخف هذا السخف ، باطل هذا البطلان ، مستحيل هذه الاستحالة ٠٠

قل لى يا صديقى ويا أخى ٠٠٠ هل تستطيع أن تدرك علة وجود هذا العالم أن يا من تنهياً لأن تكون راهبا ينذر حياته للرب تقياً متعبداً ؟ يزعم بعضهم أن الوجود على هذه الأرض لايمكن تصدوره خاليا من الألم ومن الظلم للذين يستطيعان وحدهما أن يهبا للانسان معرفة الخير والشر! ألا بئست تلك المعرفة اذا كان تمنها هدخا الثمن! ان كل ما في العالم من علم لا يكفي للتكفير عن دموع تلك الطفلة التي تتوسل الى « الرب الرحيم » أن ينجدها ، لن أقول شيئاً عن الآلام التي يعانيها الكبار ، فان الكبار قد أكلوا الثمرة المحرامة ، فليجنوا جزاء ما فعلوا ، وليأخذهم الشيطان جميعا اذا كان الشيطان ما يزال يلوى عليهم ويهتم وليأخذهم الشيطان جميعا اذا كان الشيطان ما يزال يلوى عليهم ويهتم بأمرهم ٠٠٠ أما الأطفال ، أما الصغار الأبرياء ، فما ذبهم ؟ ألاحظ أنني أغذبك بهذا المحديث يا أليوشا ، ان في وجهك حزناً وشقاء ، سأمسك عن الكلام ان شت » ،

تمتم أليوشا يقول :

ـ لا ٠٠٠ اتنى أحب أن أتألم أنا أيضا ٠

_ لن أقص عليك الا قصة واحدة أخسرى ، لأنها شائقة جدا ، ولأنها تتسم بطابع مميز حقا ، لقد قرأتها منذ زمن قصير في مجلة « السجل الروسى » * ، لا أدرى على وجه المدقة ، ٠٠٠ يجب التحقق من ذلك ، ٠٠٠ لقد وقعت هذه القصة في أحلك عهود الرق عند بداية هذا القرن ، عاش محرر الشعب * ! كان يعيش في ذلك الزمان جنرال له علاقات رفيعة ويملك أطيانا واسعة ، هو واحد من أولئك الرجال (وقد أصبحوا قلة قليلة نادرة حتى في ذلك الزمان) الذين يعتقدون حين يُحالون على التقاعد أنههم بما قدموا للدولة من خدمات قد أصبح لهم على أقنانهم حق الحياة والموت ، لقد وجد أمثال

هؤلاء الرجال في الماضي • كان ذلك الجنرال يعشن في أراضـــه التي يعمرها ألفان من الأقنان • وكان يصطنع الأبهة والعظمة ، وينظر نظرة استعلاء الى جيرانه المنواضعين ، متظاهرا بأنه يعدهم مهر ّجين أو طفيلين. وكان يملك بضعة مثات من كلاب الصـــد لها ما يقرب من مائة خادم يجرون وراءها على خبولهم ، لابسين زياً واحدا • ففي ذات يوم كان قن صغير هو صبى في النامنة من عمره يتسلي برمي الأحجـــار • فاذا هو يصيب باحداها الكلب الأثير لدى الجنرال ، سهوا وغفلة • وسأل الجنرال مستطلعاً : « لماذا يعرج هذا الكلب الذي هو خير كلابي ؟ » فقبل له انه قد جُرْح بحصى رماها ذلك الصبي • قال الجنرال وهو يتفرس في الصبي: « أأنت السبب اذن ؟ » • ثم أضاف : « احبسوه ! » • انتُزع الصبي من أمه ، وألقى في زنزانة مظلمة ضقة ليث فيها طول الليل • وفي ساعة مكرة من صباح الغد تهمأ المجنرال للدهاب الى الصيد في احتفال عظيم • انه يمتطى صهوة جواده وقد أحاط به طفيلوه وكلابه وخـــدمه الذين يجرون وراء الكلاب يطاردون الفرائس ، وقد امتطوا صهوات خبولهم جميعًا • وأمر الجنرال بجمع الخدم في الحوش لتلقينهم درساً ، وجُعلت أم الصبي الجاني في أول صف من صفوفهم • وأ خسرج الصبي من زنزانته • كان ذلك في صباح كالح بارد يملؤه الضباب من أصـــباح الصغير ثيابه فخُلعت حتى صار عاريا كل العرى • ان الصبي يرتعش مصفراً من النخوف ، ولا ينجرؤ أن يفتح فاه ٠٠٠ قال الجبرال آمرا : «اجعلوه يركض» ، فأخذ المطاردون يدفعون الصبى قائلين له : « اركض، اركض ، ، فأطاع الصبي أمرهم وأخسلة يركض ، فاذا بالجنرال يعول صائحاً : " علم ! " مهماً بكلابه أن تطارده ، فانطلفت الكلاب تمزق جسم الصبي على مرأى من أمه ٠٠٠ أحسب أن الجنرال فد حيجر عليه بعد نذ.

فما رأيك ؟ أما كان يستحق أن يعسدم رمياً بالرصاص ؟ ألم يكن من الضروري اعدامه تهدئة للضمير الأخلاقي ؟ هلا الجبت يا أليوشا!

قال أليوشا بصوت خافت وهو يرفع عينيه نحو أخيه ويرسم على شفتيه المرتعشتين ابتسامة ضعيفة :

ـ نعم كان يجب رميه بالرصاص •

فصاح ايفان يقول بنوع من الحماسة :

ــ مرحى ! ما دمت تقر بذلك أنت نفسك ، فلا بد ٠٠٠ هاه ٠٠٠ يا لرسول المحبة ! ذلك هو الشيطان الذى تؤويه فى قلبك يا أليسوشا كارامازوف !

قال أليوشا :

ـ لقد قلت ُ سخافة ، ولكن ٠٠٠

صاح ايفان:

ــ ولكن ٠٠٠ هذا هو الأمر : « ولكن » ٠٠٠ أليس كذلك ؟ ألا عاعلم أيها الراهب المبتدىء أن السنخافات لازمة لوجود هذا العالم • ان الكون يقوم على سنخافات بدونها قد لا يوجد شيء وقد لا يتحدث شيء • تحن نعلم ما نعلم !

_ ماذا تعلم ؟

_ لست أفهم شيئًا (كذلك استأنف ايفان كلامه قائلاً في هذيان)، ولقد أصبحت لا أديد الآن أن أفهم شيئًا • أديد أن أكتفي بالوقائع وأن أقتصر عليها • لقد قررت منذ زمن طويل أن لا أحاول تأويلها • فلو حاولت أن أفهم اذن لشو هت الوقائع فورا ، وأنا أحرص على أن أبقى في الواقع لا أخرج منه •••

صاح أليوشا يقول بمرارة :

_ لماذا تعذبني هذا التعذيب ؟ هلا ً قلت لي أخيراً ٠٠٠

ــ سأقول لك • ذلك ما كنت أريد الوصول اليه منذ البداية • أنت عزيز في نفسي يا أليوشا ، ولا أريد أن أتنازل عنك لصاحبك زوسيما بدون كفاح •

قال ايفان ذلك وصمت لحظة مظلم الوجه ، نم أردف يقول :

ــ اصغر اليُّ الآن • لقد اخترت لأمثلتي أطفالاً حتى يكون بر هاني أكتر اقناعاً • ولن أقول شيئاً عن سائر الدموع الانسانية التي تتبلل بها الأرض ، انني أَضيُّق موضوع مناقشتنا عامداً • ما أنا الا حشرة صغيرة من الحشرات • واني لأعترف ذليلاً كل الذل بعجـــزي عن فهم نظام هـــذا العالم • هل يحب أن نؤمن بأن البشر مســـثولون وحدهم عن شرورهم ؟ لقد و ُهبت لهم الجنة ، ولكنهم آثروا أن ينسالوا حريتهم واختطفوا النار من السماء وهم يعلمون سلفاً أنهم بذلك يجلبون لأنفسهم الشقاء ، فلا داعي اذن الى أن نشفق علمهم ونرثى لحالهم • ولكن عقلي ، عقلي المسكين الاقليدسي الأرضى يؤكد لي ، على عكس ذلك ، أن العذاب موجود دون أن يكون هنالك مذنبون ، وأن جمع الأفعال الانسادة ينحدر بعضها من بعض بالضرورة ، وأن كل شيء ينقضي آخـــر الأمر ، وأن التوازن يقوم مرة أخرى من تلقاء نفسه • ذلك على الأقل وهم" أنشأه عقلي الاقليدسي ، أعرف هذا ٠٠٠ وأنا لا أقبل أن أحيا في عالم كهذا العالم • فيم يهمني أن أعلم أنه ليس هناك مذنبون ؟ انني في حاجة الى عدل ، والا دمرت نفسي • وهذا العدل الذي أطالب به ، أنا لا أريده في « لا نهاية » لا يُمكن الوصول البها ، وفي « أبدية » تفوقني ، وانما أنا أريد أن أراه على هذه الأرض ، أن أراه بعشي • لقد آمنت ، وأريد أن

أسهد انتصار الحقيقة! فاذا كنت مناً ساعة انتصارها فلأ بعد حياً! لسوف يسيء الى كثيراً أن يتحقق هذا المجد للاسان في غيابي • هـل تألمت أنا من أجل أن أمهتد الطريق بخطاياي وآلامي لانسجام مقبل لن ينتفع به الا آخرون ؟ انني أريد أن أرى الوعلة بعنيُّ مستلقية أمام الأسد في هدوء وسلام ، وأن أرى الضــــجية مرتدة ً الى الحياة تعانق قاتلها • أريد أن أكون حاضراً حين ينكشف سرٌّ هذا العالم للجميم • ان هذا الانتظار هو القاعدة التي تقوم عليها جميع الأديان ، وأنا أمرؤ مؤمن • ولكن الأطفال ••• ما ذنب الأطفال ؟ كيف نسوِّع عـــذاب الاطفال ؟ تلك مشكلة لا أجد الى حلها سبيلاً • أعود فأقول لك للمرة المشكلة ، مشكلة الاطفال ، لانها تنيح لي أن أُعبِّر عما يشغل بالي ويقض مضحمي تعبيراً أوضح • قل لي : اذا كان على الشر أن يتألوا من أجل أن يمهتَّدوا بألمهم للانسمجام الكلي ، فلماذا يحبب أن يتألم الأطفال أيضا ؟ لماذا حُسِن الأطفال في هذه الدائرة ، لمساذا يحب عليهم هم أيضا أن يساهموا في الانسيجام بعذابهم ؟ ذلك أمر لا سبيل الى فهمه اطلاقا. ماذا البشر في الخطيئة وتضامنهم في التكفير عنها ولكن الأطفال لم يشاركوا في الخطشة فان قيل انهم يحملون في أجسسادهم خطايا آبائهم وانهم متضامنون اذن مع آبائهم في هذه الخطايا قلت : هذه حقيقة لن تكون من هذا العالم على كل حال ولا يمكن أن يدركها عقل ! ر'بُّ مازح خبيث يعترض بقوله ان الطفل سيشتد ساعده وسيقارف الخطيئة متى حان الوقت ولكنني أقول ان ذلك الصــــي الذي ما يزال في الثامنة من عمره لما يشتد ساعده بعد ُ وقد مزقته الكلاب! آه يا ألبوشا همهات أن يكون في نيتي أن أجدُّف • انني أتخيل كيف سينهلل الكون فرحاً حين ســــتدوي أصوات السماء والأرض جميعا منشدة للخالق نشيد الشكر معآ وحين سيهتف جميع الأحياء وجميع من كانوا أحياء قائلين : ﴿ أَنْتُ عَلِّي حَقَّى يًا رب وقد فهمنا طرقك ! ٥ • سوف تعانق الأم عندئذ الجلاد الذي أمر الكلاب بتمزيق ابنها وسوف يقول البلاثة عندئذ من خلال دموع الحنان أنت على حق يا رب • ستنجلي عندئذ جميع الأسرار وسيكون ذلك اليوم يوم تمجيد المعرفة • ولكن ذلك بعينه هو العقدة لأنني لا أقبل هذا الحل للغز وأنا أسارع الى اتخاذ اجراءات ما زلت في هذا العالم • قد يحــدث يا البوشا حين أشهد ذلك الانتصار النهائي للحقيقة وحين أبعث حياً لأشهد ذلك الانتصار أن أصبح أنا أيضا مع الجميع اذ أرى الأم والجلاد والطفل يتعانقون ويتصالحـــون : « أنت على حق يا رب ! » • ولكنني لا أريد أن أفعل ذلك وأحسرص على أن أحمى نفسي سلغاً من ذلك الاستسلام ولهذا السبب ترانى أتنازل تنازلا حاسما عن الانسجام الأعلى. ان هذا الانسجام لا يعدل في رأيي دمعــة واحــدة من دموع ذلك الطفل المعذب الذي كان يلطم صدره بقبضتي يديه في مكان موبوء ويضرع الى الله الرحيم من خلال دموعه التي لا يكفر عنها شيء • نعم ما من انسيجام مقبل سكفر عن تلك الدموع ولا بد من التكفير عنها والا فلا يمكن أن يقوم انسجام ولكن بماذا يمكن التكفير عنها ؟ ما الذي يمكن أن يمحوها ؟ أهو القصاص الذي سينزل بالجاني ؟ فما قيمة هذا القصاص ؟ فيم يهمني هذا القصاص ؟ انني لا أريده ! انني لا أطالب بتعذيب الجلادين في الجحيم. ان جهنم لن تغير من الامر شيئاً ولن تنفى أن الطفل قد عذب • وأين عسى أن يكون الانسلجام اذا كان ثمة جحيم ؟ اننى أحب أن أغفر وأن أصالح • انني أتمني أن لا يبقى في الكون عــذاب • فاذا كانت دموع الأطفال أمراً لا بد منه ولا غنى عنه لاكمال مقدار الألم الذي سيكون دية للحقيقة فانني أعلن جازماً آن الحقيقة لا تستحق أن يدفع ثمنها باهظا

الى هذا الحد اتنى لا أريد أن تصالح الأم الجلاد الذى أمر كلابه بتمزيق جسد إبنها وليس من حفها أن تغفر له ولها أن تتغاضى عن ألمها هى ، عن عذاب الأم العظيم الذى قاسته ، لها أن لا تحقيد على العجابى اذا شاءت ولكن ليس لها أن تعفو عن التعذيب الذى نال ابنها حتى ولو عفا عنه ابنها وفاذا كان الامر كذلك ، اذا لم يكن من حق الضحايا أن تغفر فأين أين الاسحجام ؟ قل لى : أين الانسحجام ؟ هل فى الكون فرد يجب عليه ويحق له أن يغفر ؟ اتنى لا أريد هذا الانسحجام بل أرفضه حباً بالانسانية ويحق له أن يغفر ؟ اتنى لا أريد هذا الانسحجام بل أرفضه حباً بالانسانية اتنى أفضل أن تبقى آلام هذا العالم بغير تكفير و اتنى أؤثر أن يظل المي بغير فدية وأن يظل استيائي متأججاً بغير ارتواء ولو كنت على خطأ و ان الثمن المطلوب للانسحجام باهظ جدا وهو فوق ما نطيق أن ندفع من ثمن النبطاقة الدخول غالية مسرفة فى الغلاء و لذلك أسار ع فأرد" بطاقتى و اتنى أشعر بأن على أنأردها بأقصى سرعة لأتنى انسان شريف وذلك ما أفعله واتنى لا أجحد الرب يا أليوشا وانما أقتصر على أن أعيد اليه بطاقتى بكثير من الاحترام و

قال ألبوشا بصوت رقيق وهو ينخفض عينيه :

- هذا عصيان ٠

فقال ايفان بلهجة نافذة مؤثرة:

- عصيان ؟ لا أحب أن تحكم على هذا الحكم، ان من المستحيل على المرء أن يحيا في العصيان ، وأنا امرؤ يحرص على أن يحيا ، أجبني عن سؤال أليوشا ولكن أجبني بصراحة ، فانني أحرص على جواب صريح عن هذا السؤال : لو كنت مهندس المصائر الاسمانية وأحببت أن تبني عالماً تجد فيه الانسانية السعادة والهدو، والأمن أخيرا أفتشرع في هذا العمل اذا علمت أنه لن يتحقق الا اذا كان العذاب ثمنه ولو لم يكن الا

عذاب انسان واحد صغير برىء هو مثلاً تلك الطفلة الني كانت تلطم صدرها بقبضتى يديها ؟ لو كن البناء لا يمكن أن يقوم الا على تلك الدموع التي لا فدية لها تذرفها تلك البنية الصغيرة ، لو كان ذلك ضرورة لا مناص منها ولا يمكن أن يتحقق الهدف بدونها أفتظل توافق على أن تكون مهندس الكون في تلك الشروط ؟

أجاب اليوشا بصوت جازم :

ـــ لا ٠٠٠ لا أوافق ٠

ــ وهل فى وسعك أن تسلم عدا ذلك بأن يقبل البشر الذين تبنى لهم هذا العالم أن يصبحوا سعداء على حساب آلام ودماء طفل برىء وأن يعرفوا السعادة الى الأبد بعد أن يقبلوا ذلك ؟

_ لا ٠٠٠ لا أستطيع أن أسلم بهذا ٠

كذلك قال أليوشا ثم صاح يقول فجأة وقد سطعت عيناه :

_ أخى لقد سألتنى منذ لحظة هل فى الكون كائن فى وسعه ومن حقه أن يغفر أ ان هذا الكائن موجود يستطيع أن يغفر كل شىء وأن يغفر لجميع الناس لأنه وهب هو نفسه دمه البرىء للانسانية بأسرها لقد نسيته أنت وهو هو الذى يقوم عليه البناء كله وهو الذى يقع عليه أن يصيح: « أنت على حق يا رب فلقد أدركت طرقك » •

- آه ۱۰۰۰ انك تتكلم عن « ذلك المبرأ وحده من الخطيشة وعى دمه ! لا يا اليوشا أنا ما نسبته وانه ليدهشنى أن تنتظر هذه المدة الطويلة قبل أن تستشهد به فأمنالك فى العادة 'يهرزون هذه الحجة منذ بداية المناقشة ، اسمع يا اليوشا هل تمسلم أننى نظمت قصيدة فى ذات مرة ؟ لا تسخر منى لقد فعلت ذلك منسذ سنة فاذا وافقت على أن تضيع فى صحبتى بضع دقائق أخرى قلت لك هذه القصيدة .

_ كتبت قصيدة ؟

لا لم أكتبها (كذلك أجاب ايفان ضاحكاً) ولا كنت قادرا في يوم من الأيام على أن أنسطر بيتين من الشعر ولكنني تخيلت هذه القصيدة وحفظتها في فكرى لقد تصورتها وأنا في نوع من سورة النفس وستكون أنت أو ل قرائي أو قل أول المستمعين الى وللذا يجب على المؤلف أن يتنازل عن المستمع الوحيد الذي يملك أن يتسلو عليه ما ألف (كذلك أضاف ايفان متسماً) أأقول القصدة أم لا ؟

أجاب ألبوشا :

ـ انني أُصغى اليك باهتمام وشوق •

ــ عنوان القصيدة « المفتش الكبير » • هي قصة خياليه ولكن يسرني أن أقصها عليك •

ولمفتيش ولككب

ايفان كلامه يقول :

- لا بد من مقدمه • هـذا من التقاليد الأدبية (قال ايفـان ذلك ضاحكاً) • ألست مؤلفاً أنا أيضا ؟ ان الأحداث تجرى في القرن السادس

عشر ولقسد كان رائجاً في ذلك الزمان ادخال القوى السماوية في المنصائد ، كما لا بد أنك تعلمت ذلك في المدرسة و يكفى أن أذكرك حتى دون أن أستشهد بمثال دانتي ، بأن رجال الدين والرهبان كانوا يقدمون تمثيلات تغلهر فيها العذراء والملائكة والقديسون ، ويظهر فيها المسيح ، ويظهر فيها حتى الله نفسه و تمثيليات ساذجة و وقد وصف فكتور هوجو في روابته « أحدب نوتردام » * تمثيلية أخلاقية مجانية منلت للشعب في قاعة « الأوتيل دوفيل » في عهد لويس السادس عشر احتفالا بميلاد ابنه البكر ، وكان عنوان التمثيلية هو « الرأى الصائب للعذراء مريم المقدسة المنعمة ، ، وفيها نرى العذراء تظهر بنفسها لاصدار رأيها الصائب وحكمها السديد ، وغيها نرى العذراء تظهر بنفسها لاصدار رأيها كانت أسرار من هذا النوع تنمثل من حين الى حين ، وكانت تنستوحي من التوراة خاصة ، وعدا هذه التمثيلات ، فقد انتشرت في العالم طائفة من التوراة خاصة ، وعدا هذه التمثيلات ، فقد انتشرت في العالم طائفة من الأقاصيص أو القصائد يظهر فيها الملائكة من السماوية الأخرى ، تبعاً للحاجات ، وفي أديرتنا كانت تنرجم والقوى السماوية الأخرى ، تبعاً للحاجات ، وفي أديرتنا كانت تنرجم والقوى السماوية الأخرى ، تبعاً للحاجات ، وفي أديرتنا كانت تنرجم والقوى السماوية الأخرى ، تبعاً للحاجات ، وفي أديرتنا كانت تنرجم والقوى السماوية الأخرى ، تبعاً للحاجات ، وفي أديرتنا كانت تنرجم والقوى السماوية الأخرى ، تبعاً للحاجات ، وفي أديرتنا كانت تنرجم

وكانت تنسخ أشياء كنيرة ، بل لقد كانت تؤليف فصائد في بعض الأحيان، حتى في عهد الاحتسلال التترى ، فكذلك على سبيل المنال ، احتفظ بقصيدة رهبانية (مترجمة عن اليونانية طبعاً) عنوانها : « نزول العذراء الى الجحيم » * ، مليئة بلوحات تكاد نبلغ في جراتها وجسارتها لوحات دانتي • ففي تلك القصيدة تذهب العذراء الى المعذبين في الجحيم يقودها رئيس الملائكة ميخائيل ، فتراهم وترى ما يقاسون من عذاب أليم ، وترى بينهم على وجه الخصوص طائفة عجيبة من الخطاة تتخسط في بحيرة مشتعلة ، فالذين يغوصون في هذه البحيرة منهم لا يرجعون بعد ذلك الى سطحها قط ، ويقال عنهم « ان الله قد نسيهم » ، وذلك تعبير عميق زاخر بالقوة ؟ وقد استبدت بالعذراء شفقة قوية ، فسقطت بكية أمام عرش الرب تضرع اليه أن يعفو عن معذبي الجحيم ، وأن يغفر لهم جميعا بغــير تمييز • ان حديتها مع الرب شائق جدا ، فهي تضرع اليه وتلح وتأبي أن تنصرف ، فاذا أوماً الرب الى قدمى ويدى ابنها المتقوبة بالمسامير وسألها : « كيف أعفو عن هؤلاء الجلادين » ، أمرت جميع القديسبن والشهداء والملائكة أن بركعوا معها وأن يسألوا العفو عن جميع العخطاة بنير استثناءه واستطاعت أخيرا أن تحصل على أن ينقطع عذاب جهنم كلَّ سنة بين الجمعة الحزينة وعيد الخمسين ، وأن يسارع المدنبون عندئذ الى أن ينشدوا من قرارة الجحيم نشيد العرفان بالنجميل : « أنت على حق يارب، وعادل" حكمك ٠ ، ٠

ان قصیدتی أنا كان یمكن أن تكون من هذا النوع لو أننی عشت فی ذلك العصر • ان الرب یظهر فی قصتی ، ولكنه لا ینطق بكلمـــة واحدة ، ولا یزید علی أن یجتاز المسرح • لقـــد انقضت خمسة عشر قرنا منذ أن وعد بأن یعود الی مملكته ، منذ أن كتب رسوله : « ساعود قریا * • أما الیوم والساعة فان الابن نفسه لا یعرفهما ، وانما یعرفهما

أبى الذى فى السموات ، ، على حد الأقوال التى نطق بها هو نفسه أثناء مروره بالارض • ولكن الانسانية ما تزال تنتظره بايمان واحد وحماسة لم تتغيير ، بل ان الايمان قد قوى واشتد ، لأن خمسة عشر قرنا قد انقضت منذ أن كفت السموات عن بذل ضمانات للبشر •

صدق صوت قلبك ايها الانسان ان السموات لا تبدل ضمانات * •

فلا قيمة بعمد الآن الا ليقين القلب دليمالا وبرهانا • صحيح أن المعجزات كانت كتيرة في ذلك العصر • فلقد كان هنالك قديسون يبرئون المرضى بمعجـــزات فوق الطبيعة ، وإذا صــدق ما يروى في سير بعض الصالحين ، فإن ملكة السموات قد ظهرت لهم بشخصها • ولكن الشبطان عندئذ هرطقة رهيبة في شمال ألمانيا * فاذا بكوكب كبير « شبيه بشعلة (هو الكنيسة طبعا) يسقط على نبع الماه فتصبح الماه مرة » • لقد كان أُولئك المحدِّفون الهر اطقة ينكرون المعجزات • فازداد ايمان المؤمنين ، منتظرةً محمئه ، محمةً أياء بقلب حار ، مؤمِّلةً فيه ، ظامئة إلى التألم من أجله والموت في سمله ، كما حدث في الماضي ٠٠٠ ان صلوات الشر ترتفع الى السموات حارةً منذ قرون طويلة قائلةً له : « تفضل بالمجيء النا يا رب ، ، لذلك أراد الرب برحمته الواسعة ، أن يعود الى أُولئك الذين يضرعون اليه هذه الضراعة • لقد خلهر حتى ذلك البحين لعض الصالحين والشهداء والقديسين النساك كما تروى سيرة حياتهم • وفي بلادنا روسيا تغني الشاعر تبوتشيف به في هذه الأبيات (وكان يؤمن ايمانا عميقا بما يقول): ایتها الأرض التی ولد فیك ملك السموات * لقد طاف فی كل جهة من جهاتك فی صورة عبد ، منحنیا تحت ثقل صلیبه ، یهب لك بركته الواسعة ٠

ذلك كله صحيح ، أو كد لك ، لقد قرر الرب أن يظهر في هذه المرة لا لافراد من القديسين ، بل للشعب بأسره، لجمهرة الناس المغمورين الذين يتألمون في خطاياهم وعارهم ولكنهم يحب ونه بقلب ساذج كقلب الاطفال ، الأحداث تجرى في اسبانيا ، بمدينة اشبيلية ، في أحلك عهود « التفتيش ، أيام كانت أكوام الحطب تشتعل لاحراق المتهمين كل يوم في جميع أرجاء اسبانيا تمجيدا للرب*:

في نيران رائعة *

كان يحرق الزنادقة الأشرار ٠

لم يكن يقصد في هذه المرة أن يرجع الى الارض ذلك الرجوع الذي بشترت به الكتب الدينية حين قالت انه سيرجع في آخر الدهور ، فيتجلى فجأة بكل مجده السماوي « كبرق يسطع من الشرق الى الغرب* فكل ما كان يريده هو أن يقضى بضع لحظات عابرة بين أبنائه في تلك الأماكن نفسها التي تزفر فيها النيران الموقدة لاحراق الهراطقة • لقد أراد بفعل من أفسال محبته الالهية أن يظهــر للناس مرة أخرى في السورة الأنسانية التي اتخذها قبل ذلك بخمسة عشر قرنا أثناء حياته الأرضية التي دامت ثلاثة وثلاثين عاما • فهكذا نزل الى الشوارع الملتهبة من المدينة التي تم فيها أمس ، بأمر الكاردينال ، المفتش الكبير، احراق مائة من الزنادقة ، تمجيداً لله ، بمعاونة الأهالي وحضور الملك ورجال البلاط والفرسان وأمراء الكنيسة والسيدات المحسناوات وسائر

من يعدون ألمع أبناء المجتمع في انسيلية • وقد ظهر الرب خفية بدون ضوضاء ، ولكن الامر الغريب هو أن جميع الناس سرعان ما عرفوه • وها هنا مادة لأجمل أجزاء القصيدة : لماذا عرفه الناس جميعا ؟ لقد انجذب اليه الجمهـــور بقوة لا تقاوكم ، وأحاط به ، واحتشــــد حوله ، وتابع خطواته • فسار هو بين الجمهور صامتاً وهو يبتسم ابتسامة عطف لانهاية له • ان شمس المحبة تتقد في قلبه ، ومن عينيه يشع الضياء وتشع القوة فينشران في المؤمنين ويشعلان المحنة فيهم • وهـــو يمد ذراعه تحــو الشعب ليباركه • ان ملامسته ، وحتى ملامسة ثبابه ، تملك القدرة على ابراء المرضى • فهذا شيخ من الجمهور ، أعمى منذ طفولته ، يهتف قائلا على حين فحأة : " ردًّ الى ً البصر يا رب حتى أستطيع أن أتأملك ، فما هي الا لحظة حتى سقطت الغشاوة عن عينيه ، فاذا هو يرى الرب • وبكي الشعب تأثراً ، وأغرق بالقبلات الأرض التي مشى عليها • وأخذ الأطفال يرمون الأزهار أمامه منشدين : « رحماك أنقذنا » • وتعالت الصمحات من كل جانب تقول في حماسة : « انه هو ، انه هو ، لا يمكن الا أن يكون اياه • » • ووقف في الساحة أمام كاتدرائية أشسلية لحظة كان يؤتي الى المعدى بين عبرات الحضور ، بتابوت أبيض صغير مفتوح يرقد فيه جثمان بنية في السابعة من عمرها هي النت الوحيدة لرجل من عيون ســـكان المدينة • ان الميتة مغطاة بالأزهار • صاح الجمهور يقول للأم المحزونة : « سمحمي لك ابنتك » • وكان كاهن الكنسة قد تقــدم : حو التابوت ، وارتمت على قدمي المسلح وضرعت اليه وهي تمد نحوه ذراعيها قائلة : « اذا كنت أنت هـــو حقاً ، فأحى ابنتي ! » • توقف الموكب ، ووضح التابوت على البلاطات عند قدميه • فألقى على جثمان البنبة نظرة تفيض بالمعلف ، وتنحركت شمتاه في رفق تقولان مرة أخرى : « قومي أيتهـــا النبة ، * فما أن نطق بهذه الكلمات حتى خرجت الطفلة من التابوت ، وجلست مشسمةً ، ونظرت حولها بعنين محملقتين مدهوشتين • انهــا تمسك ببدها باقة من ورود بيضاء كانت قد و ضعت على جثمانها. اضطرب الجمهور وصاح وبكي • وفي تلك اللحظة نفسها ظهر الكاردينال كبير المفتشين في الساحة أمام الكاتدرائية • انه شيخ في نحو السنة التسعين من عمره ، طويل النجسم منتصب القامة معروق الوجه غائر العينين ، غير أن في عينيه شعلة تسطع م انه لايرتدي الآن ثوب الكاردينالية الأرجواني الفخم الذي ظهر به للشعب في الليلة البارحة حين كان يُرمي الىالنيران أعداء الكنيسة الرومانية • وانما هو يلبس في هذه المرة نوب الكاهن ، المصنوع من خشن الصوف • وعلى مسافة منه يتبعه معاونوه العابسيون وخدمه وحرس القـــداس الاحتفالي • وقف الكاردينال أمام الجمهور وتأمله من بعبد • لقد رأى كل شيء ، رأى التابوت عند قدمي المسيح ، ورأى البنية تُبعث حيةً ، فأظلم وجهه واكفهــــر • انه يقطب حاجبيه الكثيفين الأبيضين ، وان بريقاً متوحشاً كاسم اً يومض في عنيه • وهذا هو يشير الى المسيح بسبابته آمراً الحرس بأن يعتقلوه • ان هــذا الرجل الذي عرف كيف برو ِّض شعباً مرتجفاً وأن يخضعه لجميع اراداته يبلغ من القوة أن الجمهور سرعان ما أسرع يبتعد أمام الزبانية ، فاذا بهؤلاء ، وسط صمت الموت الذي خيتُم على حين فجأة ، يضعون أيديهم على المسبح ويقتادونه • وسجد الجمهور بحركة واحدة أمام المفتش الكبير الذي بارك الجمهور صامتا وانصرف • أُخذ السجين الى المبنى العنيق الذي يقام فيه القداس ، وحُسُس في زنزانة مظلمة ضيقة مقيَّة. انقضي النهار، وهبط اللبل • هي لبلة من ليالي اشبيلة تلك الثقيلة المحالكة المخانقة الحارة • « الهواء معطر بعلق أشيجار الرُّند والليمون* » • وفحأةً ، في الظلمات ، فُتُح الباب الحديدي ، وتقدم المفتش العجوز يسير في الممر ببطء حاملا بيده شعلة • وقف لحظة على عتبة الزنزانه وتفرس فى وجه السجين طويلا • ثم اقترب منه آخر الامر بخطى صامتة ، ووضع الشعلة على المنضدة وقال له :

" - أهذا أنت اذن ؟ أهذا أنت ؟ (ولكنه حين لم يتلق جوابا أسرع يضيف:) اسكت! لا تقل شيئًا! وما غساك تعلمنى على كل حال؟ اننى أعرف سلفاً كل ما قد تقوله لى • وبأى حق تريد من جهة أخرى أن تضيف أى شىء الى ما سبق أن قلته ؟ لماذا تنجىء اليوم تزرع الاضطراب فى حياتنا ؟ ذلك أنك انما جئت لتبث فينا الاضطراب ما فى ذلك ريب ، وأنت لا تنجهل ذلك • فهمل تعلم مع هذا ما الذى سميقع غدا ؟ اننى لا أعرفك ، ولا أريد أن أعرفك • أأنت هو حقا ، أم لست الاطيفه ؟ سيان • • • لأننى سأحكم عليك بالاعمام وسآمر باحراقك مثلما آمر باحراق أسوأ الزنادقة • ان ذلك الجمهور نفسه الذى كان يقبل قدميك منذ بضع ساعات ، سيهرع غدا ، باشارة بسيطة منى ، فيورى لهيب النار، هل تعلم ذلك ؟

ألقى عليه الكاردينال هذا السؤال ثم أضاف يقول شارد الفكر الفذ النظرة دون أن يحول بصره عن سجينه لحظة واحدة :

« _ لا شك أنك تعلم ذلك!

قال أليوشا الذي كان الى ذلك الحين يصغى الى أخيه صامتا ، قال وهو يتسم :

ــ لست أفهم جيدا يا ايفان • أهذه تهاويل مضطربه أنشأها خيالك المحموم ، أم أنت تريد أن تقول ان الشيخ قد خدعه ظنه ، وان لُبُسةً ما قد أُضلَّته ؟

قال ايفان ضاحكاً:

ـ لنسلتُم بأن هناك لُبُسة ما ، ما دامت واقعية هـذا العصر قد دمنتك أنت أيضا الى حد لا تستطيع معه أن تقبل تهاويل خيالية غريبة • لنفرض أن هناك لبسة ما ، اذا كنت تحرص على ذلك •

ثم أردف ايفان يقول وهو يضحك مرة أخرى :

ـ يجب أن لا ننسى أن هذا العجوز هو فى التسعين من عمره ، وأن من الجائز أن يكون قد جُن منذ زمن طويل فىعزلته المتكبرة المستعلية ولعل منظر السبجين قد أدهشه ، ولعل هذا كله لم يكن أيضا الا هذيان رجل عجوز قد أهاجه احراق المائة زنديق الذين أحرقوا فى الليسلة البارحة ، أو أهاجته هلوسة من تلك الهلوسات التى نسبق الموت فى بعض الأحيان ، وانه ليستوى على كل حال أن يكون الامر أمر تهاويل خيالية أو أمر لنبسة ، فانهما المهم أن هذا الشيخ سيقول فى هذه المرة ، وهو فى التسعين من العمر ، سيقول ما فى قلبه وما فكتّر فيه صامتا طهوال

ــ والسنجين ؟ أهو صامت ؟ أهو ينظر الى زائره دون أن يفتح فمه كلمة ؟

قال ايفان شارحا وهو ما يزال يضحك :

معلى هذا النحو انها يجب أن تجرى الأمور • ألم ينههمه الشيخ المعجوز أنه ليس من حقه أن يضيف شيئا الى ما سبق أن قاله فى الماضى؟ بل ان هذا فى رأيى سمة من السمات الاساسية للكاتوليكية الرومانية : « لقد عهدت برسالتك الى البابا ، ومن اختصاص البابا أن يقرر بعد الآن ، فلا تأت الينا لبث القلق والاضطراب فى حياتنا بغير طائل ، لا تأت الآن ، لا تأت الآن ، لا تأت قبل الساعة المحد دة على كل حال ! ، • فههذا ما يقوله صانعو الكنيسة الرومانية ، أو هذا ما يقوله اليسوعيون على الأقل • لقد قرأت

هذا بنفسي في كتب لاهوتيهم • أن العجوز قد ألقي علمه هذا السؤال: « هل من حقك أن تكشف لنا ولو عن سر ٍ واحد من أسرار العالم الذي جنت منه ؟ » ثم لم ينتظر جوابه ، بل أضاف يقول فورا : « لا ٠٠ لسي من حقك أن تفعل ٠٠٠ ليس لك أن تضيف شيئًا الى ما سبق أن قلت في الماضي ، وذلك حتى لا تحرم البشر من تلك الحرية التي كنت تقدرها قدراً عظيما حين عشت على الأرض • ان كل كشف جديد قد تأتي به سسيء الى حرية الايمان ، لأنه سوف يندو معجزة من المعجزات ، وأنت قد رأيت منذ خمسة عشر قرناً أن ضمان حرية الايمان أمر أساسي • ألم تكن تردد على مسامعهم بغير كلال ولا ملال : « لقد جئتكم بالحرية » ؟• وأضاف العجوز يقول وهو يرسم على شفتيه ابتسامة مفكِّرة على حين فَجْأَة : ولقد رأيتهم بعينيك ، هؤلاء البشر « الأحسرار » ٠٠٠ ان هذه الحرية هي من صنعنا ، وقد كلفتنا جهودا لا نهاية لها (كذلك أضاف العجوز وهو يلقى على المسيح نظرة قاسية) ، ولكننا أتممنا عملنا أخيرا باسمك • لقد اضطررنا خلال خمسة عشر قرنا أن تغلل نتحرك جاهدين بهذه الحرية ، ولكن الامر انتهى الآن ، انتهى تماماً ! ألا تظن أنه انتهى الى الأبد ؛ انك تنظر الى َّ بوداعة ولين ورفق ، فلا شك أنك تقدِّر أنك ان أُطهرت استياءك كنت تشرفني تشريفا لا أستحقه ! ألا فاعلم اذن أن البشر هم في هذا النوم بعينه أشد اقتناعا منهم في أي وقت مضي بحريتهم الكاملة ، ومع ذلك فالواقع أنهم تنازلوا عنها ووضعوها في أيدينا بكثير من المذلة! ذلك هو عملنا! أهذه هي الحرية التي كنت تنشدها لهم؟

قاطعه أليوشا مرة أخرى قائلاً:

ــ مرة أخرى أصبحت لا أفهم • أهو يستخر ؟ أهو يتهكم ؟ ــ كلا ••• انه لا يستخر ولا يتهكم البتة ! بالعكس : انه يتباهى، لنفسه ولصحبه ، بأنهم أوقفوا نمو الحرية فاستطاعوا أن يجعلوا الناس بذلك سعداء • « ذلك أننا الآن ، للمرة الأولى، نستطيع أن نحلم للانسانية بالسعادة (انه يتكلم طبعا باسم محاكم التفتيش) • ان الانسان محمول بطبيعته على العصيان والتمرد • ولكن هل يستطيع المتمردون أن يكونوا سعداء لا لقد نبهت الى هذا ولم تعوزك النصائح والتحذيران ، ولكنك لم تشأ أن تحسب حسابها ، ونبذت الطريق الوحيدة التي كان يمكن أن تقود البشر الى السحادة • ومن حسن الحفظ أنك حين بارحت هذه الارض عهدت الينا بمهمة اتمام رسالتك • لقد كلفتنا بأن نوجة الانسانية وأن نرشدها • بذلت لنا وعدك ، وأقمت سلطتنا على كلمتك ، ووهبت لنا حق العقد والحل ، ولن تستطيع طبعا أن تنتزع منا هذا الحق بعسد الآن • فلماذا جئت تعرقل عملنا في هذا العالم ؟

قال أليوشا سائلاً:

ـ ماذا كان يعنى بقوله ان النصائح والتحذيرات لم تعوزه لا وأجاب ايفان :

ــ ذلك هو العنصر الأساسى في التفكير الذي كان العجوز يريد أن يعرب عنه •

ـ تابع العجوز يقول: ان الروح الرهيب العميق ، روح الدمار والعدم ، تقد خاطبك في الصحراء ؛ وتروى الكتب المقدسة أنه أغواك ، أليس كذلك ؟ هل نستطيع في الواقع أن تتخيل حقائق اكبر من الحقائق التي عرضها لك في أسئلته النلانة ؟ لقد رفضت أنت تلك الحقائق آنئذ ، والكتب المقدسة تصفها بأنها « غوايات ، • ومع ذلك ، لئن و جدت على هذه الارض في يوم من الايام معجزة كبرى ، معجزة صادفة ، فان تلك المعجزة انما تحققت في ذلك اليوم بعينه ، وفي تلك الغوايات النلاث • لقد كانت تلك الاسئلة معجزة من المعجزات لمجرد أنها ألقيت • لنتصور، لقد كانت تلك الاسئلة معجزة من المعجزات لمجرد أنها ألقيت • لنتصور،

على سبيل الافتراض وحده، أن الأسئلة النلانه التي ألقاها الروح الرهيب قد تبددت دون أن تترك أثراً في الكتب المقدسة ، وأن علمنا أن نعس عليها البوم وأن نعيد بناءها وأن نكتشفها من جديد حتى نضمها الى النصوص المقدسة • لنتصور أننا جمعنا لتحقيق هذا الهدف جميع حكماء الارض ــ رؤساء الدول وأمراء الكنيسة والعلماء والفلاسفة والشعراء ــ وقلنا لهم : « أوجدوا لنا ، تخلوا لنا ثلاثة أسملة لا تكون على مستوى الحدث فحسب ، بل تلخص بالاضافة الى ذلك ، في ثلاث جمل انسانية بسيطة، كل مستقبل العالم والانسانية، • فهل تظن أن كل حكمة الارض المجتمعة في هؤلاء الرجال تقدر على أن تتصور ، ولو من بعد ، شئاً يشبه بقوته وعمقه ، تلك الأسئلة الثلاثة التي ألقاها علمك في الصحراء ذلك الروح القوى العميق ؟ أن تلك الأسئلة الثلاثة وتلك الحادثة المعجـــزة ، أعنى كون الأسئلة قد ألقيت ، تشهد بأن الأمر لم يكن أمر عقل انساني عادى، بل أمر فكر خالد مطلق • ذلك أنها تضم في ذاتها ، تشتمل في ذاتها على كل التاريخ المقبل للانسانية ، وتقدم رموزاً ثلاثة تنحل فيهــــا جميع تناقضات الطبيعة الانسانية ، التي لا سبيل الى حليُّها ، ان تلك الحقائق لم تكن ظاهرة آتئذ ظهوراً واضحاً ، لأن النطور الذي تطوره العالم بعدئذ لم يكن معروفًا ؟ أما الآن ، بعد انقضاء خمسة عشر قرنًا ، فاننا نرى أن كل شيء قد تضمنته وتنبأت به تلك الأســــئلة الثلاثة ، وأنها قد تحققت تحققاً يبلغ من الكمال والتمام أننا لن نستطيع أن نضيف اليها شيئًا أو أن نحذف منها شيئًا بعد النوم •

» فاحكم في الأمر بنفسك: من ذا الذي كان على حق ، أأنت أم سائلك؟ تذكر السؤال الأول من تلك الأسئلة الثلاثة ، لا نصب بل معناه العام: « تريد أن تمضى الى الناس ، وأنت تمضى اليهم خالى اليدين الا من وعد بحرية لا يستطيعون بحكم ما فطروا عليه من بساطة وحطة أن

يفهموها ، عدا أنهم بالاضافة الى ذلك يخشونها ويخافون منها ، لأنه لسن هناك ولم يكن هناك في يوم من الأيام حالة لا يطيقها البشر والمجتمع مثلما لا يطيقان الحرية • هل ترى هـذه الحجارة في الصحراء الوعرة المحرقة ؟ حوِّلها الى خبز تهرع اليك الانسانية كقطيع جائع ، وتصبح شــاكرة لك مطيعة اياك ، ولكنها ســتظل ترتجف خوفاً من ان تسحب يديك وأن تُنحرم هي من الخبز ، • غير أنك لم تشأ أن تحرم الانسان من الحرية ، فرفضت العرض قائلاً لنفسك لا حرية صادقة حيث 'تشترى الطَّاعة بالخير • لقد أجبت بقولك : لسن بالخير وحده يحيا الانسان • أَفَكُنْتَ تَعْجَهُلُ اذَنَ أَنْ رُوحِ الأَرْضُ سَيْنُورُ عَلَيْكُ بَاسُمُ هَذَا الْخَبْرُ الأَرْضَى نفسه ، وأنه سمسيقاتلك ويغلبك ؟ وأن الجمهور سمسيهرع عندئذ نحوه قائلاً : « من ذا الذي يستطيع أن يقيس نفسه بهذا الوحش الذي وهب لنا نار السماء؟ » • لسوف تنقضي قرون ، فيأتني يوم تنادي فيه الحكمة الانسانية وينادي فيه العلم الانساني بأن الشر لا وجود له ، وأن الخطيئة تبعاً لذلك لا وجود لها ، مؤكدين أن هناك جائمين فيحسب · « أطعمهم تجعلهم فاضلين ! ٥٠ بهذه الصححة انما مسحملون الراية ضداًّك وسيقو ً ضون معبدك • وسيقيمون في مكانه مبنى آخر ، هو « برج بابل » ثان ِ مهدَّد ٠ صحیح أن البناء لن يتم ، كما لم يتم في المرة الأولى ، ولكن كان في وسعك مع ذلك أن توفر على الانسانية آلام هذه المحاولة الجديدة وأن تختصر من عذابها ألف سنة • ذلك أن البشر انمـــا سيتجون الينا نمحن بعد أن يجهدوا في بناء برجهم مدة عشرة قرون ! سيجيئون باحثين عنا كما فعلوا في الماضي ، وسيجدوننا في الأقبية التي نكون قد لجأنا اليها (لأننا سننُصْطهد وسنعذَّب من جديد) ، سيجيئون قائلين لنا : « أطعمونا، لأن الذين وعدونا بنار السماء قد خدعونا » • وسننهى عندئذ بناء البرج، لأن الذين سيُطعمون البشر يستطيعون وحدهم أن يتموا هذا العمل حتى

النهاية • وسوف نطعمهم ، سوف نطعمهم نحن ولا أحد سوانا ، وسوف تفعل ذلك باسمك ، كاذبين عليهم مستمدين سلطتنا منك ، بدوننا لن يستطيعوا أن يعيشوا في هذا العالم ، وسيظلون دومًا جائعين ساغيين • لن يهب لهم العلم خبرًا ما ظلوا أحرارا ، ولكنهم سينتهون الى أن يرموا حريتهم على أقدامنا فائلين : « استعبدونا ولكن أطعمونا » • سيدركون هم أنفسهم أن التحريه لا تتفق وخبر الأرض ، ولا تتبح أن يصب كل منهم من هذا الخبر كفايته ، لأنهم لن يتوصلوا الى اقتسامه بالعدل في يوم من الأيام • وسيقتنعون كذلك باستحالة أن يكونوا أحرارا ، لأنهم ضعاف فاسدون صـــغار النفوس سريعون الى التمرد والعصيان • لقــد وعدتهم بخبز السماء ، ولكنني أسألك مرة " أخرى : هـــل يقاس خبز السماء بخبر الأرض في نظر الكثرة التي ستظل الى الأبد فاسده عاقة ؟ اذا كانت ألوف من الناس أو كانت عشرات ألوف من الناس مستعدة لأن تتبعك في سبل خبز السماء فماذا تفعل الملايين والملارات من الكائنات التي لن تحس بأنها قادرة على أن تتنازل عن خير الأرض في سبل خير السماء ؟ أتراك لا تعطف الا على بضع عشرات من ألوف النفوس الكبيرة القوية ، وهل يجب على ملايين البشر ، هل يجب على الجموع التي لانهاية لعددها ، كرمل البحر ، هل يجب على هؤلاء الذين هم ضعاف ولكنهم يحبونك أيضًا ، أن لا يكونوا الا مادة " مسخرة للكبار والأفوياء ؟ انسا نحن نرى غير هذا الرأى ، وان الضماف أعزة على فلوبنا • انهم شريرون عصاة ، ولكن هؤلاء أنفسهم هم الذين يصبحون في آخر الأمر أكثر الناس طاعة وخضـوعا • سوف يعجبون بنا ويعدوننا آلهة ، لأننــا نكون قد رضينا، حين صرنا قادة ً لهم، أن تحمل عنهم عبء حريتهم وأن تسيطر عليهم ، فالى هذا الحد ستكون هذه الحرية قد أصبحت كريهة في نظرهم بتقدم الزمن! وسوف نوهمهم مع ذلك بأنهم انما يطبعونك أنت وبأننا تحكمهم باسمك • سوف نكذب عليهم في هذه النقطة أيضا ، لأننا لن نسمح لك بعد الآن بأن تتدخل في شئوننا وسيكون هذا الكذب الضروري عذابنا ٠ ذلك ما كان يعنبه السؤال الأول في الصحراء ، ولقد رفضت نداء الروح الجبار باسم العرية التي وضعتها في أعلى منزلة ، وفضلتها على كل شيء • ولقد كان ذلك السؤال يعنفي مع ذلك كل سرٌّ هـذا العالم • فلو قد رضيت أن تعطى الخبز ، اذن للبُّيت ما تنتظره الانسانية انتظارا أبديا منذ عهود سحيقة ، ولهمد أن القلق الذي يعذب الفرد ويعذب الجماعة كليهما : « من نطيع ؟ » فلا رغبة أقوى ولا هم ّ أبقى لدى الانسان الذي أصبح حراً من هم العثور على سيد يحكم بأفصى سرعة • ولكن الانسان يتطلع الى الخضوع لحقيقة مؤكدة لا تُنجحد ، حقيقة يحترمها جميع الناس برضي اجماعي • ان حاجة هذه المخلوقات الضعيفة ليست الى اكتشاف قوة يمكن أن يطيعها هذا الفرد أو ذاك من الأفراد ، وانما الى اكتشاف حقيقة عليا يمكن أن يؤمن بهـــا الجميع ، ويمكن أن ينمحني لها « الناس كافة » • فهذه الحاجة الى « الاشتراك » هي بعينها الهم ألرثيسي الذي يعذب كل فرد ويعذب الانسانية جملة ، منذ أقدم عهود التاريخ • فباسم هذا التطلع الى العبادة الجماعية المشتركة انما أفنت الشعوب بعضها بعضا خلال الأحقاب • كانت الشعوب تصنع آلهة ثم تأخذ تتشاتم : « اتركوا آلهتكم وتعالوا اعبدوا آلهتنا • والا فالموت لكم ولآلهتكم! » • وسبيقي الحال على هذا المنوال الى نهاية العالم؟ وحتى بعد زوال الآلهة سنظلون يستجدون لمعودات جديدة • ولقد كنت تعلم هذا السر الأساسي من أسرار الطبيعة الانسانية ، فليس يمكن أن تحهل هذا السر ، ولكنك رفضت الراية الوحيدة التي تملك قوة جذب مطلق والتي قدِّمت لك للتأدي بجميع البشر الى الانحناء أمامك بغير تردد ـــ أعنى راية الخبز الأرضى • لقد أقصيت هذه الراية باسم الحرية وباسم الخبر السماوي • فانظر الآن فيما صنعت! انظر فيما فعلت باسم الحرية! أعود فأقول لك انه لا قلق أرسخ في قلب الانسان من قلق الحاجه الي العثور على من يستطيع أن يضحي له سريعا بالحرية التي و'هنت له ، هو المخلوق التعيس ، منذ ولد • ولكن لا سبيل الى التصرف في حرية البشر الا بتهدئة ضــــميرهم • ولقد كان في وســـعك أن تتخــذ الخنز راية ً لا تخطىء • اطعم الانسان يُـطعـُك ، فلا شيء في هذا العالم أعــز " على الجحود من الحاجة الى الأكل • ولكن اذا استولى غيرك عندئذ على ضمير البشر تركوك وعدلوا حتى عن خنزك ليتبعوا ذلك الذي يكون فد أخضع نفوسهم • في ذلك كان رأيك صحيحا • ان سرَّ الوجــود الانساني ومبر رُه ليسا في ارادة الحياة ، بل في الحاجة الى معرفة السبب الذي يدعو الانسان الى الحياة • فالانسان ما لم يكن على يقين من هدف حياته، لا يقبل أن يؤثر في العالم بل يؤثر أن يدميُّر نفسه ، ولو ملك النخبز وافراً كل الوفرة • تلك هي الطبعة الانسانية • ولكن ما الذي حدث ؟ حدث أنك بدلاً من أن تسيطر على الحرية الانسانية أردت لها مزيدا من النمو • فهل نسبت اذن أن الانسان يؤثر هدوء نفسه بل ويؤثر المسوت على أن تكون له ملكة حرية الاختبار في معرفة العخير والنسر ؟ لا شيء يخلب اللب في الوهلة الأولى أكبر من حرية الضمير ، ولكن لا شيء في الواقع يعذب الانسان أكبر مما تعذبه هذه الحرية • فبدلاً من أن تحمل للانسانية الأسس الراسيخة الثابتة الباقية للهيبدوء النفسي والطمأنينة الروحة ، وبدلاً من أن توفُّر لها هذه الأسس الى الأبد ، عرضت علمها ما في هذا العالم من أمور سرية غامضة خارقة تفوق طاقة القوى الانسانية، وكنت في عملك هذا كأنك لا تحب البشر ، أنت الذي انمـــا جئت مع ذلك لتهب لهم الحياة! انك بدلاً من أن تسبطر على العرية الانسانية

الحرية في نفوس البشر • أردت َ من البشر أن يمنحوك حبهم أحرارا، وأن يتبعوك بارادتهم ، مفتونين بشخصك ، ألغيت القانون القديم الذي كان قاسيًا ولكنه كان وطيدًا راسخًا ، فأصبح على الانسان أن يعيَّز الخير والشر بنفسه ، مستلهماً حكم قلبه ، غير ً مسترشد في تردده الا صورتات أمام عينيه • أفلم تتنبأ اذن بأن البشر سينوءون بهــــذا الحمل الرهيب ، حمل حرية الأرادة ، فاذا هم آخر َ الأمر ينب نون في يوم من الأيام صورتك ويشكون في تعاليمك ؟ لسوف ينادون في النهاية بأن الحقيقة لم تكن فيك ، فمن المستحيل القاؤهم الى اضطراب أشد وعذاب أرهب من الاضطراب والعذاب اللذين ألقيتهم اليهما حين تركت لهم كل هـــذه الأنواع من القلق ، وكن هذا العدد من المشكلات التي لاسبيل الى حلُّها. لقد زودتهم أنت نفسك بالأسلحة اللازمة لتهديم مملكتك ، فليس لك أن تنهم أحداً بتدميرها • فهل هذا ما عُـرض عليك مع ذلك ؟ ليس على الأرض الا قوى ثلاث تستطيع وحدها أن تتغلب علىضمير هؤلاء المتمردين الضعاف قرونا ، وأن تخضعه في سبيل سعادته نفسها ، ألا وهي: المعجزة، والسر ، والسلطة • ولقد رفضت هذه القوى الثلاث جميعا وعلمت البشر بقدوتك أن يحتقروها • فحين نقلك الروح الرهيب (ابليس) الى سطح الممهد وقال لك : « اذا أردت أن تتأكد أنك ابن الرب فألق بنفسك في الفضاء ، لأنه كُتب أن الملائكة ستتلقفه وتســـنده فلا يقع ولا يتحطم ، وعندئذ تعلم أنك ابن الله وتبرهن على قوة ايمــانك بأبيــك » * ، ولكنك رفضت هذا العرض ولم تلق بنفسك في القضاء • صحيح أنك تصرفت في تلك اللحظة تصرفاً فيه ما في تصرف اله من عظمة وجلال ، ولكن هل تتصور أن البشر ، وهم جنس ضعيف متمرد ، يملكون من القوة الروحية ما يملكه اله ؟ لقد فهمت في تلك اللحظة أن حركة بسيطة هي أن تهم بالقاء نفسك في الفضاء كان ستعنى اغراء الرب، فلو قمت بها

لكنت بطلب المعجزة تبرهن على قلة ايمانك ، فاذا حُرمت من الايمان تهشمت أسوأ تهشم على الأرض التي جئت لتخلصها وتنقذها ، وتهلل الروح المحتال جذلا وطرباً • ولكنني أعود فأسألك : هل أمثالك كـــــر في هذا العالم؟ هل وقع في وهمك لحظة واحسدة أن البشر يمكن أن يكونوا هم أيضا فوق اغراء من هذا النوع ؟ هـــل في طبيعة البشر أن يتنازلوا عن المعجزة وأن يعتمـــدوا على حكم القلب وحده في الساعات العصيبة من النحياة ، أمام المشكلات الخطيرة الأليمة التي تعرض للنفس ؟ لقد كنت تعلم أنموقفك البطولي سينتقل بالكتب المقدسة الى آخر العصور، وكنت تأمل أن يقتدى البشر بك فيقبلوا أن يظملوا وحيدين مع الله لا يطلبون معجزة من المعجزات • ولكنك لم تقدر أن الانسان متى جمعد المعجزة أسرع يجحد الرب ، لأن ظمأه هو الى العجائب لا الى الرب ؟ وأنه لكونه لا يستطم أن يحيا بغير معجزات ، سيخلق بنفسه معجزات ، فیهوی ، ولو کان متمردا وکافرا وملحداً ، الی خرافات سخففة ، تنطلی عليه أباطيل السحرة وخزعبلاتهم • انك لم تنزل عن الصليب حين دعاك الجمهور الى ذلك صافحاً من باب الاستهزاء: « انزل عن الصليب فنصد ق أنك أنت » • انك لم تنزل ، لأنك مرة ّ أخرى لم تشأ أن تستعبد البشر بالمعجزة ، وانما أردت أن يجيئوا اليك بدافع الايمان لا بتأثير العجائب • كنت تريد أن يهبوا لك محبتهم أحرارا لا أن ينصاعوا لك عبيدا أذهلتهم قوتك • هنـا أيضًا أسرفت في تقـدير البشـر وأنزلتهــم منزلة أعلى من منزلتهم ، ذلك أن البشر عبيد ، رغم انهم مفطورون على التمرد • انظر فيما حولك : ماذا أصبح البشر بعد انقضاء خمسة عشر قرنا ؟ ما عدد أولئك الذين رفعتهم الى مستواك ؟ أحلف لك ان الانسان أضعف وأسوأ مما ظننت ! هل يستطيع هو الوضيع أن يحقق ما حققته أنت ؟ انك حبن احترمته ذلك الاحترام كله قد تصرفت تصرف من فقد عطفه عليه ، لأنك سألته فوق ما يطيق ، أنت الذي أحببته أكنر من نفسك! فلو أنك فدرته أقل مما قدرته اذن لطلت منه أقل مما طلبت ، ولكان موففك عندئذ أقرب الى المحمة ، لان العب، علمه يكون عندئذ أفل ثقلاً • ان الانسان ضعيف وجبان • لا يهمني أن يكون الآن فد ثار في كل مكان على سلطتنا ، وانه يرى في عصبانه الآثم هذا مجدًّا يعتز به • ذلك غــرور طفل ، ذلك غرور تلميذ • ان البشير يشبهون تلامذة صغاراً تاروا في المدرسة وطـــردوا معلمهم • ولكن فرحتهم لن تدوم ، وستكلفهم ثمناً باهظاً • سوف يهدمون المعابد ، وسوف ينجري الدم سبولاً على الأرض. • وسوف يدركون عندثذ ، سوف يدرك هؤلاء الصبية الأغبياء ، أنهم ان خلقوا عصاة متمردين ، فليس يتيح لهم ضعفهم أن يعيشوا زمناً طــويلاً في التمرد والعصيان • وسيعترفون وهم يسكبون دموعاً باطلة أن الذي وهب لهم روح العصاة قد غر َّر بهم وسخر منهم • سيقولون هذا محزونين مكروبين ، وسيكون هذا القول تجديفاً يجعلهم أعظم شقاء أيضًا ، لأن الطبعة الانسانية لا تحتمل التحديف ، ولابد أن تثأر لنفسها منه آخــر الأمر + القلق ، الاضطراب ، العذاب ، ذلك هو المصير الذي كتب على البشر الآن ، بعد أن تحملت أنت كل ما تحملته في الماضي من أجل أن تهب لهم الحرية! ان رسولك الكبير* يروى أنه أبصر ، في رؤيا ، حمم المُشتركين في البعث الاول ، فرأى اثني عشر ألفا من كل سبط . لقد كانوا ، مهما بكثر عددهم ، أقرب الى آلهة منهم الى بشر : قاسوا ما قاسيت وعاشوا عشرات السنين في الصحراء القاحلة ، وأضناهم الجوع ، واقتاتوا بالجراد والجذور • صحيح أن في وسعك أن تعتز بأبناء الحرية هــؤلا. الذين وهموا لك محتهم أحرارا ، وارتضوا طائعين مختارين أن يضحوا في سبيلك بأنفسهم في سورة رائعة • ولكن تذكر أن هؤلاء ليسوا الا بضعة آلاف ، وأنهم أشـــبه بآلهة منهم ببشر ، والآخــرون ؟ ما ذنب الآخرين اذا هم لم يستطيعوا أن يحتملوا ما احتمله هؤلاء الأقوياء من محن ؟ هل تأثم النفس الضعيفة حين لاتعرف كيف تسمو الى فضائل مخيفه الى هذا الحد؟ أتراك جئت من أجل هذه الصفوة وحدها؟ أأنت لا تفكر الا فيها ولا يخطر ببالك من عداها ؟ اذا كان الأمر كذلك فهو سر" يفوق ما نملك من قدرة على الفهم ؟ ومن حقنا في هذه الحالة نحن أيضا أن نلجأ الى السر ، وأن نعلتُم الجماهير أن الأمر الأساسي ليس هو المحبـة ولا هو أن يقرر قلبهم تقريرا حراً ، وانما هو الخضوع الأعمى لمــــا لا سسل الى معرفته ، وأن يطبعونا اذن ولو عارضهم في ذلك ضميرهم. وهذا بعينه هو ما فعلناه • أصلحنا خطأك الذي ارتكبته حين عدلت ذلك العدول البطولي عن المعجزة ، فيننا عملك على ما هو « فوق الطبيعة » ، أنفسهم يُقادون من جديد كما يُقاد قطيع ، ورأوا أنفسهم يتحررون من تلك الهبة المشئومة التي وهبتها لهم فكانت مصدر أنواع من العـــذاب قاسوها . قل : هل كنا على صواب حين فعلنا وعلَّمنا على هذا النحو ؟ هل يمكن أن يؤخذ علينا حقا أننا لم نحب الانسانية حبًّا كافيًّا ، بينما نحن اعترفنا بوهنها في كثير من الاذعان والتسلم ، وخففنا عنها الحمل في كثير من الالحاح حتى لقد أبحنا لها أن ترتكب الخطبئة لعلمنا بضعفها الروحي ، شريطة أن تستأذننا في ذلك كل مرة ؟ فلماذا تجيء الآن لتبث الفوضى في عملنا ؟ مالك نحد تق اليَّ هكذا صامتًا بعنسك الرقيقتين النفاذتين ؟ أحرى بك أن تغضب • الني لا أريد محمتك ، لأنني أنا نفسي لا أحبك • ولست أحاول أن أخفى عنك ذلك ، لأننى أعلم من ذا الذي أخاطب ، ألس كذلك ؟ ثم انك تعرف كل ما قد أقوله لك ، أقرأ ذلك في عينبك ، ففيم المواربة والحالة هــذه ؟ أن سراً لن يحفي عنــك ، فلعل ما تريده اذن هو أن تسمع هذا السر من فمي ؟ ليكن لك ما تريد

ألا فاعلم أننا لسنا معك ، بل معه « هو » • ذلك هو سرنا • اننا منذ رمان طويل قد كففنا عن أن تكون معك ، وتحيزنا له «هو» • فمنذ نمانية فرون قىلنا منه ما سبق أن رفضته أنت مستاءً ، أعنى الهنة الأخيرة التي عرضها علىك وهو يشير لك الى ممالك الأرض *: لقد قبلنا أن نأخذ من يديه روما وأن لأخذ السيف من قبصر ، وأصدرنا قراراً بأن لكون لهذا العالم ملوكه الوحيدين ، رغم أننا لم تنجز الى الآن عملنا • ولكن من المذنب في هذا ؟ ان هذا المشروع ما يزال في أوله ، ولكنه بندي. • ولا بد من الصمر طويلاً قبل أن نصل به الى غايته ، ولا بد من آلام كبرة في هذه الحياة الدنيا ، ولكننا سنبلغ هدفنا وسنصبح سادة الكون • وسيتاح لنــا عندئذ أن نفكر في سعادة مشتركة تنعم بها الانسانية • لقد كان في وسعك أن تقبل السيف من قيصر في الماضي ، فلماذا رفضت تلك الهبة الأخيرة ؟ لو اتبعت الوصية الثالثة التي نصحك بهــــا الروح القوى ، اذن لكان في وسعك أن تحقق كل ما تتمناه الانسانية ، وهو أن تعــرف : من تطيع ، والى من تعهد بقيادة ضميرها ، وبأى وسيلة توحيَّد جميع البشر في مجتمع كمجتمع النمل ، واحد كبسير منظم • ذلك أن الحاجة الى الوحسدة الشاملة هو ثالث هموم النفس الانسانية وهو في الوقت نفسه أقوى هذه الهموم طراً • ان الانسانية قد حاولت في جميع الأزمان أن تنفلم نفسها على أساس شامل • ان هناك أمماً كنيرة عظيمة كان لها تاريخ محيد ، ولكن شقاءها كان كبيرا على مقدار نبلها ، لأنها أحست أكثر من غميرها من الشعوب بالحاجة الى توحيد النوع البشرى • ان الغزاة الكبار ، من أمثال تيمورلنك وجنكيز خان ، الذين مروا على الأرض مرور اعصـــار مخرب وعاصفة مدمرة ، كانوا يتوقون الى أن يصبحوا سادة العالم بأسره، ولكن شوقاً عميقاً واحدا الى توحيد جميع الشعوب كان يحر ً كهم دون أن يشعروا بذلك • فلو أنك قبلت قانون القياصرة ومقامهم ، لكان في

وسعك أن تمنى الامبراطورية الشاملة وأن تكفل السلام للإنسانية الى الأبد على من يقع عب حكم البشر ان لم يقع على أولئك الذين يحكمون النفوس منذ الآن ويملكون الأغذية الأرضة ؟ لقد أخذنا السبف اذن من قيصر ، واذا فعلنا ذلك فقد أنكرناك أنت لنتبعه «هو» • ستنقضي قرون طويلة في فوضى التحلل الفكرى والعلم الباطل وأكل لحوم البشير ، ذلك أنهم ما داموا قد شرعوا في بناء برج بابل بدوننا لا بد أن ينحدروا حتماً اني أكل لحوم البشر + ولكن « الوحش » سيجيء بعد ذلك الينا زاحفاً ، وسلعق أرجلنا التي سمللها بدموعه الدامة • وسوف نركبه ، ونرفع يحو السماوات كأساً نقشت عليه هذه الكلمة : « السر » • ويومئذ انما ستدق ساعة السلام والسعادة للانسانية + انك فخور بصفوتك المختارة ، ولكن الصفوة وحدها معك ، أما نحن فسوف نعرف كيف نتحمل الطمأنينة هؤلاء الأقوياء ، ما أكثر الذين كانوا يتطلعون الى خدمتك ، فانتظروك عبثًا ، ثم سئموا من هـذا الصبر الطويل العقيم ، فوقفــوا قوى فكرهم وحماسة قلبهم على غايات أرضية صرفة ، وانتهى بهم الأمر الى رفع راية حريتهم عليك ! ألست أنت الذي أعطيتهم راية الحرية هذه ؟ أما نحن الذين نهش على البشر بعصانا ، فإن البشر سيكونون سيعداء معنا ، وسيعزفون عن التمرد علينا • ولن يبيد بعضهم بعضاً كما يفعلون الآن في كل مكان بفضل الحرية التي تركتها لهم • وسوف نعرف كيف نقنعهم حريتهم ، وسنكون قد ألزمناهم بخضوع لا رجعة عنه • هل ما نقوله لهم هو الحقيقة أم هو كذب ؟ انهم لن يلبثوا أن يدركوا أنه هو الحقيقة ، لأنهم سنذكرون العودية والآلام التي قادتهم اليها حريتك + ان التحلل، وحق حرية النقد ، والعلم ، ان كل ذلك ســـيؤدى بهم الى طريق غير

نافذة ، لأنه سيلقيهم في اضطراب لا مخرج منه مليء بالالفاظ التي لا سبيل الى حلها ، زاخر بالمعجزات المحيرة ، فأما العصاء العنيفون منهم فسيدمرون أنفسهم من شدة الكرب ، وأما العصاة الضعاف فسيقنل بعضهم بعضاً • ولكن الجمهرة الكبرى من الضعاف ، وهم أشقى من أن يتمردوا ويعصوا ، فانهم سيزحفون على أقدامنا قائلين لنا : « أنتم على حق • اننا نعترف بهــــذا الآن ، لأنكم كنتم وحدكم تملكون أسراره • نحن نعود البكم • انقذونا من أنفسنا ! » • وحين ستلقون الخيز من أيدينا ، سيرون حق الرؤية انهم هم الذين أتتجوه بعملهم ، وأننا أخذناه منهم لنوزعه بعد ذلك بدون أية معجزة • سيفهمون أننا لم نقلب حجارة الى خبز ، ولكنهم سيغتبطون بأنهم طعموا ، وسيغتبطون أكثر من ذلك بأنهم طعموا على أيدينا : لن ينسوا قط أن الخبر الذي صنعوه كان ، بدوننا ، يتحول في أيديهم الى حجارة ، حتى اذا رجعوا الينا تنحولت الحجارة خبزاً لهم. سيعرفون كيف يقد ّرون بعد الآن قيمة الخضوع النهائي ! لم يكن من المكن أن تكون حياتهم الا شقاء ، ما ظلوا لا يفهمون ذلك • فمن ذا الذي ساهم أكثر من غيره في قلة الفهم تلك ؟ من الذي خرَّب تلاحم القطيع وبعثره في طرق مجهولة ؟ ولكن القطيع سيتجمع من جـــديد ، وسيعود الى طواعيته ، الى الأبد في هذه المرة • وسوف نهب عندئذ لهذه الكائنات الضعيفة الحبانة سعادة متواضعة وادعة هي السعادة الوحيدة التي تناسبهم • سنعلمهم أخيراً أن لا يزهوا بأنفسهم ، لأنك قد رفعتهم فجعلتهم متكبرين • سنبرهن لهم على أنهم لا قوة لهم ولا شجاعة ، وأنهم أطفال يرثى لحالهم ، ولكن سعادة الأطفال هذه هي أعذب سعادة • ســـوف يصبحون خجولين ، وسوف ينظرون الينا نظرتهم الى حماة يحمونهم ، وسوف يشراصون حولنا خائفين كما تتراص أفراخ الدجاجة حول أمها ٠ سوف يدهشهم ويرعبهم أن يلاحظوا قوتنا ، فخورين بأن لهم سادة يبلغون

هذا المبلغ من القوة والذكاء ، سادة عرفوا كيف يسيطرون على هــذا القطيع من البشر الذي لا تهدأ حركته ولا يحصى عدده • سوف يرتعشون خوفًا أمام غضينًا ••• ســوف تتخدر عقولهم وتدمع أعينهم كالنســـاء والأطفال • ولكنهم ، باشارة منا ، سوف ينتقلون بمتل هذه السرعة الى الفرح والمرح والغبطة ، ضـاحكين بهناءة ، مغنين كالصـبية الصغار • وسنجبرهم على العمل طبعاً ، ولكننا سنهيىء لهم في ساعات فراغهم حياة أشبه باللعب ، فيها أغان وجوفات وحتى رقصات بريثة • أوه ! وسنسمع لهم أيضا بأن يأثموا ما داموا ضعافاً الى هذا الحد من الضعف ، وسيحبوننا كالأطفال بسبب تسامحنا • سنقول لهم ان كل خطيثة يمكن التكفير عنها اذا هي ارتكبت بموافقتنا • سنبيح لهم أن يأثموا لأننا نحبهم ، أما العقاب فسنأخذه على عاتقت ٢ لا بأس ٠٠٠ لسـوف يحبوننا على أننا مخلِّصون لهم ، لأننا سوف نقبل أن نكون مستؤلين عن خطاياهم وذنوبهم أمام الرُّب • ولن يكتموا عنا سراً • سنبيح لهم أو تنحظر عليهم ، تبعاً لدرجة طاعتهم ، أن يعيشـــوا مع نسائهم أو خليـــلاتهم ، وأن ينسلوا أو أن ما يعانون من آلام ، وأخفى ما يضطرم في ضميرهم من أنواع العذاب • وسنفصل في جميع الحالات ، وسيرتضون حلولنا سعداء، لانها ستحررهم من القلق الذي يعانيه المرء متى كان عليه أن يتخذ قرارا حراً • وسيكون جميع الناس سعداء ، جميع هؤلاء الملايين من البشر ، باستثناء بضع مئات من الألوف الذين ستقودهم : سنكون وحداً أشقياء ، نحن الذين نملك السر . سيكون في هذا العالم مثات الملايين من الأطفال السعداء ، لن يكون فبه الا مائة ألف من الأشقياء هم الذين أخذوا على عاتقهم تحمل عذاب المعرفة ، معرفة المخير والشر • وسوف يموت أولئك موتاً غامضاً، بنطفئون باسمك وادعين مسالمين ، فلا يمجدون في الحيـــاة الآخرة الا

العدم • ولكننا سنعرف كيف نحتفظ بسر الموت ؛ ومن أجل سمسعادتهم سنلألىء أمام أبصارهم جمال المكافآت السماوية والحياة الأبدية • لئن كان بعد القبر حياة أخرى فلا شك أن هؤلاء الضعاف ليسوا من ستوهب لهم تلك الحاة الأخرى • ان النبوءات تزعم أنك سمتعود في يوم من الأيام لتحقق نصراً جديداً على الشر ، وأنك ستظهر محاطاً بمن اصطفيت من أصحاب النفوس القوية المتكبرة الذين أنقذتهم • لسوف نجيب عندئذ بأن هؤلاء انما أنقذوا أنفسهم وحدها ، أما نحن فقد جثنا بالخلاص للناس كافة • يقل ان الزانية الدنيئة التي تركب « الوحش » * وتحمل بيديها « كأس السر » ، سيجللها الخزى والعار ذات يوم وان الضعاف سيثورون من جديد فيمزقون رداها الديني الكاذب ويعر ُون جسدها « النجس »• ولكنني سأنهض عندئذ فأشير لك الى تلك المليارات من الاطفال السعداء الذين يجهلون كل خطيئة ؟ ونحن الذين نكون قد أخــــذنا على عاتقنا أخطاءهم لنحقق سعادتهم ، سوف نمثل أمامك ونقول لك : « احكم علينا اذا كنت تستطيع ، اذا كنت تجرؤ ! ، • ألا فاعلم انني لا أخشاك • ألا فاعلم انني عشت أنا أيضًا في الصحراء أقتات بالجراد وجذور النبات ، وأنني باركت الحرية التي وهبتها للشر • وكنت أتهمأ لأن أدخل سلك صفوتك المختارة ، وأن أكون واحدا من الأقوياء المتكبرين الذين يتألف منهم جيش أتباعك الصغير ، وكنت أحترق شوقاً الى أن «أكمل عددهم». ولكنني رجعت الى صوابي في الوقت المنـــاسب ، فأصبحت لا أريد أن أخدم عقيدة طائشة • لقد عدت عن الخطأ والضلال وانضممت الى صف أولئك الذين يعملون في « اصلاح ما قمت أنت به ، • تركت صــفوف المتكبرين ، وانضممت الى المساكين لأعاون في تحقيق سيعادتهم ، ان ما أعلنه لك اليوم سيتحقق ، وان مملكتنا ستُسنى في هذا العالم • أعود فأكرر لك : انك سنرى غدا هذا النجمهور المطيع ، هذا القطيع الطيتُ ع

يسرع باشارة منى الى اضرام ألسنة اللهب التى ستُمحرق بها مزيدا من الاضرام باضافة فحم متقد الى النار • ذلك أننى سآمر بحرقك لأعافيك على أنك جئت تدخل البلبلة فيما نقوم به من عمل • لئن وجد زنديق يستحق أن يهلك في النار ، فهذا الزنديق هو أنت • غدا ستُحرق • انتهى كلامى • ، •

صمت ايفان • كان قد تحمس أثناء الكلام ، فيختم قصته بنوع من الاندفاع الجامع • حتى اذا فرغ من حديثه ظهرت في شفتيه ابتسامة على حين فجأة •

وقد أصغى اليه أليوشا صامتاً ، ولكنه فى أواخس المحديث حاول مراراً ، وقد استبد به اضطراب داخلى عنيف ، أن يقاطع أخاه ، ومع ذلك فقد كبح جماح نفسه حتى النهاية ، وها هو ذا الآن يدع لاستيائه أن ينفجر ، ويكاد يثب عن مقعده ، صماح وقد احمر وجهه احمرارا شديدا :

- ولكن ١٠٠٠ ولكن ١٠٠٠ ان قصيدتك تمسدح المسيح في الواقع بدلاً من أن تخزيه كما كنت تريد فيما يبدو ١٠٠٠ الذي يقبل تأويلك هذا للحرية ؟ أهكذا يجب أن تنفهم الحرية ؟ ان الكنيسة الأرثوذكسية لا تتصور الحرية أبداً على طريقتك هذه ١٠٠٠ انك تعرض تصور الذين بدينون بالكاثوليكية الرومانية ، بل ان هذا التصور ليس تصور جميع الكاثوليكيين - ذلك خطأ ! - وانما هو تصور أشرارهم فحسب ، هو تصور أعضاء محاكم التفتيش واليسوعيين ! ١٠٠٠ ثم ان صاحبك كبير المفتشين رجل لا صلة له بالواقع ، وانما هو شخصية خيالية لا يمكن وجودها ، ما هي خطايا البشر التي يدعى أنه أخدها على عاتقه ؟ أين رأيت حملة السر هؤلاء الذبن يزعم أنهم ارتضوا لا أدرى أي عدناب

فى سبيل سعادة الانسانية ؟ أين و بجد هؤلاء ؟ انها نعرف اليسوعيين و لقد قبل فيهم سوء كثير ، ولكن هل هم يشبهون حقا الصورة التى ترسمها لهم ؟ انهم ليسوا كذلك البتة ووو كل ما هنسالك أنهم يمنلون جيش الكنيسة الرومانية من أجل أن يغزوا فى المستقبل امبراطسورية الأرض التى سيرأسها حبر روما برتبة امبراطسور ووود ذلك هو مثلهم الأعلى ، وهو لا يشتمل على سر ولا على ذلك الحزن النبيل الذي لا ينهم ووو انه الغلما الى السيطرة والتسلط ؟ انه شهوة الفوز بعجرات الأرض الحقيرة ؛ انه الرغبة فى استعباد الناس ووو انهم يحلمون بالعودة اى نوع من نظام الرق يكونون فيه هم المالكين والمنتفعين ووو خلك هو طموحهم كله ! ولعلهم لا يؤمنون حتى بالله ووو كيس صاحبك المفتش وليس عذابه النبيل الا خيالاً محضاً ووو

قال ايفان ضاحكاً:

ـ لحظة ، لحظه ٠٠٠ لمـاذا تتحمس ؟ نمرة من ثمـرات خيالي ؟ لا أعارض في هذا ٠ ذلك كله خيال طبعاً ٠ ولكنني أرجو أن تسمع لى بالقاء هذا السؤال : هل تعتقد حقاً بأن الحـركة الكاثوليكية في القرون الأخيرة لم تستلهم الا الظمأ اى السلطة والا شهوة الدخيرات المادية الحقيرة؟ لا شك أن الأب بائيسي هو الذي قال لك هذا الكلام !

ـ بالعكس ! ان الأب باليسى فـ قال لى فى يوم من الأيام كلاماً يشـه كلامك تقريبا ٠٠٠

كذلك قال أليوشـــا ، ولكنه ما لبث أن أسرع يقول مستدركا :

س أعنى ٠٠٠ انه لم يقل ما قلته أنت بعينه البتة ٠٠٠

قال أيفان:

ــ اسمع اسمع • هذا اعتراف له سَأَنه رغم ڤولك « بالعكس ه !

كيف تستطيع أن تصمدق أن أولئك المفتشين وأولئك اليسوعيين الذين تمنكلم عنهم قد اتحدوا وتنظموا لا لشيء الا امتلاك البخيرات المادية الحفيرة ؟ لماذا لا يكون قد وجد بينهم في يوم من الايام ولو انسان واحد من الصفوة المختارة يعذبه ألم نسل ويستند به حب الانسانية ؟ افرض أنه فد وجد ذات يوم ، في عداد هؤلاء الطامعين الطامئين الى المباهج الارضيه السافله رجل واحد ، رجل واحد شبه بصحبي كبير المفتشين عاش في الصحراء منله واقتات بالجراد وجبذور النبان وأضنى جسبيده وأماته في سبيل الوصول الى الحـــريه والى الكمال • تخيل أن هـــذا الرجل قد أحب الانسانية طوال حياته واقتنع أخيراً بأن السعادة النفسية التي يقال ان السمو الروحي يحققها انما هي وهم باطل ما دام ملايين البشر الآخرين، حريتهم المزعومة ليست الا سيخرية لاذعة مرة ، وأن هؤلاء العصاة المساكين لن يكونوا في يوم من الايام عمالقة قادرة على اكمال بنا. البرج ٠٠٠ أي أنهم لن يصـــــلوا في يوم من الايام الى حــريتهم ، وأن حلم الانستجام والتناسق الذي حلم به المثالي الكبير لم يبخلق لهــذا النوع من الأوز! ٠٠٠ تبخيل أن هذا الرجل قد أدرك ذلك ، فعاد الى صحوابه ، والضم الى الناس الأذكاء ٠٠٠ أهذا في رأيك افتراض مستحمل ؟

قال أليوشا فيما يشبه الغضب :

سالى من انضم ؟ من هم هؤلاء الناس الأذكياء ؟ انهم لا ذكاء لهم البتة ، وليس عندهم سر ولا ما يشبه السر! هـــؤلاء زنادقة ٠٠٠ ذلك سر هم كله! ان صاحبك المفتش لا يؤمن بالله ٠٠٠ الأمر بسيط!

سلسلم بهذا • لقد فهمت أخيرا • صحيح ، انه أصبح لا يؤمن بالله ، ذلك كل سرة • ولكن أليس هذا عذابا بالنسبة الى رجل مشله

أفسد مستقبله بحياة التقشف في الصحراء ثم لم يستطع أن يتحرر من حبه الانسانية ؟ لقد رأى في أواخـر أيامه بوضــوح أن النصائح التي أسداها الروح الرهيب الكبير تستطيع وحدها أن تنظم على نحو مقبسول بعض الشيء حياة العصاة الضعاف ، حياة هذه « المخلوقات الناقصة التي كانت للخالق تجربة ، وظفرت بالحياة سهواً وغفلة ، • فلما اقتنع بهذه الحقيقة أدرك أن من الواجب اتباع الطمريق الذي نصمح به الروح العميق ، الروح الرهيب ، روح الموت والعسدم • واذ كان منطقيــــاً مع نفسه ، فقد أقر ً ضرورة الكذب على الناس وتضليلهم وخداعهم ، بغية السير بهم الى الموت والى العدم سيراً واعياً ، ولكن مع ترك أوهامهم لهم طوال الطريق ، حتى لا يكتشفوا الى أين يُسار بهم • فبهذه الطريقة يستطم هؤلاء العمان المساكين أن يتوهموا على الأقل أثنساء رحلتهم على الأرضُ أنهم سعداء • لاحظ أنه يرى نفسه مضطرا الى مقارفة هـــــذا الكذب باسم ذلك الذي آمن به ايمانا مشبوبا طوال حياته • أفليس هــذا عذابًا ؟ ألا انه لو اتفق أن وجد على مر َّ العصور رجل واحد من هذا ا النوع بين صفوف « الجيش الظاميء الى السطرة والى اللذات المادية الدنيئة ، ، لكان في هذا ما تُخلق منه مأسساة حقة ! أكثر من ذلك : يكفي أن توجد شخصية واحدة من هذا النوع على رأس الكنبسة حتى توهب للكاثوليكية الرومانية روح وحتى تُنفخ فكرة موجنّهة فى فرقها الكثيرة وجماعاتها المتعددة وكهنتها ويسوعيها ، فكرة " عليا . أقول لك بصراحة : انني على يقين من أن رجالاً من هذا النوع قد و'جدوا في جميع الازمان بين قادة الكانوليكية الرومانية ، وربما وجد منهم بين الباباوات انفسهم! ومهما يكن من أمر ، فان ذلك العجوز اللعين الذي يصرم ذلك الاصرار كله على حب الانسانية على طريقته يمكن أن يوجد في أيامنا هذه ، مع عدد من أمثاله ، وأن لا يكون وجوده هذا مع أمثاله نتيجة مصادفة ، بل ثمرة تفاهم واتفاق ، وأن يكون نوعاً من جمعية سرية أنشئت من زمن طبويل للمحافظة على السر واخفائه عن أنظار الضعفاء والبؤساء ، وتأمين سعادتهم بذلك ، لا بد أن يكون الأمر كذلك حتماً ، هذا لا مناص منه ، ويبدو لى من جهة أخرى أن الماسونيين الأخرار لا بد أن يكون لهم هم أيضيا سر من هذا النوع يقوم عليه تنظيمهم ، ولعل هذا هو السبب فيما يحمله لهم الكاثوليكيون من كره وبغض ، فهم يرون فيهم منافسين لهم يسيئون الى وحدة الفكرة ، بينما يجب أن لا يكون هناك الا قطيع واحد وراع واحد ، ولكنني ألاحظ انني في دفاعي عن فكرتي أظهر بمظهر مؤلف عاجز عن احتمال نقدك ،

لم يستطع أليوشا أن يمنع نفسه عن أن يسأله في تلك اللحظة :

ـ أتراك تنتمي الى الماسونيين الأحرار ؟

ثم أضاف يقول :

ــ أنت لا تؤمن بالله •

ولكنه أضاف هذه العبارة بلهجة تنم عن حزن عميق في هذه المرة. حتى لقد بدا له أن أخاء ينظر اليه وقد لاح في وجهه السخر .

وسأله فجأة وهو خافض عينيه :

_ كنف تنتهي قصدتك ؟ أهي تقف عند هذا الحد ؟

ـ خطر ببالى أن أختمها على النحو التالى : صمت كبير المفتشين ينتظر من سجينه رداً • ان صمت السجين قد ثقل على نفسه • لقد اقتصر أسيره طوال مدة كلامه على أن يحد ق اليه بنظرة رقيقة نافذة ، عازماً عزماً واضحاً على أن لا يدخل في مناقشة معه • كان العجوز يؤثر على ذلك أن يجيه السجين ولو بكلمات لاذعة أو رهية • ولكن السجين لم

ينطق بكلمة واحدة • وهذا هو يقترب من العجور فجأة فيطبع قبلة رقيقة على شفتيه الشاحبتين شحوب شفتى من بلغ من عمره النسعين • كان ذلك كل جوابه • ارتعش العجوز بنأثير هذه القبلة ، واختلج شيء ما في طرفي فمه • واتجه نحو الباب ففتحه وقال لسجينه : « اذهب الآن، ولا تعد بعد اليوم أبدا ، أبدا ! ، • وأومأ له بيده الى « الشوارع المظلمة المقفرة من المدينة » • وانصرف السجين •

ـ والعجوز ؟

ــ حرقت القبلة قلبه ، ولكنه لم يعدل عن فكرته •

ـ التي هي فكرتك أيضا ، أليس كذلك ؟

بهذا صاح أُليوشا يقول في مرارة • فأخذ ايفان يضحك • وقال :

ما بك يا أليوشا ؟ ما هذا كله بجد • هي قصيدة سخيفة ألّفها طالب غبي لم يكن في يوم من أيام حياته قادراً على أن يسطر بيتين من الشعر • فلماذا تهتم بها هذا الاهتمام كله ، ولماذا توليها هذا الشأن كله ؟ أتراك سستظن أنني ذاهب الى المخارج لأنضم الى هسؤلاء اليسوعيين ولأنخرط في صفوف أولئك الذين يدعون « اصلاح ما قام به المسيح » ؟ فيم يعنيني هذا كله ؟ لقد سبق أن قلت لك ان كل ما يعنيني هو أن أديم ابتهاجي الى الثلاثين من العمر ثم أرمى الكأس !

هتف أليوشا يقول ممثلثًا مرارة :

- وبراعم الربيع الغضة ، ماذا أنت صانع بها ؟ والقبور العـزيزة عليك ، والسماء الزرقاء ، والمرأة التي تحب ؟ كيف ستعيش اذن ، وأين ستجد القدرة على أن تظل تحب ؟ انك بهذه الأفكار الجهنمية في رأسك وفي قلبك لن تستطيع ذلك ! بلى بلى ٠٠٠ انك مسافر الى الحارج لتنضم اليهم ، والا فستقتل نفسك ٠٠٠ انك لن تصمد !

- فال ايمان ببطء وهو يبتسم ابتسامة باردة :
- ـ في نفسي فوة ستتيح لي أن أصمد مع ذلك .
 - ــ أية قوة ؟
- _ قسوة آل كارامازوف ٠٠٠ قسوة العطمة والخسسة في آل كارامازوف!
- ــ ماذا اذن ؟ أتغرق في العهر والفجور والفحش ، أتخنق الروح في حضيض الجسد ؟ أهذا ما تفكر فيه ؟
- ـ ربمـــا ••• ولكنى سأعرف كيف أتحاشاه حتى السلاتين من العمر وبعدئذ •••
- ــ ستعرف كيف تتحاشاه ؟ كيف ؟ هذا مستبعد ما دامت أفكارك هي هذه الأفكار ٠٠٠
- ے بل سأعرف كيف أتحاشاه ، وذلك على طريقة آل كارامازوف بضاً .
- ـ على طريقة آل ٠٠٠ أيكون ذلك باستيحائك النظرية القائلة ان « كل شيء مشروع » متى كان متفقاً والمصلحة ؟
 - قطب ايفان حاجبيه وشحب لونه شحوبا غريبا وقال :
- آه! أأنت تُلمع الى الفكرة التى عبَّرت عنها أمس عند شيخك، فكان أن أثارت استياء ذلك الشهم ميوسوف ٠٠٠ تلك الفكرة التى تلقفها دمترى فصاغها تلك الصياغة الساذجة المفرطة فى السذاجة ؟ (أضاف ايفان ذلك وهو يبتسم ابتسامة متكلفة) ٠٠٠ ليكن! هو كذلك على وجه الاجمال! كل شيء مباح قلت ذلك ولن أنقضه أما صياغة ميتيا فليست رديئة هى الأخرى ٠٠٠
 - نظر اليه أليوشا صامتا •

واستأنف ايفان كلامه يقول بانفعال مباغت :

- كنت أحدث نفسى يا أخى بأننى سأحتفظ حين أسسافر بانسان واحد يحبنى على الأفل ، ولكننى ألاحظ الآن أن ليس لى فى فلبك مكان يا عزيزى المعتزل ، أنا لن أنكر فكرتى القائله بأن « كل شىء مباح » ؟ ولكنك أنت ستنكرنى بسبب هــنه الفكرة ، اذا صدق فهمى ، أليس كذلك ؟

نهض أليوشا واقترب من أخيه ، وطبع على فمه قبلة ً رقيقة دون أن يقول شئاً •

هتف ايفان يقول في حماسة :

ــ هذا سطو أدبى • لقد سرقت َ الفكرة من قصيدتى • شكراً شكراً على على حال • انهض يا ألبوشــا • آن أوان الانصراف ، لى ولك على السواء •

خرج الأخوان ولكنهما توقفا على درجات باب الكاباريه • قال ايفان بصوت جازم :

- اسمع یا ألیوشا ۱۰۰ اذا بقی فی نفسی من الحیاة ما بکفی لأن أحب براعم الربیع النضرة ، فسیکون هذا بفضل ذکراك ۱۰ سوف یکفینی فی ساعات الکمد والیأس أن أتذکر أنك ما تزال تحیا فی مكان ما حتی أسترد حب الحیاة فورا ۱۰ هل برضیك هذا ؟ عُدد مصریح حب ان شئت ۱۰ والآن ۱۰۰ ان طریقینا بفترقان ۱۰ ستمضی أنت یمنه موسامضی أنا یسرة ۱۰ کفی ترترات ، هل فهمت ۶ وحتی اذا لم أسافر غدا (وأنا أعتقد اننی سأسافر) ، فالتقینا مرة مناز أخری ، فلا تعد الی هذه المسائل التی ناقشناها الیوم ، أرجوك ۱۰ حذار من کلمة واحدة فی هذا الموضوع ! ولا تکلمنی أیضا عن دمتری فی المستقل ، اننی أطلب منك هذا جازما

فاطعاً و والأفضل أن لا تكلمنى بعد الآن فط (كذلك أضاف يقول بعصبية مباغته) و لفد استنفدنا كل ما كان علينا أن نفوله ، أليس هذا صحيحا ؟ وفي مفابل ذلك فاننى أفطع لك هذا الوعد : حين سأفرر في الثلاثين من العمر أن « أرمى الكأس » ، فسوف أجيء لأراك مرة أخرى ، حيتما كنت أعيش في ذلك الحين و ولو كنت أعيش في أمريكا و مساجى، اليك فنتناقش من جديد و و و كنت أعيش في أمريكا و مساقوم برحلة خاصة لهذا الغرض و سيشوقني أن أراك عندند وأن أعرف ما الذي صرت اليه و ذلك عهد أقطعه على نفسي و وقد لا نلتقي فبل انقضاء سبع سنين أو عشر سسنين و اذهب الآن ، أسرع الى صاحبك انقضاء سبع سنين أو عشر سسنين و اذهب الآن ، أسرع الى صاحبك «الأب سيرافيكوس» ، لأنه يحتضر و فاذا مات في غيابك فقد تتحقد على "لأنني أخرتك و الى اللقساء و قبلني أيضا و و مكذا و و الآن

تركه ايفان وسار في طريقه دون أن يلتفت ، ان هذا الانصراف المباغت يذكر بالطريقة التي ترك بها دمترى أخاه أليوشا أمس ، رغم أن الظروف مختلفة بعضها عن بعض كل الاختلاف ، مس هذا التشابه الغريب فكر أليوشا مساً خاطفاً جداً ، فشحر فجأة بحرزن وارهاق ، لبن في مكانه بعض الوقت يتابع ببصره أخاه الذي كان يبتعد ، لاحظ ، دون أن يعرف لماذا لاحظ ذلك في تلك اللحظة ، أن مشية ايفان كانت متمايلة بعض التمسايل وان كتفه اليمني ترى من الظهر أخفض من الكتف الأخرى ، انه لم يلاحظ هذا يوماً من قبل ، وأخيراً استدار هو أيضاً واتجه نحو الدير مسرعاً يكاد يركض ركضاً ، كان الظلام قد هبط ، شعر أليوشا بخوف غامض يجتاحه ، لقد نبت في نفسه احساس لم يستطع أن يستين طبيعته ، هبت الريح كما هبت في الليلة البارحة ، يستطع أن يستين طبيعته ، هبت الريح كما هبت في الليلة البارحة ، فغمرته أشجار الصنوس التي تبلغ السنة المائة من أعمارها ، غمرته

بحفيف شجى حزين حين دخل غابة المنسك • كان يركض • « الأب سيرافيكوس» ، أين تراه وجد هذا الاسم ؟ كذلك تساءل أليوشا •

ــ ايفان ، أخى المسكين ، متى عسى أراك ؟ ٠٠٠ هذا هو المنسك ! آه ٠٠٠ يارب ! نعم نعم ، ســوف ينقذنى « الأب سيرافيكوس ، * ٠٠٠ سوف ينقذنى منه الى الأبد ٠

سوف يتساءل أليوشا مرارا أنناء حياته ، في دهشة عميقة ، كيف أمكنه في ذلك اليوم ، بعد أن ترك أخاه ايفان ، أن ينسى نسياناً تاماً أخاه دمترى ، مع أنه كان قد عزم عزماً أكيداً قبل ذلك ببضع ساعات على أن يعثر عليه مهما كلف الأمر ، ولو اضطر في سبيل ذلك أن يعدل عن الذهاب الى الدير في تلك الليلة .

حيث لاكبيل لافي الفهم بعبثه

ایفان فیدوروفتش ، بعد أن ودَّع ألیوشا ، الی مسكنه أی الی منزل أبیه فیسدور بافلوفتش ، ولكن الشیء الغریب هو أنه شعر فجأة بقسلق لا یطاق ، یغزو نفسه ویزداد علم قدر اقترابه

من بيته و وليس القلق والحزن اللذان يشعر بهما هما اللذان يدهشانه، وانما يدهشه أنه لا يستطيع أن يحدد لهما سبباً ولقد سبق له كشيرا في الماضي أن أحس بحزن يستولى على نفسه ، ولا غرابة في أن يكون حزيناً في هذه اللحظة التي يتهيأ فيها للسفر بعد أن قطع صلنه بكل ما يشده الى هده المدينة ، والتي يهم فيها أن يسير في اتجاه جديد مايزال يجهله وسوف يكون وحيدا من جديد ، وحيداً كل الوحدة كما كان من قبل ، مع آماله العريضة الواسعة ، لأنه ينتظر من الحياة أشياء كشيرة ، لعلها مسرفة في الكثرة ، دون أن يعرف ما هي هذه الأشياء من جهة أخرى وهو يشعر بأنه عاجز عن أن يرى هذه الأشياء من جهة الأشواق رؤية واضحة ، غير أن الشيء الذي يعذبه في هذه اللحظة ليس هو تلك الحشية من مستقبل غير محدد ، رغم أن هذه الخشية قائمة في نفسي منزل أنسه ، تسامل قائلا : « أتراه هو الاشمئزاز الذي يوقظه في نفسي منزل أبي ؟ لكأنني قد بلغت من كره هذا المنزل أنني لا أمتطيع التغلب على

التقزر من الذهاب اليه رغم علمى بأننى أجتاز عتبته آخر مرة ٠٠٠ ولكن لا ١٠٠ لا ١٠٠ ليس هذا سبب الارهاق الذى أشعر به الآن و أهـو اذن وداع أليوشا والحديث الذى جرى بينى وبينه ؟ لقد أصررت على الصمت سنين طويلة ، لا أتنزل أن أفتح فمى بكلمة لانسان ، ثم هأناذا أخرج جميع تلك السخافات دفعة واحدة و مصحيح أن من الجائز أن يشعر لقلة تجربته وشدة غروره ، غرور المراهق ، بشىء من الحسرة والأسف على أنه لم يستطع أن يعبر عن نفسه كما كان يتمنى أن يعبر، ولا سيما أمام انسان كأليوشا ينتظر منه فى قرارة نفسه أشـياء كثيرة ولا سيما أمام انسان كأليوشا ينتظر منه فى قرارة نفسه أشـياء كثيرة ولا شك أن فى نفسه الآن شيئاً من الحسرة والأسف ، ذلك لابد منه ولكن ليس هذا ما يثقل على صدره الآن ويخنقه خنقاً ٥٠٠ هناك شيء أخر ٥٠٠ ولكن ما هو ؟ « ان غما يملأ جـيوانب نفسى حتى ليكاد يثير غثيانى ، ولست أصل الى معرفة ما يعوزنى ومعرفة ما أريد و لعل الأفضل أن لا أفكر فى هذا الأمر ٥٠٠ » .

حاول ايفان فيدوروفتش أن « لا يفكر في هذا الأمر ، ، ولكنه لم يفلح ، ان الغم الذي يشعر به يتميز بهذا الطابع المثير وهو أن مصدره علة خارجية عرضية طارئة ، ان ايفان يحس ذلك احساساً واضحاً ، ان الأمر أمر شيء أو شخص له لا يدري ايفان على وجه الدقة له لايطاق وجوده في نظر ايفان ، ان أيفان يحس بضيق شبيه بالضيق الذي يثيره في النفس أحيانا ، أثناء العمل أو أثناء حديث حار ، وجود شيء مزعج لم يره المرء رؤية واعية بعد ، ولكنه يغتاظ منه غيظاً يحاصره ويسلم عليه الأبواب الى أن يخطر بباله أخيرا أن يزيع سبب هذا الانزعاج الذي كثيرا ما يكون سبباً تافها : شيئا ليس في مكانه ، منديلا ساقطا على الأرض، كثيرا ما يكون سبباً تافها : شيئا ليس في مكانه ، منديلا ساقطا على الأرض، كثيرا ما يكون سبباً تافها : الكتبة ، النح ،

بلغ ايفان منزل أبيه أخيرا ، معتكر المزاج جدا ، مهتاج الأعصاب

اهتياجا شديدا • وحين أصبح على مسافة خمس عشرة خطوة من باب التحديقة التحديدى ألقى نظرة على مدخل المنزل فأدرك على حين فجأة ما كان يتحنقه ويعذبه طوال الطريق •

كان الخادم سمر دياكوف جالساً على دكة قرب الباب الكبير يتمتع بطراوة النجو و فما ان لمحه ايفان فيدوروفتش حتى أدرك أن صورة هذا النخادم كانت قد لازمت خيساله على غير علم منه بم فكان يضيق ذرعاً بها ولا يطيقها و لقد اتضح كل شيء فحين كان أليوشا يبحدثه، في الكاباريه، عن اجتماعه بالنخادم بم شعر ايفان بانزعاج شديد ونفور قوى لم يلبثا أن استحالا الى غضب وحنق و ولقد انقطع عن التفكير في سسمر دياكوف أثناء الحديث الذي أعقب ذلك بم غير أن غيظاً تقيلاً قد بقى في قلبه بم فلما ترك أليونسسا واتبجه الى منزل أبيه استيقظ فيه ذلك الاحسساس بالانزعاج دون أن يستطيع الاهتداء الى أصله و تساءل ايفان محتداً : بكف يمكن أن يقلقني هذا العجرو النبي مثل هذا الاقلاق ؟ « و هد

والواقع أن ايفان فيدوروفتش كان قد كره هذا الرجل منذ زمن، ولا سيما في الأيام الأخيرة ، وكان يدرك هو نفسه أن العداوة التي يشعر بها نحو هذا الانسان تشبه أن تكون بغضاً ومقتاً ، ولعل عداوته له قد استفحلت واحتدت لأن موقف ايفان فيدوروفتش من الخادم كان عند وصوله الى مدينتنا يختلف عن هذا الموقف كل الاختلاف ، لقد أظهر ايفان في ذلك الوقت شيئاً من الاهتمام بالخادم ، حتى لقد عداه امرءاً طريفاً كل الطرافة ، وشجعه على أن يتحدث اليه ، دون أن يفوته مع ذلك ما كان في أحاديث هسذا الرجل من بعض التفكك ، أو قل من بعض القلق ، وكان ايفان يتساءل : ترى ما الذي يهز فكر هذا هنا من بعض القلق ، وكان ايفان يتساءل : ترى ما الذي يهز فكر هذا وناقشا ، فيما ناقشا ، مسألة الضياء من أين جاء في أول يوم من أيام خلق وناقشا ، فيما ناقشا ، مسألة الضياء من أين جاء في أول يوم من أيام خلق

العالم ما دامت الشمس والنجوم والقمر لم تخلق الا في اليوم الرابع من أيام الخلق ؟ وتساءلا : كنف يمكن تاويل هذه الآيه من التوراة ؛ ولكن ايفان فيدوروفتش لم يلبث أن لاحظ أن سمردياكوف لا يعبأ بالكواكب كثيرا وأن مسائل علم النجوم لا تعنيه كثيرا وان تكن جذابة • كان واضحا أن ما يشغل باله ويملأ رأسه هو غير هذا تماماً • وشيئًا فشيئًا ظهرت أنانيته المخصال لم تعجب ايفان ، وولَّدتُ نفوره منه وكرهه له ، وبعد ذلك ، حين انبثقت المشكلات العائلية المعقدة بظهور جروشنكا وقيام المنازعات بين دمترى وأبيه ، أتبيح لايفان أن يتحدث عن هـذه المصاعب مع الخادم ، فكان يستحيل عليه ، رغم أن سمردياكوف كان يتكلم عن هذه المشكلات دائماً باضطراب شدید ، أن یدرك ماذا كان برید الخادم أن يقــول ، وما هو الشيء الذي يتمناه هو نفسه • ان ما يلمحه المرء في رغباته من بعد عن المنطق والرشاد ، على نحو غامض ، يثير الدهشة والاستغراب • كان سمردياكوف يستوضح كثيراً ، ويلقى بعض الأسثلة موارباً ، لغرض في نفسه من غير شك ، ولكن دون أن يفصح عن هذا الفرض ، وكان يصمت فجأة في بعض الأحيان أو ينتقل الى موضوع آخــر في وســط الكلام • ولكن ايفان انما أصبح يحنقه خاصة ً أن سمردياكوف قد أخذ يرفع الكلفة بينه وبينه ، فهو يخاطبه في غير تحرج ، وهو يمعن في ذلك مزيداً من الامعان يوماً بعد يوم • وقد ولَّد هذا الموقف في نفس ايفان نفوراً شديداً وعداوة حاسمة وكراهية قاطعية . ليس معنى ذلك أن سمر دياكوف يحيز لنفسه أن لا يكون مؤدبًا مهذبًا مع ايفان • بالعكس: لقد كان يصطنع في مخاطبته كثيراً من الاحترام • ومع ذلك فقد انتهت الأمور بالخادم الى حيث اعتقد ، لا ندرى لماذا ، أنه متضامن مع ايفان فيدوروفتش • فهو يتحدث اليه بطريقة خاصة ، كأن بين الرجلين تفاهماً

مضمراً سرياً ، وتواطؤاً قائماً منذ زمن طويل ، وروابط لا يعرفها أحد غيرهما ولا يفهمها من يحيط بهما • ولقد لبث ايفان مدة طويلة لا يفهم السبب الحقيقى الذى يثير حنقه المتزايد ، ثم لم يدركه الا منذ بضعة أيام •

أراد ايفان ، وقد استبد به الاشمئزاز والغضب ، أن يجتاز الباب دون أن يبدو عليه أنه رأى سمردياكوف ، ولكن سمردياكوف نهض عن دكته ، فسرعان ما أدرك ايفان من وضعه أنه يريد أن يحدثه حديثاً خاصاً ، نظر اليه ايفان وتوقف ، وما أشد ما أحنقه توقفه هذا ! لقد كان ينوى منذ لحظات قليلة أن يمر دون توقف ، فلما رأى نفسه يتوقف شعر بغيظ شديد ! وأخذ ينظر بكراهية حاقدة الى هذا الوجه الممسوس الذي يشبه وجوء الخصيان ، والى هذا الشعر المصفف بكثير من العناية على السحدغين ، والى تلك الذؤابة المنتصبة على الرأس ، وكانت عين سمردياكوف اليسرى التى تغضن حاجبها ، تغمز غمزة ماكرة ، فكأنه يقول : « قف ، لن أدعك تمر ، ألا ترى أن هناك كلاماً يجب أن تنبادله بحن معشر الأذكياء ؟ » ،

ارتعد ايفان غضباً ، وتمنى لو يصيح قائلا : « امض أيها الجرو! أأنا من يكون صاحباً لرجل أبله من نوعك ؟ » • فما كان أشد دهشته حين رأى نفسه يخاطبه بطريقة تختلف عن هذه الطريقة كل الاختلاف! ــ أما يزال أبي نائماً أم أنه استقط ؟

كذلك سأله برقة فيها اذعان وتسليم أدهشاه ؟ وعلى هـذا النحو تفسه الذى لم يكن فى الحسبان أيضا ، رأى نفسه يجلس على الدكة ، وقد تذكر فيما بعد أن ذلك كاد يرعبه فى اللحظة الأولى ، كان سمر دياكوف واقفاً أمامه ، جاعلاً يديه وراء ظهره ، ينظر اليه نظرة فها ثقة بل وفيها قسوة ، وقال دون تعيمل :

ـ انه ما يزال يرتاح •

قال ایفان یخاطب نفسه: «آها! هو الذی یبادرنی بالکلام الآن!» وأردف سمردیاکوف یقول بعد صمت ، وهمو یغض عینیه فی تصنع ، ویقدم رجله الیمنی ، ویهز رأس حذائه الملمتع:

_ هل تعلم أنك تدهشني يا سدى ؟

فأجابه ايفان فيدوروفتش بلهجة خشنة قاسية ، وهو يحاول أن يسلطر على نفسه ، قائلا :

_ ما الذي يدهشك ؟

ولكن ايفان شعر في الوقت نفسه ، على اشمئزاز وتقزز ، أن في نفسه استطلاعاً قوياً لن ينصرف قبل أن يرضه .

واستأنف سمردياكوف كلامه قائلا وهو يرفع عينيه ، ويبتسم في ألفة :

ــ لماذا لم تسافر يا سيدى الى تشرماشنيا * ؟

وكانت عينه اليسرى كأنها تقول : « ما دمت ذكياً هذا الذكاء كله فيجب أن تفهم سبب ابتسامتي » •

قال ايفان فيدوروفتش متعجباً :

_ لأى غرض أذهب الى تشرماشنا؟

فأجابه سمردياكوف أخيرا:

ـ لقد رجاك فيدور بافلوفتش أن تسافر اليها فى كثير من الالحاح.
كان سمر دياكوف يتكلم ببطء كأنه لا يولى جوابه هذا أى اهتمام.
فكأنه يقول له: « اننى أجبيك بأى شىء ، بأول جواب يخطر على بالى ،

لا لهدف الا أن أقول شيئًا ما # •

 ما هذه الأساليب الغامضة الملتوية ؟ هلا تكلمت بوضوح ؟ ماذا نريد ؟

رد ٔ سمر دیاکوف قدمه الیمنی المحو قدمه الیسری ، و نصب قامته ، ولکنه لم یتخل ٔ عن هدو له ، وظل بیتسم .

لیس هناك أی شیء هام ۰۰۰ وانما تكلمت بغیر هدف محدد أو غایة معینة ۰۰۰

وساد صمت • صمت الرجلان كلاهما قرابة دقيقة • أدرك ايفان فيدوروفتش أن عليه أن ينهض وأن يغضب • وكان سمردياكوف واقفا أمامه وقد بدا على وجهه كأنه يقول له: « سنرى الآن هل تغضب أو لا تغضب ه • ذلك ما شعر به ايفان على الأقل • وهم ايفان أخيرا أن ينهض • ففتح سمردياكوف عندئذ فمه كأنه قد انتظر هذه اللحظة ليتكلم •

قال في بطء ، بصوت جازم ، وهو يقطتُّم كلامه :

ــ الني في وضع رهب يا ايفان فيدوروفتش ، وأنا أتسماءل كيف يمكنني أن أخرج من المأزق .

ثم تنهد تنهدة كبيرة • عاد ايفان يجلس • واستأنف سمر دياكوف كلامه فقال :

_ لكأنهما فقدا كلاهما العقل • انهما يتصرفان تصرف أطفال صغار • اننى أتكلم عن أبيك وعن أخيك دمترى فيدوروفتش • سوف بأخذ فيدور بافلوفتش بعذبنى بأسئلته متى نهض من فراشه ، سسوف يسألنى في كل لحظة : « هيه ؟ ألم تجيء ؟ لماذا لم تجيء ؟ » • وسوف

تستمر هذه الأسئلة الى منتصف الليل ، والى ما بعد منتصف الليل ، واذا لم تنجىء أجرافين الكسندروفنا (وفى رأيى أنها لا تنوى أن تنجىء أبدا) ، فسوف يستأنف أسئلته فى صباح الغد متهجماً على ": « لماذا لم تنجىء ؟ متى تنجىء ؟ » ، كأننى أنا المذنب ، والقصة هى نفسها فى الجانب الآخر، فمتى هبسط الغسق ، بل وقبل هبسوط الغسق ، يأخذ أخوك دمترى بالاستعداد فيكمن فى مكان قريب مسلمتحاً ، ويقول لى: «انتبه أيها الوغد! من تركتها تدخل دون أن تنبئنى ، لأقتلنك أنت أول من أقتل ! » ، حتى اذا انقضى الليل عاد يعذبنى بأسئلته كأبيك : « ألم تنجىء بعد ؟ هل تنجىء قريبا ؟ » ، لكأنه يعدنى ، هو أيضا ، مسئولاً عن سلوك هذه السيدة ! الأمور تسير من سىء الى أسوأ ، وغضبهما كلبهما يزداد من ساعة الى ساعة ، والخوف يحاصرنى حتى لأفكر فى قتل نفسى نخلصاً من هذا المأزق ، اننى لا أتوقع منهما أى خير يا سيدى !

ــ ما كان ينبغى لك أن تحشر نفسك في هذا الأمر! لماذا ارتضيت أن تكون لدمتري فدوروفتش مُخْـر آ؟

- كيف كان يمكننى أن أبقى بعيدا ؟ اننى لم أحشر نفسى فى الأمر ، اذا شئت أن تعرف ذلك ، كنت أصمت ولا أجرؤ أن أرد ، ولكن أخاك ألح وأكرهنى على أن أكون له فى هذه القضية خادماً ، وهو منذ ذلك الحين ما ينفك يكرر على مسلمي قوله : « لأقتلنك يها الوغد ، لأقتلنك اذا تركتها تمر ! » . أنا على يقين من أننى سأصاب غدا بنوبة طويلة ،

ـ أية نوبة ؟

نوبة صرع ، طویلة ، طویلة جدا • ربما دامت بضع ساعات ،
 وربما استمرت الى الغد • لقد سبق أن أصبت بنوبة امتدت ثلاثة أیام •

سقطت من الشونة • وبقيت ثلاثة أيام لا أفيق من الاغماء • يحدث لى هذا فجأة • وفي تلك المرة استدعى فيدور بافلوفتش الطبيب ، استدعى ذلك الدكتور هرتسنشتوبه ، فوصف لى ثلجاً على الجبين ودواء آخر • • وكدت أموت •

_ يُقال ان نوبات الصرع لا يمكن التنبؤ بها • فكيف تزعم أنك ستصاب غداً بنوبة ؟

كذلك سأله ايفان باستطلاع يمازجه غيظ • فقال سمردياكوف : _ صحيح ••• لا يمكن التنبؤ بها •

- ثم انك عند تلك النوبة الطويلة قد سقطت من طابق الشونة •

ـ ذلك أننى أصعد الى ذلك الطابق كل يوم ، ومن العجائز جــداً أن أسقط منه فى الغد أيضا • واذا لم أسقط من طابق الشونة ، فقد أسقط فى القبو ، لأننى أذهب الى القبو كل يوم للقيام بالخدمة •

تفرس فيه ايفان فيدوروفتش طويلا •

ثم قال بصوت خافت ولكن مع شيء من التهديد :

کان ســـمردیاکوف قد غض عینیه ، وعاد یهز ^ا رأس حــذائه . وها هو ذا الآن یرجع رجله الیمنی ویقدم رجله الیسری ویرفع رأسه ویقول بعد ضحکة صغیرة :

مبنى دبرت لهم « مقلباً » من هذا النوع : ان هناك أسبابا وجيهة تدفعنى الى أن أفعل ذلك ، لما كان من السهل على المرء أن يتظاهر بالصرع اذا كان يملك بعض التجربة ، فسكون من حقى تماما أن ألجأ الى هذه

الوسيلة انقاذاً لحياتي • فاذا حدث أن فررت أجـــرافين الكسندروفنا أن تحيى الى أبيك ، فلن يستطيع أخوك أن يسأل رجلاً مريضا : « لماذا لم تبلغنى ؟ ، • سوف يستحى هو نفسه أن يفعل ذلك •

هتف ايفان فيدوروفتش يقول وقد تقبض وجهه غضباً :

ـ شيطان يأخذك ! لماذا تخاف على جلدك أيها الحبان ! ليست تهديدات دمترى الاكلاماً في الهواء! انه لن يقتلك • قد يقتل ، ولكنه لن يقتلك أنت على كل حال •

ـ بلى ! سيقتلنى كذبابة ، وسيقتلنى قبل أن يقتل أى انسان آخر! هناك مع ذلك شىء أخشاه أكتر من هذا أيضا : هو أن أ'تهم بالتواطؤ معه اذا هو أقدم على ارتكاب عمل طائش مجنون فى حق أبيك .

_ علام تنتهم في هذه الحالة ؟

ــ سيُظن انني شريك لأنني أطلعته على تلك الاشارات السرية •

ـ أى اشارات تعنى ؟ سحقاً لأساليبك المخاتلة هذه! هلا ً قلت كلاماً واضحا آخر الأمر ؟

بدأ سمر دياكوف يقول مقطعاً كلامه كانما ليضفى على نمسه قيمة وشأناً :

ـ يجب أن أعترف لك بأن هناك سرا بينى وبين فيدور بافلوفتش • فمنذ بضمة ايام ، كما لعلك تعلم ذلك (وقد لا تعلم على كل حال!) ، تعود فيدور بافلوفتش أن يقفل الباب على نضيه بالمفتاح ، منذ يهبط الليل ، ومنذ يهبط الغسق أحياناً • انك في الأونة الأخيرة تصعد الى جناحك في ساعة مبكرة ، وامس متلا لم تخرج قط ؛ لذلك فلعلك لم تلاحظ شدة اعتصامه بغرفته الآن ، ومدى حرصه على احكام اغلاقها •

انه لايفتح الباب حتى لجريجوري فاسيلفتش اذا هو لم يتعرف صوته على وجه الىقىن • ولكن جريجوري فاسلفتش لا يحيىء ، لذلك فأنا وحدى أخدمه في غرفته • هذا ما قرر أن يعمد اليه منذ اندفع في تلك المغامرة مع أجرافين ألكسندروفنا • وتنفيذاً لأوامره • فانني أترك المنزل أنا أيضًا متى حلِّ الظلام ، وأمضى أقضى اللبل في الملحقات ، ملزَّ مَا بالسهر الى منتصف الليل على كل حال ، لأتربص وأخرج الى الفناء من حين الى حين بغية أن أرى ألم تنجىء أجرافين الكسندروفنا • ذلك أنه ينتظرها منذ عدة أيام بالحاح هو الحِنون • انه يفكر على النحو التالى : لا شك أنها تخاف منه ، من دمتری فیدوروفتش (وهو پسمیه میتکا) ، لذلك ستؤثر أن تجيء في الليل مارةً من الفناء • وأنا مكلف اذن بانتظارها كل مساء الى منتصف الليل والى ما بعد منتصف الليل • قال لى : « متى ظهرت ّ كان علمك أن تسرع اليُّ ، فتقرع بابي أو نافذة الحديقة فرعتين أولاً ، قرعتين غير قويتين جــــدا ، هكذا : طق ، طق ؛ ثم ثلاث قرعات أكثر تقارباً : طق ، طق ؛ فاعلم َ عندئذ أنها جاءَت ، فأفتح الباب برفق وهدوء • » • ثم شرح لى بعد ذلك اشارة أخرى استعملها حين بحــدث شيء استنائي : أقرع في أول الأمر قرعتين متقاربتين : طق طق ، وبعد برهة أقرع فرعة ثالثة أقوى ، فيفهم عندئذ أنه وفع حادث مفاجيء وأننى أريد أن أكلمه ، فيفتح لى الباب ، فأروى له ما وقّع . هذا اذا لم تنجىء أجرافين ألكسندروفنا وانما أوفدت رسولاً برسالة ، أو اذا ظهر دمترى فيدوروفتش على مقربة من المنزل ، فبذلك أستطيع ابلاغه الأمر فوراً • انه یخاف دمتری فیدوروفتش خوفاً رهیباً وقد أمرنی بأن علی ت اذا حدث أن كانت أجرافين ايفانوفنا في المنزل مختلية به ، فظهر دمترى فيدوروفتش على مقربة من المنزل ، أن أبلغه ذلك فورا بقرع الباب أو النافذة ثلاث قرعات • لقد علمني اذن اشارتين : الأولى تتألف من خمس قرعان ، ومعناها أن أجرافين ألكسندروفنا جاءت ، والثانية تتألف من ثلاث قرعات ومعناها أننى أريد أن أكلمه حالاً ، وقد جرّب هاتين الاشارتين أمامى مرارا لا تعلمهما ، واذ أن أحداً فى العالم لا يعرف هاتين الاشارتين ، الا أنا وهو ، فانه متى سمع الاشارة سيفتح الباب فورا بلا تردد ، وبدون أن يلقى أى سؤال (لأنه يخاف أن يسمع صوته) ، والمشكلة الآن هى أن دمترى فيدوروفتش أصبح يعرف هاتين الاشارتين، المشارتين، عرفهما ؟ أأنت كشفت له اذن عنهما ؟ فكيف تجرأت

_ كيف تجرأت ؟ من الخوف طبعاً ! وهل من سبيل الى الصمت معه ؟ كان لا ينفك يكرر على مسامعى في كل يوم قوله : « أنت تكذب ! أنت تخفى عنى شيئاً • لأحطمن ساقيك ! » وعندئذ أطلعته على هاتين الاشارتين السريتين ليرى على الأقل اننى أطيعه ولا أعصى أمره ، وأن ليس عليه بعد الآن أن يتخيل أننى أخفى عنه الحقيقة ما دمت أبوح له بهذه التفاصل السرية •

أن تفعل ؟

ــ اذا كنت تقدَّر أنه ينوى أن يستخدم هاتين الاشارتين ليدخل ، فما عليك الا أن تمنعه من الدخول ٠٠٠ الأمر بسيط ٠٠٠

- فاذا اتفق أن كنت في تلك اللحظة بعينها فاقداً وعيى بسبب نوبة صرع ؟ كيف أستطيع عندئذ أن أمنعه من الدخول ، هذا اذا كنت أملك اللجرأة على اعتراضه وأنا أعرف ما يكون عليه في تلك الحالة من ضراوة وعنف!

_ سحقاً لك ولنوبة الصرع التي تتكلم عنها هذه ! كيف علمت أنه نوبة صرع ستصيبك غداً ؟ أثراك تضحك على ؟

ـ وهل أجرؤ أن أضحك عليك يا سيدى ؟ هل نظن أن بى رغبةً"

في الضحك وأنا فيما أنا فيه من فزع ؟ ان الخوف بعينه هو الذي سيحدث لى هذه النوبة •

... طيب ٠٠٠ اذا كنت أنت مريضاً ، أمكن أن يتـــولى الحراسة جريجورى ، وسوف يمنعه هو من الدخول في جميع الأحوال .

ـ ولكنني ممنــوع من اطلاع جريجــوري فاسيلفتش على هاتين الاشارتين الا باذن من السيد . أما عن امكان أن يسمع جريجوري مجيئه وأن يمنعه من الدخول فيجب أن أقول لك ان جريبجوري مريض منذ أمس ، وان مارفا اجناتفنا تنوى أن تداويه في الغد . على هذا اتفقا اليوم • وان لها في مداواة زوجها طريقة غريبة جداً : انها تعرف مزيجاً من العقاقير تحتفظ به في بنها دائماً لمثل هذه الحالات ، وهو سائل قوى جِداً تعرف سرَّه فيما يبدو وتصنعه من أعشاب تغليها في الماء وتداوي به زوجها ثلاث مرات في العام تقريبا حين يلج عليه مرض اللمباجو ويصبح شبه مشلول • انها تبلل بهذا السائل قطعة من قماش تأخذ تدلك بها ظهره على طوله خـلال نصف سـاعة الى أن ينتفخ الحـلد ويحمر ، حتى اذا فرغت من ذلك جرَّعته ما يبقى في الزجاجة من هذا السائل بعد أن تتلو دعاءً معيناً ؟ ولكنها تبقى لنفسها من السائل مقدارا قليلاً تشربه مع زوجها انتهازاً للفرصة • وينجب أن أقول لك أيضا انهما ، بسبب عدم تعودهما الشراب، ما يكادان يحسوان هذا السائل حتى يسقطا كلاهما حث يكونان ، فنساما نوماً عملقاً خسلال مدة طويلة • فاذا استقظا شعر جريجوري فاسلفتش كل مرة بأنه شفي من مرضه ، أما مارفا اجناتفنا فلا بد أن يصمها صداع • فاذا نفذا في الغد عزمهما على استعمال هــذا الدواء ، فانهما لن يسمعا شيئًا ، لأنهما سيسنامان ، ولن يمنعها دمتري فيدوروفتش من دخول المنزل •

صاح ايفان فيدوروفتش يقول :

ــ عجيب ! كل شيء يحــــدث في آن واحــد • أنت تصاب بنوبة الصرع ، وهما ينامان نوما عميقا ! أمر لا ينصدَّق !

ثم أضاف يسأله مقطباً حاجبيه فيما يثبيه التهديد :

ــ أتراك رتبت هذا التصادف بالمكر والحيلة ؟

ے علام أفعل ؟ اننى لا شأن لى فى كل ما يحدث ! كل شىء رهن بارادة دمترى فيدوروفتش وحده ، وبما يعزم عليه ويقرره • فاذا كان ينوى أن يوقع مصيبة فسيفعل ؟ واذا لم يكن ينوى فلست أنا من سيجره من يده ليدفعه الى ذلك دفعاً ، فيما أتخيل ، ألبس كذلك ؟

عاد ايفان فيدروفتش يقول وقد اصفر وجهه غضباً :

- لست أرى لماذا يمكن أن يجيء دمترى الى هنا ، وأن يتسلل تسللاً ، اذا كانت أجرافين الكسندروفنا لا تفكر فى المجيء الى أبى ، كما قلت هذا بنفسك ، لقد أكدت لى أنت هذا منذ لحظة ، وكنت أنا على يقين منذ حللت هذا المنزل أن العجوز تراوده أوهام ، لأن هذه المخلوقة لن تنجىء اليه فى يوم من الأيام ، فهلا قلت لى ما هى الغاية التى يمكن أن يتسلل دمترى الى هنا فى سبيلها والحالة هذه ؟ تكلم ، م اننى أريد أن أعرف حقيقة ما يجول فى خاطرك ،

- انك تعرف هذه الغاية حق المعرفة ، وليس لما يعبول في خاطرى شأن فيها البتة ، سوف يقتحم أخوك منزل أبيه حباً بالشر وحده أو من فرط سو، الظن ، سوف يتسامل عما يجسرى في المنزل ، وسيحب من فرط نفاد صبره أن يفتش جميع الغرف كما فعل أمس ليتأكد من أنها ليست مختبئة في احسداها ، وهو يعلم حق العلم من جهة أخرى أن فيدور بافلوفتش قد أعد ظرفا كبيرا يحوى ثلاثة آلاف روبل ، قد ختمه بثلائة أختام وربطه بشريط معقود ، وكتب عليه بخط يده : « الى ملاكى

جروشنكا ، اذا هى رضيت أن تجى. ، ، وأضـــاف الى هذه العبارة بعد ثلاثة أيام : « الى حمامتى الغالية » •

صرخ ايفان يقول خارجاً عن طوره:

_ هذا سخف • لن يسرق دمترى مالاً ، ولن يقتل أباه لهـــذا السبب ! لقـــد كان يمكن أن يقتـــله أسن ، كمجنون مهتاج ، بسبب جروشنكا ، ولكنه لن يجىء الى هنا ليسرق •

ـ انه الآن في حاجة ملحة الى المال ، انه في ضق شديد ، صدقني يا أيفان فيدوروفتش • لا تستطيع أن تتصور مدى رغبتـــه في الحصول على مال (هكذا شرح سمردياكوف بهدوء كير) • أضف إلى ذلك أنه يعد هذه الآلاف الثلاثة حقاً له • لقد أكد لي ذلك أمس • قال : « ان أبي ما يزال مديناً لي بثلاثة آلاف روبل تماما » • ويحب أن لا يغيب عن بالك يا ايفان فدوروفتش ، لأن هذا هو الحقيقة بعنها ، أن أجرافين ألكسندروفنا تستطيع أن تحمل فيدور بافلوفتش على زواجها متى رغبت في ذلك أيسر رغبة • ومن الجائز جدا أن تراودها هذه الرغبة • يحب أن نقول هذا • لقد أسرفت ُ أنا في التعجل حين أكدت أنها لن تنجيء الى هنا ، مع أنها قادرة جدا على ان تسدُّد الى هدف بعيد وأن تداور في سبيل أن تصبح سيدة حقة • لقد قال لها صاحبها التاجير سامسونوف ، وأنا أعرف ذلك من مصدر مطلع موثوق ، قال لها بصراحة تامة ان هذا سبكون لها حلاً ذكياً ، وكان يضحك وهو يقول هــذا الكلام • ليست جروشنكا امرأة غبية ، ثق من ذلك ! لن تبــــلغ من الحماقة أن تتزوج رجلاً فقيراً مثل دمتري فيدوروفتش • فما قولك والمحالة هذه يا ايفان فيدوروفتش ؟ ولعسلك تقدر أن دمتري فيسدوروفتش ، اذا أصبحت أجرافين الكسندروفنا زوجة أبيه ، لن ينال روبلاً واحداً من ميراث أبيه بعد وفاته ، لا هــو ولا أنت ولا أخـــوك ألكسى • ذلك أن أجــرافين

الكسندروفنا لن تقبل هذا الزوج الا في سبل أن تنقل الى اسمها جميع ثروة أبيك ، جميع أملاكه العقارية ورءوس أمواله السيائلة • أما اذا حدث مكروه لأبيك فمات قبل أن يتم هذا الزواج ، فان كلاً منكم سينال على الفور أربعين ألف روبل ، بالتمام والكمال • ان دمتري سنال هذا المبلغ رغم أن أباه يكرهه ، وذلك لأن فيدور بافلوفتش لم يكتب حتى الآن وصيته ٠٠٠ وهذه التفاصل كلها يعرفها دمتري فبدوروفتش ٠٠٠ تقلص وجه ایفان فیدوروفتش ، وألمت به اختلاجة ، واحمر علی

حين فيجأة ؟ وقال مقاطعاً سمر دياكوف وهو يتنفس تنفساً ثقبلا :

ـ قل لى : لماذا كنت تريد أن تراني مسافراً الى تشرمائنها ؟ ما هي الغاية التي تسعى النها؟ لا يعلم الا الله ما سبحدث بعد سفرى في همذا المنزل!

فأجاب سمر دياكوف يقول بلهجة هادئة متروية ، وهو يحدق الى ايفان فيدوروفتش مترقبًا آثار كلامه فيه :

_ هذا صحيح تماما .

قال ايفان يسأله وهو يبذل جهداً كبيراً من أجل أن يكظم غبظــه ويسبطر على نفسه:

_ صحیح تماما ؟ ما معنی هذا ؟

ــ لئن قلت هذا الكلام ، فلأننى أشفق علىك وأرثمي لحالك • اسمح لى أن أقول لك : لو كنت في مكانك لآثرت أن أسافر على أن أجد نفسي مقحماً في قضية من هذا النوع ٠٠٠

كذلك أجاب سمودياكوف بلهجة طلقة ليس فيها شيء من تحرج، دون أ زيحول بصره عن آيفان فيدوروفتش الذي كانت عساه تقدحان شرراً ٠

وأعقب ذلك صمت •

ثم قال ايفان بعد لحظة وهو ينهض عن الدكة :

ـ لا بد أنك أبله ٠٠٠ أضف الى ذلك أنك وغد!

وكان يهم أن يجتاز الباب المحديدى ، ولكنه توفف فجأة والتفت نحو سمردياكوف ، وحدث عندئذ شيء غريب : لقد عض ايفسان على شفتيه متشنجاً ، وقبض يديه ، فكأنه يهم أن يهجم على الخادم ، فأدرك سمردياكوف ذلك ، فارتجف ، وتراجع خطوة الى وراء، وانقضت ثوان دون أن يصاب سمردياكوف بأذى ، واتجه ايفان فيدوروفتش نحو الباب حائر الهيئة دون أن ينطق بكلمة ، ثم صاح بعد ذلك يقول بصوت قوى، مقطعاً ألفاظه ، وقد فاضت نفسه حنقاً :

ــ سأسافر غدا الى موسكو ، اذا كنت تحرص على أن تعرف ذلك. هذا كل شيء !

وقد أدهشه فيما بعد أن يكون قد شعر في ذلك الظرف بالحاجة الى أن يخبر سمردياكوف بأنه مسافر ٠

أجاب سمردياكوف يقول وكأنه كان يتوقع أن يفضى اليه ايفــان بهذا السر :

ـ هذه فكرة عظيمة ! ولكنك تظل معر َّضاً للاستدعاء من موسكو برقية اذا حدث هنا شيء ٠

فتوقف ايفان مرة ثانية والتفت نحو سمردياكوف التفاتة قوية وفاذا بوضع سمردياكوف يتغير فجأة بمثل لمج البصر سرعة وبدد الألفة التي كان يصطنعها وتبدد الاهمال الذي كان يظهره وتبددا بما يشبه السحر ٠٠٠ وعبر وجهه عندئذ عن انتباه شديد وكما عبر عن انتظار ذليل خاضع وكأن عينيه المحدقتان الى ايفان فيدوروفتش بالحاح غريب تسألانه: «ألن تقول شيئاً آخر ؟ ألن تضيف كلمة واحدة ؟ » • فوعوع ايفان يقول رافعاً صوته بدون سبب ظاهر:

- اذا حدث شىء فيمكن أن أستدعى من تشرماشنيا أيضا ٠٠٠ فتمتم سمردياكوف يقول بما يشبه الهمس ، وكأنه ضائع الفكر شارد اللب ، ولكنه لا ينقطع عن التحديق الى ايفان فيدوروفتش بالحاح :

ـ طبعاً ٥٠٠ اذا حدث شيء ٥٠٠ فستستدعي ٥٠٠ من تشرماشنيا٠٠

- الفرق الوحيد هو أن موسكو بعيدة ، أما تشرماشنيا فهى قريبة من هنا كل القرب ، هل النفقات التي لا داعى اليها هى التي تقلقك ، أم أنت تحب أن توفر على وحلة طويلة فتنصحنى بأن أسافر الى تشرماشنيا بدلاً من أن أسافر الى موسكو ؟

ـ هو كذلك تماما!

هكذا تمتم سمردياكوف يقول بصوت مرتعش وهو يبتسم ابتسامةً خيئة ٠

وكان يستعد لأن يتقهقر الى وراء • فما كان أشد دهشته حين رأى ايفان فيدوروفتش ينفجر ضاحكاً على حين فجأة ، ويتجه بسرعة نحدو الباب وهو ما يزال يضحك • ولكن لو رآه ملاحظ يقظ منتبه في تلك اللحظة لأدرك أنه لم يكن يضحك هذا الضحك عن مرح وفرح • ثم انه هو نفسه ما كان ليستطيع أن يقول ما الذي كان يشعر به حينذاك • وكانت مشيته متقطعة ، وكان في حركاته شيء يشبه أن يكون حركات الله •

يلذ للمرولُ مِيانًا لأَن يتحرب مع رجل وَلَهِي



الحالة النفسية الغريبة التي كان فيها ايفان قد ظهرت في أقواله أيضاً • فانه ما ان دخل المنزل فلمح فيدور بافلوفتش في الصالون حتى صاح يقول له من بعيد وهو يلوّح بيده:

ـ أنا صاعد الى غرفتى رأساً • لن آتى اليك • ومر ً بسرعة محاولاً أن لا ينظر الى أبيه •

لعل مشهد الشيخ كان في نظره عندئذ لا يطاق ، ولكن اظهماره هذه الكراهية بغير تحرج قد أدهش حتى فيدور بافلوفتش نفسه ، وكان واضحاً أن هناك شيئاً مستعجلاً يريد الأب أن يفضى به الى ابنه ، لذلك هب الى لقائه ، ولكنه بعسم الكلمات اللطيفة التي سسمعها من ايفان فيدوروفتش توقف حيث كان ، دون أن ينطق بكلمة ، وتابعه بنظرة ساخرة بينما كان يصعد السلم ويغيب في الطابق الأعلى ،

وظهر سمردياكوف للعجوز في تلك اللحظة ، فسأله العجوز :

ــ ماذا به اليوم ؟

فقال سمردياكوف متهرباً:

ـ انه معتكر المزاج جدا !

_ شیطان یأخذه اذن ! ألا فلیعتکر مزاجه اذا کان ذلك یسره ! أما أنت فهیء السماور ثم انصرف • أسرع ! أما من جدید حتی الآن ؟

فال العجوز ذلك وبدأ الاستجواب الذي كان سمردياكوف قد اشتكى منه لايفان منذ قليل ، انه يلقى عليه السؤال تلو السؤال عن المرأة التي ينتظر زيارتها ، ولا داعى الى تكرار هذه الأسئلة هنا ، وبعد نصف ساعة كان المنزل قد أنحكم اقفاله بالمفتاح ، وخسلا العجوز الى جنونه ، فأخذ يسير في غرفته طولا وعرضا ، منتظراً على نار كنار الحمى أن يسمع القرعات الخمس المتفسق عليها اشارة الى أن جروشنكا قد وصلت ، وهو ينظر من خلال النوافذ من حين الى حين ، فلا يرى في المخارج الا الظلام ،

انقضى شطر من الليل ، ولكن ايفان فيدوروفتش لم ينم بعد . كان يفكر ويتأمل ولم يرقد على فراشه تلك الليلة الا في نحو الساعة الثانية ولن نحلل معرى الخواطر التي دارت في رأسه ، لأن قراءة ما كان يعتمل في نفسه عندند لم يحن حينها ، وسيأتي دورها فيما بعد . ثم ان وصف ما كان يجيش في قرارة قلبه ليس بالأمر السهل ، لأن خواطره كانت غامضة ، وكانت مضطربة مسرفة في الاضطراب خاصة ، وكان يشمم هو نفسه بأنه قد فقد السيطرة على فكره ، هذا عدا رغبات غريبة كانت تعذبه في بعض اللحظات ، من ذلك مثلاً أنه عند منتصف الليل قد شمر فجأة برغبة قوية في أن ينزل وأن يخرج وأن يذهب الى الملحقان بغية أن يضرب سمردياكوف ضرباً مبرحاً ، لماذا ؟ لو سألته هذا السؤال لما عرف بماذا يجيب على وجه الدقة ، ولكنه أصبح يكره هذا العادم كرها شديدا ، كما لو كان قد ناله بأفدح الأذي وأشد الاهانة ، ثم انه قد اتفق شديدا ، كما لو كان قد ناله بأفدح الأذي وأشد الاهانة ، ثم انه قد اتفق ادخال الاضطراب في نفسه أنه أحس بشلل مفاجي، في قواه الجسمية ،

وكان يشم في الوقت نفسه بصداع ودوار • واستولى علمه بغض غامض ، كما استولت عليه حاجة الى الانتقام لم تنضح ولم تتحدد • انه يشعر بعداوة حتى لألبوشا ، حين يتذكر الحديث الدي جرى ببنه وبينه في النهار • وكان يبدو له في لحظات أخرى أنه يكره ذاته نضمها • أما كاترين ايفانوفنا فكأنه نسيها ، فلم تخطر على باله في تلك الليلة الا مرة أو مرتين • وقد أدهشته قلة الاكتراث هذه فيما بعد ، لا سيما وأنه كان في الصياح ، حين أعلن للمرأة الشابة صاخبًا أنه مسافر غداً الى موسكو، قد سمع صوتاً يدمدم في قرارة نفسه (انه يتذكر هذا تذكراً واضحاً) قائلا له : « كذبت ! لن تسافر ! لن تسنطع فراقها بمثل هذه السهولة التي تتباهي بها الآن ! ٨ • ومن بين ذكريات تلك الللة ذكري صغيرة ستظل تنبحس في خاله كثيرا أثناء السنوات اللاحقة ، فتملؤه اخسمثرازأ وتقززاً • لقد ظل يتذكر بوضوح كيف أنه نهض عن أريكته مراراً ففتح الباب بدون ضوضاء ، كانه يخشى أن يُسمع ، وخرج الى فسلحة السلم ، وأصاخ بسمعه يتجسس على حركات فيدور بافلوفتش الذي كان يمشى في غرف الطابق الأرضى • كان يتنصت على حركاته بفضول غريب منحبس َ الأنفاس خافق القلب ، لا يدرى هــو نفسه لمـاذا يتصرف هذا التصرف ، ولأى سبب يصيخ بسمعه اليه دقائق طويلة • لقد ظل طوال حياته بعد ذلك يصف سلوكه ذاك في تلك الليلة بأنه « سلوك حقير » ، معتقداً في دخيلة نفسه أن ذلك الفضول الغسسريب الذي كان يحسركه حندًاك هو أكبر دناءة انحدر البها في حياته كلها • كان لا يشعر في تلك اللحظات بأية عداوة خاصة نحو فيدور بافلوفتش نفسه ، وانما كان يريد أن يعرف ما يعمله فحسب ، محاولا أن يتصور ، بفضول قوى ، كيف يمشى أبوء في غرفته محموما من نفاد الصبر ، وكيف يقترب من النوافذ المظلمة لينظر الى الخارج ، وكيف يتوقف بعد ذلك في وسلط الحجرة منتظراً على أحر من الجمر أن يسمع الاشارة المتفق عليها • لقد خرج ايفان الى فسحة السلُّم على هذا النحو مرتين • فلما عاد الهـــدوء يخبُّم على كل شيء ، فأوى فبدور بافلوفتش الى فراشه ، في نحو الساعة الثانية من الصباح ، قرر أن يرفد هو أيضًا ، عازمًا عزمًا قويًا على أن ينام بأقصى سرعة ، لأنه كان يحس بأنه مهدود القوى • وسرعان ما غــرق فعلاً في نوم عميق لم تتخلله أحلام • واستيقظ في الصباح مبكراً ، في نحو الساعة السابعة ، وكان النهار قد طلع . فمسا ان فتح عينيه حتى أحسَّ في نفسه بسيل خارق من القوة ، فأدهشه ذلك كثيرًا • وما هي الالحظة حتى نهض عن سريره بوثبة واحدة ، وليس ثبابه ، وأخسرج حقيبته ، وأخذ يجمع أمتعته لا يضيع لحظة واحدة . وكانت الغسَّالة قد جاءته بغسيله أمس • ابتسم ايفان فيدوروفتش راضيا حين لاحظ أن كل شيء يسير على خير حال ، وأن سفره المفاجيء لا يصطدم بأية عقبة غير متوقعة • ولقد كان هذا الســـفر مفاجئًا حقًّا ؟ فرغم أنه قد أعلنه أمس (لكاترين ايفانوفنا ، ولأليوشا ، ثم لسمردياكوف) ، فانه لم يفكر فيه البتة حين رقد على سريره (انه يتذكر ذلك الآن) ، ولم يكن يتنبأ بأن أول حركة سيقوم بها حين ينهض في الصباح هي أن يجمع أمتعته تهيؤاً للرحيل • وسرعان ما امتلأت حقسته وامتلأ كسن السفر • فلما أزفت الساعة التاسعة جاءته مرفا اجناتفنا تلقى عليه سؤالها المألوف: ه أين تريد أن تتناول الشاي ، أهنا أم تبحت ؟ ٥ • فنزل ايفان فيدوروفتش اكى الطابق الأرضى • كان يلوح عليه أنه يكاد يكون فرحاً رغم أن شيئاً من التعجل العصبي كان باديا في حركاته وفي أقواله. وبعد أن سلَّم على أبيه متودداً حتى لقد سأله عن صحته خاصة "، أعلن ، قبل أن يجيبه أبوه عن سؤاله، انه مسافر الى موسكو بعد ساعة ، ورجا أن يؤمر باعداد الخيل . لم يظهر العجور أبة دهشة لاعلان ابنه سفره ونسى حتى أن يعبِّر عما اصطلح

الناس على التعبير عنه فى مثل هذه الأحوال من أسف ، فكان دلك لا يخلو من قلة اللباقة ، وفى مفابل ذلك لم يفنه أن يفلق فجأه على أمر من أمور. الخاصة ، ورأى أن ينتهز الفرصه ليكلمه فيه ، قال :

- أوه ! كان يبغى أن تبلغنى أمس • لا بأس على كل حال ••• سيتسع الوقت لحل هذه المسألة • أرجو أن تقدم لى هذه العندمة يا بنى الشهم : توقف فى تشرمانسيا عابراً • لن يكون عليك ، حين تصل الى محطة فولفيا ، الا أن تعرج شهمالا مسافه اثنى عشر فرسماً فى أكتر تقدير ، فاذا أنت فى تشرمانسيا •

ــ مستحیل • صدقنی • ان المسافه من هنا الی محطة القطار أربعة وعشرون فرسخاً ، وقطار موسكو يسافر فی الساعة السابعة مساء ، فلا يكاد يتسع وقتى لادراكه •

.. تسافر في قطار الغد أو غداة الغد أما اليوم فاذهب الى تشرماشنيا .. أيصب عليك الى هذا الحد أن تقدم هذه الحدمة الصغيرة لأبيك ؟ لولا الني مضطر الى البقاء هنا لأسباب قاهرة لذهبت الى تشرماشنيا بنفسى منذ زمن طويل و الأمر مستعجل وهام جدا ، ولكنني لا أستطيع الابتعاد عن المنزل الآن و و و الني في تشرماشنيا غابة من حصيتين في أراضى بيجتشوفو ودياتشيكنيو و والتاجران ماسلوف وابنه لا يعرضان على الامائية آلاف روبل ثمناً لأشجارها المعدة للقطع ، على حين أن مشترياً آخر كان مستعدا في العام الماضي لأن يدفع لى الني عشر ألف روبل بكل سرور و لم يكن ذلك المشترى من هذه المنطقة ، وهذا هو تفسير الأمر، فما من سبيل الى العثور على مشتر من أهل المنطقة ، لأن آل ماسلوف فما من سبيل الى العثور على مشتر من أهل المنطقة ، لأن آل ماسلوف عليا ارادتهم فرض القانون و الروبلات يسيطرون على المقاطعة ويفرضون عليا ارادتهم فرض القانون و انهم «كولاك» * ومامن أحد يجرؤ أن يقف في وجههم وأن يصمد لهم و ولكن القس يلسكي كتب لى يوم الخميس

الماضى يقول ان رجلاً اسمه جورستكين قد جاء يعرض شراء الاستجاره والرجل تاجر هو أيضا ، وأنا أعرفه ، انه من مدينة بوجريبونو ، وهو لا يتخشى آل ماسلوف، لأنه ليس من سكان المنطقة، انه يعرض أحد عشر ألف روبل ثمناً للأشجار المعدة للقطع ، فهمت ؟ وقد ذكر لى القس أنه الآن في تشرماشنيا الى حين ، وأنه سيبارحها بعد أسبوع ، عليك أن تذهب اليه لتناقش الأمر معه ،

_ ما عليك الا أن تكتب للقس ، فيتم لك الصفقة !

القس رجل أعمى في الشئون العملية و الله قلباً من ذهب ، وانني لمستعد القس رجل أعمى في الشئون العملية و ان له قلباً من ذهب ، وانني لمستعد أن أو دعه عشرين ألف روبل بدون وصل و ولكنه قصير النظر حتى لقد يخدعه صوص و ما هو من هذه الناحية برجل و وهو مع ذلك عالم كبير، هل تتصور هذا ؟ ان هيئة جورستكين هذا هي هيئة فلاح ، وهو يرتدى قميصاً أزرق ، لكنه وغد كبير من سوء حظنا جميعا ! انه يكذب كما يتنفس و حتى لقد يراكم الكذب بعضه فوق بعض لا لشيء الا لذة الكذب ! لقد روى منذ ثلاث سنين ، مثلاً ، أن امرأته ماتت ، وأنه تزوج أخرى و فهل تتصور أنه كان يكذب ؟ نعم لقد كان يكذب و حتى أن امرأته لم يخطر بالها أن تموت و وهي ما تزال حية وما تزال تضربه امرأته لم يخطر بالها أن تعرف أولا أكان صادقاً أم كان كاذباً حين عسرض أحد عشر ألف روبل ثمناً للأشجار و

ــ الله لتعلم جيدا أننى أنا أيضا لا أفهم في هذه الأمور شيئا • قفيم يمكنني أن أنفعك ؟

- لحظة • انتظر • يمكنك أن تنفعنى ، لأننى سأطلعك على العلائم التى تستطيع الاعتماد عليها لتعرف حقيقة ما يدور فى نفس جورستكين • انتى أعرفه منذ عهد بعيد • عليك أن تنظـــر الى لحيته فتنفذ الى خفايا

ترتعش بنما هو غاضب أثناء الكلام ، فاعلم أنه يقول صدقاً ويريد أن يتم الصفقة ؟ أما اذا رأيته يلاعب لحيته بيده اليسرى وهو يبتسم ، فاعلم أنه يراوغ ويمكر ويحاول أن يغش • لا تحاول أن تقرأ في عينيه • فليس في وسعك أن تعرف بهذه الوسيلة شيئًا • انه وغد لئيم ، وما عيناه الا ماء عكر • وانما يجب عليك أن تنظر الى لحيته • ســوف أعطيــك رسالة ، فما يكون علك الا أن تناوله الرسالة • ولسن اسمه الحقيقي جورستكين وانما اسمه في الواقع لياجافي * • ولكن اياك أن تخاطبه باسم لياجاني ، والا استاء استياء رهيباً • ومثى تم الاتفاق ورأيت الأمور تجرى مجرى حسناً ، فأبلغني ذلك فورا : يكفي أن تكتب اليَّ في هذه المحالة هذه العبارة : « ليس يكذب ، • حاول أن تصر على الثمن الذي ذكرته لك ، وهو أحد عشر ألف روبل • ولا مانع أن تتنازل عن ألف روبل اذا اقتضى الأمر ، ولكن لا تتنازل عن أكثر من ذلك • هذا مال يهبط على من السماء لأن المشترين نادرون في هذه الأيام • وأنا في حاجة ماسة الى هذا المبلغ • انك لا تستطيع أن تتصور مدى حاجتي الشديدة اليه • فمتى أبلغتني أن الامر جد ٌ ، وثبت الى هناك لأتم الصفقة بنفسى • سوف أستطيع أن أجد لهذا متسعا من الوقت • أما أن أذهب الى هناك منذ الآن ، فليس ينفعني هذا في شيء ، لأن من الجائز أن يكون القس قد استرسل مع خياله • هيه ؟ اتفقنا ؟ أتذهب أم لا ؟

ـ لا يتسع وقتى ، فلا تحرجنى !

- أرجوك ، اصنع هذا الجميل لأبيك ! سأذكره لك ما حييت . أأنتم جميعا اذن بغير قلب ؟ ما قيمة يوم أو يومين زبادة ؟ الى أين تنوى أن تسافر ؟ الى البندقية ؟ ان البندقية لن تهوى الى قاع البحر خلال هذين اليومين ! كان يمكن أن أرسل أليوشا ، ولكن أليوشا لا يغهم في هــذه

الأمور شيئا • ولئن تنجهت اليك فلأنك ذكى ، أنا أعرف ذلك • ما أنت بتاجر ، ولكنك ترى رؤية واضحة • المطلوب هو أن نعرف أهذا الرجل جاد فيما يقول أم غير جاد • أعود فأكرر أنه يكفى النظر الى لحيته ، فاذا ارتعشت كان يقول صدقا •

صاح ايفان يقول وهو يضحك ضحكة خبيثة :

ــ سوف يكون الذنب ذنبك أخيراً اذا أنا ذهبت الى تشرماشنيا هذه اللعينة •

تظاهر فيدور بافلوفتش بأنه لم يلاحظ النبرة المعادية في كلام ابنه، ولكنه تشبث بهذه الصبحة على الفور فقال :

- اذن وافقت ، وافقت على أن تذهب الى تشرماشـــنيا ، سأكتب الرسالة الصغيرة حالاً .
- ـ لا أدرى بعد أأذهب أم لا أذهب سأقرر ذلك أثناء الطريق •

ـ لماذا أثناء الطريق ؟ قور حالا ! بادرة طيبة يا عزيزى ! فاذا سُوتى الأمر وتمت الصفقة ، كتبت الى سطرين تودعهما القس ، فيبادر الى الرسالهما الى بغير ابطاء ، ولك بعد ذلك أن تسافر الى البندقية ، فلن أمنعك ، وسيعيدك القس الى محطة فولوفيا بعربته ، و .

تهلل العجوز فرحاً • وأسرع يكتب الى التاجر رسالة قصيرة • ثم أمر باعداد العربة • وجيء للرجلين بوجبة خفيفة باردة ، وجيء لهما بكونياك • ان عادة فيدور بافلوفتش أن يصبح في لحظات السعادة منطلقاً كثير الكلام والحركة، ولكن كان يبدو في هذه المرة أنه يحاول السيطرة على نفسه • وقد تحاشى أيضا أن يجيء على ذكر دمترى فيدوروفتش • ولم يكن يلوح عليه من جهة أخرى أنه متأثر لفراق ابنه ، وكان

صامتا كأنه أصبح لا يجد ما يقوله • فوجى ايفان بذلك ، وفال يحدث نفسه : « لا شك أن وجودى يضايقه منذ زمن ، • ومع ذلك فان العجوز حين شيع ابنه الى درجات الباب بدا متأثرا بعض التأثر وتظاهر بأنه يريد أن يقبله • ولكن ايفان أسرع يمد اليه يده ، راغبا في تحاشى القبلات رغبة واضحة لا تخفى على الناظر • أدرك أبوه ذلك ، فلجم الدفاعت وأمسان عن تقبيله ؛ وأخذ يقول مرددا من على درجات الباب :

_ كان الله فى رعايتك ، كان الله فى رعايتك • سوف تأتى لرؤيتى فى يوم من الأيام ، أليس كذلك ؟ أهلاً وسهلاً بك فى منزلى دائماً • اذهب ، وليكن المسلح معك !

ركب ايفان فيدوروفتش العـربة • وصـــاح أبوه يقول له مرة أخيرة :

ـ في أمان الله يا ايفان • لا تؤاخذ أباك !

وكان العخدم قد خرجوا للوداع • كان هناك سمر دياكوف ومارفا وجريجورى • أعطى ايفان كلاً منهم عشرة روبلات • وحين استقر ايفان في العربة أسرع سمر دياكوف يرتب الأغطية • فقال له ايفان فيدوروفتش وهو يضحك ضحكة عصبية صغيرة :

ـ أرأيت ؟ هأناذا ذاهب الى تشرماشنيا أخيراً!

وكما حدث بالأمس ، تساءل ايفان لماذا شعر بالحاجة الى أن يبلغ ممردياكوف ذلك ، ولقد ظل يتذكر هذا الامر كثيراً في المستقبل .

_ صحيح اذن أنه يلذ للمر، أحيانا أن يتحدث مع رجل ذكى ، كما يقول الناس .

هكذا أجاب سمردياكوف بصوت قاطع جازم وهو يغرس في ايفان فيدوروفتش نظرة نافذة ٠

تمحركت العربة ، وانطلقت تعدو • كان المسافر في البداية في حالة نفسية مضطربة ، وكان ينظير إلى ما حوله بشم اهة ، متاملاً الحقول والروابي والأشجار • ومر ً سرب من الأوز البرى فوقه ، محلقاً في السماء الصافية • فاذا بايفان يشعر بسعادة خفيفة على حين فحالة • فخاطب الحوذي ، واهتم اهتماماً قوياً بجواب أجابه الحوذي ، ومع ذلك رأى بعد بضعة لحظات أن الضجه قد حالت بينه وبين سماع كلامه ، وانه لم يدرك ما أراد هذا الموجلك أن يقول له • ولكنه صمت راضاً • الهواء نقى طرى ، نشيط بعض النشاط ، والسماء صافة لا غيوم فيها • وفي لحظة ما خطر بباله ألبوشا وكاترين • ولكنه ابتسم ابتسامة رفيقة ، وتنهد على الطفين العـزيزين اللذين غـابا ، وحدث نفســه قائلاً : ســوف أراهما » • ولم يلمث أن وصل الى محطة العربات• فأبدلت خله ، واستأنف طريقه الى فولوفيا • سأل ايفان نفسه فجأة : « لماذا قال لى انه يلذ للمرء أحيانا ان يتحدث مع رجل ذكى ؟ ماذا كان يعنى بذلك ؟ ، • واستغرق هذا السؤال فكره استغراقاً كاملاً • « ثم ما كانت حاجتي الى ابلاغه انني ذاهب الى تشرماشنا ؟ » • ووصــــلت العربة أُخيراً الى فولوفيا ، فنزل ايفان • أحاط به أصحاب العربات ، فناقشهم وسياومهم ، وانتهى الى تحديد أجر ايصاله بخبول ممتازة الى تشرماشنيا التي تبعد مسافة اثني عشر فرسخاً في طريق زراعي • أمر بأن تُـقرن الحبل ، ثم دخل الى المحطة ، فألقى نظرة على القاعة ، ثم اذا به يخرج فيقف على درجات الىاب ويقول :

مان أذهب الى تشرماشنيا • قولوا لى يا شباب : هل يمكنني أن أدرك قطار الساعة السابعة ؟

- ــ ستدركه هل نقرن الخلل ؟
- ـ اقرنوها فوراً هل منكم أحد يذهب الى المدينه غداً ؟
 - _ طبعاً مترى ذاهب اليها •
- _ هل لی منك بعجمیل تصنعه لی یا متری ؟ اذهب الی أبی فیدور بافلوفتش كارامازوف ، وفل له اننی لم أذهب الی تشرماشنیا. هل تستطیع أن تفعل ذلك ؟
 - ــ لم لا ؟ انني أعرف فيدور بافلوفتش منذ زمن طويل ٠
 - ـ خذ هذه المكافأة ، لأن من الجائز أن لا يعطيك شبتاً .

قال ایفان ذلك و هو یضحك فرحاً • فأجابه مترى و هو یضحك.

ـ طبعاً • أنا أعرف أنه لن يعطيني شــيئاً • شكراً يا سيدى • سأذهب الله حتماً •

فى الساعة السابعة من المساء ، استقر ايفان فى حافلة القطار الذى أقله سريعاً الى موسكو ، « ألا فليبتعد عنى الماضى ! لقد قطعت صلتى الى الأبد والعالم الذى عشت فيه ، ولا أريد بعد اليه م أن أتذكره ! ألا فليختف هذا الماضى من نفسى ! ألا فلينقطع عن الوصول الى مسمعى أى نداء من الحياة التى أبارحها ! اننى أسافر لا ألوى على شىء ولا النفت الى وراه ! هيا الى مستقبل جديد ، الى أمكنة مجهولة ! » بهذا كان ايفان يحدث نفسه ، ولكنه بدلاً من أن يشعر بالفرح ، أحس بمضضى شديد يقبض صدره ، وامتلأ قلبه بحزن أليم لم يشعر بمثله من قبل، ظل طوال يقر ويتأمل ، وسط قرقعة القطار الذى كان يجرى بسرعة كبيرة ، وعند الفجر ، بينما كان القطار يقترب من موسكو ، خسرج ايفان من

خدره فبجأة ، ودمدم يقول :

_ أنا انسان تسيس !

أما فيدور بافلوفتش فقد نبعر بسعادة كبيرة بعد أن ودَّع ابنه ، وظل خلال ساعتين في حالة قريبة من الهناءة والغيطة ، يفرغ في جوفه قدحاً من الكونياك بين الفينة والفيئة • غير أن حادثاً أليماً قد حدث في المنزل بعد ذلك ، فاذا هو يبدل الحالة النفسية التي كان عليها العجوز تبديلاً كاملاً ، وإذا هو يغرقه في اضطراب شديد • أن سمر دياكوف الذي ذهب الى القبو قد سقط من على أول درجة ، وتدحرج الى أسفل الدرج • ومن حسن الحظ أن مارفا اجناتفنا كانت في فناء المنزل عندثذ ، فعرفت هذه النازلة التي وقعت • انها لم تدرك ضحة السقوط ، ولكنهما سمعت تلك الصرخة الغريبة الخاصة التي تعرفها منذ عهد بعيد ، أعني الصرخة التي تنطلق من صدر المريض بالصرع عند أول النوبة • لقد كان يستحيل أن يعرف أحد هل وافت النوبة سمردياكوف حين وضم قدمه على السلم فكان لا بد أن يتدحرج الى آخــر الدرجات لأنه أغمى عليه ، أم أن السقوط والارتجاج الذي نشأ عن السقوط هما اللذان سببا له نوبة الصرع • المهم على كل حال ان ســـمردياكوف و ُجد في قاع الكهف تهزء تشنجات قوية ويبخرج من فمه زبد . وقد ظنَّن في أول الأمر أنه قد جُرح حين سقط ، وأن ساقه أو ذراعه قد كسرت ، ولكن تستَّن أن « الله قد سلَّمه » على حد تعبير مارفًا اجناتفنا ، فلم يُنصب بأي أذى • ومع ذلك كان نقله من القبو الى الهواء الطلق شاقاً • وقد أمكن نقله أخيراً بفضل الجبيران الذي هرعوا يسمماعدون • وحضر فيدور بافلوقتش مهمة النقل بل وساعد في حمل المريض ، وهو يشعر بقلق شدید واضطراب عظم •

ظل سمر دياكوفُ غائبًا عن وعيه • وكانت التشنجات تنقطم أحيانًا

ولكنها ما تلبث أن تعود بعد قليل • وأجمع الرأى على أن الأمور ستجرى في هذه المرة كما جرت في السنة الماضية حين سقط سمر دياكوف من طابق الشونة • وتذكروا أن الدكتور هرتسنشتوبه قد وصف له حنذاك ثلجاً يوضع على جبنه ، وكان ما يزال في القبو بعض النلج ، فتولت مارفا اجناتفنا أمر العناية بالمريض، حتى اذا كان المساء استدعى فيدور بافلوفتش الدكتور هرتسنشتوبه ، فلم يلبث الدكتـور أن جاء ، فبعـــد أن فحص المريض فحصاً دقيقاً (وهو أكثر أطباء المنطقة دقة وأشدهم عناية ، كما أنه من أحق الناس بالاحترام ، وقد طعن في السن كثيرا) ، أعلن أن النوبة خطيرة يمكن أن « تعرض الحياة للخطر » ، وأضاف الى ذلك أنه لم يفهم العجالة كثيرًا بعد ، ولكنه سيرجع من الغد ، فيُصف دواءٌ جديدًا اذًا اتضــــع أن الاجـــراءات السابقة لم تجــــد المريض نفعاً • وأ'رقد سمر دياكوف في ملحقات المنزل، في غرفة تتاخم غرفة جريجوري ومارفا اجناتفنا • وفي أثناء ذلك النهار عرف فيدور بافلوفتش سلسلة متصلة غير منقطعة من المكدرات والمنغصات ، أولها وجبة الطعام التي أعدتها مارفا اجنانفنا والتي كان حساؤها ، اذا قيس بحساء سمر دياكوف ، لا يفضل كثيرًا ﴿ مَاءُ الغَسَيْلِ ﴾ ، أما لحم طبورها فكان من القسوة بنحيث لا يمكن مضغه ؟ وحين لام رب المنزل مارفا اجناتفنا على ذلك لوماً مراً وان يكن مسوَّغاً ، أجابت المرأة بأن الدجاجة عجوز ، كما أنها هي مارفا لم توظف في منزل رب البيت طباخة ! وفي الساء حلَّ بفيدور بافلوفتش مكدِّر جدید : أُبلغ أن جریجوری ، وهو مریض منذ یومین ، قد لزم سریره وأن مرض اللمباجو الذي يعاني منه قد جمَّده تماماً • وأسرع فيدور بافلوفتش يحتسي شايه ، وسبحن نفسه في المنزل وحيدا ٠ انه في حالة ترقب مهموم مغموم ، وانه لمضطرب اضــطرابا شديدا . فهو يعتقد أن جروشنكا ستأتي في هذا المساء نفسه ، وهـــو يكاد يكون من ذلك على يقين ، لأن سمر دياكوف قد أكد له في ساعة مبكرة من الصباح « أنهيا وعدت بالمجيء هذه المرة » كان قلب العجوز الفاسق يحفق خفقانا يكاد يحطم صدره ، وهو يمشى بلا توقف خلال غرفه المقفرة ، مصيخا بسمعه الى كل ركن من الأركان ؛ ذلك أن عليه أن يكون يقظاً كل اليقظة ، لأن من الجائز أن يرقب دمترى فيدوروفتش مرور المرأة الشمابة ، فمتى قرعت النافذة (وكان سمر دياكوف قد أكد لفيدور بافلوفتش ، منه يومين ، أنه قد ذكر لها أين ومتى يجب عليها أن تقرع) كان عليه أن يهرع الى الباب لا يضيع لحظة واحدة ، ولا يجعلها تنتظر في غير داع يهرع الى الباب لا يضيع لحظة واحدة ، ولا يجعلها تنتظر في غير داع الى انتظار ، لأنها قد تخاف في الظلام فتهرب لا سمح الله ! كان فيدور بافلوفتش قلقا اذن ، ولكن نفسه لم يهدهدها في يوم من الأيام أمل أعذب من هذا الأمل : ألم يكن في وسعه أن يؤكد بما يشبه اليقين أنها ستأتى أخيراً في ذلك اليوم ؟!

الباب السادس: والراهب والروسي

لالتشبيخ زوكسيما وحنب يوفها

أليوشا غرفة الشيخ قلقاً فد هـد ً قلبه الألم ، ولكنه توقف على العتبه وقد استبدت به دهشت قوية : فانه بدلاً من أن يرى المريض المحتضر الذي لعله غاب عن وعيه ، رأى النسيخ جالساً

فى مقعد ، صحيح أن وجه الشيخ مرهق من التعب ، ولكن هذا الوجه ما يزال بعبر عن الشجاعة والمرح ، وقد تبحلق حول الشيخ زوار كان الشيخ بحادثهم وديعاً هادئاً رابط الجأش فرحاً ، والحق أنه لم ينهض الا قبل وصول أليوشا بربع ساعة ، أما الزوار فكانوا قد اجتمعوا فى الحجرة مئذ زمن طويل ، منتظرين صحوة الشيخ ، لأن الأب بائيسى كان قد أكد لهم أن «المعلم سينهض حتماً من أجل أن يتحدث آخر مرة الى أحبة قلبه، كما أعلن ذلك هو نفسه ووعد به فى هذا الصباح ، » ، ان الأب بائيسى يؤمن بهذا الوعد ، ويؤمن بكل ما قد يقوله الشيخ المحتضر ، وقد بلغ من قوة ايمانه أنه لو رأى الشيخ هامداً لا يتحرك ولا يتنفس ، لما صدت ق أن النسخ مات ، ما دام الشيخ قد وعده بأنه سينهض مرة أخرى ليودعه ، أن النسخ مات ، ما دام الشيخ الى الحياة براً بوعده ، وقد صر ح له الشيخ زوسيما بوضوح كبير فى الصباح ، قبل أن ينام « انه لن يموت الا بعد أن

يسعد مرة أخرى بالتحدث الى أعزته ، وبعد أن يرى من جديد تلك الوجوء التي أحبها، وبعد أن يفتح قلبه لهؤلاء جميعا آخر مرة، والذين اجنمعوا لسماع ذلك الحديث الذي يغلب على الظن أنه آخر حديث ، انما كانوا أقدم أصدقاء الشيخ وأشدهم اخلاصاً له. انهم أربعة : الراهبان الكاهنان جوزيف وبائيسي ، والأب ميشيل ، رئيس رهبان المنســـك ، وهو راهب كاهن أيضاً ، ما يزال شابًا بعض الشباب ، متواضع الأصل ، ليس على جانب كبير من العلم ، ولكنه صلب النفس ، قـوى الايمان بسيط ساذج ؟ ولئن كان قاسي المظهر ، فان في قلبه حساسية عميقة يحاول أن يكبتها حياء " وخمجلا " • أما الزائر الرابع فهو الأخ آنتيم ، وهو راهب قصير ، طاعن في السن شديد التواضع ، قد خرج من بيئة فلاحين فقراء ، لا يكاد يعرف القراءة والكتابة ، رقيق دائماً ، صــموت يندر أن يكلم أحداً • وهو خاضع مذعن أكتر من أي انســان آخر ، وكأن عظمة الوجود الرهبية التي لا يستستطيع فكره أن يرقى البها فد روَّعته الى الأبد • لقد كان الأب زوسما يحب هـــذا الراهب المرتعد الخائف حمًّا كثيراً ، وقد أظهر له خلال حماته كلها احتراماً عظماً ، رغم أنه ليس في هذا العالم الا قلة من الناس كان يمكن أن يخاطبها أقل مما يخاطب هذا الراهب المتواضع • ولقد عاش في صحبته مع ذلك سنين كثيرة ، لأنه طاف معه جميع أرجاء روسيا المقدسة • حدث ذلك منذ زمان بعید ، منـذ ما یقرب من أربعین عاماً ، أیام کان زوسیما یبدأ حياة الرهبنة بين جدران دير مظلم فقير في مقاطعة كوستروما • فبعد أن دخل زوسيما ذلك الدير بزمن كثير ، كُلِّتُف بأن يرافق الأخ آنتهم في جولاته لجمع الصدقات لهذا الدير الفقير .

كان هؤلاء الزوار جالسين في حجرة الشيخ الثانية ، أعنى الحجرة التي كان يتخذها مهجماً له ، والتي كانت كما ذكرنا ضيقة " جدآ ، تبلغ

من الضييق أن الرهبان الأربعة (والراهب المبتدى، بورفير الذى ظل واقفاً) ولم يكادوا يجدون فيها متسعاً لهم. لقد جاءوا بكراسيهم من الغرفة الأخرى وصفوها حول مقعد الشيخ • كان الغسق يهبط ، وكانت تضىء الغرفة مصابيح الزيت والشموع الموقدة أمام الأيقونات • فلما لمح الشيخ أليوشا الذى لبث واقفا على عتبة الباب من شدة اضطرابه ، ابتسم له ابتسامة فرحة ومداله بده قائلاً له:

ے طاب یومك یا بنی الطیب ، یاعزیزی ألیوشا الودیع • أجئت اذن ؟ لقد كنت أعلم أنك ستجیء!

فاقترب أليوشا منه ، وانحنى له حتى الأرض ، وأجهش باكياً . كان شيء "ما يتمزق في قلبه ، وكانت نفسه منقبضة "انقباضاً شديداً ، فهو يتمنى أن ينفجر ناشجاً .

قال الشبخ مبتسما وهو يضع يده اليمني على رأس أليوشا :

ما بك ؟ لمَّا يحن حين البكاء على تبعد ، هأنت ذا ترانى أتحدث في هدوء ، ومن يدرى ؟ فقد أعيش عشرين عاما أخرى كما تمنت لى ذلك بالأمس تلك المرأة الطيبة العزيزة التي جاءت من فيشيجوريا وكانت تحمل بين ذراعيها صغيرتها اليزابث ، اسأل الله أن يحرس الأم والبنية ! (رسم الشيخ اشارة الصليب وهو ينطق بهذه الكلمات) ، أهل حملت قرشها يا بورفير الى حيث قلت لك أن تحمله ؟

كان الشيخ يشير الى مبلغ الستين كوبك التى تصدقت بها أمس تلك المرأة الفرحة المعجبة بالشيخ من أجل أن يهبها « لمن هو أفقر منها » • ان الصدقات التى من هذا النوع انما يتصدق بها أصحابها فى العادة على أثر نذر ينذرونه أحرارا فلا بد لهم من اقتطاعه من حصيلة عملهم • وقد أمر الشيخ فى ذلك المساء نفسه بأن يحمل بورفير هذا المبلغ الزهيد الى

امرأة فقيرة من ساكنات المدينة ، هي أرملة لها ولدان قد احترق منزلها في الآونة الأخيرة فأصبحت منفذ ذلك الحين تستعطى لتعيش ، أسرع بروفير يقول انه نفذ الأمر فأعطى المرأة الفقيرة ذلك المبلغ قائلاً انه من محسنة لم تشأ أن تذكر اسمها » .

تابع الشيخ كلامه يقول لأليوشا:

ـــ انهض یا صدیقی العزیز لأراك قلیلاً • هل ذهبت الی ذویك ، وهل رأیت أخاك ؟

دُ هش أليوشا من سؤال الشيخ عن أحد أخويه بمثل هذا الالحاح. ولكن أى الأخوين يقصد ؟ هل يُستنتج من ذلك أن الشيخ انما أرسله الى المدينة أمس واليوم بسبب هذا الأخ ؟

أجاب أليوشا قائلاً :

ــ رأيت أحد أخوى ؟

_ أقصد أخاك الأكبر ، أخاك ذاك الرهيب الذي سجدت له أمس .

ـ ذاك لم أره الا أمس ، ولم أستطع أن ألقاه اليوم .

- حاول ن تهندى اليه بسرعة • عد الى المدينة من الغد لرؤيته • دع كل شيء، ولكن رتب أمورك لادراكه • ربما كان لا يزال في الوقت منسع لتجنب مصببة • لقد الحنبت أمس للآلام الكبرى التي تنتظره •

وصمت الشيخ فجأذ ، وشرد فكره كأنه يحلم ، لقد كانت أقواله غريبة ، وهذا هو الأب جوزيف الذي شهد بالأمس تحية الشيخ لدمتري يبادل الأب بائيسي نظرة ، ولم يستطع أليوشا أن يتمالك نفسه ، فصاح يقول وقد استولى علمه انفعال شديد :

ــ أبى ومعلمى ! ان ما فلته الآن يبدو غامضاً مسرفاً فى الغموض ••• ما هى المحن التي تنتظره ؟

- لا تحاول أن تعرف ذلك و لقد تراءى لى بالأمس أتنى أدرك نيئاً رهيباً وو لقد قرأت مصيره فى نظرته و رأيت فى لحظة معينة تعبيراً لو خاصاً فى عينيه وو تعبيراً أرعشنى بسبب المصير الذى يهىء هذا الانسان له نفسه و سبق لى مرة أو مرتين فى الماضى أن لاحظت ذلك التعبير فى نظرة الناس انعكاساً لمصيرهم المقبل ، فتحقق ذاك المصير وا أسفاه! ولقد أرسلتك اليه يا أليوشا آملا أن تستطيع كلمة أخوية أن تساعده بعض المساعدة ولكن مصيرنا جميعا هو بين يدى الرب و ان لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ، ولكن ان ماتت تأتى بشمر كثير ه * احفظ هذه الحقيقة و أما أنت يا أليوشا فكنيراً ما باركتك فى فكرى بسبب تعبير وجهك (كذلك أضاف الشيخ يقول وهو يبتسم فى العالم كراهب و سيكون لك أعداء كثيرون ، ولكنهم سيحبونك تعيش فى العالم كراهب و سيكون لك أعداء كثيرون ، ولكنهم سيحبونك هم أيضا و ان الحياة تخبىء لك آلاماً كثيرة ، ولكنك بهذه الآلام انما هم أيضا و الثىء الأساسى و ذلك هو رأيى فيك وحكمى عليك و

ثم النفت الشيخ الى زواره فقال يخاطبهم وهو يبسم ابسامة ودوداً:

_ یا آبائی ومعلمی می اننی لم أقل الی الآن حتی لهذا الفتی لماذا یستعذب قلبی وجهه • فسأسر الیکم الآن بهذا • کنت أری فی قسماته ذکری الماضی و تذیر المستقبل • ففی فجر حیاتی ، حین کنت لا أزال فی سن الطفولة ، کان لی أخ أکبر مات أمام عینی فی ریعان شیابه ولماً یکمل

السنة السابعة عشرة من عمره • ولقد رسخ في اعتقادي أثناء حساتي ، شيئًا بعد شيء ، أن هذا الأخ قد كان له في تحديد مصيري دور حاسم ، وأنه كان لى نذيراً واشارة من الملأ الأعلى ، ويقيني أنني لولاء لما سرت في طريق الرهنة ولا اخترت الدرب الذي قادني الى السعادة • أن هذا التجلي الأول للعناية الالهية قد حدث في فجر أيامي، وهأناذا أرى تكرره في خاتمة المطاف من طريقي • انه لشيء بارز ، يا آبائي ومعلمي ً ، أن ألكسي الذي لا يشبه أخي ذاك كثيرا بوجهه ــ فانه لسن له منه الا بعض السمان الخارجية ـ قد بدا لى شبيها به كل الشبه من الناحية الروحية ـ وياطالما حسبته ذلك الأخ المراهق نفسه الذي كان لى في الماضي وقد آب اليُّ الآن أوبة ً سرية في أواخـــر أيامي ذكري من الماضي ونداء ً الى التَّامِل ، حتى لقد د مشت أنا نفسي في بعض الأحمان من غرابة هــــذه الظاهرة ودهشت من غرابة الحلم الذي كان يغرقني فيه • هل تسمعني يا بووفير ؟ (كذلك قال يخاطب الراهب المبتدىء المكلف ببخدمته) • كم من مرة الاحظت فيك تعبيراً عن المحزن الأنني أحب ألكسي أكثر مميا أحبك • فهأنت ذا تعرف سبب ذلك الآن • ولكن اعلم أنني أحبك كثيرا أنت أيضًا ، وطالمًا أحزنني حزنك . يا ضيوفي الأعزاء ، اسمحوا لي أن أحدثكم عن أخى الفتى ذاك ، لأننى لم أعرف في حياتي طيفاً أحب من طيفه الى قلبي ، ولا أشد تأثيراً في نفسي ، ولا أصـــدق نبوءة " في كل شأن من شئوني • ان قلبي ممتلىء به في هذه اللحظة ، لأنني أرى فـــه حياتي مرة أخرى رؤية كاملة كأنني أعيشها من جديد ٠٠٠

يجب أن أنبه القارىء هنا الى أن هذا العديث الأخير الذى أجراه الشيخ مع أصدقائه الذين تحلقوا حوله فى آخر يوم من أيام حياته قد حُفظ بعضه مكنوبًا • ذلك أن ألكسى فيدوروفتش كارامازوف قد سيجله بعد موت الشيخ بقليل • لا أستطيع أن أقطع على وجه اليقين بأن ما رواه

ألكسي هو نص ذلك الحديث تماما ، وأن ألكسي لم يضـف الى النص فقرات استمدها من أحاديث سابقه لمعلمه • ويجب أن تلاحظ من حهه أُخْرِي أَنْ مَا سَجَلُهُ الْكُسِّي يُوهِم بِأَنْ الشَّيْخِ قَدَّ أَلْقِي خَطَابًا مُتَصِّلاً حَتَّى يروى قصة حياته لزواره ، مع أن الشهادات تجمع على أن الأمور جرت في الواقع مجرى آخر يختلف عن هذا المجرى بعض الاختلاف فيذلك المساء • فالحديث قد كان عاما ، ورغم أن أصـــدقاء الشيخ لم يقاطعوه كثيرا ، فقد تدخلوا في الحديث يضبفون كلمة شـــخصة وملاحظات شخصية وربما مساراً ات عن حياتهم هم • ثم انه لم يكن من المكن أن يتكلم الشيخ بلا توقف ، لأن أنفاسه كانت تتقطع دائما ، ولأن صوته كان يضعف على حين فجأة ، ولقد اضطر مرارا أن يمضى الى سريره يستريح عليه مفتوح العينين بينما ضيوفه في أماكنهم لم يبارحوها • ولقد تمخللت الحديث ، مرة ً أو مرتبن ، قراءة آيات في الأناجيل قرأها الأب بائيسي جهرًا • ويجب أن نذكر أن أحداً من الحضور لم يتنبأ بأن الشيخ سيموت في تلك اللبلة نفسها ، لا سما وأنه قد بدا علمه في ذلك المساء الأخـير أنه قد استرد قوة جديدة على أثر نومه أثناء النهار ؟ وهذه القوى التي استردها على هذا النحو قد شدت أزره وعززت عزيمته طوال الحديث الذي أجراه مع أصدقائه • كان ذلك أشبه بوقدة أخيرة من الحياة أذكت روحه اذكاءً قوياً ، ولكنها أذكتها وقتـاً قصيراً جداً ، لأن روحه فاضت دفعة " واحدة على حين فجأة • وعن هذا سأتكلم فيما بعد على كل حال• أما الآن فحسبي أن أقول انني آثرت أن أستقط التفاصيل من هسذا الحديث ، وأن أقتصر على ما رواه الشيخ ، معتمدًا على المخطوطة التي خلفها ألكسي فندوروفتش كارامازوف • فذلك أقرب الى الاينجاز وأبعد عن الاملال ، رغم أن ألبوشا ، كما سبق أن قلت ذلك ، قد ضمَّن مادو ُّنه فقرات كثيرة استمدها من أحاديث سابقة له مع الشبيخ •

حياة الكيشيخ نروسيما ،مستمدة من الكسارّ لات الهيّ جعها وو وخا الفكسي فيرورفتش كارالمازون

(أ) آخو الشيخ زوسيما

ومعلمى الأحبة ! ولدت بمدينة ف ٠٠٠ فى مقاطعة نائية بشمال روسيا ٠ كان أبى من طبقة النبلاء ، ولكنه من صغار النبلاء ، ولم يكن يحتل رتبة عالية فى سلم رتب الدولة ٠ وقد مات ولماً



أتجاوز السنة الثانية من عمرى ، فليس فى ذهنى أية ذكرى عنه ، وقد ترك لأمى منزلاً من خشب ، ليس بالكبير ، وترك لها رأس مال متواضعاً، ولكنه كاف لأن تعيش مع أولادها فى منجى من العوز ، كنا ولدين ، أخى الأكبر ، مارسيل، وأنا ، زينوفى ، كانأخى أكبر منى بتمانية أعوام ، وكان جامح الطبع شديد النزق ، ولكنه كان طيب القلب ، لا يستخر من الآخرين قط ، وكان كثير الصمت الى حد غريب ، ولا سيما مع ذويه ، أى معى ومع أمى ومع الخدم ، وكان فى المدرسة مجداً مجتهداً يبرهن على أنه ينعم بذكاء قوى ، ومع ذلك كان لا يألف رفاقه فى المدرسة كثيراً ، ولكنه لا يشاجرهم أيضا ، تلك هى على الأفل الذكرى التى حفظتها أمى عمر ، ، توثقت الصلة بينه وبين رجل كان يعيش فى مدينتنا حياة اعترال ، عمر ، ، توثقت الصلة بينه وبين رجل كان يعيش فى مدينتنا حياة اعترال ،

رجل يشمه أن يكون منفيًا سياسيًا ، لأنه 'أجبر على أن يغادر موسكو بأمر سام ، وأن يحدُّ د اقامته في مدينتنا بسبب آرائه اللبرالية • كان هــذا الرَجِل عالمًا كبيرًا وفيلسوفا تقدره الأوساط الجامعية قدرًا كبيرًا • وقد شعر بشعور الصداقه نحو أخى مارسيل ، لا أدرى لماذا ، فكان يستقبله كنيراً في منزله • فقضي أخي عند هذا الرجل سهرات طويلة ، على مدى فصل الشتاء كله ، الى أن استُدعى الرجل الى سان بطرسبرج بطلب منه ، لسُعهد الله بمنصب رسمي ، لأنه كان ذا صلات عالمة • كان هذا في وقت الصام الكبير ، وقد رفض أخى أن يصوم ، مستهزئاً بالعبادات متهكماً علمها مستخفاً بها محقِّرا لها ، حتى لقلد قال « هذه سلخافات وأباطيل وترهات ، لأن الله لا وجود له ، ، فما كان أشد رعبنا جمعاً من هــــذا الكلام ، أنا وأمى والخدم! لقسيد شعرت حين سمعت قوله ذاك بهول رهب ، رغم أنني لم أكن قد تجاوزت السنة التاسعة من عمري في ذلك الحين • وكان جميع خدمنا ، وهم أربعة فحسب ، أقناناً اشتريناهم من رجل من مالكي الأطيان كنا على صلة به • وما زلت أتذكر اليوم الذي باعت أمى فيه احدى خادماتنا ، وهي الطباخة العجوز العرجاء أوفيميا ، بسبعين روبلاً ورقاً ، واستخدمت بدلاً منها خادماً ليست من الأقنان • وها هو ذا أخى يُصاب بمرض أثناء الأسبوع السادس من الصيام الكبير. لقد كان أخي ضعيف البنية كثير المرض ، مستعداً للاصابة بالسل • انه قصير القد نحل القامة هزيل الحسم ، ولكنه وسيم الطلعة جميل الوجه. تُرى هل أصابه برد؟ المهم أن الطبيب الذي كان يعالجه قد أسر ً الى أمى خفية" أن مارسيل مصاب بسل يتفاقم تفاقمًا سريعا وأنه لن يعيش الى آخر الربيع • فأخذت أمى تبكى وتضرعت الى مارســـيل محاذ ِرةً" (حتى لا تروُّعه خاصة) أن يتناول القربان المقدس في عيد الفصح • ذلك أنه لم يكن قد اضطر بعد الى ملازمة الفراش • فأجابها أخى غاضبا وحقَّر الكنيسة وأهانها وشتمها ثم أطرق يفكر سارد اللب • لفد أدرك خطورة حالته حين رأى الحاح أمى عليه أن يذهب الى الكنيسة لتناول القربان المقدس ما دام لا يزال يملك من القوة ما يسمح له بذلك • بم انه كان يعرف منذ زمن طويل أنه مريض ، حتى لقد قال لنا منذ مايقرب من عام ، بينما كنا على المـــائدة أنا وهو وأمى : « اننى لن أعيش زمناً طويلاً ، وقد لا أكون معكم بعد سنة » • وها قد تحقق ما كان يوجسه • انقضت أيام ودخلنا الأسبوع المقدس • فاذا بأخي يذهب الى الكنيسه منذ صباح الشميلاناء قائلاً لأمى: « الني أذهب الى الكنيسة من أجلك أنت يا أماه ، وذلك حتى تطمئني بالا وتهدئي نفساً • ، • فبكت أمي ، فرحاً في, أول الأمر ، وحزياً وألماً بعد ذلك • وحدثت نفسها قائلة : « لا شك أن نهايته قرينة ما دام قد حدث هذ التبدل فيه ء • ولم يتح له أن يكثر من الذهاب الى الكنيسة ، لأنه اضطر الى ملازمة الفراش ، فصار يعترف ويتناول في المنزل • لقد جاء الفصيح متأخراً في ذلك العام • الأيام صافية مضيئة ، والهواء عبق معطَّر ، أذكــر أن أخي كان يسعل في جميــم الليالي ، ولا يكاد ينام • حتى اذا طلع الصباح ارتدى ملابسه وحاول أن يجلس على أريكة • وفي هذه الصورة انما أراه الآن : جالساً ، وديماً ، رقيقا ، مبتسما ؛ مريضا جدا ولكنه مرح جداً ، سعيد جدا في الظاهر • لقد تبدلت نفسه تبدلاً كبيرا ، فبدا لي هذا التبدل خارقاً • قالت له الخادم العجوز يوما : « اسمح لي يا بني العزيز أن أشعل شمعه أمام الأيفونة في غرفتك » • ما كان لأخى أن يرضى بهذا من قبل ، وربما نفخ على الشمعة فأطفأها • ولكنه قال يومئذ للخادم العجوز : « اشعلي يا عزيزتي ، اشعلي ! الأيقونة ، وأنا أيضا أصلتَى لله حين أنظر اليك ، لأن مرآك يبهج قلبي ، ونتحن كلانا نصلي اذن لاله واحد ٠ » • بدت لنــــا تلك الأقوال غريبةً"

حنذاك • وكانت أمي لا تنفك تبكي خفية ٢ وتجفف دموعها فبــل أن تدنو منه ، محاولة أن تصطنع هيئة فرحة • فكان يقـــول لها في بعض طويلاً ، ولسوف أبتهج معكم ، فجملة هي الحياة ، وزاخرة بالسمادة والفرح! » وكانت أمي تقول له عندتذ محتجة ً: « أين السعادة ، وأنت تصاب بالمحمى في كل ليلة ، وتسعل حتى ليكاد ينفجر صدرك ؟ » ، فيعود يقول لها : « لا تبكى يا أماه ، فالحياة جنة نحن فيها جميعا ، ولكننا لا نريد أن نعترف بذلك ، فلو ارتضينا أن نسلتِّم به لأصبحت الحياة جنة ً منذ اليوم ، • كانت هذه الأقوال تدهشنا ، لأنه كان يتكلم مقتنعاً بما يقوله اقتناعاً عجبياً • وكنا نتأثر من هذا الكلام تأثراً قوياً ، فتترقرق في أعيننا الدموع • وكان يزورنا بعض الأصبحاب فاذا هو يقول لهم : « يا أعزائي، يا أصدقائي الطبين ، ماذا فعلت حتى أستحق حبكم ؟ كنف تستطبعون أن تحبوا شاباً مثلي ؟ ولماذا لم أعرف من قبل كيف أفهم عاطفتكم وكيف أقدرها ٩٥٠ وكان يكرر للمخدم دائما قوله : « لماذا تحدمونني يا أصدقائي الأعزة الطبين ؟ ما الذي يحملني أستحق أن تخدمونني ؟ اذا من َّ عليٌّ الله فأبقاني حياً ، فلأخدمنتكم أنا ، لأن علينا أن يخدم بعضنا بعضا في هذه النحو ، فتقول له : «ان المرض هو الذي يوحي اليك بهذه الأفكار يابني»، فيجيبها قائلا : « أماه ، يا فرحة حياتي ! أنا أعلم أن العالم لا يمكن أن يوجد ما لم يكن هناك سادة وخدم ، ولكنني أتمنى أن أكون خادم خدمي، وأن أخدمهم كما يخدمونني ؟ وأحب أن تعلمي أيضًا ، ان كلاً منا مذنب في حق الآخرين ومسئول عن جميع آلامهم • وأنا أكبر ذنباً من سائر الناس! ٥٠ لم تستطع أمي أن تمنع نفسها من الضبحك حين قال لها هذا

الكلام • وكانت تبكي وتضحك في آن واحد • سـألته : « هلا ً فلت لي كيف تكون أكبر ذنبا من سائر الناس! ان العالم ملىء باللصوص والقتلة، يمكنك أن تتهم نفسك هذا الاتهام؟ ، • قال أخي: « أماه! ياحسلي الودبع! (ذلك أنه كان يبجد عندئذ ألفاظاً للملاطفة لا تخطر بالبال) ، يا فرحتى الكبيرة ، يا حمامتي اللطيفة ! أؤكد لك أن كل انسان في هذه الحياة الدنيا مرتكب جميع الذنوب ، في حق جميع انـــاس ! لا أدرى كيف أشرح لك هذا الأمر نم ولكنني أحسه ، أحسه احساسا قويا عنيفا الى حد " العذاب • كيف رضينا أن نعيش حتى الآن غاضبين بغير انقطاع، لا نفهم من الحاة شيئًا ؟ ، • وكان يستيقظ كل يوم وقد ازداد قلمه رقة وحنانا ، وطفحت نفسه فرحاً ومحمة • وكان الطسب العجوز آيسنشمدت، يعوده أحيانا • فسأله أخى ذات يوم ضاحكا : « هيه يا دكتور ! أأعيش الى الغد؟ » فأجابه الطبيب : « ستعيش لا الى الغد فحسب ، وانما ستعيش أياما وأشهراً بل وسنين • × ، فهتف عندئذ يقول : « ما خير أن يعش المرء أشــهرا وسنين ؟ ان يوما واحدا لكاف من أجل أن يعرفالانسان كل سعادة هذا العالم • يا أصدقائي الأعزاء! نحن مجانين اذ تنشاجر ونتباهى ويحقد بعضنا على بعض لاساءة نالته • ألا فلنخرج الى الحديقة فُنبتهج ويحب بعضنا بعضاً ! ألا فُليتغن كل منا بفضائل أخيه ! ألا فلنتعانق وتبارك الحياة ! » • قال الطبيب لأمى حين شيعته الى درج الباب : « لن يعيش ابنك طويلاً • لقد اختل من المرض عقله • ٪ • وكانت غرفته تطل على الحديقة الظليلة المليئة بالاشتجار الكبيرة التي نبتت على فروعها البراعم؟ وكانت أوائل عصافير الربيع التي وصلت منذ زمن قصير تزقزق وتغرد تحت نوافذه ، فكان يتأملها طويلا ويعجب بها كثيرا ، حتى لقد أخذ في ذات يوم يستغفرها هي أيضا قائلًا لها : «أيتها العصافس التي خلقها الله ،

أيتها الطيور الصغيرة ، اغفرى لى أنت أيضا ، لأننى أذنبت في حقك ! » وبدا لنا هذا أمرا لا سبيل الى فهمه قط ، وكان هو يبكى عطفاً وحناناً ، وقال شارحا : « نعم ، لقد كانت عظمة الله مسلوطة أمامى : الطيور والأشجار والمراعى والسماوات ، كان كل شيء يتغنى بعظمة الله ويسبح بحمده ، الا أنا ، فقد كنت أعيش في الخزى والعار ، مسيئاً الى شرف الخليقة ، لأننى لم أكن أدى جمال الحياة وسناهها ، » ، فكانت أمى تقول له باكية : « انك تتهم نفسك بخطايا كثيرة » ، فيقول لها : « أماه يا فرحة نفسى ، اننى من سعادة لا من حزن أبكى ، وددت لو أكون مذنباً في حق العصافير الصغيرة ! لا أسلطيع أن أشرح لك هذا ، مذنباً في حق العصافير الصغيرة ! لا أسلطيع أن أشرح لك هذا ، لا أعرف كيف أشرح لك حبى اياها ، ألا فلأكن مذنباً في حقكم جميعا ، فنغفروا لى عندئذ جميعا ، تلك هي الجنة ، ألست الآن في الحنة ؟ » ،

وكان يقول أشياء أخرى أصبحت لا أتذكرها • دخلت ذات يوم الى غرفته وكان وحده • كان ذلك في المساء بموالجو صساح مضيء به والشمس الغاربة تغرق الغرفة بأشعتها المائلة • فلما رآني أشار الى أن اقترب ، ثم وضع يديه على كتفي وتأملني طويلا متفرساً في عيني ، وفد بدا في وجهه حب وحنان وانقضت على ذلك دقيقة دون أن ينطق بكلمة ثم أسبل يديه وقال لى : « هيا العب الآن وابتهج! انني أريد أن تحيا عني ! » • خرجت ومضيت ألعب ؟ ولكنني كثيرا ما فكرت أثناء حياتي ، والدموع في عيني ، في هذا الامر الذي أصدره الى أي وهو أن أحل محلة في هذا العالم • وفي مرات كثيرة بعسد ذلك عبر عن عواطف رائعة سامية رفيعة ، لم نكن نفهمها كثيرا في ذلك الحين • وانطفاً في ورغم أنه أصبح لا يتكلم في أواخر أيامه ، فقد ظل على ما كان عليه حتى ورغم أنه أصبح لا يتكلم في أواخر أيامه ، فقد ظل على ما كان عليه حتى

النهاية ، ينتظر الينا سعيدا فرحا مبتسما ، ويبحث عنا وينادينا بعينيه ، وقد تكلم الناس عن موته كثيرا في مدينتنا ، وأثر هذا الحادث في نفسي ولكن بدون افراط ، وان أكن قد ذرفت دموعا سخينة يوم الجنازة ، لقد كنت صغيرا جدا ، كنت طفلا ، ولكن ذكرى هذا الأخ ستظل قائمة في أعماق قلبي ، لتنتصب أمامي متى آن الأوان ، نداء من الملأ الأعلى ، هكذا جرت الأمور فعلا ،

ب ـ أثر الكتب المقدسة في حياة الاب زوسيما *

بقیت وحیدا مع أمی و ولم یلبت أصدقاء طیبون أن قالوا لها انها ته تحسن صنعاً ، بعد أن لم یبق لها الا ابن واحد ، وما هی محرومة من الموارد ، أن ترسل هذا الابن الی سان بطرسبرج للدراسة ، علی غرار ما تفعل أسر نبیلة أخری ؛ وأكد هؤلاء الأصدقاء أنها ، اذا هی احتفظت بابنها الی جانبها فی مدینة صغیرة ، تعر صه للحرمان من مستقبل لامع و أقنعوا أمی أخیرا بأن تسبجلنی فی ه مدرسة المرشعین ، ببطرسبرج ، لأكون فی المستقبل ضابطا من ضباط الحرس الامبراطوری وقد ترددت أمی كثیراً فی العزم علی فراق ابنها الاخیر ، ولكنها اتخذت قرارها أخیرا فرهی تبکی، معتقدة آنها بذلك تؤمین سعادتی و وقادتنی الی سان بطرسبرج فالحقتنی بمدرسة الاعداد العسكری هذه ، ثم لم أرها منذ ذلك الحین ، فألها ماتت بعد ثلاث سنین ؛ وهی فی أثنیاء تلک الفترة لم تنقطع عن فالبکاء حزناً علی ابنها الفقید ، ولا انقطعت عن الارتعاد قلقاً علی مصیر البکاء حزناً علی ابنها الفقید ، ولا انقطعت عن الارتعاد قلقاً علی مصیر ابنها الباقی ، وقد احتفظ خیالی بذکریات مضیئة عن المنزل الذی عشت أمی ، لأن أصفی مشاعر القلب الانسانی هی المشاعر التی یکون قد أحسیها فی سنی طفولته ، الأمر كذلك دائماً متی كان الحب والوقاف قیه مع أمی ، لأن أصفی مشاعر القلب الانسانی هی المشاعر التی یکون قد أحسیها فی سنی طفولته ، الأمر كذلك دائماً متی كان الحب والوقاف أحسیها فی سنی طفولته ، الأمر كذلك دائماً متی كان الحب والوقاف

مسطرين على حاة الأسرة • ولكن ذكريات الطفولة يمكن أن تكون ذكريات سعيدة حتى في الأسر الممزفة متى كانت النفس فادرة على أن ترى وأن تجنى من عناصر الوجود ما هو طيب نبيــــل • ولقد ارتبطت الكتب المقدسة بذكريات طفولتي ، لأنني كنت أهتم بها أثناء طفولني في المنزل اهتماما كبيرا • كنت أملك كتابا فيه صور جميلة عنوانه : « مانه وأربع قصص مستمدة من التوراة والانجبل » * ، وفي هذا الكتــاب انما تعلمت القراءة • وما يزال هذا الكتاب عندى حتى الآن • هو هنـــاك على الرف ، وأنا أحافظ عليه محافظتي على أثر ثمين جدا من آثار الماضي. على انني أتذكر أن الانفعال الديني الأول الذي شعرت به * انها كان قبل تعلمي القراءة ، ولم أكن قد تجاوزت التامنة من عمري حينذاك . لقد قادتني أمي الى الكنيسة للصلاة في «أسبوع آلام السيد المسيح» (لا أدري الآن أبين كان أخي حسٰــذاك) ، وكان ذلك في يوم من أيام الاثنين • النهار صحو ، والشمس ساطعة ، وما زلت أرى حتى هذه اللحظة ، كأن الأمر قد وقع أمس ، ما زلت أرى أدخنــة البخور تتصاعد بطبئة نحــو القبة ؛ وفي أعلى الكنيسة كانت أشعة شمس الاله تنفذ من نافذة ضبقة هابطة تحونا ، فكانت أدخنة البخور كأنها تندفع لاستقبالها أمواجاً منسقة، ثم تنصهر في الضياء الذهبي أخيرا • كنت أتأمل هذا المشهد معجماً ، وأحسست أن بذرة « كلمة الرب » تغرس فى نفسى • وتقدم مراهق الى وسط المعبد • كان يحمل كتـاباً كبيرا يبلغ من الثقــل أن الفتى كان يبدو أنه ينوء بحمله • وضع الفتي الكتاب على منضدة الترتيل؟ ثم فتحه وأخذ يقرأ • فهمت في ذلك اليوم ، لأول مرة في حياتي ، ما يُـقرأ في الكنيسة : كان يعيش في أرض عوص رجل تقى صالح يملك ثروات طائلة ، ونوقاً لا حصر لمددها ، وقطعان خراف وحمير . وكان أولاده سعداء فرحين ، وكان يحبهم كثيرا ، ويصلي من أجلهم للرب • هــل ارتكب هؤلاء الأولاد خطيئة ما في سعادتهم ؟ ذلك أن ابليس مل يوما أمام الرب وقال له انه طاف الارض كلهـا وما تبحت الارض • فسأله الرب: « هل رأيت عبدي أيوب ؟ » • وتباهي الرب أمام ابليس بقداسة عبده العظيم أيوب • ولكن ابلس ضحك وأجاب : ه مكَّني منه فترى أنه سيعصبيك وسيلعن استمك ، • فمكَّن الرب ابليس من عبده الأمين الذي كان يهجمه الرب كتيراً ؟ فضرب لشبطان فطعانه ، وضرب أولاده ، ودمر ثرواته ، وأرسل اليه جميع المصائب دفعة واحدة ، كأن صاعقة من عند الله قد نزلت على داره • مزَّق أيوب ثبابه ، وارتمى على الارض صائحاً : « لقد خرجت من بطن أمي عاريا ، وعاريا سأعود الى الارض • وهب الرب لي كل شيء ، والرب يسترد ما وهب • تبارك اسم الرب ، الآن وفي كل حين » • يا آبائي ومعلميٌّ ، ســامحوني اذا رأيتمــوني أسكب العبرات في هذه اللحظة • ان طفولتي تنبتق الآن أمامي ، حتى ليخيل الى أتني أتنفس كما كنت أتنفس في طفولتي بذلك الصدر الصغير، صدر الطفل الذي لم يتجاوز السنة الثامنة من عمره • ان ذلك الانفعال مدهوش مفتون كما كنت مدهوشا مفتونا في ذلك اليوم البعيد بالكنيسة. لقد أحدثت تلك النوق تأثيرا قوياً في خالي ، وأذهلتني قصة الشيطان الذي كلم الرب ، وشدهني قرار الرب أن يمكِّن الشيطان من عبده الأمين ، وكذلك هناف العبد مخاطباً ربه : « تيارك اسمك ، رغـم أنك تعاقبني » • ثم تصاعدت في الكنيسة أغنية رقيقة جدا : « سمع الله لصلاتي » • وارتفعت أدخنة البخور ، وركع المصلون • ومنذ ذلك الحين أصبحت لا أستطيع أن أقرأ تلك القصة المُقدسة _ وقد حدث لي هذا أمس أيضًا ــ الا وتنسكب الدموع من عيني • ما أروع العظمة والسرُّ المخارقين اللذين ينبعان من هذا النص! لقد اتفق لي أن سمعت نقداً

لهذا النص من أناس يقبِّحون الدين ويلبونه ، أناس أعماهم غرورهم وصلفهم ، فهم يسخرون مما لا يفهمون ؟ قالوا : « كيف يمكنِّن الربُّ الشيطان من قديسه الأثير ، فيستهزىء الشيطان بالقديس ، ويخطف أولاده ، ويرسل اليه الأمراض ، ويغطى جسمه بالجروح ، حتى صار يزاح القبح عن قروحه بشقفه من فخار ؟ أكل هذا من أجل أن يتناهى الرب أمام الشيطان قائلاً : « انظر ماذا يستطيع أن يتحمله واحد من أوليائي الصالحين في سبيل محسى ! ، ؟ لقد غاب عن هؤلاء الناقدين أن عظمة هذه القصة انما هي في هذا السرُّ الذي يتأكد فيها! ان المظاهر العرضية للحياة الارضية تلامس في هذه القصـــة الحقيقة الأبدية التي لا تدركها • فمن خلال ما يبدو لنا على أنه واقع الأرض ، يتجلى فعــل قوة أبدية تفوق هذا الواقع • ان الحالق في هذه القصـــة يتصرف كما تصرف في الايام الاولى من الخلق حين قال انه أبدع فيما صنع • انه ينظر الى أيوب فيبهجه أنه خلقه • وأيوب الذي يمجد الرب لا يتخدم الرب وحده بل يخدم الخليقة أيضا ، من عصر الى عصر ومن جيل الى جيل ، فذلك هو ما يُستِّمر له • رباه ما أروعه سفراً ، وما أروعها تعاليم! ما أعظم الكتب المقدسة ، وما أكبر تلك القوة المعجـــزة التي توقظها في الانسان! لكأنها صورة الكون والانسان نفسه • كل شيء قد قيل فيها وأعلن لقرون • ما أعظم الأسرار التي تكشف عنها وتحلها ! ان الرب يرد السعادة الى أيوب ، ويهب له ثروات جديدة ؛ وتنقضي أعوام فيولد له أولاد آخرون يحبهم أيضًا • رباه ! قد يتساءل متسائل : « فكيف استطاع أن يمحبهم وقد غاب أبناؤه الأول الى غير رجعة ؟ هل يمكن أن يشعر بأنه سعد حقاً بين أولاده الجدد ، مهما يكونوا أحبة ۖ في قلبه ، اذا هو تذكر أولئك الذين غابوا الى الأبد؟ » • المحق أنه كان يستطيع أن يشعر بالسعادة ، لأن الآلام القديمة تهدأ بمرور الزمن ، ويطامنهـــا

سم ُ الطبيعة الانسانية الكبير ، وتستجيل شيئًا فشيئًا الى افراح ساجية • ان العدم الذي يغلى في سن الشباب يفسح المجال في الشيخوخة لهدوء ساكن • اننى أبارك في جميع الأيام طلوع الشمس ، وان قلبي ليتهج بشروقها كما كان يبتهج به في الماضي ، ولكنني أوثر اليوم مجد الكوكب الغارب وأشعته المائلة التي توقُّظ في نفسي ذكريات بعيدة عذبه ، وتحيي أطياف الماضي الحبيبة من حياة طويلة سـعيدة • ففوق هذه الذكـريات تحلق الحققة الالهبة التي تهديء وتصالح وتبريء ! سوف أمون ، أنا أعرف ذلك وأفهمــه ، ولكنني أحس في كل يوم بأن الحيــاة ما تزال توهب لى ، وأن حياتي الأرضية تندفع نحو حياة جديدة ، أبدية ، مجهولة، هي منذ الآن قريبة يملأ الاحساس بها نفسي فرحاً ، ويهز قلبي هزآ قوياً. يا أصدقائمي ومعلمي ً ! لقد سمعت من يقول ، سمعت ذلك مرارا وأسمعه الآن أكثر من أي وقت مضي ، ان الكهنة ، ولا سيما كهنة الأرياف يشكون مر " الشكوى من أن راتبهم غسير كاف ، ومن أن منزلتهم الاجتماعية وضميعة ، قائلين بل كاتبين ـ وقد قرأت ذلك بعيني ً ـ أنهم أمسحوا عاجزين عن شرح الانجيال للشعب ، بسبب قلة رزقهم ، « اذا جاء لوثريون أو هراطقة فأضلوا رعايانا ، فلنفعلوا ذلك ، لأننا لا نجني من الرزق ما يكفينا » • هكذا يقولون • يا عدالة السماء! ألا انني لأســأل الرب أن يربى راتبهم هذا الذي يحرصون علمه ذلك الحررس كله (لأن شكواهم لا تخلو من حق) ولكنني أقول مخلصاً : من المسئول عن هذا الوضع ان لم تكن نحن المسئولين عنه الى حد ما ؟ انني أسلم بأن القس في الريف مثقل بأعباء العمل ، وليس في وقته من الفراغ ما يمكنه من الاهتمام بالشمب • ولكننى أرى أن وظيفته وعمله لا يشغلانه الى الحد الذي يعجز فيه عن أن يقف على الرب ولو ساعة من وقته في الأسبوع. ثم انه لا يعمل طوال السنة بلا انقطاع • ألا فليجمع في داره ، مرة ً في

الاسبوع ، والأفضل أن يكون ذلك في المساء ، ألا فليجمع الأطفال في أول الأمر ، فذا بآبائهم يعلمون ذلك فيجيئون هم أيضًا • لا حاجة الى أن يكون هناك مكان خاص يُعقد فيه هذا الاجتماع • ما على القس الا أن يجمع الناس في منزله الفقير نفسه • وليس له أن يخاف ، فانهم لن يفسدوا مسكنه! ما ساعة " في الأسبوع؟ ألا فليفتح التوراة المقدسة فيقرأ لهم فيها بغير فصاحة مصطنعة أو كلام متفيهق ! فليُقـــرأ فراءة بسيطة طبيعية ، مبتهجاً بأن الناس يسمعونه ويفهمونه ، ممتلئاً بحب النص المقدس • وفي وسعه أن يتوقف عن القراءة من حين الى حين ليشرح معنى كلمة لا يعرف معنـــاها أبناء الشعب • وليكن على يقين من أنهم سيفهمـــون بسرعة ، لأن الروح الارثوذكسيه تحس الحقيقة احساسا سريعاً • ان القصص التي تروي حياة ابراهيم وسارة ، واستحق وربيكا ، ويعقوب الذي ذهب الى عند لابان ، وقال بعد أن اصطرع مع الرب في الحلم : « هذا مكان رهيب » ، ان هذه القصص ستمضى قدماً الى القلب النقى ، قلب البسطاء الذين لم تفسدهم الحياة بعد . يجب أن تقص عليهم ، وعلى الأطفال خاصة ، قصة الفتى الجميل الفتان يوسف ، النبي الكبير ، مفسِّر الأحلام ، كيف باعه اخوته ثم زعموا لأبيهم أن وحشـــاً أكله ، وأظهروا أباهم على ثيابه تدليلاً على صدق قولهم ؟ وكبف سافر اخوته بعد ذلك الى مصر التماسا للخبز ، وكان يوسف قد أصبح فيهما عظيماً من عظماء رجال فرعون ، ولكنهم لم يعرفوه ، فاضطهدهم ، واتهمهم وحبس بنيامين الفتي رغم ما بكنسه لهم من حب : « انني أحبكم ، واني لأعذبكم وأنا أحبكم » • ذلك أنه لم يستطع أن ينسى اليوم الذي باعه فيه اخوته لأناس من تجار العبيد ، في سهل مقفر ، قرب بشر ، بينما كان يضرع السهم باكبا عاقفاً ذراعبه أن لا يتركوه للعبودية في أرض غريبة • فلما رآهم بعد ذلك العدد الكبير من السنين أحس " بحبه لهم ينبعث في قلبه ، ولكنه عذبهم بسبب تلك الذكرى المرة ، وتركهم أخيرا وانصرف، لأنه لم يعد فادرا على أن يحتمل الشكاة التي تصدر عن فلبه هو نفسه ٠ وارتمى على سريره وأجهش باكيا ؟ ثم جفف وجهه وعاد اليهم هادىء النفس مشرق المحيا وقال لهم : « يا اخـــوتي ، أنا يوسف أخوكم » • وليقرأ القس للناس تتمة القصة : كيف سُمرً يعقوب حين عرف أن ابنه لم يمت ، وكيف سافر هو أيضا الى مصر ، هاجراً الارض التي و'لد فيها ، ومات على تراب غير تراب وطنه ، تاركاً في وصــــيته أكبر وعد سيتحقق للانسانية على مدى العصور ، كاشفاً عن السر الذي كتمه طول حياته في قلبه المتواضع الوجل ، ألا وهو الوعد الذي يبشر الانسانية بأنه سيولد في يوم من الأيام انسان هو أمل العالم ، وهو للانسانية مخلِّصها وفاديها! يا آبائي ومعلميُّ ! اغفروا لي أنني أذكركم ، كتلميذ صغير ، بأشياء تعرفونها منذ زمان طويل ، وبمكنكم أن تعلَّمونيها بأحسن مما أفعل فناً وعلماً! لقد اندفعت مع الحماسة. واغفروا لى دموعى، لأننىأحب هذا السفر • واذا استطاع الكاهن أن يبكى هو أيضًا أثناء القـراءة ، فلسوف يرى مدى أثر ذلك في نفوس سامعيه قوة انفعال وعمق عاطفة. ألا ان بذرة لتكفى مهما تكن يسيرة • فاذا بمُذرت في قلب البسطاء ، لم تفن بعد ذلك يوماً ، وانما هي تعيش في نفوســـهم وتفل تثمــر طوال حياتهم ، من أعماق ظلمات ضلالاتهم وخطاياهم ، نبعاً من ضـــيا. ومن حقيقة أبدية ، ذكرى خفية ونداءً مستسراً • لا حاجة الى شروح طويلة واستطرادات متعالمة يتيه في شعابها الفكر • ان أبنـاء الشعب يفهمون الأمور ببساطة كبيرة • أتظنون أنهم عاجزون عن ذلك ؟ قوموا اذن بهذه التجربة ، اقرأوا لهم تلك القصة الجميلة المؤثرة ، قصة أستير الرائعـة وفاستى المتكبرة ، أو اقرأوا لهم تلك المنسامرة المعجزة ، مغامرة يونس في جوف الحوت • ولا تنســوا كذلك رموز الرب ، ولا سيما رموز

الانحل كما وردت في كتاب القديس لوقا (وذلك ماكنت أفعله دائما)، واقرأوا لهم في كتاب الشهداء حياة ألكسي ولي الله ، وكذلك حياة كسرى الشهيدات مريم الفيطية • فلسوف ترون مدى تأثير هذه القصص السبطه في فلوبهم! تكفي ساعة في الأسبوع ، ساعه واحدة ، رغم قلة الراتب. فاذا ارتضى الكاهن بذل هذا الجهد لم يلبث أن يدرك أن لتعبّا نفساً كريمة تعترف بالجميل • لسوف يرد اليه الفلاح معــروفه مضاعفًا مائة مرة • لسوف يتذكر نشاط الكاهن وقراءاته المؤثرة ، فاذا هو يهب من تلقاء نفسه الى مساعدته في أعماله في الحقل أو المنزل • ولسوف يحضه احتراماً متزايداً ؟ وهذه المزايا ، مجتمعة ً ، تساوى زيادة في الدخل ، ذلك حل يبلغ من السهولة في الواقع أن المرء يستحي أحيانا أن يقترحه، مخافة أن يُضحَك عليه • ومع ذلك فهذه هي الحقيقة • ان من لا يؤمن بالله لا يؤمن بشعبه أيضاً • ولكن الذي لا يشك في شعبه ، لن يلبث أن تتجلى له قداسة روح الشعب ، ولو لم تخطر على باله يوما قبل ذلك ٠ ان مثقفنا الملحدين ، الذين أصبحوا غرباء عن الأرض التي أنبتتهم ، لن ينقذهم ولن يردهم الى طريق الرشاد الاشعبنا الذى ستتأكد قوته الروحية في يوم من الأيام • ما قيمة أقوال المسيح اذا لم تسمندها قوة القمدوة ؟ ألا ان الشعب ليهلك ويفني ما لم تنجده الكلمة الالهيـــة ، لأن الشعب ظامى الى حققة دينة ، والى مثل أعلى أخلاقي رفع . في أثناء شبابي ، المعونات لديرنا الفقير • ففي ذات بوم ، توقفنا ليلا عند شاطيء نهر كبير من الأنهار الصالحة للملاحة ، بين الصـــادين • فجلس الى جانبنا فتى مليح الوجه هو فلاح في نحو الثامنة عشرة من عمره كان يتعجل الالتحاق معمله في الغد ، لأنه قد استؤجر لجر سفينة تعجارية . كان الفتي ينظر أمامه حالمًا بسنيه الصافيتين الحلوتين • اللملة سياجية حارة ، هي ليلة

مشرفه مضيئة من ليالي سهر تموز • ومن النهر العريض تتصاعد أبخرة تحمل الينا طراوة منعشة • وتنبجس سمكه الى سطح الماء من حين الى حين ، فتتلاطم الأمواج تلاطماً خففا • سكتت العصافير ، فكأن الطبيعه كلها تصلي لله صامته في هذه الهدأه التي ترين من حولنا على الأرض والسماء • ونحن وحدنا لم ننم ، أنا وهذا الفتى • تحدثنا عن جمــال خلق الله وعن سره ، عن الأعشـاب والنمــل والحشرات والنحل ، عن جميع هذه المخلوقات التي تعرف طريقها جميعا في هذا العالم ، دون أن يكون لها ذكاء ، فاذا هي بهذا العلم المعجز تشهد بعظمه صنع الله وتساهم في كل لحظة ، بعملها المتواضيع ، في تنحقيق الغيايات العليا للمخالق • فلاحظت أن هذا الشــاب اللطيف المحبب قد تأثر تأثراً قوياً وطيورها ، لأنه كان هو نفسه يربى الطيور ويعرف تغريد جميع أنواعها، ويعرف كذلك وسائل اجتذابها • قال لى : « لا شيء أروع من النابة ، وكل شيء في الطبيعة جميل على كل حال » فأجبته قائلاً : « هذا صحيح. كل شيء في خلفة الله رائع ومؤثر ، لأن كل شيء فعها حق • انطر الي الحصان مثلاً ، هذا الحيوان النبيل المتعلق بالانسان ذلك التعلق كله ، أو أنظر الى النقرة الخاضعة المطرقة التي تطعمه وتعمل من أجله • ما أعذب هذه الحيوانات الأليفة ، ما أكرم عاطفتها نحرو أصحابها الذين كثيرا ما يضربونها بغس شفقة ، ما ألطف الوداعة والثقــة اللتين تتحلـــان في نظراتها! ألبس هـذا جمـلاً؟ ١١ه لأمر مؤثر في النفس أن تتذكر أن هذه المحيوانات هي بلا خطيئة ، لأن كل ما في الكون برىء كامل الا الانسان • لقد كان المسيح مع الحيوانات ، قبل أن يجيء ليخاصنا » • فسألنى هذا الفتى : « هل تعتقد حقاً أن المسيح معها أيضا ؟ ، فأجبته قائلا: « وكيف لا بكون الأمر كذلك ، ما دامت الكلمـــة للجميـــع • ان كل

مخلوق ، ان كل من تنفس ، حتى أحقر ورقة من أوراق الأشسجاد ، يشسهد بعظمة الخالق ويسبت بحمده ، ان كل شيء في الطبيعة يندفع نحو المسيح ، ويناديه على غير سعور ، لأنه يملك هذه الفضيلة السرية ، وهي أنه بغير خطيئة ، انظر في الغابة الى الدب ، المخيف الضارى دون أن يكون مسئولاً عن ذلك ! ٠٠٠ » قلت له هذا وقصصت عليه أن دبا اقترب ذات يوم من قديس عظيم كان يعيش معتزلاً في حجرة وسلط الغابة ، فأشفق الناسك على الوحش الجائع ، فهب الى لقائه بغير وجل، ومد اليه قطعه من خبز قائلاً له : « كُلْ في سلام ، وليكن المسيح ممك » ، فابتعد الوحش الضارى طائعاً دون أن يلحق بالقديس أي أذى ، ممك » ، فابتعد الوحش الضارى طائعاً دون أن يلحق بالقديس أي أذى ومن أن المسيح كان معه ، وصاح يقول : « ما أروع هذا ! ما أروع كل شيء اذن في خلق الله ! » ، وظل مطرقاً مفكراً خلال مدة طويلة ، غارقاً في تأملات لطيفة وأحلام عذبة ، رأيت أنه فهمني ، ثم استلقي قريبا مني ونام نوما بريئاً هادئاً ، بارك الرب في الشباب ! صليت من أجله قبل أن أنام أنا أيضا ، رب ابعث السلام والأمن والضياء الى جميع مخلوقاتك !

ج ـ ذكريات سنى الشباب التي عاشها الشيخ زوسيما في العالم • البارزة

لبثت في مدرسة المرشحين » بسان بطرسبرج زمناً طويلاً يقرب من ثماني سنين • ان التربية التي تلقيتها في تلك المدرسة قد كبتت في نفسي كثيرا من مشاعر الطفولة ، ولكنني لم أنس تلك المشاعر حقاً • وفي مقابل ذلك أكسبتني هذه التربية أفكارا وعادات جديدة جعلت مني السانا يكاد يكون متوحشا ، انساناً قاسيا غيباً • وبتعلم اللغة الفرنسية تزينت بآداب المجتمع وطئليت بطلاء من حضارة • أما الجنود الذين كانوا

يخدموننا فقد كنا جميعا ، وأنا أيضا ، نعد هم بهائم ؟ ولعلني كنت أسبق من غيري في ذلك ، لأنني كنت في كل أمر من الأمور أكثر تأثراً بالبيئة من سائر رفاقي • ولما أصبحنا ضاطا كنا مستعدين لأن نبذل دمنا في سبيل شرف كتستنا ، ولكننا كنا نيحهل كل النجهل ما هو الشرف حقاً • ما من أحد منا كان يملك أية فكرة عنه ، فلو قيل لنا ما هو الشرف حقاً لرفعنا أكتافنا استخفافا واحتقاراً • وكنـا نكاد نعتز بما ننهمك فيه من سـكر ومجون ، وما نندفع فيه من وقاحة واستهتار ، ونكاد نعمده مجداً من الأمجاد • ليس معنى هذا أننا كنا في قرارة أنفسنا أشراراً • فلقد كان فی هؤلاء الشباب خیر طبیعی فطــری ، ولکنهم کانوا یسلکون سلوکا سيثًا ، وكنت أنا في ذلك شرًا من سائر رفاقي • وفي تلك الفترة استلمت ثروتی ، فأخذت أعش علی ما يريد لی هوای وخالی وعلی ما تشاء لی نزواتي وبدواتي ، مندفعاً اندفاع الشباب بغير أي تحفظ أو قصد • لقد مخرت ناشراً جميع أشرعتى • ولكن الشيء الغريب هو أنني كنت أقرأ في كتير من الأحيان ، حتى لقد كنت أجد في القراءة لذة ومتعه • ومع ذلك لم أفتح التوراة يوما غير أنسى لم أفارقها ، وانما كنت أحتفظ بهــا قريبةً منى في تنقلاتي ، كأنما أنا أنوى أن أقرأها « في يوم من الأيام وساعة من الساعات ، في شهر من الأشهر وسنة من السنين في المستقبل. وبعد أربع سنين من المخدمة ، وجدت نفسي في مدينة ك ٠٠٠ التي كانت كتبيتنا تعسكر فيها • ان المجتمع في هذه المدينة كبير العدد متنوع الملأ • وكان أكثر هؤلاء أناساً أغنياء لطافاً يعيشون حياة فرح وبهجة • وقـ د أحسنوا استقبالي لأنني مرح بطبيعتي. يضاف الى ذلك أنهم كانوا بعدونني ثرياً ، وذلك أمر بقدره المجتمع قدراً عظيماً • وهنا انسا حدث لي حادث كان له أثر حاسم في مصيري . فقد تولهت بحب فتاة جميلة ذكية نبيلة الخلق بتمتع أهلهما باحترام كبير ، فهم بنعمون بالثراء ، ولهم

صلات عالمة • وفد أحسن أهلها وفادتبي • وأحسست أن الفتاة لست غير مكترثة بوجودي ، فالنهب خيالي من ذلك التهابا شديدا ، ولقد أدركت فيما بعد أنني لم أكن أحبها فعلاً ، وإنما كنت مفتناً بذكائها وسمو طبعها ورفعة خلقها ، وتلك أمور ما كان لها الا أن تؤثر في نفسي • وقد منعتني أنانيتي من خطبتها ، اذ صعب على " أن أتنازل في مثل تلك السن من ريعان الشباب عمًّا في حساة العازب الحسرة المتحللة ، من اغسراءات • لذلك اقتصرت على بعض التلميحات الخفية ، وأرجأت الخطوة الحاسمة الى ما بعد • وفي أثناء ذلك تلقبت أمرا عسكريا بالسيفر مدة شهرين الي مقاطعة أخرى • فلما عدت عرفت أن الفتاة تزوجت في غنابي • لقــــد تزوجت رجلاً غنا من أصحاب الأملاك في منطقة مجاورة ، وهو أكبر منى سناً ولكنه ما يزال شاباً ، كما أن له صلات في العاصمة وفي المجتمع الراقى ، وذلك ما لم يكن لى مثله • ثم انه عدا هذا رجل لطيف محبب جدا مثقف جدا ، على حين أن ثقافتي أنا كانت ناقصة نقصاً كبيراً . وقد بلغت من الاضطراب لهذا الحادث ما جعلني أتصمور أنني فاقد بسمبيه صوابي • وكان أنكي ما آلمني انني علمت أن الرجل خطيب الفتـــاة منذ زمن طويل . ولقد حدث أن قابلته فعلاً في منزل أهلها مرارا كتيرة دون أن يخطر ببالي شيء ، من شدة ما أعماني غروري • وقد أحنقني هذا الأمر وأغاظني أكثر من أي شيء عداه • تساءلت : كيف ؟ أيعلم ذلك جميع الناس الا أنا ؟ وشعرت من ذلك بمحقد شديد . لقد شعرت بالدم يصعد الى جبهتى حين تذكرت تصريحات الحب التي أوشكت أن أقولها لها مرارا • ان الفتاة لم توقفني بل تركتني أتكلم دون أن تنبتني بأنها مخطوبة • فاستنتجت من ذلك أنها كانت تسخر مني وتضحك على " • وقد فهمت فيما بعد أن الأمر لم يكن كذلك قط وتذكب ت أنها ، على خلاف ما توهمت ، كانت تقاطعني في كل مرة مازحة ، وتغير موضوع الحديث ، غير أننى عجزت في ذلك الحين عن أن أحكم في الأمر حكماً سليماً صحيحا ، فكنت أحنرق توفاً الى الانتقام .

واني لأتذكر الآن ، بغير فليل من الدهشة ، أن ذلك الغضب وذلك التوق الى الانتفام اللذين شعرت بهما كانا شاقين على نفسي ، لأن خفـة طبعي كانت لا تتنيح لي أن أظل حاقداً على الناس مدة طـــويله • فصرت أحرُّض استيائي وحنقي تحريضا مصطنعا من أجل أن أصل أخيرا الى اندفاع أحمق غير انساني. ارتقبت فرصة" أنتقم فيها لنفسي ، واستطعت في ذات مساء ، بينما كنا في مجتمع غفير ، أن أهين «غريمي» في أمر لاعلاقة له في الظاهر بشخصي ، سخرت من رأيه في موضوع حــدث كان قد وقع وهز ً أفكار الناس كتيراً في ذلك العهد* ــ كنا في عام١٨٢٦ ــ وكانت سمخر باتبي _ في رأى الحضور _ 'محكمة حاذقه فكهة _ ثم طلبت منه أن يصفى حسابه معى بمبارزتي ، وبلغت من الفظاظة والغلظة أثناء ذلك انه لم يملك الا أن يقبل التحدي رغم كل ما بيني وبينه من مسافة ، فأنا أولاً أصغر منه سناً ، وأنا ثانيا ضابط صغير لا قيمة له في حين أنه يحتل هو مركزا اجتماعيا عالياً جداً • وقد علمت فيما بعد أن شيءًا من الغيرة قد دفعه الى قبول التحدى . فمن جهة أولى كان هو قبل ذلك الحين ، أثناء خطوبته ، قد ساءته ملازمتي لخطيبته ؟ وهو من جهة ثانية يبخشي الآن ، اذا علمت زوجته بأنه تحمل اهاناتي دون أن يبارزني ، أن تحمفره على غير ارادة منها ، وأن يتزعزع من ذلك حبها له ، ولم ألبث أن عثرت على شاهد ٍ لى بغير عناء ، وهو رفيق من رفاقي كان ملازماً في كثيبتي نفسها. ولقد كانت المبارزات رائحة جدا بين الضباط في ذلك الزمان ، رغم أنها محظورة محرَّمة ، وهذا يدل على مدى ترسخ الأحكام الاجتماعة الباطلة في النفس الانسانية • كنا في أواخر شهر حزيران (يونيو) ، وحُدُّد الغد موعدًا للقاء ، في الساعة السابعة من الصباح ، على أرض مهجسورة

خارج المدينة • ووقع لى في ذلك المساء حادث لا أستطيع الا أن أعده تدخلاً من القدر • فحين عدت الى مسكني في ساعة متأخرة من اللسل مهتاجا اهتياجا شديدا ، ثرت على الجندي الذي يخدمني ، واسمه أتانازي، وجهه ٠ ان آتانازی یخدمنی منذ زمن غیر طویل ، ولقد سبق أن ضربته من قبل ، ولكنني لم أضربه بوحشيه حيوانية كهذه المسيرة • صدُّفوني يا أصدقائي الأعزاء اذا قلت لكم : انني ما زلت الى اليوم ، بعد أكنر من أربعين عاما ، لا أستطيع أن أتذكر سلوكي حنذاك الا وأشعر بخـــزي وعار وألم عملق • وقد رقدت فنمت زهاء ثلاث ساعات • فلما استنقظت كان الصبح قد تنفس • فأسرعت أرتدى ملاسى لأن النوم قد طاز من عنبي ، واقتربت من النافذة ففتحتها • ان النافذة تطل على الحديقة • وقد أُخذت الشمس تطلع في الأفق • والجو جميل طرى ، والعصافير تغرد • سألت نفسي : « لماذا هذا الاحساس الغريب في نفسي بالخزى والعــــار والاشمئزاز ؟ ألأنني سأسفح دم انسان ؟ لا ••• يبدو أن هذا ليس هو السبب • أأكون اذن خائفا من الموت أخشى أن أ'قتل ؟ لا ، لا ، ليس هذا هو السبب ، ليس هذا هو السبب أبدا ٠٠٠ » وفحأة أدركت علة ذلك الضق الذي كنت أشعر به : لقد كنت أحس بعذاب في ضميري لأننى ضربت آتاءازى في الليلة البارحة • تراءى لى المسهد بجميع تفاصيله على حين بغتة : كان آتانازي واقفاً أمامي ، منتصب القامة ، مرفوع الرأس ، جاعلاً يديه على درزة سرواله ، وأنا أهوى على وجهه بالصفعة تلمو الصفعة بكل ما أوتبت من قوة • وكان هو يحـــدِّق أمامه كأنه في استعراض عسكري ، ولا يجرؤ أن يرفع ذراعه ليحمى وجهه رغم أنه يرتجف عند كل صفعة • انظروا الى أى حالة يمكن أن يُردُّ الكائن الانساني ! كيف يستطيع انسان أن يرضي ضرب أخيه الانسان ؟ يا لها

من جريمة ! شعرت كأن ابرة تنفذ في جسمي • انني أرى الآن كيف كنت واقفاً أمام النافذة مشـــدوها مصعوفاً • كانت الشمس في الخارج تتلألأ ، وكانت عصافير صغيرة تغرد بيراءة ، مسيحة ً بيحمد الرب ٠٠٠ وهأنذا أخفى وجهى بندي ً على حين فحأة ۽ وأرتمي على سريري ناشحاً منتحباً • لقد عاودتني في تلك اللحظة ذكري أخي مارسيل ، وخطـرت ببالى الكلمات التي قالها للخدم قبل موته يقليل: « يا أصدقائي الطبين ، ماذا فعلت حتى أسستحق أن تخدموني ؟ ما الذي يجعلني جسديرا بعاطفتكم ؟ » • وقلت لنفسى : « ما الذي يحعلني أنا أيضا جديرا بأن يمخدمني قريني الانسان؟ * • وحاصرت هذه الفكرة عقلي فعجَّاة • فأخذت أتسامل : « لماذا يَنْجِبُ عَلَى انسان شبه بي ، انسان خُلُق مثلي على صورة الله ، أن يكون خادمي ؟ ما الذي جعلني جديرًا بذلك ؟ » • لقد طرحت على نفسي هذا السؤال لأول مرة في حياتي • « أماه ، يا حَمَـلي الوديع، ان كل انسان مرتكب جميع الذنوب في حق جميع الناس ٠٠٠ البشر لا يعرفون هذا ٠٠٠ ولو ارتضــوا أن يعترفوا به لأصحت الأرض جنة ً منذ الآن » • تساءلت من خلال دموعي : « أيحوز حقاً يا رب أن أكون مرتكبًا جميع الذنوب ، وأن أكون أكبر النساس اثماً ؟ اني اذن لأسوأ الناس طراً! » • وتراءت لي الحقيقة فجأة في ضياء باهر! ما الذي كنت أريد أن أفعله ؟ أن أقتل انسانا طيبا ذكيا نبيل الخلق لم يمسسني بسوء ولم يلحق بي أذى ، وأن أحرم زوجته من السعادة الى الأبد في الوقت نفسب ، فأسلمها للعذاب وأدمتُّر روحها ! وكنت أثناء استسلامي لهذه التــأملات راقداً على سريري ، دافناً وجهي في الوسائد ، لا ألاحظ أن الوقت كان ينقضي • وها هو ذا رفيقي الملازم يظهـــر في غرفتي فجأة حاملاً إلى السيدسات • قال لى: ــ أنهضت من نومك؟ أحسنت ٠٠٠ ما يزال في الوقت متسمع • هيًّا بنا !

اضطربت ، وزاغ لبى ، لكننى تبعته ؛ وفيما كنا نوشك أن نركب العربة التى كانت تنتظر أمام المنزل ، عدلت عن الركوب فجأة ، وقلت لرفيقى شارحاً :

ــ انتظرنی لحظه ، أنا عائد الی البیت لأجیء بمحفظه نقودی التی ترکتها فیه •

وأسرعت قدماً الى الغرفة الصغيرة التي يسكنها خادمي الجندى • قلت له :

_ آتانازی ! لقد صفعتك على وجهك مرتين أمس • سامحنی !

ارتعش حين سمع كلامي كأنه قد خاف ، وشعرت عندئذ أن ذلك ليس كافيا ، وأن بادرتي لا تتناسب والأذي الذي ألحقته به ، فاذا أنا أخضع فجأة لاندفاعة مباغتة فأرتمي على قدميه بملابسي الفخمة حتى لامست جبهتي الأرض ، وأقول له صائحاً:

_ سامحنی یا آتانازی

بدا آتانازی مصعوقاً ، وأخذ يقول :

ـ یا صاحب النباله ۰۰۰ یا أبتاه ۰۰۰ یا مولای ۰۰۰ کیف یمکنك أن ۰۰۰ أنا لست جدیراً بهذا! ۰۰۰

وأخذ يبكى هو نفسه ، كما بكيت أنا منذ قليل ، دافناً وجهه فى يديه ، واستدار نحو النافذة ، مرتعشاً من قمة رأسه الى أخمض قدميه ، غارقاً بدموعه ، وهرعت ألحق برفيقى الملازم الذى كان ينتظررنى فى العربة ، صحت أقول للحوذى :

ـ سر" ۱۰۰۰

وأضفت مخاطباً رفيقي :

_ هل تريد أن ترى الغالب ؟ انه أمامك!

كنت أشعر بحماسة شديدة ، وظللت أضمحك بغير انقطاع أثناء الطريق ، وأتكلم بلا توقف ، أخبط في الكلام خبط عشواء ٠٠٠ لا أدرى ماذا قلت ! وكان رفيقي ينظر الي راضيا مرتاحاً ، قال لي :

ـ أرى انك شجاع ! لسوف تشرُّف بزُّتنا العسكرية •

ووصلنا الى أرض المعركة ، حيث كنا 'ننتظر ، وضعنا أنا وخصمى على بعد اثنتى عشرة قدما ، وكان عليه هو أن يطلق النار أولا ، وقابلته جذلا فرحا ، وأنا أنظر الى عينيه فأشسعر أن قلبى يفيض حبا له ، لم تطرف عينى ، كنت واثقاً مما سأفعله ، أطلق النار ، خدشت الرصاصة خدى خدشا خفيفا ، ولامست أذنى ملامسة ،

صحت أقول:

_ الحمد لله ! انك لم تقتل أخاك •

ثم تناولت مسدسي فرميته ورائي في اتجاء الغابة •

قلت :

_ هذا ما أفعله بالمسدس •

ثم التفت نحو خصمي وقلت له:

_ سيدى ! انحفر لى اننى أساًت اليك بغير سبب لطيشى وخفتى ، ثم أجبرتك على أن تطلق على ً النار • أننى لا أساويك ولا أعدلك ،

فأنت خير منى عشر مرات ، وربما أكثر من ذلك • قل هذا عن لسمانى للانسان الذى تقدره أكثر من أى انسان آخر فى هذا العالم •

فما ان نطقت بهذه الكلمات حتى أخذ الثلاثة يصرحون •

قال خصمي وقد بدا عليه حتى شيء من الغضب:

ــ ما معنى هذا ؟ ما كان ينبغى أن تزعجنى اذا لم تكن تنوى أن " تقاتل •

فأجبته قائلاً بمرح :

_ لقد كنت حتى الأمس غبياً أحمق ، ولكننى صرت ذكياً عاقلاً بعد ذاك •

فقال:

_ أما انك كنت بالأمس غبياً أحمق ، فهذا أمر أسلّم به ؟ وأما أنك أصبحت ذكياً عاقلاً ، فهذا ما لا يبدو صحيحاً اذا نحن نظرنا الى سلوكك .

قلت وأنا أصفق بيدي ً:

ــ مرحى ! اننى أوافقك على ما تقول • لقد استحققت أن أسمع هذا الكلام •

قال ملحاً:

_ أأنت عازم على أن تطلق النار يا سيدى أم لا ؟

فأحسه:

ــ لن أفعل • ولك أن تطلق مرة ً ثانية اذا كنت تتحرص على ذلك، ولكنك تحسن صنعاً اذا أنت لم تطلق •

اضطرب الشاهدان ، ولا سيما صاحبي .

ــ كيف تجرؤ على أن تلطخ شرف كثيبتنا بالعار ؟ أتطلب الصفح وأنت على أرض المعركة ؟ آه ٠٠٠ ليتني تنبأت بهذا ! ٠٠٠

كففت في هذه المرة عن الضبحك ، وقلت لهم جميعا وأنا أنظر في أعينهم :

ــ سادتی ! أعجيب الى هذا الحد حقا أن يوجد فى أيامنا هذه رجل يستطيع أن يندم على خطيئة ارتكبها ، وأن يعترف بها أمام الناس ؟

فصاح صاحبي يقول من جديد:

ــ لا ••• ولكن هذا لا يكون على أرض القتال •

فاستأنفت كلامي قائلاً:

ـ أهذا ما يدهشكم اذن ؟ لقد كان يبجب على في الواقع أن أعتذر اليه منذ وصلت ، قبل أن يطلق على النار ، وذلك لأجنبه ارتكاب خطيئة قاتلة ، ولكن من المؤسف أننا قد نظمنا حياتنا على تصورات تبلغ من السحف أنه كان يستحيل على أن أفعل ذلك ان صح التعبير ، فاتنى ما كنت لأستطيع أن أنكلم آملا أن أنهم حق فهمي الا بعد أن أطلق على النار من على بعد اثنى عشرة قدما ؟ والا لكان يمكن أن تعدوني جبانا غير جدير بأن يسمع كلامي اذا أنا اعتذرت اليه منذ وصولي قبل أن يطلق ،

ثم هتفت فعجأة أقول مندفعاً بكل نفسى :

ـ أيها السيادة! تأملوا خلق الله من حولكم: السيماء الصيافية ، والهواء النقى ، والعشب الطرى ، والطيور المغردة! ان الطبيعة تنبسط أمامكم راثعــة بغير خطيئة ، وتحن وحــدنا ، معشر الأغبياء الأدنياء ، لا تستطيع أن نرى أن الحياة جنة ، يكفى أن تعقد النية على أن تعرف

هذه الحقيقة حتى يبدو لنا العالم فورا بكل سنائه وبهائه وجماله • ألا فلنتمانق ولنبك •••

كنت أوشك أن أبكى ، ولكننى أمسكت وفسد انقطعت أنفاسى . شعرت بانفعال شديد لذيذ ، وكان قلبى يفيض سعادة ً لا عهد لى بمثلها من قبل .

قال خصمي :

ے کلامك فیہ عقل وشرف ۰۰۰ لا شك فی أنك انسان طسریف حدا ۰۰۰

فأجنته ضاحكا :

ـ اسخر منى الآن ، ولكنك ستطريني في المستقبل .

قال:

ے بل أنا مستعد لأن أتنى عليك منذ الآن • اسمح لى أن أمد اليك يدى ، لأنك فيما يبدو لى انسان صادق جدا •

قلت:

_ لا ••• لا تمدد لى يدك الآن ••• وانما تمدها لى فى المستقبل ، بعد أن أصلح نفسى وأستحق تقديرك ••• يومئذ تصافحنى وتكون على حق اذا صافحتنى •

وعدنا الى المنزل • كان شاهدى حانقاً فهو لا ينفسك يقرعنى فى العربة • أما أنا فكنت أقبِّله • وما أن علم رفاقى بما حدث حتى اجتمعوا ليحكموا على أ • قال بعضهم :

ـ لقد لطخ شرف بزتنا العسكرية بالعار ، فعليه أن يستقيل •

ودافع بعضهم الآخر عنى قائلاً :

ــ ولكنه صمد أمام اطلاق النار عليه دون أن يحنلج • فقال الآخرون :

ے غیر أنه جبن بعد ذلك ، وخاف استئناف تبادل الرصاص ، فاعـذر على أرض المعركة .

فأجاب المدافعون عني فائلين :

وكنت أصنى اليهم ، فتملؤني أقوالهم فرحاً ، ثم فلت لهم آخر

_ يا أصدقائي ورفافي الأعزة! لا يقلقنكم أمر استقالتي ، فقهد أرسلتها الى المكتب منذ ههذا الصباح ، وسأدخه للدير متى فُهلت الاستقالة .

فما ان ســـمعوا هذه الكلمــات حتى انفجــروا يضحكون ضحكاً صاخـاً •

ے کان ینبغی اُن تقول ہذا من قبل • الآن اتضح کل شیء • لیس یحاکم راہب •

كان رفاقى يضحكون ولكن بغسير خبث ؛ انهم يضحكون وهم يشعرون نحوى بشىء من العطف والحنان • ومنذ تلك اللحظة أصبحوا جميعا يظهرون لى المحبة والمودة ، حتى أعتاهم اتهاماً لى وأقساهم حكماً على قديمي واحتفلوا بى فى الكتيبة طوال الشهر الذى انقضى بين تقديمي

الاستقالة واحالتي على التقاعد • كانوا يقولون :

ہ مذا راہنا ہ

وأصبح كل واحد منهم يخاطبنى بأقوال فيها محبة وعطف ، محاولا أن يصرفني عما عزمت عليه ، بل ومشفقاً على "راثياً لحالى .

_ لماذا تفسد حاتك هذا الافساد ؟

ـ لا بل انه شجاع • لقد جابه اطلاق النار عليه وكان فى وسعه أن برد ، ولكن لا شك أنه رأى فى منامه حلماً أثناء الليلة التى سيقت يوم النزال فقرر أن يدخل الدير •

وكان الامر كذلك في المدينة أيضا و لقد كان الناس في المساضي يحسنون استقبالي وكفي و أما بعد ذلك الحادث فقد أصبحوا يهتمون بي جميعا و انهمرت على دعواتهم الى ولائم يقيمونها لى وصحيح أنهم يسخرون قليلاً من قراري ، ولكنهم يحبونني و ويجب أن أذكر أن السلطات قد أغمضت أعينها عن حادث مبارزتنا ، رغم أن هذه المبارزة أصبحت مدار حديث الناس جميعا ، وذلك لأن خصمي يمت الى جنرالنا بقربي قريبة و ثم انه ما من دم قد سفح ، وقسد استقلت و و للك بغريق المنامرة أشبه بمزاحة و قد تجرأت فقررت أن أعبر عن آرائي بغير تحرج ، رغم سخريات أبناء المجتمع الراقي التي لم تكن سخريات بغير تحرج ، رغم سخريات أبناء المجتمع الراقي التي لم تكن سخريات خبيئة شريرة والحق يقال ، بل كانت سخريات بريئة طيبة و و كانت تجرى تلك الأحاديث عادة في المساء ، بحضور السيدات ، لأن اهتمام الرجال ، فكان يحلو لهن أن يصغين الى كلامي ، وكن يجبرن رجالهن على أن يصغوا الى كما يصغين هن و

كنت أُ'سأل بلهيجة ساخرة :

ـ كيف تزعم أننى مرتكب جميع الذنوب فى حق جميع الناس ؟ أأنا الذى اقترف أخطاءك مثلاً ؟

فكنت أجيبهم بقولى :

- لا تستطيعون أن تدركوا هذه الحقيقة اليوم ، لأن المجتمع قد سار منذ زمان بعيد في طريق خطأ ، فرفع الى مصاف الحقائق ضلالات مشئومة ، وطلب من أعضائه أن يتبنوا هذه الأحكام ، هذا أنا مثلاً : لقد أردت مرة في حياتي أن أتصرف تصرفاً صادقاً ، فاذا أنا أصبح في نظركم رجلاً ملتاث العقل ، ومهما تحبوني ، فانكم تظلون تستخرون مني ،

قالت سدة المنزل ضاحكة:

_ كيف يمكن أن لا ينحب فتى مثلك ؟

كان الجمع غفيراً جداً في ذلك المساء، ولمحت فجأة ، بين السيدات الحاضرات ، تلك المرأة التي أردت بسمسها أن أبارز ، والتي كنت أحلم أن تكون خطيبتي قبل ذلك بقليل ، لم أكن قد لا حظت وصمولها ، وها هي ذي تنهض وتدنو مني وتمد الي يدها وتقول لي :

- اسمع لى أن أقول لك اننى ، أنا ، لا يخطر ببالى لحفله أن أسخر منك ، بالعكس : اننى لأحرص على أن أعرب لك عن شمكرى متأثرة أصدق التأثر ، أن أعبر لك عن تقديرى واحترامى للسلوك الذي سلكته في ذلك الظرف ،

وجاء الى تروجها أيضا ، وتبعه سائر المدعوين ، كادوا يقبلوننى جميعا ، اجتاح الفرح نفسى ، ولاحظت خاصة ، بين الأشخاص الذين أظهروا لى مودتهم وعاطفتهم ، سيداً متقدما في السن بعض الشيء ، كنت أعرف اسمه منذ زمن ، ولكنني لم أثقد م اليه ، فلم أخاطبه قبل ذلك المساء بكلمة واحدة ،

د ـ الزائر العجيب

كان يشغل منصبا هاما في مدينتا منذ سنين كبيرة • انه نسبخص مرموق ، غنى ، يتمتع باحترام عام ، اشتهر بسره واحسانه ، فقد وهب لملجأ الفقراء ولمأوى الأيتام مبالغ ضخمة • وكان عدا ذلك يساعد عددا كبيرا من الفقراء ، متخفيا متكتما ، حتى أن ذلك لم 'يعرف الا بعد موته انه في نحو الخمسين من عمره ، وهو قليل الكلام ويوشك مظهره أن يكون قاسيا • وقد تزوج منذ عشر سنين فحسب ، وامرأته ماتزال شابه ، وله منها ثلاثة أولاد كانوا صغارا في ذلك الحين •

في غد ذلك المساء الذي جرى فيه الحديث ، كنت في منزلي ، فاذا بالباب يُـفتح فجأة ، واذ بي أرى هذا السيد يدخل على ً •

يحسن أن أذكر هنا أننى كنت فد غيرت مسكنى • فاننى بعسد احالتى على التقاعد قد استأجرت غرفة فى دار امرأة عجوز هى أرملة موظف من الموظفين ، فكانت خادمة هسذه العجوز تقوم على خدمتى • والحق اننى تركت منزلى القديم فى يوم المبارزة نفسه ، فما ان رجعت الى منزلى فى ذلك الصباح حتى صرفت آتانازى وأرسسلته الى اللكنة ، لأننى أصبحت لا أجرؤ أن أنظر اليه بعد الذى حدث بيننا • انظروا الى مدى هيمنة الأفكار السائدة على انسان من أبناء المجتمع لم يتهيأ للحياة الروحية الأخلاقية ! ان هذا الانسان يمكن أن يحمر خجلاً حتى من أبل الأفعال وأجدرها بالاحترام •

قال لى هذا السد:

ــ لقد أتبيح لى أن أسمعك عدة مرات فى منازل صـــديقة كثيرة ، فكنت أصغى الى كلامك باهتمام عظيم فى كل مرة • واتنى لأحب أن

أحظى بمعرفتك لأتبحدث معك بمزيد من التفصيل • فهل تمن على بهذا الفضل ؟

أجبته قاثلاً :

ـ ذلك يسمرني أعظم السرور ، وهو لي شرف كبير .

ومع ذلك فقد شعرت بشيء من المخوف و لقد أوحى الى تهدا الرجل خوفًا عميقًا و صحيح أننى كنت قد ألفت أن يكون لى مستمعون كثيرون ، وأن هؤلاء المستمعين كانوا في كثير من الأحيان بصغون الى كلامي باستطلاع واهتمام ، ولكن ما من أحد منهم قد واجهني حتى ذلك الحين بهيئة فيها هذا الجد كله وهذا النفاذ كله و أضف الى ذلك أن الرجل قد جاء الى بيتى بنفسه و

قال لى بعد أن جلس :

ـ لقـد تبينت فيك قوة خلقيـة كبيرة ، لأنك لم تنخش أن تنخدم التحقيقة في ظروف تعرّضك لاحتقار الجميع .

فأجسه:

_ لعلك تقدرني فوق قدري في هذه القضية ٠

فقال :

ـ لا ٠٠٠ فان القيام بعمل كهذا العمل أصعب مما تظن ٠ وتابع يقول :

_ لقد أثر سلوكك في نفسي تأثيرا قويا ، وهذا هو السبب الوحيد الذي دفعني الى زيارتك ، أحب لو أسألك أن تصف لى _ ما لم تر ذلك فضولاً مني في غير محله _ ما شعرت به لحظة قررت أن تعتذر اليه على أرض القتال ، اذا كنت تتذكر مشاعرك ، أرجو أن لا تعزو سؤالى هذا الى طيش مني ، فهناك أسباب خفية تدفعني الى القاء هسذا السؤال عليك ، وسأشرح لك هذه الأسباب اذا شاء الله أن يقرب بيننا ،

كانت أثناء استرساله فى هــــذا الكلام أنظر اليه بانتباه ، فشعرت فحبأة باطمئنان اليه وثقة به ؛ حتى لقـــد أحسست أنا أيضًا باســتطلاع قوى ، لأننى قدرت أن فى حياته سراً . قلت له :

_ قبل أن أذكر لك ما شعرت به أثناء اعتذارى الى خصمى على أرض المعسركة ، أحسب أن من المفيد أن أروى لك كيف تسلسلت الأحداث منذ البداية تسللاً لا يعرفه أحد الى الآن .

وأطلعته على ما وقع لى مع آتانازى ، ورويت له كيف أننى سيجدت أمامه ، وقلت أختم كلامى :

ـ تستطيع أن تفهم بعد هذا أن موقنى فى لحظة المبارزة كان سهلاً، لأننى كنت قد رجعت الى الاحساس بالحقيقة وأنا فى منزلى ، فلما سرت فى هذا الطريق لم يكن على الا أن أتابع المضى فيه ؛ وسلوكى بعد ذلك لا يتصف بأنه لم يكلفنى أى عناء فحسب ، بل كان الى ذلك مصحوبا باحساس بالسعادة والفرح •

أصغى الرجل الى كلامى بانتباه ، وكان فى نظرته الى مودة كبيرة وحب عظيم • قال :

ـ هذا كله شائق جدا ، وسأعود البك لأتحدث معك مرارا •

وأصبح يجيء الى كل مساء تقريبا • وكان يمكن أن تتوثق بيننا عرى الصداقة ، لو أنه حدثنى عن نفسه أيضا • ولكنه لم يكد يفضى الى بشى، عن حياته ، وكان لا يزيد على أن يسألنى عن حياتى أنا • ومع ذلك فقد أحببته كتيرا ، وفتحت له قلبى كله ، قائلا كنفسى اننى فى غير حاجة البتة الى معرفة سرة ، وحسبى أن أعلم أنه رجل صادق مستقيم • وأرضانى أن أرى رجلا أكبر منى سنا ، رجلا يبلغ هذا المبلغ من الجد،

ثم هو لا يحتقر صحبة شاب مثلى ، بل يجيء اليه في منزله ٠٠٠ وقد تعلمت منه أشياء هامة كثيرة ، لأنه كان على جانب كبير من الذكاء ٠

قال لى فعجأة ذات يوم :

_ أما أن الحياة جنة ، فذلك ما أفكِّر فيه منذ زمان طويل ٠

وسرعان ما أضاف قوله :

_ بل اننى لا أفكر الا في هذا •

ونظر الى مبتسماً .

ــ حتى اننى أشد اقتناعا بذلك منك ، لأسباب ستعرفها فيما بعد . كذلك أضاف يقول بعد قلمل .

وقد رَّرت وأنا أصغى اليه انه ربما كان يريد أن يفضى الى بعض أسماره ٠

واستأنف كلامه قائلاً:

ــ ان كلاً منا يحمل في نفسه جنة مدفونة ، ان هذه الجنة قائمة في نفسي وان تكن مختبئة ، وحسبي أن أريد ، حتى أجعلها تنبجس منذ اليوم فأحتفظ بها طوال حياتي ،

كان ينكلم بشىء من الحماسة ؟ وفى نظـــرته المنصبة على ً رأيت ما يشبه أن يكون سؤالا ً مستسراً عجيباً • وتابع كلامه يقول :

- انه لصحیح کل الصحة أن کل انسان مرتکب کل الذنوب فی حق کل الناس ، هذا عدا خطایاه الخاصة ، تلك حقیقة کبری عبرت عنها ، ولا یسعنی الا أن یدهشنی أنك استطعت أن تكتشه فها كاملة ،

دفعة ً واحدة • ومن المحقق أن ملكوت السموات سيكون واقعا لا حلماً فحسب ، في اليوم الذي تفهم الانسانية فيه هذه الحقيقة •

فهتفت أقول بمرارة :

ـ متى يحدث هذا ؟ هل يجيء ذلك اليوم حقا ؟ أليس ذلك أملاً لا أكثر ؟

المنت لا تؤمن بهذا اذن ؟ أتبسر بالحقيقة ثم تستسلم للشك ؟ ألا فاعلم أن ما تسميه أملا سيتحقق لا محالة ، كن من ذلك على ثقة ! على أن هذا لن يتحقق اليوم ، لأن لكل فعل ميقاته في الزمان بحكم قوانين صارمة ، لا بد أن تنغير الانسانية تغيراً نفسيا وأخلاقيا ، لن يكون من الممكن أن يتبدل العالم ما لم يكتسب البشر روحا جديدة ، وما لم يتجهوا في طريق جديد ، لن يكون على الارض أخوة ما لم يشعر البشر بأنهم اخوة حقا ، لن يستطيع البشر في يوم من الايام أن يقسموا ثرواتهم بالعدل اذا هم لم يستوحوا الا العلم ومصالحهم ، ان كل واحد سيجد تصيبه أصغر مما يستحق أن يكون له من تصيب ؟ وان الحسد والحقد سيسودان فيدفعان البشر الى أن يفني بعضهم بعضا ، تسألني متى يتحقق ملكوت السموات على الأرض ، فاعلم أن ملكوت السموات سيتحفق على الارض في يوم من الايام ، ولكن ذلك لن يكون قبل انتهاء « عهد العزلة ، ،

ــ أية عزلة تعنى ؟

- العزلة التي يعيش فيها البشر ، وتتجلى في جميع الميادين ، ولا سيما في عصرنا هذا ، ان عهد العزلة هذا لم ينته ، حتى انه لم يصل الى ذروته ، ان كل انسان في هذا العصر يجهد في سبيل أن يتذوق الحياة كاملة ، مبتعداً عن أقرانه ، ساعياً الى السعادة الفردية ، ولكن هيهات

أن تؤدى هذه الجهود الى تذوق الحياة كاملةً ، فهي لا تقود الا الى فناء النفس فناء كاملا ، ولا تقود الا الى نوع من الانتحار الروحي بعـــزله خانقة • لقد انحمل المجتمع في عصرنا الى أفراد يعيش كل منهم في جحره كوحش ، ويهرب بعضهم من بعض ، ولا يفكرون الا في أن يخفوا ثرواتهم بعضهم عن بعض • وهم يصلون من ذلك الى أن يكره بعضهم بعضا ، والى أن يصبحوا جديرين بالكره هم أيضًا • ان الانسان يكدِّس الخيرات فوق الخيرات في العـزلة ، وتسره القـوة التي يحسب أنه يملكها بذلك ء قائلاً لنفسيه ان أيامه قد أصبحت بذلك مؤ منة مضمونة ؟ انه لا يرى ، لحماقته ، أنه كلما أوغل في التكديس كان يغوص في عجز قاتل • ذلك أنه يتعود أن لا يعتمد الا على نفسه ، ويفقد ايمانه بالتعاون ، وينسى في عزلته القوانين التي تحكم الانسانيه حقما ، وينتهي من ذلك الى أن يرتعد في كل يوم خوفًا على ماله الذي أصبح أن الأمن الحقيقي في الحياة لا يتحقق بالعزلة ، وانما ينحقق باتحياد العجهود وتناسق الأعمال الفردية • ان عهد العزلة الرهب هذا سنتهى حتماً في يوم من الآيام ، وسيفهم البشر فجـــأة مدى تناقض العزلة مع طسعتهم الحقيقية ، وستهب على الانسانية بومئذ نفحة جديدة ، وستتساءل الانسانية مدهوشة يومثذ: كيف أمكنها أن تعش طوال هذه المدة في ظلمات الضلالة لا ترى النور ؟ وعندئذ سوف تظهر علامه ابن الانسان في السموات ٠٠٠ وانما المهم أن نحافظ على عَــَلَـمه الى أن يجيء ذلك الحين ، وأن نحاول ، ولو بالقدوة الفـــردية ، أن نيخلُّص النفس من عزلتها بزرع المحمة الأخوية دون أن نخشي اتهامنا بالغاء • ما ينغي أن تدع لهذا الأمل العظم أن يموت ٠٠٠

هكذا كانت تنقضي ليالينا في أحاديث مشبوبة متحمسة • وأصبحت

أهمل مجتمع المدينة شيئًا بعد شيء ، وأصبحت لا ألبي دعوات الناس الا لمامًا • ثم أن الحماسة لشـخصى كانت قد بدأت تزول • لقد عمت « موضتى » • ولست أقول ذلك لائما ولا عاتبا ، لأن الناس ظلوا يحبوننى ويبحسنون وفادتى • ولكن يجب أن نعترف بأن « الموضـة » تلعب فى المجتمع دورا كبيرا • أما زائرى العجيب فقد أصبحت أحمل له مع مرور الزمن اعتجابا شديدا • كنت أشعر أمام ذكائه بنشوة قوية ووجد عفليم، وكنت أحس أنه ينضج مشروعا سرياً أو يتهيأ لعمل كبير • ولعله قد روك أننى لا أتدخل فيما لا يعنينى فضولا ، فاتنى لم أحاول ، لا على نحو في أننى لا أتدخل فيما لا يعنينى فضولا ، فاتنى لم أحاول ، لا على نحو مباشر ولا على نحو غير مباشر ، أن أستدرجه الى حيث يسر الى بشيء من أمره • ولكننى لاحظت أخيرا أن سره يثقل على صدره ، وأنه يحترق شوقاً الى أن يفتح لى قلبه ، أو ذلك هو على الأفل ما شعرت به شعوراً واضحا كل الوضوح بعد شهر • قال لى يوما :

ــ هل تعلم أن النـــاس فى المدينة يثرثرون كثــــيرا عنا ، وأنهم يدهشون لزياراتى المتكررة لك ؟ لا ضير على كل حال ، فان كل شىء ستضح قريبا .

وكان يتفق له في بعض الأحيان أن ينتابه اضطراب شديد ، وكان في مناسبات في مثل تلك اللحظات ينهض في الغالب لينصرف ، وكان في مناسبات أخرى يطيل التحديق الى م ويلقى على نظرات نافذة ، فأقول لنفسى عندئذ: « ها ٥٠٠ سيتكلم » ، ولكنه ما يلبث أن يغير الحديث ، ويتطرق الى موضوعات لا قيمة لها ، أو يقول أشياء معادة مكرورة ، وكان يشكو من صداع في كثير من الاحيان ، وفي يوم من الايام ، بعد أن تكلم بكثير من الحرارة ، رأيته يصفر على حين فجأة ، ورأيت وجهه بتقلص ، ورأيته يتفرس في تفرساً غريباً ، قلت له قلقاً :

_ ماذا بك ؟ أأنت مريض ؟

ذلك أنه كان قد شكا من صداع منذ قليل • فقال :

ــ أنا ٠٠٠ هل تعلم ؟ أنا ٠٠٠ أنا قاتل ! ٠٠٠

وابتسم بعد أن أفلتت منه هذه الكلمة ولكن وجهه كان فد اصطبغ بزرقة ضاربة الى سواد • « ما هذه الابتسامة ؟ » • برق هذا السؤال فى ذهنى ونفذ الى قلبى ، قبـــ أن يتسع وقتى لأن أرد بشى • • ولـكننى شحبت أنما أيضا •

صحت أسأله:

_ ماذا تعنی ؟

فاستأنف كلامه يقول وهو يبسيم ابتسامة حزينة :

ــ هأنت ذا ترى كم كلفنى هذا الاعتراف الاول من عناء! ولقــد تم الاعتراف الآن ، وستكون متابعته أسهل وأيسر ٠٠٠ فهيًّا أتابع ٠٠٠

لبتت زمناً طویلا لا أصدق ما كان یقوله لی ؟ ولم أستطع أن أصل الی التصدیق الا شیئا فشیئا ، بعد أن رجع الی ثلاث أمسیات متالیات، فروی لی القصة بجمیع تفاصلیها و ظننته فی أول الامر مجنونا ، ثم أدركت الحقیقة أخیرا بمرارة قویة ودهشة عمیقه و لقد ارتكب هله الرجل فعلا جریمة قتل وهیبة منذ أربعة عشر عاما : فتل امرأة شابة غنیة ، جمیلة جدا ، كانت أرملة وجل من مالكی الاطیان ، وكان لها فی مدینتا قصر تقیم فیه من حین الی حین و لقد افتین هذا الرجل بها افتاناً شدیدا ، وتوله بها تولها مشبوبا ، وصارحها ذات یوم بحبه ، وحاول أن شدیدا ، و ولكنها كانت تحب رجلا آخر هو ضابط فی الحیش عالی الرتبة واسع الشهرة كان عندئذ فی الریف وكان علیها أن تلحق عالی الرتبة واسع الشهرة كان عندئذ فی الریف وكان علیها أن تلحق

به قريبًا • لذلك رفضت عرض صاحبي ، ورجته أن لا ينجيء النها بعد ذلك اليوم أبدا • فلما صرفته بهذه الخشونة ، وأصبح لا يستطيع أن يزورها ، تسلل ذات لله الى منزلها الذي كان يعسرف ترتبه ، مارا بالحديقة والسطح ، متهورا أشد التهور ، معرضا نفسه لأن يُكتشف • ولكن الحظ واتاه ، كما يحدث هذا كثيرا في الجرائم الجريئة ، فنفذ الى دارها من كوة في السطح ، ثم هبط السلم المؤدى من طابق السقف الى شقة السيدة • كان يعلم أن الباب الذي يوجد في أسفل هذا السلم يظل مفتوحاً في كثير من الأحبان بسبب اهمال الخدم • وعلى هذا انمــا كان يعورُّل صاحبي ، فصدق حسابه . فلما صار في الشقة اتبجه في الظلام الى غرفة نوم السيدة ، التي كان يشتعل فيها سراج • وشاءت المصادفة أن تكون وصفتا السيدة قد خرجتا في ذلك المساء ، دون أن تستأذناها ، وذلك لحضور حفله صغيرة تقمها صمديقة لهما تحتفل بعيمد ميلادها وتسكن غير بعيد • أما الحدم والخادمات فقد كانوا ينامون في الملحقات بالمحديقة ، أو في المطبخ بالطابق الأدنى • فلما رأى المرأة الشابة نائمة اضطرم هــواه واستعر ، فاذا بغيرة حانقة ظامنـة الى الانتقام تشب في وهو لا يدرك ماذا يفعل • لم يتسع وقت السيدة حتى لاطلاق صرخة • ورتب الرجل أموره بمكر شيطاني وحيل رهيبة من أجل أن تقع الشبهات كلها على ساكني المزل • لم يرض أن يستولى على محفظة القتبل ، وانما فتح أدراج صندوقها مستعينا بمفاتيح وجدها تحت وسادتها ، فاختـــار من محتويات هذه الأدراج أشياء هي ما يمكن أن يسرقه خادم جاهل • لم يمد يده الى السندات والصكوك والاوراق التي لها قمة كيرة ، وانما سرق الأموال النقدية ، وسرق المحلي الذهبية مسترشدا بحجمها ووزنها، محتقراً التحف التي يفوق ثمنها ثمن الحلي الذهبية كثيرًا • وسرق كذلك بعض الاشياء التذكاريه التي سنتحدث عنها فيما بعسد • حتى اذا أتم جريمته على هذا النحو ، خرج من الدار متبعاً نفس الطريق الذي اتبعه في الدخول • ولم يتخطر بسال أحد على الاطلاق ، لا في الغد حين اكتشفت الجريمة ، ولا في أية لحظة من لحظات حياته ، أن يكون هــو المجاني • وكان الناس يجهلون حبه للمرأة القتيل على كل حال ، لأنه كان شديد الصمت قليل الكلام ، ولم يكن له أصدقاء يمكن أن يُسرَ اليهم بشئونه • كان الناس يعدونه أحد أصدفاء القتيل لا أكثر ، حتى أنهم كانوا لا يعدونه من أصدفائها الحميمين ، لأنهم لم يروه في منزلها خلال الأسابيع التي سبقت المأساة • وانصبت الشبهات رأساً على خادم قن اسمه بطرس ، وكانت جميع الظروف تشير اليه وتتهمه • كان هسذا الخادم لا ينجهل أن المتوفاة ــ التي لم تكن تخفي ما عقدت نيتها عليه ــ تريد أن تدخله في قائمة الفلاحين الذين ستقدمهم للخدمة العسكرية ، أولا لأنه عازب ، وثانيا لأنه سيء السلوك ، وقد سمعه الناس في احدى الخمارات يطلق أقوالاً يهدد فيها مولاته بالقتل وهو في حالة سكر شديد وحنسق قوى • وفي غداة العجريمة ، و حد على الطريق ، غير َ بعيد عن الضيعة، فاقدُ الوعي من شدة السكر ، في جبه سكين ويده اليمني ملطخة بدم. وقد فسَّر هو ذلك بأن أنفــه رعف ، ولكنه لم يُصدَّق • واعترفت الوصيفتان بأنهما غابتا عن المنزل فعلاً ، وأقرَّنا بأنهما تركتا باب الدار مفتوحاً عن سهو وغفلة م وجاءت تفاصيل أخرى مؤيدة لقرائن الاتهام هذه ، فاعتقل الحادم البرى. ، وأودع السمجن ، وكان سيمنل أمام القضاء لولا أنه أصيب بحمى حارة بعد أسبوع ، ثم مات في المستشفى قبل أن يفيق من غيبوبته • وأغلق التحقيق ، ولم يبق الا تسليم الأمر لله ••• وظل جميع الناس ، القضاة ورجال السلطة وأبناء المجتمع في المدينة ، مقتنمين بأن العجريمة لا يمكن أن يكون قد ارتكبها أحـــد غير العخادم المتوفي • وعندئذ انما بدأ المقاب •

وقد أسر الى الزائر العجيب ، بعد أن أصبح صديقي ، أنه لم يعرف عداب الضمير في الاونه الاولى • صحح أنه تألم زمنا طويلاً ، ولكن ألمه كان حسرة على أنه قبل المرأة التي يحمها وعلى أنه فقم الى الأبد كل أمل في أن يسعد بقربها ، وكانت نار الحب ما تزال تكوى عروقه • أما أنه سفح دماً وقتل انسانا فذلك أمر لم يزعجه كثيراً ، ولم يكن يفكر هو فيه الا نادرا • كان اذا تصور أن تلك المرأة كان يمكن أن تصمح زوجة رجل آخر غيره لا يطبق أن يحتمل هذا التصور؛ وكان لهذا السبب موقناً بأنه كان يستحيل عليه أن يتصرف الا كما تصرف . وقد هزَّء اعتقال الخادم فيأول الأمر ، ولكن مرض المتهم ووفاته لم يلبنا أن ردًّا البه هدوءه وطمأنينته ، اذ كان واضحاً (هذا ما كان يقوله لنفسه) أن الخادم لم يمت بسبب اعتقاله أو بسبب صدمة نفسية ، وانما مات بسبب البرد الذي أصابه أثناء هـــروبه ، حين بات ليلة ً بكاملها على الأرض الرطبة فاقد َ الوعي من السكر • أما المال والأشباء المسروقة فانه لم يأبه لها قط ، لأنه (هذا ما كان يقوله لنفسه أيضا) لم يسرقها طمعاً بل وسرعان ما وهب لمأوى الفقراء الذي أنشىء في المدينة في الآونة الأخيرة مبلغاً يساوي قيمة الأشمياء المسروقة بل يفوقه كثيراً • وقد فعل ذلك ليهدىء ضميره في موضوع السرقة ، ومن الغريب أنه استطاع أن يهدئه فعلاً خــــلال مدة طويلة من الزمن كمـــا أسر " هو الى " بذلك • واندفع يزاول نشاط مهنته اندفاعاً قوياً فغرق في هذا النشـــاط ، واستطاع أن يحصل على أن يُعهد اليه بمهمة صعبة متعبة مضنية شغلته خلال سنتين ؟ واذ كان رجلا جمَّ النشاط فائض القوة فقد أمكنه أن ينسى الحبريمة التي ارتكبها نسيانا يشبه أن يكون كاملا • وكان اذا راودته ذكراها يبادر الى طرد هذه الذكري • وقد انصرف أيضا الى البر والاحسان فدعم وأنشأ أعمالا خيرية في مدينتنا ، وذاع صيته في العواصم ، فانتخب عضوا في الجمعيات الخيرية بموسكو وسان بطرسبرج • غير أن قلقا أليما قد استيقظ في نفسه بمرور الزمن ، وأخذت ذكري الماضي تحاصره محاصرة ما تنفك تزداد الحاحاً وما تنفك تنقص اندفاعه في العمل • وتعرف في تلك الفترة الى امرأة شابة جميلة ذكية ، أعجبته كثيرًا فقرر أن يتزوجها، آملاً أن يستطيع هذا الزواج أن يطرد كآبته ويبدد قلقه • كان يقول لنفسه انه اذا دخل حياة جديدة وأصبح ينهض، في همة ونشاط ، بواجبانه نحو امرأته وأولاده الذين سينجبهم منها ، فانه سيستطيع أن يتخلص من شبح الماضي الذي بيحاصره تتخلصا تاما . ولكن ما كان يتوقعه لم يتحقق، وانما تحقق نقيضه - فانه منذ الشهر الاول من حياته الزوجية شـــعر بهذه الفكرة تعذبه وتقض مضجعه : « صحيح أن زوجتي تحبني • ولكن كيف عساها تتصرف اذا هي عرفت الحقيقة ؛ » • وحين أسرَّت اليــه أول مرة أنها ستصبح أماً اضطرب وقال لنفسه : « أأهب الحياة أنا الذي قتلت ؟ » • ثم لما كبر أولاده ، أصبحت تهاجمه وتلازمه أسئلة أخرى : « كيف أجرؤ أن أحبهم وأن أربيهم وأنششهم كأنني أستاذ يعلم الفضيلة، في حين انني ارتكبت جريمة قتل ؟ » • وكان أولاده على غاية من الظرف والعجمال ، ولكنه كان اذا اشتهى أن يلاعبهم يقول لنفسه : « لست جديرا بأن أتأمل وجوههم الحلوة الطاهرة التي تتلألأ فيها براءة نفوسهم • » • وأخيرا انبجس أمام ضميره طيف المرأة التي قتلها ، انبجس وعبداً غامضاً كأنه نداء الدم المسفوح يهيب الى الانتقام! وأصبحت توافيه في الليــل أحلام ثقيلة وكوابس مرهقة • ومع ذلك استطاع بفضل قوة قلبه وثبات جنانه أن يحتمل هذا العذاب زمناً طويلاً ، واستطاع أن يقبله قائلاً لنفسه انه سيكفِّر بآلامه الخفية عن خطيئته • ولكن أمله هذا قد خاب. فان القلق الداخلي ما انفك يزداد ويتفاقم • والناس في المجتمع يحترمونه

تقديرا لمبره واحسانه ، مع بهيبهم قسوه طبعه وانغلاق نفسه ، ولكنه كأن يزداد نعورا بالارهاق كلما ازداد سعورا باحترام الناس له، وقد اعترف لى بأنه فكر في الانتحار غير مرة ، غير ان فرارا اخر قد أخذ ينضج في نفسه ، فرارا بدا في أول الأمر حلماً طائشاً مجنبوناً ولكنه ما زال يستولى على وجدانه ويترسنع في ضميره حتى اصبح لا يستطيع أن يصرف عنه فكره ، كان يقسول لنفسه : « يجب أن أسلم نفسي للقضاء ، يجب أن أعترف بجريمتي ، يجب أن أتهم نفسي أمام جميع الناس بأنني قاتل ، » ، وظل ثلاث سنين يحمل في خياله هذا المحلم الذي يعاوده في صبور جديدة بغير انقطاع ، وانتهى الى الاقتناع بأنه سيشفى روحه وسيسترد أمنه الداخلي الى الأبد ، اذا ههو اعترف بجريمته ، ولكن ما ان تأصل هذا الاقتناع فيه حتى غزا الرعب قلبه ، فأصبح يقول لنفسه : «كيف أفعل مثل هذا ؟ » ، وفي ذلك الحين انما وقعت المبارزة بيني وبين ذلك الرجل ،

قال لى الزائر العنصب:

ــ حين نظرت اليك وجدت في نفسى القوة على أن أعزم أمرى وأتخذ قراري •

فهتفت أسأله وأنا أضم يدى ً احداهما الى الأخرى :

ــ هل يمكن حقاً أن يكون حادث تافه كهذا الحادث قد ولَّد في نفسك عزيمة كهذه العزيمة ؟

فأجابني قائلا:

ـ ان هذا القرار قد نضح فی نفسی خلال ثلاث سنین ، ولم تزد مبارزتك علی أن أخرجته الی النور • اننی ازاء المثل الذی ضربته أنت قد استحست من ضعفی وحسدتك • كذلك قال بلهجة تشبه أن تكون قاسية • قلت :

_ لن يصدِّقوك ، فيعد أربعة عشر عاماً ٠٠٠

ـ عندى براهين ، براهين رهيبة ، لا يمكن دحضها ٠٠٠ سـأفدم هذه البراهين .

بكيت وعانقته ٠

وقال لى بعد ذلك كأنه يخاطب انسانا يتعلق به مصيره :

- أجبنى مع ذلك عن سؤال ، سؤال واحد : ما الذى سيحدث فى هذه الحالة لزوجتى وأولادى ؟ قد تموت زوجتى حزنا • أما أولادى فأنهم لن تسقط عنهم نبالتهم ولن يحرموا من أموالهم ، ولكنهم سيظلون الى الأبد أولاد سنجين محكوم عليه بالأشغال الشاقة • وأية ذكسرى سيحفظونها عنى ؟

صمت فلم أقل شيئاً •

وأردف يقول :

ـ سيكون على أن أنفصل عنهم وأن أتركهم الى الأبد!

لم أجب بشيء ، وكنت أتلو صلاة " بصوت خافت ، ونهضت أخيراً وقد امتلأت نضي رعباً وفزعا ، سألني وهو ينظر الي ":

ـ میه ۶

قلت:

ــ سلمّم نفسك للقضاء! كل شيء سينقضي وتبقى الحقيقة وحدها. وسيفهم أولادك حين يكبرون مدى ما احتجت اليه من نبل وسمور روحي في سبيل اتخاذ هذا القرار .

تركنى فى ذلك المساء وقد بدا عليه واضحا أنه قرر أن يعترف بحريمته ولكنه ظل خلال الأسبوعين اللذين أعقبا ذلك ، يجيء الى كل مساء تقريبا ، ويستعد كل يوم لتحقيق ما عقد الله عليه ، حتى اذا جاء الغد جبن فى آخــر لحظة عن تحقيق عزمه ، وكان تردده يقلقنى ويعذبنى ، انه يبدو فى بعض الأحيان ثابت الجنان صــلب العزيمة ، فها هو ذا يقول فى رقة وحنان :

س أنا أدرى أننى سأعرف الجنة متى اعترفت بجريمتى • لقد عشت أربعة عشر عاماً فى الجحيم • أريد أن أتألم • سأقبل المحنة وسأستأنف الحياة • الكذب لا يؤدى الا الى الفلمات ، وهو يسد الطريق نحو الضياء الى الأبد! أنا الآن لا أجررؤ أن أحب حنى أولادى فكيف بالناس! سيفهم أولادى • • • آه يا رب! سيفهمون ما فاسيت ولن يدينونى!

ـ سيفهمون القرار الذي اتخذته ، وسيستحسنونه جميعا ، ان لم بكن فورا ففي المستقبل حتما ، انك بهذا العمل تخدم الحقيقة ، تخدم حقيقة أعلى من الواقع الأرضى ،

انصرف بعد ذلك وفد رضيت نفسه واستد أزره ، ولكننى رأيت. في الغد عائدا الى وقد شعم وجهه وتشعنت هيئته ، فقال لى بلهجه فيها سعد ية :

ــ كلما دخلت عليك أحسس أنك تنفرس في كمن يقول لنفسه:
« لم يقرر بعد ! » • صبرك ولا تنسرع في احتقارى : ان انفاذ هـــذا الأمر أصعب مما تغلن • ومن يدرى ؟ فقد أعدل عنه أخيرا ! أحسب أنك لن تمضى تشى بى !

والحق أتنى لم أكن أتفرس فيه مستطلعا ، فلقـــد كنت لا أكاد

أجرؤ أن أنظر اليه · كانت هذه المأساة الداخلية تـُـمرضني ، وكت أهم أن أبكي في كل حين ، حتى لأوشك أن أُـحرم النوم ·

قال يوما حين وصل الي ً:

ـ تركت امرأتى منذ هنيهة • هل تستطيع أن تفهم ما معى هـذه الكلمة : امرأتى ؟ • • • لقد صاح أولادى يقولون لى حين خرجت من المنزل : « عد بسرعة يا بابا لتقرأ معنا فى كتاب الحكايات » • لا • • • انك لا تستطيع أن تفهم هذا • ان شقاء غيرنا يبدو لنا خفيفا •

وسطعت عيناه واختلجت ضمتاه • وضرب المائدة فعجأة بقبضة يده ضربة للغت من القوة أن الأشياء التي كانت عليها أخفذت تهتز • أن هذه البادرة تبدو أمرا خارفا من رجل يبلغ ما يبلغه هو من وداعة ورقة في العادة •

هتف يقول :

- أهذا ضرورى فعلا ؟ أهو مفيد حقا أن أشى بنفسى ؟ ما الداعى الى هذا الاعتراف ولم يُحكم على أحد بسبب جريمتى ، ولم يرسل برىء الى السبجن بدلا عنى ، وقد مات ذلك الخادم من مرض ؟ أما الدم المسفوح فاننى أكفر عنه بآلامى وعذابى ، ثم انهسم لن يصد قونى ، وسيبعدون الأدلة التى يمكن أن أقدمها ، ففيم أشى بنفسى ؟ هلا قلت لى فيم أشى بنفسى ؟ هلا قلت لى فيم أشى بنفسى ؛ من تلك الجريمة في نفسى ، شريطة أن لا أجر زوجتى وأولادى معى الى الشقاء ، هل من العدل أن أجبرهم على مشاركتى فى العقاب ؟ ألا ترى أننا قد ضللنا طريق الرشاد ؟ أين الحقيقة ؟ وهل همؤلاء الناس جميعا قادرون حقا على أن يدركوا الحقيقة ، وعلى أن يقدروها ويحترموها كما يجب أن تقد تر وأن تحترم ؟

قلت أخاطب نفسى : « رباه ! انه يهتم بتقدير الناس في منل هذه هذه اللحظة ! » • واجتاحت نفسى عندئذ شفقة شديدة عليه حتى بدا لى أننى مستعد لأن أشاطره مصيره لو كان ذلك يخفف عذابه • لقد انقلبت سحنته انقلابا رهيبا • وما كان أنبد انصماقي حين أدركت لا بعفلي في هذه المرة ، بل بروحي وقلبي ، مدى ما يكلفه منل هذا القرار من امن باهظ !

هتف يقول:

_ قر رُّ مصیری •

فأجبته هامساً :

ـ سلتم نفسك للقضاء!

كان صوتى واهناً ضعيفا ، غير أن فيه حزماً وصلابة • ثم تناولت الكتاب المقدس من على المائدة _ فى ترجمته الروسية _ ودللته على هذه المفقرة من النجيل يوحنا ، الاصحاح ١٢ ، الآية ٢٤ : « الحق الحق أقول لكم : ان لم تقع حبة القمع فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها • ولكن ان ماتت فهى تأتى بنمر كئير » • وكنت قد وقعت على هذه الآية قبل زيارته بلحظات • قرأ الآية وقال :

_ هذه هي الحقيقة •

ولكنه ابتسم بعد ذلك بمرارة ، وصمت لحظة ثم قال :

ــ ما أكثر ما يجد المرء فى هذه الكتب! ما أسهل ما يوضع تحت أنفك كلام كهذا الكلام! فمن ذا الذى كتب هذا كله؟ هل يمكن أن بكون الذين كتبوه بشراً؟

قلت:

ـ نعم • ولكنهم كتبوء بوحي من الروح القدس •

عاد یقول مبتسما مرت أخرى ، ولكن ابتسامته في هذه المرة يكاد یكون فسها كره :

_ مهما تتكلم !

فتحت الانجيل على موضع آخر ، وأريته الآية ٣١ من الاصحاح « ١٠ » « الرسالة الى العبرانيين » • فقرأ : « مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحي » •

فرمي الكتاب وأخذ جسمه كله يرتعد • قال :

_ هذه آية رهيبة • يحب أن أعترف لك بأنك أحسنت اختيارها للمناسية •

ونهض قائلا :

ـ الوداع • أغلب الظن أننى لن أجى اليك بعد اليوم • سنلتقى في الجنة • لقد « وفعت اذن في يدى الرب الحي » مدة أربعة عشر عاما • يظهر أن على أن أسمتى هذه الفترة من حياتي هكذا • غدا سأضرع الى تينك اليدين أن تتركاني • • • •

وددت لو أقبله ، ولكننى لم أجرؤ ، كانت قسمات وجهه متقبضة وكانت نظرته ثقيلة ، خرج ، تساءلت : « الى أين يمضى هذا الانسان الآن يا رب ! » ، وارتميت جائيا على ركبتى أمام أيقونة العذراء ، صليت باكيا لأم الرب التى تنخف الى الشفاعة والحماية ، انقضى نصف ساعة دون أن أكف عن الدعاء والبكاء ، أوشك الليل أن ينتصف ، هذا باب الغرفة يُفتح فجأة ، وهذا صاحبى يظهر من جديد ، أذهلتنى رؤيته ،

سالته:

ــ من أين جئت ؟

ــ نسيت ٠٠٠ أظن أننى نسيت عنـــدك شيئًا ٠٠٠ هو منديل فى أغلب الظن ٠ وهبنى لم أنس شيئًا ، فان هذا لا يمنعنا من أن نتحدث ٠٠٠

جلس . بقيت واقفا أمامه . قال لي :

ـ اجلس أنت أيضًا •

أطعته • لبننا على هذه الحال بضع دقائق لا نتكلم • كان يحدّ ف الى في • وفجأة ، ضحك ضحكة صغيرة • • • أتذكر ذلك • • • ثم نهض ، واقترب منى ، وعانقنى بحرارة • • • وقال يخاطبنى فى هذه المرة بصيغة المفرد :

ـ تذكر أننى جئت اليك هذه الليلة • لا تنس ذلك • فهمت ؟ تلك أول مرة يخاطبنى فيها بصيغة المفرد• ثم خرج • قلت لنفسى: « انه فاعل غدا » •

لم يخطى، ظنى • كنت أجهل فى ذلك المساء أنه يحنفل غدا بعيد ميلاده • النى لا أخرج منذ حين الا لماماً ، فلم يذكر لى أحد ذلك • كان يقيم فى كل سنة حفلة كبيرة فى منزله يدعو اليها كل أبناء المجتمع الراقى من أهل المدينة • وكذلك فعل فى هذه السنة • حتى اذا انتهى العشاء تقدم الى وسط الصالة ، ممسكا بيده ورقة كتب عليها اعترافاته موجهة الى رؤسائه • كان رؤساؤه حاضرين الحفلة • قرأ تصريحه بصوت عالى ، ذاكراً جميع تفاصيل الجريمة التى ارتكبها منذ أربعة عشر عاما • وختم قراءته قائلا :

- أنا شيطان رجيم • وقد قررت أن أبعد نفسى عن المجتمع • لقد مستنى النعمة الالهبة • أريد أن أتألم •

السنين ، والتي يأمل أن يبرهن بها الآن على قيامه بنجريمته : حلى المرأة القتيل ، التي سرقها تمويهاً ودفعاً للشبهات ، والصليب والنيشان (الذي يضم صورة خطيب المرأة القتيل) ودفترا ورسالتين ؟ فأما الرسالة الأولى فهي من الخطيب يبلغ فيها خطيبته أنه آت ِ قريبًا ، وأما الثانية فهي جوابٍ لم تتم كتابته وقد تركته على منضدتها لترسله الى خطيبها فيالغد. مأذا كان هدفه من أخذ هاتين الرسالتين ؟ وماذا كان الدافع الذي دفعه بعد ذلك الى أن يحتفظ خلال تلك السنين كلها بهلذه الأدلة التي تتهمه وتعرُّضه للمخطر بدلا من أن يتلفها ؟ مهما يكن من أمر ، فاليكم ماحدث: ذُ هل الحضور من اعترافاته ، وانتابهم جزع ، ولكنهم رفضوا أن يصدقوا هذه الاعترافات • صحيح انهم أصغوا اليه بكتير من الانتباه والاستطلاع، كانت المدينة كلها مجمعة على أن المسكين قد فقد عقله • ولئن لم بكن في وسع رؤسائه ورجال السلطة أن لا يتابعوا الأمر ، فقد أرتأوا أخيراً أنه لا مجال لتحريك القضاء • ذلك أن الرسالتين والأشياء التي قدمها ان كانت تمعث على التفكير ، فلا يمكن أن يُمني علمها وحدها اتهام ، حتى ولو ثبت أنها للقتيل ، فمن المكن أن تكون القتيل قد عهدت اليه بها كصديق • وقد علمت' فسما بعد أن أصدقاء الضحة وأقرباءها قد تعرفوا هذه الأنساء ، فلم ينق حول ذلك شك • ولكن القضية لم تُنحر ُّك رغم هذا ، فقد عُـلم بعد خمسة أيام أن المسكين قـــد مرض وأن حاته في خطر • لا أستطيع أن أقول ماذا كان مرضه • وقد تحدث الناس عن اضطرابات قلببة • ومهما يكن من أمر ، فان الأطباء قد فحصوا حالتــه العقلبة أيضًا ، وذلك بالحاح من امرأته ، فانتهوا الى أنه مصاب ببداية جنون • ولم أكشف عن اعترافاته لى طبعا ، رغم أن جميع الناس قــــد حاصرونى بالأســـئله • وحين أردت أن أزوره مع ذلك أ علق دونى بابه ، وكانت امرانه خاصة هى النى حالت بينى وبينه • قالت لى : «أنت الذى أدخلت الاضطراب والاختـــلال الى عقله ! لقــد كان دائما قاتم المزاج ؟ وأصبح ضطرابه النفسى وسلوكه الغريب يقلقاننا منذ عام ، فجئت أنت فأجهزت على عفله ! أنت الذى حشوت رأسه بهذه الأفكار ! انه منذ شهر لا يكاد يخرج من عندك !

ولم يكن هذا شأن امرأته وحدها ٠٠٠ هل تصدقون هذا ؟ لقسد هاجمتني المدينة كلها عندئذ وأغرقتني لوماً وتقريعاً ٠

_ هذه خطئتك !

هذا ما كان يقوله لى الناس في كل مكان .

وكنت أصمت فلا أجيب ، وكنت في قرارة نفسي سعيداً ، ذلك أنني أدركت أن الرب قد أشفق على الرجل الذي أدان نفسه وأراد أن يلقى جزاء ، أما جنونه المزعوم ، فما كان لى أن أصدقه ، وسلمح لى أخيرا بأن أراه ، لأنه أعسرب هو نفسه عن هسله الرغبة ملحاً من أجل أن يود عنى ، فحين دخلت عليه أدركت منسله اللحظة الأولى أن ساعاته لا أيامه وحدها ، معدودات ، كان واهناً ضعيفا أصفر الوجه مرتعش اليدين يتنفس بكثير من العناء ، ولكن نظرته تعبير عن الفرح والهدوء والنا الجنان ، قال لى :

ــ انتصرت الحقيقة ! اننى انتظرك منذ مدة طويلة ، لماذا تأخرت في المجيء ؟

أُخفيت عنه أنني مُنعت من مقاربته •

 بعد تلك السنين الطويلة كلها • لقد وجدت الجنة في نفسي منذ تكلمت مستوحياً ضميرى • أصبحت لا أخشى أن أحب أولادى وأن ألاطفهم وألاعبهم • ان الناس ترفض أن تصدقنى ؟ ما من احد يريد أن يسلم بأننى قاتل ، لا زوجتى ولا قضاتى • وأولادى لن يصدقوا هـــذا ، هم أيضا • سوف أموت ، ولكن اسمى سيظل في نظرهم طاهرا لم يدنيس ولم ينلطنخ • أوه ؟ اتنى أشعر بالله الآن ، وان قلبي لمبتهج كأنني في المجنة • • • • فحت بواجبي • • •

لم يستطع أن يكمل كلامه ، فقد اتتابه اختناق ، غير أنه شدً على يدى بحر رة ، ونظر الى صامتا ، وقد سطعت عيناه بلهيب ، لم نتمكن من اطالة حديثنا ، لأن امرأته قد نف صبرها ، فهى تشق الباب بغير انقطاع ، واتسع وقته مع ذلك لأن يدمدم قائلا :

_ هل تتذكر أننى جئت اليك فى ذلك المساء ، عند منتصف الليل؟ لقد أوصيتك عندئذ بأن لا تنسى ذلك ٠٠٠ فهل تعلم ماذا كان هدفى حين جئت اليك فى تلك الساعة ؟ كان هدفى أن أقتلك !

ارتعشىت •

_ فبعد أن تركتك ، لبثت أطوف في الشوارع على غير هدى زمناً طويلا أصارع نفسي ، فاذا أنا أشعر فجأة بكره لك بلغ من القوة أتنى أحسست أن قلبي يوشك أن ينفجر ، قلت لنفسى : « بسببه وحده انما أنا مضطر الى الاعتراف الآن ، لقد أصبح قاضي ، ولن أستطيع أن أفلت من العقاب غدا لأنه يعلم كل شيء ، وليس معنى هذا أنتي كنت أخشى أن تشي بي (ان هذه الفكرة لم تخطر ببالي في لحظة من اللحظات) ولكنني كنت أقول لنفسى انني لن أستطيع أن أنظر اليك بغد ذلك اذا أنا لم أسلم نفسي للسلطات ، وسيان أن تكون في هذه المدينة وأن تكون في أقصى الأرض ، أصبحت لا أطيق أن أتصور أنك تعيش في مكان ما

عالماً بأمرى حاكما على مدينا اياى و فأخذت أكرهك ، كما لو كنت علة شقائى ، كما لو كنت مسئولاً عما أنا فيه و ورجعت اليك متذكراً أن عندك على المائدة خنجرا و وجلست ، ودعوتك أن تجلس أنت أيضا ، ولبثت دقيقة طويلة أفكر وأنا أحد ق اليك و بديهى أن حياتى كانت سنتحطم على أى حال لو قتلتك ، وأننى كنت سأنتهى نهاية شقية ، سواء اعترفت بالجريمة الأخرى أم لم أعترف ولكن ذلك لم يخطر ببالى فى تلك اللحظة ، لأننى لم أكن أهتم بالعسواقب و كنت أكرهك ، وكانت تحرقنى رغبة قوية فى أن أثار منك لكل ما كنت قد قاسيته من عنداب والشيطان فى قلبى و ولكن اعلم أن الموت لم يقترب منك الدقيقة على الشيطان فى قلبى و ولكن اعلم أن الموت لم يقترب منك فى يوم من الأيام كما اقترب منك فى تلك الليلة و

مات الرجل بعد أسبوع و وشيعت المدينة كلها جثمانه الى المقبرة وألقى الكاهن كلمات مؤثرة و وانتحب المتحبون حزناً عليه ، واشتكوا مر الشكوى من المسرض الذى أمانه و وبعد البجدانة قاموا على وأصبحوا منذ ذلك الحين لا يدعوننى الى منازلهم و غير أن عدا من الأشخاص ، كانوا قلة فى أول الأمر ثم تكاثروا بسرعة بعد ذلك ، قد انتهوا الى الاقتناع بصدق اعترافاته ، فكانوا يجيشون الى فى كنير من الأحيان يزعجوننى بأسئلتهم عنه ، وقد امتلأت نفوسهم فضولا شديدا وخبئاً خفياً و ان الانسان يحلو له يرى رجلا صالحا يسقط ويتلطخ شرفه و أبيت أن أتكلم مع ذلك ، ثم لم ألبت أن بارحت تلك المدينة مبارحة تامة و وبعد خمسة أشهر من على الرب فوجهنى فى طسريق مبارحة تامة و وبعد خمسة أشهر من على الرب فوجهنى فى طسريق صاحبى ذاك ميشيل ، خادم الرب ، الذى كان عائر الحظ ، فقد ذكرته صاحبى ذاك ميشيل ، خادم الرب ، الذى كان عائر الحظ ، فقد ذكرته فى صلواتى كل يوم منذ ذلك الحين ، وما زلت أذكره فيها حتى هذه الساعة ،

بعن لالتع اليم لالتي عبرجها لالأب زرسيما فحيت لأجاه سيرك

ه _ حديث عن الراهب الروسى والدور الذي يمكن أن يقوم به •

الراهب يا اخوتي ومعلمي ؟ ان بعض الناسس في الأوساط المنقفة ينطقون بهدف الكلمة في أيامنا هذه ساخرين ، وان بعضهم لآخر يعدها مسة واهانة ، وسوء الفهم هذا ما ينفك يتفاقم



بمرور الزمن • صحيح أن بين الرهبان ـ يجب على أن أعترف بهذه الحقيقة وا أسفاه ! ـ كسالى وفجرة وفاستين • فأولئك أناس أفاقون أشقياء ارتموا في الأدبرة • والمتنورون من أبناء المجتمع يدلنون علينا بهذا ليعدونا رجالا وانين ، لا خير فيهم ولا نفع منهم ، وليعاملونا كما يعامل طفيليون ومتسولون لا شرف لهم • ولكن ما أكثر المتواضعين الوادعين بيننا مع ذلك ! ما أكثر الذين لا يطمحون الا الى أن يصلوا للرب صلاة حارة في عزلتهم الهادئة ! ان الناس لا يلقون بالا الى أولئك ، حتى أنهم لا يأثون على ذكرهم ولا يتكلمون عنهم البتة • ألا ما أشد الدهشة التي سيشعر بها أولئك الثاليون المشنعون اذا هم

علموا أن روسيا المقدسة انما سينقذها مرة أخسرى في يوم من الأيام هؤلاء الرهبان المتواضعون الظامئون الى العزله والصلاة! ان هؤلاء الرهبان يستعدون صامتين « لليوم والساعة ، للشهر والسنة » التي سيحين حينها هم الآن يسهرون على صورة المسيح ، محاولين بكتير من التقى والخشوع في حياتهم المغمورة ، أن يحافظوا على ما لهذه الصورة من سناء ونقاء ، فهم يعيسون في الحقيقة الالهية وفقاً لتعاليم آباء الكنيسة والرسل والشهداء ، حتى اذا دقت الساعة ذكروا البشر برسالته الى الانسانية المترنحة ، ان هناك فكرة عظيمة هي فاعدة حياتهم ، انها النجمه التي ستطلع يوما من المشرق ،

فاكم هو رأيى فى الرهبان و أأكون على ضلال و أيكون حكمى قائما على عجب وغرور الفلروا الى العلمانيين و هؤلاء الذين يعيشون فى المجتمع ويعدون أنفسهم أعلى من رجال الدين: ألم يدنسوا نفوسهم ويخونوا الحقيقة الالهيئة و هم الذين خلقوا على صورة الرب الهم يملكون العلم ولكن العلم لا يعرف الا ما تدركه الحواس و أما الكون الروحى و أما العنصر الأسمى فى الطبيعة الانسانية و فقد رفضوه و تهذوه واطرحوه وأدانوه و شاعرين بنوع من فرح الانتصار و بل وبنوع من والكن ما الذي تؤدى اليه هذه الحرية ولا سيما فى أيامنا هئذه ولكن ما الذي تؤدى اليه هذه الحرية وما الذي نراه يتأكد باسمها ولكن ما الذي تؤدى اليه هذه الحرية وما الذي نراه يتأكد باسمها وعودية النفوس والانتحار الأخلاقي و و ما الذي نراه يتأكد باسمها والأغنيا والكبار و لا تخش رغباتك و بل أكثر عددها و و م تلكم هي عقيدة هذه الأيام و هكذا يتصور الناس الحرية في هنذا العصر و قما الذي يؤدى البه هذا الحق المزعوم في اكثار المرء رغباته اله اله الحرة والموت الناسي و يؤدى لدى الفقراء الى الحديد الذي الخياء الى العراة والموت النفسي و يؤدى لدى الفقراء الى الحديد الذي الخياء الله المزلة والموت النفسي و يؤدى لدى الفقراء الى الحديد الذي المناه الحديد المناه المورية في اكتار المرء رغباته الى العراه والموت النفسي و يؤدى لدى الفقراء الى الحديد الذي المناه المورية في اكتار المرء رغباته الى العراه والموت النفسي و يؤدى لدى الفقراء الى الحديد الذي المنورة الى المرة و الموت النفسي و يؤدى لدى الفقراء الى الحديد المناه المورة و المناه المورة و الموت النفسي و يؤدي لدى الفقراء الى المورة و المورة المناه المورة و المورة الناس المورة و المياه المورة و المياه المورة و المورة الناس المورة و المورة المياه المورة و المياه و المياه المورة و المياه المورة و المياه المورة و المياه المورة و المياه المياه و المياه المياه و المياه و

والقتل • ذلك أن الناس فد أعطوا حقوفًا ، ولكنهم لم يُعلُّموا بعدُ وسائل تحقيق الغلبة لها ووسائل ارضاء حاجاتهم • يزعم بعضــهم أن التطور الطبيعي يقود الانسائية نحو مزيد من الاتحاد ، فازالة المسافات بالمكتشفات الحديثة ، وانتشار الفكر في الهواء ينمان الاحساس بالأخوة والتضامن • واحسرتاه! لا تدعوا لهذه الأوهام أن تخدعكم! ما من وفاق يمكن أن يقوم على أسس من هذا النوع • اننا اذا تصورنا الحرية على أنها قدرة الفرد على اكثار حاجاته وارضائها بسرعة ، كنا نشو ً، طبعة الانسان، ونثير فيه حاجات باطلة لا سبل الى تحقيقها، ونخلق له عادات حمقاء وأحلاماً مجنونة • ان الناس لا يعيشــون اليوم الا في الحميد اشباعا لشهواتهم أو ارضاء لغرورهم • ان اقامة الحفلات ، والخروج فىالنزهات ، والتمتع بالمآدب، واقتناء العربات الفاخرة ، والظهور بالمظاهر الخلابة وامتلاك الخدم الأقنان ، ان ذلك كله يبدو لأبناء المجتمع ضرورة لا غنى لهم عنها ، وحاجة "لا ينالون في سيسلها أن يضحوا بحساتهم وشرفهم ، وأن يتخلوا عن حب الانسان أخاه الانسان ، حتى لمؤترون أن ينتمحروا على أن يتنازلوا عنها • وهذا يصدق أيضًا على من لا يملكون ثراءً طائلاً • أما الفقراء فانهم يخنقون بالسكر ، الى حين ، ما يشعرون به من حسد ، وما يدركونه من استحالة ارضاء رغباتهم • ولكن سأتمى يوم يسكرون فيه بدم لا بخمر ٠ فالى هذا انما يُدفعون ٠ انبي لألقي علكم هذا السؤال: هل هؤلاء الرجال أحرار؟ لقد عرفت في الماصي مثقفاً كان « يناضل في سمل فكرة » • وقد أُسرًّ اليُّ هذا الرجل في ذات يوم أنه حين حُرم من التدخين في السيجن بلغ ألمه من هذا الحرمان أنه أوشك أن يبخون « فكرته » في سبيل التسدخين • وكان يزعم أنه يريد أن « يناضل في سبيل الانسانية » • هل نصدق أن رجلاً كهـدا الرجل يمكن أن يمضى بعبدا في بذل الجهد ؟ انه عاجز الا عن اندفاعات مؤقتة وعمل مباشر ، أما الثبات والاستمرار فلا طاقة له بهما ، فهل غريب بعد هذا أن البشر لم يجدوا الحرية بل العبوديه ، وأنهم بدلا من أن يبخدموا الانسانيه وأن يوحندوها فد سفطوا الى « العزلة » ، كما قال لى فى شبابى زائرى العجيب ومعلمى ذاك ؟ لهذا نرى العالم الآن بسبيل أن يفقد اليوم حس الاخلاص للانسانية ، حس الوحدة الانسانية والأخوة الانسانية ، ويبلغ من ذلك أن هذه الأشواق الكبرى أصبحت لا تثير الا ابتسامات هى ابتسامات من أصبح لا يؤمن بالأوهام ، ، وأنتى للانسان فعلا أن يتحرر من عاداته المكتسبة ، وماذا يمكن أن يصير اليه الانسان الذى استعبدته حاجاته ، اذا كنا قد علمناه أن يرضى الشهوات الكثيرة التي يتخلقها هو نفسه ؟ ان انسانا هذا شأنه انما يعيش فى عزلة روحية ، وهل تعنيه الجماعه فى هذه الحالة ؟ ذلك ما وصل اليه البشر: جمعوا ثروات فوق ثروات ، أما الفرح فقد تناقص فى قلوبهم ،

ولا كذلك الطريق التي يسير فيها الراهب و كبيرا ما يسخر الناس من الطاعة والصيام والصلاة مي في من الطاعة والصيام والصلاة هي في الواقع السبيل الوحيدة الى بلوغ الحرية الحقيقية : انني حين أضحي بحاجاتي الزائدة ، وحين أسبطر بالطاعة على ارادتي المزهوة الأنانية ، انما أرتفع بعون الله الى الحربة الروحية التي تهب لى الفرح النفسي و أينهما أكثر تأهباً المنضال في سبل فكرة عظيمة ، ألغني الذي يعيش في عزلته الروحية أم الراهب الذي تحرر من استبداد العادات والحاجاب عزلته الروحية أم الراهب الذي تحرر من استبداد العادات والحاجاب المادية ؟ ان بعض الناس يأخذون على الرهبان أنهم معتكفون ، فهم يقولون لهم : " لفد اعزاتم العالم لتضموا سلامتكم وراء جدران دير ، ونسيتم لهم : " لفد اعزاتم العالم لتضموا سلامتكم وراء جدران دير ، ونسيتم نرى من الذي سبخدم قضية الأخوة الانسانية هنرا من غيره و ألا انهم هم الذين يعيشون في العزلة ، لا نحن ، ولكنهم لا بدركون ذلك و ومن

بيننا انما خرج ، منذ أقدم العصور ، أولئك الرجال الذين ناضلوا في سبيل سعادة الشعب ، فلماذا لا يكون الامر على هذا النحو اليوم ؟ لسوف ينرى هؤلاء الرهبان المتواضعون الذين يلتزمون قواعد الصيام والصمت لسوف ينرون في يوم من الايام يهبون للقيام بعظائم الأعمال ، ان الشعب هو الذي سينقذ روسيا ، وان الرهبان الروس قد ظلوا متحدين بشعبنا اتحادا قوياً في جميع الأزمان ، اذا كان الشعب في العزلة فنحن في العزلة أيضما ، ان ابن الشعب يؤمن بما نؤمن به نحن ، أما مثقفونا الملحدون ، فانهم لن يصلوا الى شيء في روسيا ، ولو صدقت قلوبهم وكانوا ينعمون بذكاء عبقرى ، تذكروا هذا : ان الشعب سيقوم أخيرا على الملحدين وسيغلبهم ، سوف تسترد روسيا العظيمة وحدتها الروحية في الأرثوذكسية ، اسهروا على الشعب ، وصونوا طهارة روحه ، ربوه في الأرثوذكسية ، اسهروا على الشعب ، وصونوا طهارة روحه ، ربوه في صمت ، تلكم هي رسالتنا أيها الرهبان ، لأن هذا الشعب يحمل في

و ـ حديث عن السادة والخدم هل يمكن أن يصبحوا اخوة في الروح ؟

انه لصحيح ، وا أسفاه ، أن الشعب يعيش في المخطيئة هو أيضا ، ان عوامل الانحلال والتفسيخ تتابع عملها ، وان الشر ينتشر ساعة بعد ساعة ، لأن عدواه تأتى من الطبقات العليا ، فاذا بالصغار والفقراء يقعون في العزلة هم أيضا ، اننا نرى ظهور المحتكرين والمستغلين ، والتجار يزدادون ظماً الى مظاهر المجد ، انهم يريدون أن يُعدُّوا مثقفين ، مع أنهم لا يملكون أية ثقافة في الواقع ، وهم يحسبون أنهم يصلون الى ذلك باظهار احتقارهم للعادات القديمة ، ويبلغون في هذا حد الشعور بالمخجل والعار من أيمان آبائهم ، انهم يختلفون الى مجتمع الأمراء ،

مع أنهم ليسوا الا فلاحبن متدهورين • ان الادمان على الخمر يهلك روح شعبنا الذي لا يسنطيع النحرر منه • ما أشد فسيسوة حياة المرأة وحتى حياة الاطلمال في الاسر الفقيرة! أن الاسراف في شرب الخمرة هو سبب ذلك • لقد رأيت أطفالا يعملون في المصانع وهم لمّا يكادوا ببلغون العاشرة من أعمارهم : انهم ضعاف هزيلون مقوَّسو الظهور قد فسدت أخلاقهم منذ الآن • القاعات الخانقة المبوبوء هـــواۋها ، ضبجة الآلات ، العمل الذي لا تتخلله راحة كافية ، الأحاديث البذيئــة التي يسمعها الطفل في هذه البيئة ، المشروبات الكحولية ، ذلك كله لا يخلق مناخا صالحًا لنفس الطفل. أن الأطفال في حاجة الى الشمس ، والألعاب، والقدوة الحسنة ، وحد أدنى من العاطفة والحنان! يجب أن تنتهى هذه الحالة أيها الرهبان ، وأن يتخلص الاطفال من العذاب! امضوا الى سينقذ روسيا رغم كل شيء • ذلك أن ابن الشعب ان تدهور وأصبح لا يشعر بالقدرة على العدول عن هذه الخطايا الرهيبة ، فانه يعلم على الأقل أن سوء سلوكه هذا لا يرضي الرب، وأنه يخطيء اذ ينقاد للشر. ان شعبنا لم يفقد ايمانه بالخــــير • انه مؤمن بالله ، وهو يبكي ندماً على خطاياه بدموع صادقة • وليس هذا حال أبناء المجتمع الراقى وا أسفاه ! فهؤلاء يدعون اقامة العدالة بمعونة عقلهم وحده ، مستلهمين تعاليم العلم مستغنين عن المسيح بعد اليوم • حتى لقد نادوا منذ الآن بأنه لا خطيئة ، بأنه لا جريمة • ولا شك أنهم من وجهة نظرهم على حق : فاذا لم يكن هنالك اله ، لم يكن هنالك خطيئة ! في أوروبا تثور الشعوب على الأغنياء وتريد أن تقاتلهم بالقوة ؟ وقادتها تقودها في كل مكان الى اراقة الدماء قائلة " لها ان غضها حق وعدل • ألا ان « الغضب ملعون لأنه قاس » • ان روسيا سيخلِّصها الرب ، كما ســـبق أن خلِّصــها الرب مرارا في الشمب من روح الاذعان لمشبئه الله ، ومن ايمان بوجود الله • فما أبائمي ومعلمي ، صونوا ايمان شعبنا ، لان ما ابشركم به الآن ليس حلماً من الاحلام • لطالم شدهت أثناء حياتي كلها مما يتمتع به شعبنا الروسي العظيم من كرامة صادقة ونبل كبسير • لقد رأيت هذا بنفسي ، وكنت شاهدا عليه ، وفي وسعى أن أؤكده لكم ، رغم الخطايا الكنيرة والمبائس الشديدة التي يعيش فيها • ان الفقراء والصنفار لم يصبحوا عبدا في بلادنا ، بعد فرنين من الرق ، بل حافظوا على مسلك الحرية ، دون أية غطرسة مع ذلك ؟ ولم تعصف بنفوسهم روح الحسد والانتقام • لسان حالهم يقول : « أنت غنى ، وأنت فى مرتبه عاليه ، وأنت ذكى ، وأنت صاحب موهبة • اننى أعلم ذلك ، وأسأل الله أن يحميك ! اننى أحترمك، ولكنني لا أنسي أنني أنا أيضًا انسان • واذا احترمتك دون أن أحسدك، فانني أوَّكد أمامك كرامتي الانسانية » • لئن كانوا لا يقولون هذا الكلام النفسي يتجلى في سلوكهم • رأيت ذلك ، وكنت شاهداً عليه • صدقوني اذا قلت لكم : ان الروس تزخر نفوســهم بالحقيقة النسلة على قــدر ما يكونون فقراء صغارا . ذلك أن الذين اغتنبوا منهم قد أصبحوا محتكرين ومستغلين وفسدت أخلاق أكثرهم منذ الآنء وهذا أمر نسأل عنه نحن انفسنا بعض الشيء بسبب اهمالنا وضعف نشاطنا وهمتناه ولكن الرب سينقذ ذويه ، لأن روسيا عظيمة باذعانها لمشيئة الله • انني أحـــلم بمستقبلنا ، فيب دو لى أحيانا أننى أراه : سميأتي يوم يشعر فيه أفســـد أغنيائنا أخيرا بالخنجل والعار من ثرواته أمام الفقير ؟ وسيبرهن الفقـير يومذاك ، بعد أن يرى ندم الغنى ومذلته ، على حسن الفهم هو أيضا ، فيترك له خيراته فرحا ، مستجيبا بالحب للثوبة النبيلة يتوبها ذاك الذي

أنهم عليه القدر • صدقوني أن هذا ما سيكون ، لأن هذا هو ما يقودنا اليه التطور • لن يكون هناك مساواة الا في الشعور بكرامة الانسان الروحية ، وهذه حقيقة غير مفهومة الا في بلادنا • لسوف تسود الأخوه متى أصبح البشر اخوة بالقلب ، وبدون هذه الأخوة لا يمكن أن يكون هناك قسمة عادلة • ألا فلنحتفظ في أنفسنا بصورة المسيح ، حتى تشرف على العالم في يوم من الأيام درة تشع ضياء • آمين ، آمين !

يا آبائي ومعلمي من لقد اتفق لى في الماضي أن عانيت تجربه من تهز النفس هزا قوياً و خيما كنت أجوب روسيا ، التقيت في مدينه ك وهي مركز مقاطعة ، بخادمي الجندي آتانازي الذي لم أكن قد رأيته منذ ثماني سنين ، أي منذ اليوم الذي صرفته فيه الى الثكنة و لقد لمحنى مصادفة في السوق فعرفني فهرع الى وقد استخفه الفرح:

_ أهذا أنت يا مولاى ، أنت ، أنت ؟ هل يمكن حقـــا أن تكون أنت ؟

وقادنی الی منزله • کان قد تحرر من العضدیة وتزوج وأنعجب طفلین ، وهو یعیش مع أسرته من تجارة صغیرة علی بسطة • ان مسکنه ضیق ولکنه نظیف مضیء • فلما أجلسنی ، سختن السماور واستدعی امرأته ، کأن زیارتی عبد له • وقدم الی ولدیه قائلا :

ــ باركهما يا أبانا ٠

فأجبه :

- أأنا من يباركهما ؟ ما أنا الا راهب متواضع • سأدعو الله لهما • أما أنت يا آتانازى بافلوفتش ، فانى ما كففت عن الدعاء لك كل يوم ، منذ ذلك الحادث الذى وقع بيننا ، لأن كل شيء قد بدأ يومذاك •

شرحت له ما وسسمنى أن أشرح • فكان ينظــر الى مدهــوشا ،

لا يستطيع أن يفهم أن مولاه القديم ، الضابط ، موجـــود الآن أمامه بمسوح راهب بسيط • حتى لقد أخذ يبكى • سألته :

ماذا تبكى يا من لم أنسه قط ؟ ألا ان الأفضل أن تأسر وتفرح يا عزيزى لأن الطريق الذي اخترته لنفسي طريق جميل مضيء • كان لا يتكل ماذ الم منتاز التناوي المنافية في منتأث

کان لا یتکلم وانما هو یتنهد تنهداً ویهز رأسه بعطف قوی وتأثر شدید • وسألنی :

_ ماذا صنعت بثروتك ؟

فأجبته :

ــ وهبتها للدير الذي نعيش فيه حياة مشتركة •

وودعتهم بعد أن شربنا الشاى ، فاذا هـــو يعطينى خمسين كوبكا للدير ؟ واذا هو يدس فى يدى خمسين كوبكا أخرى ، خلسة ، وهو يقول :

ــ هذه لك أنت • فما دمت راهبا تضرب في الأرض فقــد تنفعك في الطريق •

قبلت صدقته ، وحييته وحييت امرأته ، والصرفت مبتهج القلب ، أحدث نفسى قائلاً : « لا شك أنه مثلى في هـــذه اللحظة ، يتنهد تاره ويبتسم تارة أخرى ، هازاً رأسه متســائلاً كيف جمع الرب بينا من جديد » • ولم أره منذ ذلك الحين • لقــد كنت سيده وكان خادمى ، ولكننا حين تعانقنا أثناء لقائنا بمحبة وحنان قد أعدنا اقامة الاخوة الانسانية الكبرى بيننا • لطالما فكرت في هـــذا الأمر بعد ذلك ، واني لأتساءل اليوم : « لماذا لا يكون من الممكن أن يتحقق الاتحاد بين الروس على هذه الطريقة البسيطة الصادقة نفسها في يوم من الايام متى آن الأوان؟» • انني أعتقد بأن هذا الاتحاد العظيم سيتم وأن ساعته اقتربت •

وانبي لأضيف ما يلي في موضوع الخدم : كان يتفق لي في السنين

الأولى من شبابي أن أغضب على الخدم : « سكبت الطباخه الحساء ساحناً مفرطا في السخونه ؛ الخادم لم ينطف بيابي بالفرشاة ، • ولكن ذكري أَخْيَ الْعَزِيزِ فَدَ بِعِنْ فَي نَفْسَى نُورًا ، لأنَ أَفُوالُهُ كَانْتُ تَعَاوِدُنِّي دَائِمًا : « أأنا جدير بآل يحدمني الانسان؟ هل يحق لي أن أعده أدني مني لانه فقير جاهل ؟ » • وقد أدهشني بعد ذلك أن معاني بسيطة هذه الساطة واضحة هذا الوضوح لا تعرض لعقولنا الا متاخرة • ان الحياة تصبح اليوم مستحيلة ما لم بكن هناك سادة وخدم • فلا أقلَّ من أن نجمل سلوكنا يُشعر خدمنا بأن خدمتهم ايانا لا تُنفص حريتهم • لماذا لا تصبيح خدماً لخدمنا ؟ انهم اذا لاحظوا أنها لا نتكبر عليهم أى تكبر ، سيتحررون من الشك فينا ومن محاذرتنا. لماذا لا نعدهم أقرباء ولا نستقبلهم في أسرنا مبتهجين بوجودهم بيننا ؟ ان هذا الموقف يمكن اتتخاذه منذ الآن ، ويمكن أن يكون قاعدة للاتحاد العظيم الذي سنتحقق للانسانية في المستقبل ، يوم َ يشعر الانسان أنه ليس في حاجة الى أن يكون له خدم ، ويوم يحاول أن لا يرد أقرانه الشمر الى العبودية كما يفعل الآن ، وانما يتطلع بكل نفسه الى أن يصبح خادماً لجميع الناس عمـــلاً بروح الانجيـــل • أتظنون أنه حلم باطل أن يراودنا الأمل في أن نرى الشر أخيرا ينشدون السعادة في السمو النفسي وممارسة المحية ، بدلا من السعى الى الملذات المتوحشة في النهم والفجور وحب الظهور وفي ذلك الظمأ الحاسد الى الارتفاع فوق الآخرين ؟ أما أنا فانني أؤمن ايمانا راسخا بأن هذا ليس أملاً باطلاً ، وأن الزمان الذي ستحقق فيه هذا الأمل قد اقترب • ان الناس برفعون أكتافهم ويسألونكم ساخرين : « متى يأتى هذا الزمان ، وهل ما نراه الآن في العالم بسمح بمثل هذه التنبؤات ؟ ٥ • انني أعتقد بأننا سنحقق هذا العمل العظيم بمعـونة المسيح • ما أكثر الأفكار التي بدت في الماضي مستحلة التحقيق ، والني عُدْت قبل عشر سنين أفكارا

حمقاء طائشة ، ثم اذا هي تنتصر فجاة على الارض وتنتشر في كل مكان، لأن ساعة تنحققها قد دقت وكانت خافية مستسرة ! ذلكم ما سيكون في بلادنا ، وسيشرق نور شعبنا على الانسانية ، وسيهتف جميع البشر عندئذ قائلين : « ان الحجر الذي رماه البناءون ورفضوء قد أصبح حجر الزاوية في البناء » • أما الساخرون المسستهزئون فاتنا نستطيع أن نلقى عليهم بدورنا هذا السؤال : « اذا كانت جميع أشوافنا أضغاث أحلام ، فهـــلاً " قلتم لنا متى تقدرون أن تشيدوا بناءكم وأن تنظموا أنفسكم على العدل بمعونة العقل وحده مع رفض المسيح ؟ » • قد يحيبون بأنهم هم الذين سيقيمون الوحدة الانسانية ، ولكن السذج منهم هم الذين يؤمنون بهذا الكلام ، حتى ليمكن أن يدهش المرء من بساطة هؤلاء • الحق أن في أفكارهم من الخيال الباطل ما ليس في أفكارنا نحن • انهم يأملون أن يقيموا العدل في هذا العالم ، لكنهم وقد رفضوا المسيح سوف ينتهي بهم الأمر الى اشعال الحريق وسفك الدم في كل مكان ، لأن العنف يستدعي العنف؟ ومن يشهر السيف يهلك بالسيف • ما لم نؤمن بوعد المسيح ، فان البشر سيبيد بعضهم بعضاً ، الى أن لايبقى منهم على فيد الحياة الا اثنان وهذان الاثنان سكونان عاجزين من غطرستهما عن التفاهم ، فاذا بأحدهم يقتل الثاني آخر الأمر ثم يقتل نفسه • ذلكم ما سيحدث اذا لم يتحقق وعد يسوع بوقف المذبحة حماً بالضعفاء والمسالين الوديعين • حين كنت ما أزال أرتدى البزة العسكرية بعد المبارزة ، تحدثت في المجتمع كثيراً عن الخدم ، فكان السامعون يُدهشون من كلامي ويسألون :

_ هل علينا أن تدعوا خدمنا الى الجلوس على أريكة ، وأن نقدم اليهم الشاى .

وقد أجبت عن هذا السؤال مرة بقولى (ننى أتذكر هذا): ـــ لم لا ، ولو من حين الى حين ؟ فسخر الحضور منى • الا أن سؤالهم يدل على خفه عقـــولهم • ان اجابتى لم تكن واضحة جدا • • • أنا أسلتُم بهذا • • • ولكن يخيل الى اليوم أن قد كان فيها شى • من حقيقة •

ز _ حديث عن المحبة والصلاة ، ومعرفة الحياة الآخرة

لا تنس أن تصلى أيها الثمال • فاذا كانت صلاتك صادقة صاحبها في كل مرة شعور جديد ، وولَّد هذا الشعور الجديد فكرة جديدة كنت تبحهلها الى ذلك الحين ، فكرة " ستشد أزرك وتقوى عزيمتك بعد ذلك • وستدرك عندئذ أن الصلاة تربية للنفسر • تذكر أيضاً أن تُردُّد كلُّ مساء وكلما استطعت الى ذلك سسلاً : « هب رحمتك يا رب لكل الذين يمثلون أمامك الآن » • ذلك أن ألوفاً من البشر يبارحون الأرض في كل ساعة ، في كل دقيقة ، وتمضي أرواحهم تمثل أمام العخالق • ما أكثر الذين قضوا منهم نحيهم في العزلة ، بعيدين عن نظر أي صديق، ممتلئي القلب مرارة وحزناً ، لأن أحداً لن يأسف على رحيلهم ، حتى أن حياتهم ستكون قد انقضت دون أن يراها أحد • لن يعلم أحد غـداً أنهم عاشوا • فاذا بصلاتك تصعد فجأة الى الرب من الطرف الأقصى من الأرض تدعو لروح من الأرواح ، رغم انك لم تعرف هذه الروح ، ولا ً هي تعرف من أنت • لسوف تتأثر هذه الروح من ذلك تأثراً عظيماً حين تمثُّل جزعة أمام الآله العلى القدير • سوف تعلم أن أحداً يصلى لله من أجلها هي أيضاً ، سوف تعلم أن على الأرض انساناً واحـــداً على الأقل. يتشفع لها ويحلها • وسنظر الرب عندئذ الكما بمزيد من التسامح ، لأنك قد أشفقت على ذلك الملت ، وسكون الرب أكثر رحمةً به ، لأن حبه أوسع من حبك ، واحسانه أعظم من احسانك · وسيعفو الله عنـ ه بسبك ·

يا اخوتي ، لا تحتقروا البشر لخطاياهم ، أحبوهم رغم خطاياهم ، فبذلك تعرفون المحبة العظمي التي هي على صورة محبة الرب • أحبـوا خلق الله جملة "، وأحبوا كل ذرة من الرمل على حسدة ، وكل ورقة شجرة ، وكل شعاع ضوء! أحبوا العيوانات ، أحبوا النباتات ، أحبوا كل موجود • انكم حين تحبون التخليف تنفذون الى السر الالهي الذي تضمه ، والمعرفة التي تحصلون عليها بهذا ستنمو بعد ذلك ، ثم ما تنمك تكبر في كل يوم ، فاذا حبكم يعم الكون بأسره ، ويصبح شاملا • أحبوا البهائم لأن الرب قد وهب لها بدرة فكر وأودع في فلبها فرحا بريثاً • لا تعكروا هناءها ، لا تعذبوها ، لا تبئسوها ، لا تخالفوا ارادة الخالق • أيها الانسان ، لا تحملنك كبرياؤك على التعالى على الحيوانات ، فهي بلا خطيئة ، أما أنت فانك مع عظمتك تدنس الأرض بوجودك وتنخلف أثرآ نجساً حنث تمر • ذلك شأننا جمعا وا أسفاه ! ذلك شأننا جميعا ، بغمير استثناء تقريبًا _ أحبوا الأطفال خاصة ، لأنهم بلا خطيئة ، لأنهم أشسبه بالملائكة ؟ انهم يعيشون لفرحة قلوبنا وتطهير نفوسنا ، كقدوة مضيئة الى جانبنا • ويل للذين يسمسئون الى الأطفال! لقد علمني الأب آنتم أن أُحبهم : كان هذا الراهب المتواضع ، يشترى بالكوبكات التي توهب لنا أثناء طوافنا ، يشتري حلوي يوزعها على الأطفال • كان لا يستطيع أن يراهم دون أن تهتز نفسه اهتزازا عميقا • كذلك كان هذا الانسان •

ان شكاً يراودنا في بعض الأحيان ، ولا سيما حين نرى الخطيئة فنتسامل عندئذ : « أنرد بالقوة أم بالحب المتواضع ؟ » • عليك دائماً بالرفق واللين • فمتى اخترت الرفق واللين الى الأبد ، استطعت أن تستولى على الأرض بأسرها • ان الحب المتواضع فوة هائله ، أفوى من سائر القوى، ليس لها منيل في العالم • راقب سلوكك في كل ساعة وفي كل دقيقة من الغضب ، فتفلت من لسانك كلمة سيئة : لعلك لم تلاحظ وجود الطفل ، ولكن الطفل رآك ، والصورة النجسة الخبيئة التي تركتها له ستبقى في قرارة قلبه البرى. • أنت لم يخطن ببالك شيء ، ولكنك قد بذرت بذور الشر في هذا الكائن الصغير ، ولا شك أن البـــذرة السيئة ستطلع يوما فتجلب له الشــــقاء • كل ذلك لأنك لم تراقب نفسك بحضور الطفل ، ولأنك توانيت عن تعهد الحب اليقظ الفعال في نفسك • الحب يا اخوتمي معلم كبير ، ولكن يجب أن نعرف كنف نملكه . انه لا يكتسب بسهولة ؟ وانما يحصل عليه الانسان بثمن باهظ ، بحهد متصل طويل . ذلك أن المقصود لسن هو أن تحب موقتاً ومصادفة ّ يم بل أن تحب حباً مستمراً " مطَّرداً • ان أى انسان ، حتى المجرم ، يمكن أن يشمر بعب طارى، عابر • لقد كان أخى يستغفر العصافير ، وقد يبدو هذا سعخيفا من أول نظرة ، ومع ذلك كان أخى على حق ، لأن الحياة أشبه ببحر محيط تختلط فيه وتتمازج فيه حميع الأمواج • ان ضربة نقع على مكان من الأمكنة تترجع آثارها في أقصى الطرف الآخر من الأرض • هل استغفار العصافير أحمق الى هـــــذا الحد ؟ لو كنتَ خيراً مما أنت الآن ، لشعر المصفور بمزيد من الأمن والطمأنية في قربك • ان الطفل وكل كائن حى آخر سيكون أسعد حالاً وأهدأ بالاً قربك اذا توافــرت في قلبك ولو قطرة واحدة أخرى من الطيبة • أعـود فأقول : ان الكون أشــبه بأوقيانوس جميع' أجزائه متواصلة • فمتى أدركت صله الحقيقة استغفرت العصافر أنت أيضًا • إذا أدركت هـذه الحققة تملكك حب واسع يملأ قلبك سعادة ووجداً فاذا أنت تسألها ، تسأل العصمافير ، أن تغفر لك خطاياك • فتعهد بالتنميه والاذكاء هده الحماسة الروحية وهذا الوجد ، دون أن تخشى أن تعد مجنوناً في نظر الناس •

يا أصدقائي اسألوا الرب أن يهب لكم الفــرح . كونوا فرحين كالأطفال ، كالعصافير الصميغيرة في السماء • لا تدعوا للاضطراب أن يستولى عليكم ، ولا لخطايا البشر أن تصرفكم رؤيتهما عن جهودكم ؛ لا تخشوا من ضلالاتهم أن تجعل عملكم عقيماً أو أن لا تسمح له بالظهور • لا تقـولوا قط « ان الشر في هذا العالم فوى ، وان الظلم منتصر ، وان الأشرار مسلطرون ، على حين أننا نحن معزولون لا حول لنا ولا قوة ولا سلطان ، وإن القوة الشريرة ستدمرنا قبل أن نستطبع القيام بعمل صالح ، • لا تدعوا لهذا اليأس يا أبنائي أن يستولى عليكم • وليس هنالك الا سبيل واحدة تنفع المرء في حماية نفسه منه ، ألا وهي أن يعسم نفسه مستشولاً عن جميع خطايا البشر • وتلك هي الحقيقة يا أصدقائي . فمتى اعترفتم بأنكم مسمشولون عن كل شيء تنجماه جميع الناس ، أدركتم أن الأمر هو كذلك حقا ، وأن ذنبكم ليس وهماً صوَّره لكم الخيال • أما اذا ألقيتم على عاتق غيركم ما هو في الواقع نتيجة كسلكم وتوانيكم وضعفكم ، انتهيتم الى السمقوط في هوة التكبر الشميطاني ، وأخذتم تدمدمون متمردين على ارادة الله • سأقول لكم رأيي في التكبر الشيطاني : انه لعسير علينا أن ننفذ الى دلالته الحقيقية أثناء حياتنا الأرضية، ولحن لهذا ميالون بطبيعتنا الى الوقوع في الخطأ ، فاذا نحن نتكبر تكبر الشيطان ظائميِّين أننا بذلك نكبر و تحقق عملاً راثعاً جديراً بالاعجاب • ان المعنى الحقيقي لكنير من عواطفنا القوية واندفاعات قلبنا يفوتنا أثناء حياتنا الأرضية على كل حال • فلا تستسلموا للاغرا. ولا تظنوا أن الجهل يمكن أن يكون لكم مسوِّغاً • على ان « القاضي الأعلى » سيحاسبكم عما كان في ا وسعكم أن تعرفوه ، لا عميًّا يفوق عقولكم • ستدركون هذا في حنه ، وستكفون عندئد عن المناقشة بحضور الحقيقة التي ستعرفونها و لقد كتب علينا أن نضرب في الأرض و وما لم لكن صورة السيح الغالية نصب أعينناه فسنهلك بسبب أخطائنا كما هلك لنوع الانساني قبل الطوفان و هناك أشياء كنيرة تبقى خافية عنا في هنذا العالم ولكننا في مقابل ذلك فيد أوتينا معرفة العالم الآخرة والصلات التي نربطنا بعالم أعلى وأفضل والعجدور العميقة لمواطفنا وأفكارنا انما تمتد في السماء لا في الأرض على كل حال ولذلك يعلم الفلاسفة أن ماهية الأشياء لا يمكن ادراكها في هذه الحياة الدنيا و لقد أخذ الرب بذورا من عالم الغيب فترها على الأرض ليزرع حسديقته ، فنبت كي ما كان يمكن أن ينبت ، ولكن الموجودات التي نبت على هذه الأرض لا تحيا ولا تبقى حية الا بوعي الصلة التي تربطها بالعالم الآخر السرى وحتى اذا ضعف هذا الوعي أو الصلة التي تربطها بالعالم الآخر السرى وحتى اذا ضعف هذا الوعي أو الل ع مات عندلذ ما يكون قد طلع فيها ، فلا تكثرث بعد ذلك بالحياة ، أو هي تكره الحياة و ذلكم هو رأيي على الأقل و

ح ـ هل يجوز للمرء أن يحكم على أقرائه ؟ الايمان الذي لا يتزعزع

تذكر خاصة أنه بيس من حقسك أن تحكم على قرينك كائناً من كان ما من أحد يستطيع أن يجعل نفسه قاضيا على مجرم قبل أن يدرك أنه ، وهو القاضى ، لا يقل اجراما عن الجانى المائل أمامه ، وأنه ربما كان هو المسئول الأول عن الخطأ الذي ارتكبه هذا الرجل ، حتى اذا أدرك ذلك استطاع أن يحكم ، فد يبدو هذا الرأى باطلا ، ومع ذلك فهذه هي الحقيقة ، فلو قد استطعت أن أكون عادلا على الدوام ، لكان من الجائز

أن لا يرتكب هذا الرجل جريمته • فاذا أمكنك أن تلقى على عاتقك جنايه الجانى الماثل أمامك ، وأن تجعل حكمك فى قلبك ، فافعل ذلك بغير تردد واقبل أن تتألم نيابة عنه • أما الجانى فدعه ينصرف دون أن توجه اليه لوماً • استلهم هذه القاعدة فى السلوك ما وسعك ذلك ، ولو نصبك القانون قاضيا له ، لأن المذنب سينصرف بعد ذلك ليدين نفسه ادانة أفسى من ادانتك اياه • واذا ظهر لك أنه لم يحس رفقك به ، واذا رد على حبك بالسخرية ، فلا تدع لموقفه هذا أن يغضبك : فانما يدل هذا الموقف على أن ساعته لم تدق بعد ، وأنها ستحين فى المستقبل • وهبها لن نحين أبدا، فلا تهتم كثيرا بذلك ، لأن شخصا آخر سيعترف يوما بذنبه وسيتألم منه ، فلا تهتم كثيرا بذلك ، لأن شخصا آخر سيعترف يوما بذنبه وسيتألم منه ، وسيدركه ، وسيدين نفسه بنفسه ، فاذا بالحقيقة تتأكد رغم كل شى • هدا الحق ما أقوله لك ، صدقه تصديقا جازما قاطعا ، لأن هذا هو الأساس الحق الذى يقوم عليه الأمل ويقوم عليه ايمان القديسين •

لا تقعد عن العمل ولا تدع لهمتك أن تفتر ، فاذا تذكرت ، بعد أن رقدت في سريرك لتنام ، أنك أغفلت القيام بوجب من الواجبات ، فانهض فورا لتدارك هذا النسيان ، واذا رأيت نفسك محاطا بأناس أشرار لا يحسون ، ويرفضون أن يسمعوا لك ، فارتم على أقدامهم واستغفرهم، لأنك أنت الذي تحمل ذنب عنادهم في الحقيقة ، واذا شعرت بأنك عاجز عن أن تخاطب الأشرار بالحسني ، فاخدمهم صامتا متواضعا دون أن تيأس قط ، واذا هجرك جميع الناس وطردوك شر طردة ، فاستجد على الارض حين تصبح وحيدا واغمرها بقبلاتك ، اسق الارض بدعوعك ، فتحمل هذه الدموع ثمارا ، ولو لم يرك أو سمعك في عزلتك أحد ، حافظ على هذه الدموع ثمارا ، ولو لم يرك أو سمعك في عزلتك أحد ، حافظ على يحافظ على النهابية ، ولو كان عليك أن تبقى الانسان الوحيد الذي يحافظ عليه ، اذا تنكر سائر الناس لعقيدتهم ، فتابر أنت على المضى في يحافظ عليه ، اذا تنكر سائر الناس لعقيدتهم ، فتابر أنت على المضى في طريق التضحية واستمر في تمجيد الله يا آخر مؤمن ، فقد يلقاك مؤمن

آخر ، فتصبحا اثنين ، وهذا كاف لعودة الكون حياً بالحب : سموف تتمانقان عندئذ وقد امتلأت نفساكما عاطفة ، وسوف تسبحان بحمد الله فاذا الحقيقة تتأكد بكما رغم أنكما لستما الا اثنين ٠

اذا اتفق أن أثمت فأخذ الندم على ارتكابك الأخطاء يعذبك ويرهقك ارهاقا شديدا ، فليبهجك أن تتذكر أن هناك انسانا صالحا لم يرتكب اثماً، وقل لنفسك مغتبطاً سعيدا : لثن وقعت أنا في الشر ، ان ثمة انسانا غيرى قد ظل طاهرا لم يتلوث .

واذا ملأك خبث البشر استاء وألما عنف ً رغم ذلك ، حتى صرت تتمنى معافمة المجرمين انتقاما ، فصن نفسك من هذه العاطفة بكل ما تملك من قوة ، وابحث لنفسك عن آلام مباشرة كأنك مسئول عن جراثم هؤلاء الناس • اقبل هذه الآلام وتحملها • فذلك يهدىء قلبك ويطمئن نفسك • سوف تدرك أنك آثم فعلا ، لأنك كنت تستطيع أن تهدىء هؤلاء الناس بالقدوة ، ولو كان علىك أن تنقى الانسان الوحيد الذي يعيش بلا خطيئة، ثم لم تفعل ٠٠٠ فلو أنك اتبعت طريق النور هذا في حياتك ، لاستطاع الآخرون أن يروا طريقهم بنور طهارتك ، ولأمكن الانسان الذي تتهمه اليوم بالمجريمة أن يبقى شريفا طاهرا • قد يحدث مع ذلك أن تكون أنت قدوة حسنة ثم يرفض الآخرون الحخلاص الذي يأتيهم من نورك ، فلا يتزعزعن ايمانك حينذاك ، ولا يراودنك شك في أن الحقيقة السماوية منتصرة آخر الأمر • اعلم أن البشر سيُنقَـدُون غدا ان لم يمكن انقاذهم اليوم • واذا لم يمكن انقاذهم أثناء حياتهم ، فسينْنقَـذُ أبناؤهم من بعدهم، لأن نورك لن يزول وسيبقى بعد مبارحتك هذا العالم • قد يزول الرجل الصالح ، ولكن نوره باق لا يزول • ثم ان الناس لا يقبلون الخلاص الا بعد موت ذلك الذي أراد أن يخلصهم • ان البشر لا يعترفون بأنبيائهم

بل يقلتونهم ، ولكن البشر في مقابل ذلك بحبون شهداءهم ويقدسون أولئك الذين استشهدوا بأيديهم ، ففي المستقبل وفي الانسانية بمجموعها انما يجب عليك أن تفكر حين تبذل ما تبذل من جهورك لا تنظر نوابا على المخير الذي تعمل ، لأن نصيبك في هذا العالم كبير حتى بدون هذا الثواب : لسوف تعرف نفسك الفرح الحق الذي لا يوهب الا للصالحين ، لا تخش العظماء ولا الأقوياء ، كن عاقلا حكيما كريما على نفسك في كل ظرف ، التزم القصد والاعتدال ، اعلم أن هناك آجالا تفرض نفسها على تشوقنا الى العمل ، وتقيد بهذه الآجال ، لذ الصلاة في العزلة ، تعلم كيف تحب الارتماء على الارض وتقبيلها ، قبل الأرض بغير كلال ، وأحبها بكل نفسك ، انشر حبك على كل ما يوجب ، اندفع في الحب وأحبها بكل نفسك ، انشر حبك على كل ما يوجب ، اندفع في الحب الدموع ، لا يختجلنك وجدك ، واحب هذه واسع كل عادي حماسة القلب ، اسق الأرض بدموع فرحك ، واحب هذه واسع كبرى لا توهب في هذه الحياة الدنيا الا للمصطفين ،

ط ـ حديث عن الجحيم والنار الابدية تامل صوفي

يا آبائي ومعلمي " ، لقد تساءلت : « ما الجحيم » ، فأجبت : « هـو عذاب الانسان من أنه أصبح لا يستطيع أن يحب ، ، ففي المكان والزمان اللانهائيين ، تتاح للكائن الروحي الذي يظهر على الارض ، لحظة " وحيدة يمكنه فيها أن يقول : « أنا موجود وأنا أحب » ، مرة واحدة ، مرة واحدة توهب لهذا الكائن الحي القدرة على أن يختار طريق الحب الفعال الحي ، وقد وهبت له الحياة لهذه الغاية مع ما تشتمل عليه الحياة من زمان

وآجال • وهذا الكائن الذي أُ'غدقت عليه هذه النعمة قد رفض النعمة التي لا توصف ، ولم يقدرها حق قدرها ، ولم يتمتع بها ، بل استخف بها أن يبارح الارض ، ويتحدث مع رب العائلة ، كما ورد في رمز لازار والفتى الشرير • انه يرى النجنة ويعلم أنه سيمتل أمام الرب؟ واذا كان يعذبه شيء فانما يعذبه أنه سيمثل أمام الخالق دون أن يكون قد أحب ، وأنه سيسير الى جانب مخلوقات مُعجبة احتقر هو حبها • ذلك أنه الآن يرى ويدرك ، فيقول لنفسه : « أنا الآن أعلم ، ورغم انني اليوم ظاميء الى الحب فلن يكون لحبي قيمة ولن تكون فيه تضحية، لأن حياتي الأرضيه قد انتهت ، ولن يأتبي ابراهيم فيهدىء بقطرة من ماء الحاة (أي باعطائبي حياة ً أرضية جديدة فعالة شبيهه بالسابقة) ظمئي الى الحب الروحي لذي يحرق الآن نفسي بعد أن ازدريته على الارض : لن تكون بعد النوم حياة، لن يكون بعد اليوم وفت! النبي أتمنى الآن أن أضحى بوجودي في سبيل غيرى ، ولكن فات الأوان ، لأن البحياة التي كان يمكن أن أضمحي بها ما يتكلم الناس عن نار الجحيم وهم يفهمونها بالمعنى المادى • اننى لا أريد أن أبحث هذا السرُّ الذي يملأ نفسي رعبًا وهولاً ، ولكنني أتصور أن هذه النيران لو كانت محسوسة مادية اذن لابتهج بها المعذبون ، لأن الألم الجسمي يتبح لهم عندئذ أن ينسوا ، ولو لحظة قصيرة ، العذاب الروحي الرهيب • ثم ان تخليصهم من عذاب نفوسهم مستحيل ، لأنه عذاب داخلي لا خارجي ، فلا يمكن أن يناله تأثير الآخرين. وهبنا استطعنا أن نجر ّدهم من هذا العذاب، فإن شقاءهم سيزداد من ذلك فيما يخيـــل الى م هب المادلين في السماء غفروا لهم حين رأوا آلامهم ، وهبهم نادوهم اليهم بحب لا نهاية له ؟ انهم سيضاعفون بذلك آلامهم ، لأنهم سيوقظون فيهــم مزيدًا من الظمأ الحار الى الحب المتبادل والعرفان والنبــل ، في وقت أصبحوا فيه عاجزين عن ذلك الى الأبد . على أنني أتصور، خاشع النفس ذليلا ، أن شعورهم بهذا العجز سيخفف عنهم آخر الأمر بعض التخفيف، واليكم كيف يكون ذلك : انهم حين يقب لمون حب الصالحين دون أن يكونوا فادرين على أن يردوه بمنله ، سيجدون في التسليم بهذا التفاوت بينهم وبينهم وفي الوضع الذي سيمليه عليهم الشعور الصادق بأنهم دونهم، سيجدون في ذلك معادلاً أو صـورة للحب الفعـال الذي ازدروه على الأرض، وسيصبحون قاردين عندئذ على فعل يذكِّر بفعل النفسالمحبة.. يؤسفني ، يا آبائي ومعلمي ً ، أن لا أستطيع التعبير عما بنفسي بمزيد من الوضوح • ولكن ويل للذين أنهوا حياتهم على هذه الأرض بأنفسهم ، ويل للمنتحرين! أحسب أنه ليس هناك من يفوق هؤلاء شقاءً! يقال انه اثم أن ندعو الله لمن قتل نفسه بارادته ، وواضح أن الكنيسة تطرد من حضنها ذلك الذي قتل نفسه بارادته • ولكنني أشعر مع ذلك ، في سريرة نفسى ، أنه يجوز الدعاء للمنتحرين ، لأن المسيح لن يسموه، افراط في الحب • لقد دعوت طـــوال حياتي للمنتحرين ، أعترف لكم بهــذا الآن يا آبائبي ومعلمي ً ، وما زلت أدعو لهم كل يوم •

لا شك أن فى الجحيم أيضا معذّ بين أصروا على صلفهم وضراوتهم وظلوا لا يتأثرون بالحقيقة رغم أنهم أصبحوا يعرفونها ويرونها ساطعة كل السطوع ١٠٠٠ بينهم أناساً رهيبين قد اتحسدوا بالشيطان وانضموا الى عصيانه ١٠ انهم يقبلون الجحيم بفرح مظلم ولا يستطيعون أن يشميعوا منه ١٠ أولئك يتعذبون ويريدون أن يتعذبوا ١٠ فقد لعنوا أنفسهم بأنفسهم اذ لعنوا الله والحياة ١٠ انهم يقتاتون بكرههم المتكبر الصلف اقتيات الجائمين في الصحراء بدمائهم يمتصونها ١٠ ان غليلهم لن يشفى يوما ، وهم يرفضون المغفرة الى الأبد ، لاعنين الرب الذي يناديهم ١ انهم لا يستطيعون الا أن

يشعروا بحنق مسعور حين يتأملون الآله الحي ، ويتمنون أن لا يوجد ، ويودون لو يفنى الخالق نفسه مع الخليقة كلها • هؤلاء سيظلمون يحترقون الى الأبد بنيران كرههم منادين الموت والعدم في غير طائل • ولكن لن يوهب لهم أن يموتوا •••

هنا تنتهي مخطوطة ألكسي فندوروفتش كارامازوف. وأعود فأقول: هذا عمل غير مكتمل ، هذه أجزاء متفرقة • فالاشارات التي تتصل بحياة الشيخ زوسيما مثلاً لا تتناول الا الفترة الأولى من شباب الشبيخ • وان شذرات من تعالمه ومن الآراء التي أطلقها في عهود مختلفة وبتأثير مناسبات شتى ، قد جُمْعت هنا وصُهرت كما يرى القارى. ذلك واضحا • والأقوال التي نطق بها الشيخ في الساعات الأخيرة من حياته لم تُنقيل نقلاً كاملاً وانما أعرضت عرضا موجزًا فيما يظهر ، بحث تؤدي روح ذلك المحديث الأخير وتبرز عناصره الأساسية مزيدا من الابراز بمعسونة أقوال أخرى استمدها الكسي فيدوروفتش من تعاليم شبخه السابقة • وقد وافت الشبيخ َ منيته على نحو لم يكن في الحسبان حقاً • فرغم أن جميع الأسخاص الذين اجتمعوا حوله في ذلك المساء قد أدركوا أن وفاته قريبة، فان أحداً منهم لم يتنبأ بأنها ستوافيه على هذا النحو المباغت • وكما سبق أن قلت فان أصدقاء، قد اعتقدوا حين رأوا ما رأوا من شجاعته ومله الى الكلام طوال تلك اللبلة أن صحته ستتحسن تحسنا ملحب ظأ وان يكن عابراً موقتاً ؟ ولا شيء كان يسمح لأحد ، الى ما قبل موته بخمس دقائق (كما رُوي هذا بدهشة فيما بعد) ، أن يتنبأ بأن وفاته وشيكة • ولكن بدا عليه فجأة أنه بحس بألم شديد في صدره ، واصفر وجهه ، وشــد يده شداً قوياً على قلبه • نهض جميع الحضور وهرعوا اليه • وظل هو رغم الألم ينظر الى أصدقائه مبتسما • وترك نفسه ينزلق برفق عن كرسيه ، فجنا على ركبتيــه ، ثم ســجد جاعـــلاً وجهــه على الأرض ، وبسط ذراعيه بنوع من الوجد الجذل. وقبتًل الأرض بعدئذ ، ولفظ روحه على نحو ما أورد هو نفسه في تعاليمه ، مصلياً في اندفاعة عظمي من فرح هادىء مطمئن • انتشر نبأ وفاته فورا في الصومعة والدير • وقام أصدقاؤه والأشخاص المختصون بتكفينه على ما توجبه الطقوس القديمة ، ثم اجتمع أعضاء الرهبنة في الكنيسة • وقد عـُـرف موت الشبيخ في المدينة ـ قبل أن يطلع الفجر ، كما أكد الناس ذلك فيما بعد • ومهما يكن من أمر، فقد تحدث الملأ عن موته في كل مكان منذ الساعات الأولى من الصباح، في الباب التالي ، وحسبنا أن نشير هنا ، مستبقين تتمة هذه القصة ، أن حادثاً غير منتظر قد وقع قبل نهاية النهار ، فأحدث في نفوس سكان الدير وفي نفوس سكان المدينة على السواء أثراً يبلغ من الغرابة ومن الاقـــلاق ومن العنف أن ذكراه ما تزال حتى يومنا هذا ، بعد انقضاء ذلك العــدد الكبير كله من السنين ، ما تزال حية في أذهان جميع الذين عاشوا تلك الساعات المضطربة القلقة ٠٠٠ الجب زوالثالث

الباب السابع: والميدوث

رائح به الطث به

جثمان الأب زوسيما للدفن وفقاً للطقوس المقررة. وقد جرت العادة ، كما تعلمون ، بأن لا ينعسل دفات الرهبان والنساك • يقول كناب الطقـوس

فعلى الأخ المكلف بزينة المتوفى أن يدلكه بماء فاتر ، بعد أن يرسم انسارة الصليب باسفنجه على جبينه وصدره ويديه وقدميه وركبتيه ، وهذا كل شيء ، » ، وقد تولى الأب بائيسي القيام بهذه المهمة بنفسه وفقاً للطقوس، فلما فرغ من تدليك جسمه ألبسه مسوح الرهبنة ، وكفنه بالجبة بعد أن شقها قليلاً بحيث يجعلها في صورة صليب ، كما تأمر الطقوس بذلك، ووضع على رأسه بعد ثل طاقية مزينة بصليب ذي ثمانية أفرع ، تاركا الطاقية تسفر عن الوجه ، مغطياً الوجه بسرقع أسود ؛ ووضع صورة المخلص بين يدى المتوفى ، حتى اذا انتهى تكفين الجثمان على هسذا النحو سنجتى عند الصباح في تابوت سبق اعداده منذ زمن طويل ، وأريد أن يُترك التابوت طوال النهار في حجرة الشيخ (الحجرة الكبيرة ا

جوزيف في القراءة بعد قداس الجنازة فورا . أما الأب بائيسي الذي حل محلتُه ، باصرار منه ، أثناء بقية النهار وأثناء الليلة التالية ، فقد كان في تلك الآونة مهموما جدا (مثلما كان كبير النساك) من ذلك الاضطراب الشديد ، الخارق ، « غير اللائق ، ، المشوب بنوع من انتظار محموم ، الذي استولى على الرهبان وعلى جموع الناس الغفيرة التي هرعت من المدينة ومن الفنادق المجاورة للدير • كان ذلك الاضطراب ما ينفلك يزداد قوة وظهوراً ، فاضطر الأب بائيسي وكبير النساك الى بذل جمع جهودهما في سبيل أن يهدئا النفوس المهتاجة ما أمكنت التهدئة • وما ان طلع النهار تماماً حتى أخسة يفد من المدينة أشخاص يصطحبون مرضى ، مرضى من الأطفال خاصة ، كأن جميع الناس كانوا ينتظرون هذه اللحظة آملين أن يروا ظهور معجزة الشفاء التي لا بد في اعتقادهم من أن تصدر عن جثمان الشيخ • في تلك اللحظة انما تجلي مدى تعود الناس على اعتبار الشيخ ، حتى أثناء حياته ، قديساً صادقاً عظيماً • ولم يكن جميع المؤمنين الوافدين من المدينة ينتمون الى الأوساط الشعبة • وبدا للأب باثيسي أن هذا التوقع العظيم الذي يتـــوقعه المؤمنون والذي يتجلى بهذا القدر من التسرع ونفاد الصبر وهــذا القدر من الصراحة حتى لكأنه مطلب من المطالب ، بدا للأب بائيسي أن هذا التوقع فيه شي. من مجافاة الأدب والحشمة ؟ ورغم أن الأب بانسي قد تنبأ بهذا التوقع منذ زمن طویل ، فان القوة التي يتجلي بها هذا التوقع الآن قد تجاوزت جميع تنبؤات الأب باثيسي • فكان يتجه الى الرهبان المتحمسين فيقـــول لهم « ان انتظار معجزة كبيرة مباشرة دليل على عواطف طائشة ينفهم صدورها عن علمانيين ولكنها لا تلبق برهبان ، • وكان هؤلاء لايسمعون له كثيرا ، وذلك أمر لاحظه الأب بائيسي قلقاً . ومع هــــذا كان الأب بائيسي هو نفسه (تلك حقيقة يجب أن نعترف بها اذا أردنا الصدق) ، رغم استيائه الشديد من مظاهر نفاد الصير هدذه التي يرى فيها خفة وطيشاً ، كان هو نفسه يحس في قرارة ضميره بهذا الانتظار نفسه الذي يشعر به المضطربون المهتاجون ، وكان لا بد له أن يعترف لنفسه بذلك. على أن رؤية بعض الأشخاص قد ساءته كثيرا ، لأن وجودهم قد أيقظ في نفسه شكوكا غامضة لم تنشأ والحق يقال الا من احساسات ميهمه . من ذلك أنه شعر بنفور داخلي شديد (سرعان ما لام نفسه عليه) حين لمح بين الجمهور المحتشد في حجرة الشيخ ، حين لمح راكتين وراهب أوبدورسك الذي طالت اقامته في الدير • لقــد بدأ الرجلان كلاهما مشبوهين في نظر الأب بائيسي ، رغم أن هنــاك أشحاصا آخرين كانوا مشبوهين مثلهم أيضـــا • وكان راهب أوبدورسك يتميز بكثرة ذهابه وآيابه • فهو يُرى في كل مكان مستطلعاً سائلًا ۖ أو مصغباً أو مدمدماً على نحو سرى • وكان وجهه يعبر عن نفاد الصبر نفاداً شديداً يوشك أن يستحل في بعض اللحفات الى اهتياج وحنق ، لأن الحادث الذي بتوقع الناس في كثير من الاندفاع والحماسة والحميثًا أن يحدث قد تأخر حدوثه • أما راكبتين فقه عُلم فيما بعد أنه إن جاء إلى الصومعة في ساعة مبكرة هذا التبكير من الصباح ، فلأن السيدة هوخلاكوفا هي التي طلبت منه ذلك صراحة • ان هذه المرأة التي تتصف بالطبية ولكن تموزها قوة الطبع ، قد أحست بفضول شديد يقرصها قرصاً حين علمت بموت الشيخ عند استيقاظها من النوم ، وبلغت من شدة الفضول أنهـــا لمرفتها بأن مجيئهما الى الصمومعة لن يكون مقبولاً قد أسرعت توفد راكىتىن موصىةً اياء بأن يلاحظ كل شيء وأن ينشهـا حالاً ، في رسالة يعث بها اللها كل مصف ساعة ، بكل ما قد يحدث • كانت السيدة هوخلاكوفا تعد راكتين شابا شديد التقى قوى الايمان ، فالى هذا الحد كان راكيتين بارعا في الحظوة برخى الناس حاذقا في اتخاذ المظاهر التي تطابق رغباتهم متى وجد في ذلك مصلحة ً له •

بدأ النهار صاحيا مضيًا مسمسا ، والحجاج الذين وصلوا الحالدير ، يزدحمون حول القبور ، ولكن بعضه قد تفرقوا في جوار الدير ، وحين طاف الأب بائيسي في الصومعه ، تذكر أليوشا فجأة ، وتذكر أنه لم يره منذ مدة طويلة ، منذ الليل على كل حال ، فما ان خطر بباله هذا حتى لمحه في ركن ناء قرب السياج جالساً على الحجر من قبر راهب مان منذ سنين وعرف أثناء حياته بشدة تعبده وقسوة كفاراته ، كان أليوشا قد أدار ظهره للصومعة واتجه برأسه نحو السياج، وكأنه بختبيء وراء شاهدة القبر ، فلما اقترب الأب بائيسي رأى أليوشا قد وضع وجهه في يديه وأخذ يبكي بكاء مرا وان يكن صامتاً ، وأن جسمه كان يهزه الانتحاب ، لبث الأب بائيسي واقفاً قربه بضع لحظات ، وقال له أخيرا بصوت متأثر :

مدىء روعك يا بنى • ما بك ؟ عليك أن تبتهج لا أن تبكى • أفتجهل أن هذا اليوم هو أجمل وأعظم من جميع الأيام التى و'هب له أن يعرفها ؟ أنسيت أين هو فى هذه اللحظة ؟ هلا ً فكرت فى هذا !

رفع أليوشا عينيه فرأى الأب بائيسى وجهه محتقناً بالدموع كوجه طفل ؛ ثم تحول أليوشا دون أن ينطق بكلمة وأخفى وجهه فى يديه من جديد • قال الأب بائيسى مطرقاً مفكراً :

ـ قد تكون على حق مع ذلك! ابك في سلام يا بني لا ّن المسيح هو الذي يرسل اليك هذه الدموع .

ثم أضاف يقول بصوت خافت كأنه يعخاطب نفسه :

- ستساهم انتحاباتك المؤثرة في تهدئة روعك ، وستبعث الفسرح في قلبك النبيل .

ثم ابتعد ممتلىء النفس عطفاً على أليوشك وحبا له • والعحق أنه سارع ينصرف لأنه أحس أنه يوشك هو نفسه أن ينفجر ناشجاً وهو ينظر الى الفتى •

كان الوقت ينقضي ، وكانت صلوات الجنـــازة وقداساتها تتعاقب وَفَقَا لَلْنَظَامُ الْمَقْرُرُ • وَلَمْ الْأُنِّ بِالنِّسِي الْأَنَّ خِوْزِيفٌ قُـــرِبُ التَّابُوتُ ، فحل منحله في قراءة الانجيل • ولكن ما ان دقت الساعة الثالثية بعيد الظهر حتى وقع الحادث الذي أشرت اليه في ختام الباب السابق • وقد جاء هذا العجادث على غير ما يتوقع جميع الناس ، وجاء متخالفا متخالفة مذهلة لما كانوا يأملونه ، وبلغ من ذلك أن ذكراء وذكرى حميع التفاصيل النافهة التي رافقته قد ظلت حية ً الى أيامنا هذه في أذهان سكان مدينتنا وسكان المنطقة المجـــاورة كما سبق أن قلت • وأحب أن أســوق هنا ملاحظة خاصة بي : انه ليشق على نفسي أن أتكلم عن هذا الحادث المقلق الذي لا بد أن يهز النفوس رغم أنه في حقيقة الامر طبيعي ويمكن فهمه جدا ؟ وكان في وسعى أن أسكت عنه حتما لولا أنه قد أحدث تأثيرا قوياً جدا _ في اتعجاء محدد تحديدا واضحا _ في نفس وقلب البطــل الرئسي (وان يكن البطل المقبل) الذي تدور عليه أحداث هذه القصة، أعنى ألبوشا • لقد اضطرب ألبوشا من هذا الحادث اضطرابا رهبيا ، والى هذا المهد انما ترجع انعطاف حياته النفسية ، لأن عقله الذي أوشك أن يهزه الحادث ، قد خرج من الأزمة منتصرا ، ثابتا منذ ذلك المحين الى الأبد ، متجها نحو هدف معين محدد .

وهأناذا أصل الى الوقائع: حين أ'رقد جثمان الشيخ في تابوت بعد تكفينه قبيل الفجر ، ووضع التابوت في الغرفة الأولى من بيت الشيخ ـ وهي حجرة الاستقبال _ فان أحدد الأشخاص الحاضرين سأل ألا ينستحسن فتح النوافذ ، ان هذا السؤال الذي ألقاه صاحبه كسؤال

عابر وهو يشعر بما يشبه الخجل ، فد ظل بغير جواب ولم يكد ينتبه اليه أحد ، والذين سمعوه رأوا أن فكرة صدور رائحة تفسخ من جثمان ميت كهذا الميت تبلغ من السخف أنها لا تستحق في أبعد تقدير أكثر من أن يرفعوا أكتافهم مشفقين (أو أن يبتسموا محتقرين) ازاء مايتصف به الذهن الذي أمكن أن تخطر له من قلة الايمان وشدة الطيش وفرط الغباوة • أليس ما يُنتظر من قداسة الشبيخ هو نقيض هذا تماما ؟ ولكن الذي حدث هو أن الأشخاص الذين دخلوا الحجرة ابتداءً من الظهر قد أخذوا يلاحظون ملاحظات كتموها فىأول الأمر عن غيرهم واحتفظوا بها لأنفسهم ، خشبة أن ينقلوا الى الآخرين شعورا لا يكادون يصدقونه؟ غير أن الظاهرة التي أُ'دركت ادراكا غامضا في البداية قد تأكدت في نحو الساعة الثالثة بعد الظهر تأكداً بلغ من الوضيوح أنه أصبح يستحيل الشك فيها ، فاذا الخبر ينتشر في الصومعة على الفور ، واذا هو يشيع بين المتدفقين من أنواع الحجاج ، واذا هو يصل الى الدير في الوقت نفسه تقريباً فيغرق الرهبان في دهشة شديدة وحزن مبرَّح • وانتقل النبأ من الدير الى المدينة فأحدث اضطرابا في الناس ، المؤمنين منهم والملحدين على السواء • لقد انتصر الملحدون • وأما المؤمنون فمنهم من كان ابتهاجه أشد من ابتهاج غير المؤمنين أيضًا ، لأن الانسان « يحلو له أن يرى سقوط الرجل الصالح وتلطخ شرفه بالعار » كما قال المتوفى في أحد أحاديثه • وما وقع هو أن رائحة تفسيخ قد صدرت عن التابوت خفيفة ً في أول الأمر ، ثم ما زالت تشتد وتشتد ساعة بعد ساعة ؟ فما حانت الساعة الثالثة بعد الظهر حتى أصبحت واضحة كل الوضوح ، وما فتئت تشتد بعد ذلك . عبثًا تحاولون أن تجدوا في حوليات ديرنا ذكرى اضطراب فاضح عنيف كالاضطراب الذى استولى على الرهبان منذ أن عُرف الحادث ، والذي ما كان يمكن تصوره في أي ظرف آخر من

الظروف • وبعد انقضاء عدد كبير من السنين ظل حتى أعقل الرهبان وأحصفهم يشعرون بدهشة شديدة وروع هائل حين يتذكرون تفاصيل وثائع ذلك النهار ، والفوضى التي أطاشت العقول ، وما نشأ عن ذلك لدى رهبان الدير من موقف غير لائق • كثيرا ما حدث في الماضي أن رهباناً عُـرفوا باستقامة الحياة وطهارتها ، أن رجالاً يعظمهم جميع الناس ويخافون الله ، قد ماتوا أتقياء أنقياء ، ثم لوحظت مع ذلك حول جثمانهم المسكين بعض الافرازات ، كما يحدث هذا لجميع الموتى في هذه الحياة الدنيا ، ولكن الأمر لم يصدم عندئذ أحداً بل ولا أدهش أحداً • صحيح أن الأذهان تبحتفظ عندنا أيضا بذكري رهبان متوفين منذ زمان طويل ، يتناقل الناس عنهم أن بقاياهم لم تظهر عليها أية عسلامة من علامات التفسيخ ؟ وقد أحسدت ذلك في نفوس الرهبسان أثرا عظيما ، فكانوا يتحدثون عنه معجبين ، وكانوا يحرصون أشد المحرص على حفظ ذكرى هذه الوقائع المعجزة التي تشبهد بالقداسة ؟ وكانوا يقدُّرون أن مزيدا من المجد سيتحقق في المستقبل لقبور هؤلاء الأخيار المختارين في الساعة التي يشاء فيها الله ذلك • فهكذا كان شأن القديس يعقوب مثلاً ، الذي عاش مائة وخمس سنين والذي بقت ذكراه حية ً في ديرنا • لقد كان يعقوب ناسكًا كبيرًا ، اشتهر بفرائض الصمت والصيام التي كان يلزم بها نفسه ؟ وقد مات منذ زمن بعيد ، في الســنين الأولى من القــــرن التاسع عشر ؟ وأصبح قبره الآن محل تعظيم خاص ، فسكان الدير يقودون الحجاج الى زيارته قبل سائر القبور ، مشيرين بكلام يحمل معانى السر والاعجاب الى الآمال الكبيرة المعقودة على مثوى ذلك الرجل الصالح (على ذلك القبر انما لمح الأب بانسي ، في الصباح ، أليوشا) . وعدا ذلك الراهب الذي توفي منذ سنبن كثيرة ، هناك راهب آخر مات منذ عهد غير بعيسه كثيرا ، وخلَّف في الدير ذكري كهذه الذكري • انه الشميخ العظيم فارسونوف الذي خلفه الأب زوسيما ، والذي كان يعده جميع الحجاج الذين يزورون الدير « يوروديفوي ، • ان الناس يروون عن كل من هذين الراهبين أن الناظر اليه في تابوته كان لا يشمر الا بأنه نائم نوماً ، وأنه دُفن دون أن يفسد جثمانه ؛ بل وأن نوراً كان يشع من وجهه • حتى أن بعض الناس ذهبوا الى حد القول في الحاح واصرار ان رفاته كان ينشر روائح عطرة • ومع ذلك ، رغم هــذه الذكريات الموحيه ، فان من العسير على المرء أن يدرك السبب الذي دفع الرهبان في ذلك اليوم الى أن يقفوا موقفا يبلغ هذا المبلغ من الخفة والطيش والســخف والعداوة ازاء تابوت الشيخ زوسيما • أما أنا فأعتقد أن الأسباب كشيرة متنوعة ، ولكنها تعمل جميعا في اتجاه واحد ، ويخسن أن نذكر ، من بين هذه الأسباب ، المعاداة الشديدة لنظام المشايخ هذا الذي كان يعد بدعة مشئومة ، وهي عداوة قد ترسخت عميقة " في نفوس عدد كبير من الرهبان • وهناك سبب آخر لعله أهم الأسباب ، هو العصد الذي كانت تثيره قداسة الشبخ التي بلغت أثناء حياته من الرسوخ أنه كان يبدو من غير الجائز أن يناقش أحد فيها • فلثن أيقظ الشيخ تعلقا عميقا به ، ولثن عرف كيف يكسب محمة عدد كبير من الرهبان برقة روحه لا بمعجزاته، ولئن أحاط به أناس أخلصوا له كل الاخلاص ، فلقد خلق من حوله ، رغم ذلك وربما بسبب ذلك ، حُسَّاداً كتسيرين أصبحوا أعداء ألدَّاء شيئًا بعد شيء ، فيعضهم يخفي هذه العداوة وبعضهم يعلنها • ولقد كان له أعداء من هذا النوع لا في صفوف رهبان الدير فحسب ، بل بين غير رجال الدين أيضًا • انه لم يسيء يوما الى أحـــد ، ولكن الناس كانوا يتساءلون : « لماذا يُعدُّ قديساً عظيماً ؟ » • وكان هذا السؤال كافساً بتردده المستمر الى أن يخلق من حوله بغضًا لا تنطفيء جذوته • ذلكم في رأيي هو السبب الذي جعـــل كثيرا من الرهبان يبتهجـون ابتهاجا

شديدا حين علموا أن جسمه يصدر رائحة تفسخ ، وأن هذه الرائحة قد بدأت تصدر عن الجسم بعد برهة قصيرة ، لأنه لم ينقض على موته يوم. أما الرهبان المؤمنون بالشيخ المخلصون له ، الذين ظلوا يقدسونه الىذلك الحين ، فقد أحسوا بحادثة التفسيخ هذه نوعاً من اساءة نالتهم هم أنفسهم، واهانة لحقت بهم شخصياً • اليكم كيف جرت الأمور على وجه الدقة : منذ اللحظة التي ظهرت فيها أولى علائم التفسخ ، أصبح من اليسمير على المرء أن يحزر ، من هيئة الرهبان الذين كانوا يدخلون حجرة المتوفى ، الهدف َ الذي دخلوا من أجله • كانوا يدخلون فيمكثون بضع لحظات ثم يسرعون خارجين ليؤكدوا النبأ لمن كانوا يزدحمون أمام الباب ؟ فبعض هؤلاء يهزون رموسهم بحزن وأسى ، وبعضهم لا يكلفون نفسهم حتى عناء اخفاء الفرح الخبيث الذي يسطع في نظراتهم الكارهة • ولم يخطر ببال أحد أن يؤاخذهم ، وما من صوت ارتفع يدافع عن الشيخ ، وذلك أمر يثير الدهشة في الواقع ، لأن المعجبين بالشيخ كانوا أكثرية الدير يسمح للأقلية بالانتصار الى حين • ولم يلبث أن تدفق الى الحجرة رجال علمانيون ينتمي أكترهم الى الأوساط المثقفة ، فاما أن الفضول هو الذي يدفعهم الى ذلك ، واما أن أصــدقاءهم قد أرسلوهم يستطلعون الخبر اليقين • أما أبناء الشمع فقد كانوا أميل الى النأى والابتعاد ، رغم أن عددا كبيرا منهم قد تجمهر على أبواب المنسك . ومهما يكن من أمر فممسا لا شك فيه أن سيل الزوار العلمانيين قد ازداد ازديادا ضخما بعد الساعة الثالثة على أثر شيوع النبأ الفاضح • وهنـــاك أشيخاص ما كان لهــم أن يجيئوا بمناسبة وفاة الشيخ ، ولكنهم هرعوا الى الدير مع ذلك وليس لهم من هدف الا أن يتحققوا من صدق النبأ بأنفسهم ، وكان بينهم رجال من كبار موظفي الدولة ، ينجب أن نذكر مع ذلك أن سلوك المستطلعين

الفضوليين لمَّا يعكر جو الحشمة صراحة حتى ذلك الحـــين ، فما زال الأب بائسي يستطع أن يتلو آيات الانجلل جهرآ بلهجة ثابتة وهيئلة فاسبة دون أن يبدو علمه أنه يلاحظ شيئا ، رغم أنه قد لاحظ منذ بعض الوقت أن شيئا خارقا يحدث • ولكن ها هي ذي ملاحظات قد أخذت تصل الى مسامعه • ان أصحابها يبدونها خجلة وجلة أول الأمر ، فهم الملاحظة بوضوح: « يدو أن حكم الله لا يؤيد دائما حكم البشر ، • ان الذي جازف فقال هذه الكلمات أول القائلين هو رجل علماني متقدم في السن موظف في البلدية يعد على جانب كبير من التقي والورع • على أن هذا الرجل لم يزد على أن كرر جهراً ما كان الرهبان يسر به بعضهم الى بعض همساً في الآذان منذ وهلة طويلة • ان هؤلاء الرهبان لم ينتظروا طويلا من أجل أن يفصحوا عن هذه الفكرة التي تعبر عن تبدد الأوهام ، والأنكى من ذلك أنهم كانوا يفصحون عن هذه الفكرة وقد بدت في وجوههم امارات النصر والغلفر التي كانت تزداد قوة ووضوحا من دقيقة الى دقيقة • وما لبثت مراعاة اللباقة أن زالت فكأن الجميع أصبحوا يحسون أن من حقهم أن لا يقموا لها وزناً بعد الآن • « كيف أمكن أن يحدث هذا ؟ ، كذلك كان يتساءل بعض الرهبان وهم يصطنعون في أول الأمر هيئة الحزن فكان رهبان آخرون يسارعون الى الجواب قائلين : « لقـــد كان جسمه نحملا هزيلا معروفًا ، كله عظام ، فمن أين يمكن أن تأتمي هذه الرائحة ؟ » ــ « معنى ذلك أن الرب قد أراد أن يدل على عـــدم رضاه ، • وكانت آراؤهم هذه تُـقبل فوراً بغــــير نقاش ، لأنه اذا كان التفسيخ ظاهرة طبيعية تحدث دائما بعد وفاة خاطيء فانها لا تحدث في العادة الا بعد أربع وعشرين ساعة على الأقل ، ولا تظهر بمثل هذه السرعة •

أما وأن تفسخ الشيخ قد سبق الطبيعــه فلا بد أن نرى في ذلك عملاً من أعمال الله واشارة آتية من السماء • ذلك برهان كان يــــدو مفحماً • ولقد حاول الراهب الكاهن جوزيف ، أمين مكتبة الدير الدي كان صفى الشبيخ وأثيره وكان رجلا دمثًا لطيفا رقيق الحاشية ، حاول أن يسوق بعض الحجج والأدلة جوابا على تلك الأقوال المسيئة • قال فيمــا قال : « أن هذه الآراء لا يؤخـــــ بها في كل مكان وأن ما يقال من أن أجساد الصالحين لا تتفسخ ليس من صلب العقيدة الأورثوذكسية وانما هو محرد ظن ٠ ففي مراكز الاورثوذكسية الصافية النقية متل مونت آثوس لا يقام كبير وزن لرائحة الجنبة ولا يعد عدم التفسخ علامة نهائمه على مجد القديس وانما يعتمد هنالك على لون العظام بعدد أن تنوى الأجساد زمنا طويلا في الارض وبعد أن تكون قد تفسخت في التراب تفسيخاً تاماً فاذا صارت العظام بمضى الزمن الى صفرة كصفرة الشمع كان ذلك دبيلا قاطعا على أن الرب قد مجد المتوفى أما اذا أصبحت العظام سودا، استُدل من ذلك على أن الرب قد حكم على المتوفى بأنه لا يستحق ذلك الثبرف ، ذلكم هــو الأساس الذي يُنبَى عليــه الرأي في مونت آثوس وهو مكان مقدس جدا حافظت فيه الأورثوذكسية في كل الأزمان على صفائها ونقائها » • بذلك ختم الأب جوزيف كلامه ولكن أقوال هذا الراهب المتواضع لم تحدث أي صدى ولم تزد على أن أثارت في أكثر تقدير ملاحظات ساخرة فقال بعض الرهبان : « تلك بدع العلماء لا نريد أن نسمعها » • وأضاف آخرون : « سوف نبقى أوفياء للتقاليد أمناء عليها والبدع كثبرة في زماننا هذه أفينغي لنا أن نقلدها جميعا » • وقالت طائفة ثالثة في استهزاء: لا يقل ما كان عندنا من قديسين عما كان عند رهبان مونت آنوس وقد سي هؤلاء كل شيء ابان الحكم التركي وفسدت الاور توذكسية عندهم منذ زمن طويل . يضاف الى ذلك أنهسم

لا يملكون حتى نواقيس » • انصرف الأب جوزيف حزينا • ثم انه لم يعبر عن رأيه بكتير من ،لجزم والقطع بل عبر عنــه مترددا كأنه ليس مقتنعاً به كل الاقتناع هو نفسه • وما كان أشد اضطرابه اذ ثبت له أن ربح عداوة قد هبت على الرهبان وأن روح التمرد على نظام المسايخ قد عاد الى الظهور • وصمتت جميع الاصوات الرزينة المعتدلة شيئا بعد شيء على أثر هزيمة الأب جوزيف حتى لقد حدث أن أولئك الذين كانوا قد أحبوا زوسيما وكانوا قد خضعوا لنظام المشايخ بحماسة شديدة ، ذعروا على حين فحاَّة وأصحوا لا يكادون يجرؤون حين يلتقون على أن يتبادلوا نظرة خجلىء أما خصوم هذا النظام الذين يصفونه بأنه بدعة مفسدة فقد شعروا بانتصار وراحوا يختالون تباهيا وها هم يقسولون فرحين فرحآ خبيثًا : « عند موت الأب فارسونوف لم تلاحيَظ علائم تفسخ بل كانت جثته تنشر روائح عطرة • على أنه لم يستحق نعم الرب بصفته شيخا وانما استحقها بفضل طهارة حياته لأنه كان رجلا صالحاً » • وانطلقت الألسن من عقالها فهي لا تتردد الآن عن انتقاد الشيخ المتوفى بل وعن اتهامه فهؤلاء بعض الرهبان الأغباء يقولون : «كانت تعالىمه خطأ • كان يزعم أن الحياة فرح عظيم لا مصدر حزن وينبوع دموع » • وهؤلاء لا يؤمن بنار جهنم » وهؤلاء حساد يقولون : « لم يكن يتقيد بالصيام تقيداً شدیداً • کان یسمح لنفسه بأکل الحلوی وکان یتناول مع الشای مربب الكرز • كان يتلذذ بذلك • كتيرا ما كانت سدات ترسيل الله حلوى ومرباً • أيليق بناسك أن بشرب شاياً ؟ وهؤلاء أسوأ الرهبان قصداً يقولون حانقين : « كان متكبراً • كان يظن نفسه قديسا • كان الناس يجثون أمامه وكان هو يقيل آيات الاحترام هــــذه ويعدها واجبا له على الآخرين » • وهؤلاء ألد أعداء نظام المشايخ يضيفون بصوت خافت ولهجة

شرسة: كان يمتهن حرمة سر الاعتراف، ان أكنر هؤلاء الأعداء الألداء لنظام المشايخ هم بين الرهبان أكبرهم سنا وأنندهم تفشفا وأعظمهم تقيدا بكفارات الصيام والصمت • كانوا أثناء حياة الشيخ قد انتهوا الى الاذعان والرضوخ ولكنهم يطلقون الآن لأحقادهم أعننها وذلك يبير القلق كنيرا لأن لآراءهم تأثيرا قوياً في الرهبان الشبان الذين ظلت أفكارهم في هذا المجال رجراجة • كان راهب أوبدورسك ، الراهب الصسخير الوافد من سان سيلفستر ، يصيخ بسمعه الى هذه الأقوال كلها منتبها انتباها سديدا متنهدا تنهدا عميقا ، هازا رأسه ، قائلا لنفسه : « يبدو أن الأب تيرابونت كان على حق أمس » • وهدا هو الأب تيرابونت يظهر هو نفسه على حين فجأة كأنما ليكمل اضطراب النفوس وبليلة الأفكار •

سبق أن قلت انه كان لا يترك الا نادراً حجرته الخشبية الواقعة فرب خلية النحل وانه كان يغيب عن الكنيسه فترات طهويلة و ولكن سكان الدير كانوا يغضون البصر عن اخلاله ههذا بالنظام ، بحجه أنه انسان ساذج برىء والحق أنهم كانوا يعدون أنفسهم مضطرين أخلاقيا ان صبح التعبير الى غض الطرف عن شنوذ سلوكه فانه ليكاد يبدو غير لائق أن يطالب ناسك كبير مثله يلزم نفسه بالصيام والصمت مددا طويلة ذلك الطول كله ويقضى أياما كامله وليالى طويلة في الصلاة والتهجد للكان يتفق له أن ينام على ركبتيه) ، أن يطالب بالخضوع للطقوس العامة والشعائر المتبعة اذا هو أراد أن يتحلل منها فلو أراد أحد أن يزعجه لقال الرهبان : « انه أقدس منا جميعا وهو يفرض على نفسه كفارات أقوى كبيرا مما نلزم به أنفسنا من فرائض فاذا لم يأت الى الكنيسة فلا شك أن هنالك أسباباً تدفعه الى ذلك، ان له فرائضه الخاصة التى يوجبها على نفسه دلذلك كان يُترك هذا المعترل العجوز وشأنه تحاشيا التي يوجبها على نفسه دلذلك كان يُترك هذا المعترل العجوز وشأنه تحاشيا التي يوجبها على نفسه اذلك كان يُترك هذا المعترل العجوز وشأنه تحاشيا التي يوجبها على نفسه دلذلك كان يُترك هذا المعترل العجوز وشأنه تحاشيا التي يوجبها على نفسه الذلك كان يُترك هذا المعترل العجوز وشأنه تحاشيا التي يوجبها على نفسه الذلك كان يُترك هذا المعترل العجوز وشأنه تحاشيا التي يوجبها على نفسه الذلك كان يُترك هذا المعترل العجوز وشأنه تحاشيا التي يوجبها على نفسه الذلك كان يُترك هذا المعترل العجوز وشأنه تحاشيا التي يوجبها على نفسه الذلك كان يُترك هذا المعترل العجون وشأنه تحاشيا التي النه في النه في النه في الأن الأب

تيرابونت يكره الشيخ زوسيما • ولم تلبث الشائعة التي تقول : « ان حكم الله لا يؤيد حكم البشر دائما وانه قد سبق الطبيعه في تفسخ جنمان الشيخ » ، لم تلبث هذه الشائعة أن وصلت الى حجرته النائية المنعزلة وأغلب الظن أن راهب أوبدورسك الذي زاره النارحه وخرج من عنده مذعورًا كان من أوائل الذين نقلوا الله النبأ • وقد ذكرت أيضًا أن الأب باليسي الذي ظل يتابع قراءة الانجيـــل أمام التابوت ثابت الجنان بغير اضطراب والذي كان لا يمكن أن يرى وأن يسمع من مكانه هذا ماكان يجرى خارج الغرفة ، قد حزر مع ذلك في قرارة نفسه الشيء الأساسي مما كان ينجري خارج الغرفة لأنه يعرف الروح المسيطرة على بيئته حق معرفتها • لم يدع الأب بائيسي لنفسه أن يضطرب وانتظر ما سيحدث دون أن يرتاع متنبئًا بعواقب هذه الحركة بما أوتى من بصيرة نافذة وفكر سديد غير أن ضحه خارقة آتية من المر قد شدت انتباهه على حين فجأة ، وهي ضحة لا يتخفي في هذه المرة أنها تنافي اللياقة • انفتح الباب على مصراعيه وظهر الأب تيرابونت في العتبة • ان عددا كبيرا من الرهبان بتنهم بعض العلمانيين كانوا يسيرون وراء الأب تيرابونت ولكنهم آثروا أن يتوقفوا في أسفل درجات المدخل فهم يُرون من الغرفة • لقد قرروا أن لا يدخلوا الغرفة وفضلوا أن يشهدوا من بعد ما ستقوله الأب تيرابونت وما سيفعله • ذلك أنهم كانوا يتنبأون بأن الأب تيرابونت لم يجيء عشًا والهم لشعرون شيء من الارتباع رغم جرأتهم وجسارتهم • توقف الأب تيرابونت في العتبة ورفع ذراعيه فرئيت عندئذ العنان الحادتان المستطلعتان عينا راهب أوبدورسك الصغير الذى لم يستطع مقاومة الاغراء وجازف وحده فاجتاز درجات المدخل وراء الاب تيرابونت ليرى ما سيحدث من كثب ولا كذلك الآخرون فقد تراجعوا قليلا وهم يشعرون ببخوف مفاجىء حين انفتح الباب مقرقعاً • صرخ الأب تيرابونت بقوة وهورافع ذراءقائلاً:

۔ اخرجوا من هنا يا شياطين .

وأسرع يرسم اشارات الصليب كبيرة وهو يتجه الى جدران الغرفة الأربعة جداراً بعد جدار • ورسم اشارة الصليب كذلك أمام كل زاوية من زوايا الغرفة وسرعان ما أدرك جميع الذين تبعوا الأب تيرابونت دلالة هذه الحركة فلقد كانوا يعرفون أنه يفعل هذا دائماً في أي مكان يذهب اليه ولا يرضى أن يقسول كلمة أو أن يجلس في قاعة قبال أن يطرد الشيطان وكان يردد كلما رسم اشارة الصليب:

ــ ابتعد أيها الشيطان! أخرج من هنا! غوروا أيها الأبالسة لأننى أطردكم •

هكذا كان يزأر الشيخ تيرابونت •

وكان يرتدى ثوباً خثمناً يزنره حبل وكان صدره الأشيب الشعر يظهر من شق قميصه المصنوع من الخيش أما قدماه فكانتا حافتيين تماماً واذا حرك ذراعيه سنمع صليل السلاسل الحديدية النقيلة التي كان يحملها على جسمه • توقف الأب بائيسي عن القراءة وتقدم نحو الأب تيرابونت هادئاً على وضع انتظار وسأله أخيرا وهو يلقى عليه نظرة قاسية :

ــ ماذا جثت تصنع هنا أيها الأب المحترم ؟ لماذا تشوش النظام ؟ فيم بث الفوضى في الرعية المسكينة ؟

صرخ الأب تيرابونت يقول منقلب السحنة :

ــ لماذا جئت ؟ تريد أن تعرف لماذا جئت ؟ فماذا تظن اذن ؟ لقد جئت لأطرد ضيوفكم ، لأطرد الشياطين النجسة ! أردت أن أرى هل استضفتم شياطين كثيرة فى غيابى ، سأطردهم جميعا بالسياط ،

أجابه الأب باليسي هادئاً دون انفعال :

ــ تحسب أنك تطرد الشيطان مع أنك ربما كنت تخدمه !من ذا الذي يستطيع أن بقول عن نفسه انه فديس ؟ أثراك أنت أيها الأب المحترم ؟ فال الأب تيرابونت مرعداً:

- أنا لست بقديس قط ! أنا رجل دنس ! ولكننى أنا لا أستريح على مقاعد وثيرة ولا أحاول أن أحمل الناس على عبادتى كاله • ان الناس فى أيامنا هذه يستهزئون بالدين المقدس ويجحدونه • ان صاحبكم المتوفى عمدا القديس (كذلك أضاف يقول ملتفتاً نحو الرهبان المحتشدين عند المدخل مشيراً باصبعه الى تابوت الشيخ) كان لا يؤمن بوجود الشياطين لقد كان يصف لمن مستهم الشياطين أدوية تنظف الأمعاء فهل عجب بعد هذا أن تنكاثر الشياطين عندكم تكاثر العنكبوت فى زوايا الجدران ؟ أما قديسك فانه يتفسخ الآن وتلك فى نظرنا اشارة من السماء •

والحق أن في حياة الأب زوسيما حادثة من هذا النوع فان راهباً من الرهبان قد رأى الشيطان في منامه عدة مرات ثم أخذت هذه الرؤى تعاصره في اليقضة أيضا ففاتح الشيخ بذلك فنصحه الشيخ بأن يكتر من الصلاة والصيام • فلما لم تنفعه هذه الوسيلة وصف له دواء ونصحه في الوقت نفسه بأن لا ينقطع عن الاكتار من التعبد • وقد شده من هذا عدد كبير من الرهبان وأخذوا يتحدد كبير من الرهبان وأخذوا يتحدد ثون فيه هازين راوسهم استياء واستنكاراً • وكان الأب تيرابونت أشدهم ثورة حين أسرع الوشاة يبلغونه بما فعله الشيخ من أمر يعد « خارقا » في حالة من هذا النوع •

قال الشيخ بائيسي بلهجة صارمة :

ــ ابتعد أيها الأب! ان الحكم لله لا للبشر وان « الاشارة الآتية الينا من السماء » يمكن أن يكون لها معنى يفوق عقلنا فلا تستطيع أنت ولا أستطيع أحد هنا أن يجازف فيؤولها • ابتعـــد أيها الأب وكفاك تشويشاً للرعية ا

كذلك ردد الأب بائسي ملحاً •

واستأنف الراهب المندفع يقـــون وكأنه فقد كل سـيطرة له على نفسه :

- كان لا يعتقد بفرائض الصيام كما يليق براهب من رتبته • ذلك هو معنى الاشارة السماويه ، هذا واضح وضوح النهار ومن الاثم أن نحاول انكاره • كان يتنعم بالحلوى التي كانت تمتليء بها جيوب السيدات اللواتي يزرنه • كان يملأ بطنه بالشاي ويحشوه بالعصائد • أما روحه فقد كانت تفيض كبرياء وزهوا • ذلك هو السبب في أن الرب قد أرسل اليه هذا العار •

أجاب الأب باثيسي رافعاً صوته هو أيضا :

ـ أقوالك طائشة يا أب! اننى لأعجب بقسوة صيامك وشدة تقـاك ولكنك ترسل الكلام جـزافا بغير روية كشاب علمـانى يعوزه النضج والتأمل والتدبر •

وختم الأب باثيسي كلامه قائلاً بصوت مجلجل :

ــ اخرج من هنا ٠

قال الأب تيرابونت مرنبكاً بعض الارتباك ولكن دون أن يهــــدأ غضه :

ـ سأمضى ! طيب ٠٠٠ أنتم رجال علماء • أنتم بكبرياء عقلكم المسعورة ترتفعون فوق بساطتى • لقد جثت الى الديرأميا • والقليل الذى كنت أعرفه فى الماضى نسيته منذ ذلك الحين • لقد شاءت رحمة الرب نفسه أن تصوننى أنا الضعيف من دنس عقلكم ٠٠٠

ظل الأب بائسي هادنا ينتظر التتمة بصلابة وثبات .

صمت الأب تيرابونت لحفلة ثم اذا بوجهه يظلم على حين فجأة و ذا به يحمل يده اليمنى الى خده ويعول بصوت ضعيف وهو ينظر الى تابوت الشيخ :

ـ غداً ينشدون له النشـــيد العظيم « ربنا هب انا من لدنك عونا واحمنا » أما حين سأفطس أنا فسيكتفون بتلاوة آيات بسيطة قائلين كانت حياته هادئة وادعة * •

كذلك قال بصوت تخالطه الدموع وتستثير الشفقة • ثم صرخ يقول كمن جن جنونه :

ـ ضيَّعتكم الكبرياء والثقة! ما هذا المكان الا عدم!

واستدار على عقبيه فجأة وهو يحرك ذراعيه وهرول بهبط درجات السلم الصغير و ظهر التردد على الجمهـــور الذي كان ينتظره نحت ثم تبعه بعضهم فورا وتوقف آخرون اذ رأوا أن باب الغرفة قد ظل مفنوحا وأن الأب بائيسي الذي شـــيع الأب تيرابونت الى درجات المدخل كان يلاحظهم صامتا ولكن العجوز المنــدفع المتحمس لم يكن قد أفرغ كل ما في جعبته فها هو ذا يتوقف بعد أن سار عشرين خطوة ويلتفت نحو الشمس الغاربة رامياً ذراعيه في الهواء ثم يتهاوى على الأرض كأن قوة خفة قد حصدته:

ـ انتصر ربى ! تغلب المسيح عند غياب الشمس •

كذلك زأر يقول بصوت مسعور وهو يمد ذراعيه نحو الكوكب • ثم جعل وجهه الى الأرض وأخذ يبكى بكاء طفـــل مهتز التجسم محركاً ذراعيه كأنما ليعانق الأرض • هرع الجميع اليه وسنمع صراخ وسمع بكاء عطف فكأن حمياه قد انتقلت الى الجمهور • وهتفوا يقولون من كل جهة من الجهات بغير تحفظ ولا اعتدال:

ــ لن يقبل أن يصبح شيخا • سيرفض هــو نفسه • لن يرضى أن ينضم الى هذه البدعة اللعينة • ما هو بمن سيقلد هذا النجنون • •

لا يدري أحد بماذا كان يمكن أن ينتهي هذا كله لو أن الناقوس لم تدوِّ أصواته في تلك اللحظة منادية الرهبان الى القداس • رسم الجميع اشارة الصليب ونهض الأب تيرابونت ورسم اشارة الصلب كبيرةً عريضة ليحمى نفسه من الشر الخفي واتنجه نحو غرفته دون أن يلتفت وهو يطلق صرخات مضطربة لا اتساق فيها • تبعته قلة قلبلة من الرهبان ولكن أكتر الرهبان تفرقوا مسرعين الى العبادة • وعهد الأب باتسبي الى الأب جوزيف باتمام القراءة وابتعد هو أيضًا • ان الصرخات المحمومة التي أطلقها المتعصبون لم تستطع أن تهزء كثيرا ومع ذلك شمعر بحزن خاص يغزو قلبه فيحاَّة فدهش من هذا ووقف يتساءل : « ما مصدر هذا العناء الذي ير هقني ، • فما كان أشد ً استغرابه حين أدرك فورا أن سب ذلك انما هو حادث يبدو في الظاهر تافهاً لا قيمة له : فين صفوف الجمهور الذي كان يضطرب منذ هنسهة عند مدخل الغرفة لاحظ الأب بائيسي وجسود أليوشا الذي كان يبدو مضطربا اضطرابا شديدا منفعلا انفعالا قويا (انه بتذكر هذا الآن) فشعر من ذلك بما يشبه ألما يطعن قلبه • تسامل الأب بانیسی مدهوشا دهشة قویة : « هل بمكن حقا أن يكون هذا الشاب قد احتل كل هذا المكان في نفسي ؟ . . وفيما هو يتسامل هذا التساؤل مر ألىوشا غير بعيد عنه • كان يغذ الخطى ولكنه لم يكن متجها نحو الكنيسة • التقت نظراتهما فسرعان ما أشاح أليوشا عينيه وخفضهما نحو الأرض وأدرك الراهب العجوز من النظر الى هيئة الفتى وحدها ما كان يجرى فى نفسه من تبدل .

هتف الأب باليسى يسأله:

- أتراك تركت لنفسك أن تهتز وتضطرب أنت أيضا ؟ ثم أضاف يقول بمرارة :

ـ أتراك انضممت الى صف الذين يشكون ؟

توقف أليوشا وألقى على الأب بائيسى نظرة مترددة ثم أشاح عينيه وأطرق الى الأرض من جديد • لقد وقف موارباً ليتحاشى نظرة محدثه وجهاً لوجه • وكان الأب باليسى يرقبه بانتياه •

قال الأب بائيسي :

_ الى أين أنت ذاهب ؟ هذه ساعة القداس .

ولكن أليوشا ظل لا يعجيب • وتابع الأب بائيسي أسئلته :

- ألعلك تترك الدير ؟ أبدون أن تنبئنا! أبدون أن تتلقى المباركة ؟ فاذا بأليوشا يطلق على حين فجأة ضحكة صلغيرة مصنوعة ، ويشخص ببصره الى الراهب الذي كان يسأله ، ان هناك شيئًا غريبا بل غريبا جدا في النظرة التي ألقاها في تلك اللحظة على الرجل الذي عهد به اليه أثناء موته مرشد م الروحي المتوفى ، معلم قلبه وفكره ، شيخه المحبوب ، ها هو ذا يحرك يده فجأة ، دون أن يجيب ، باشارة تنم عن أنه أصبح لا يهمه أن يرعاه أحد ، ثم اتجه تحسو مخرج المنسك بخطى سريعة ،

دمدم الأب باثيسى يقول بصوت خافت وهو يتابعه بنظره مدهوشاً دهشة ألممة :

ـ ستعود ٠

وقيت كهذه الاقيقي

في أن الأب بايسي لم يخطى، حين قدر أن « ابنه العزيز » سيعود ؟ حتى لقد فهم فيما يبدو (لا فهماً كاملاً والحق يقال ، لكنه فهم فيه كثير من نماذ البصيرة) الحالة النفسية التي كان عليها ألبوشا • ولكن يحب على أن أعترف مع ذلك بأنني لو أردت أن أشرح على وجه الدقة معنى تلك الدقيقة الغريبة الميهمة من الحياة الداخلية التي عاشها بطلي الذي أحبه كثيرا والذي ما يزال في ريعان الشباب ، لكان ذلك صعباً على "كل الصعوبة • انني أستطيع طبعا أن أجيب عن ذلك السؤال المرير الذي ألقاء علمه الأب بالسبي «أتراك أصبحت في صف من يشكون؟»، أستطع أن أجب عن هذا السؤال واثقاً : « لا ، انه لم يكن يشك ! » • وأكثر من ذلك أن اضطرابه كان يعبر عن نقيض هذا تماما : لئن شعر بقلق فذلك لأن ايمانه كان كبيرًا • لقد قلق أليوشا قلقا شديدًا ، وبلغ قلقه من الايلام أنه ظل بعد سنين طويلة يعد ُ ذلك اليوم المشئوم أذخر أيام حياته بالألم والمحزن • ولو سئلت : • هل يمكن حقا أن يشعر بكل ذلك الحزن والقلق لا لشيء الا لأن جثمان شبخه قد فسد قبل الأوان بدلاً من أن يحقق معجزات شفاء؟ » > لأجبت بغير تردد : « نعم > ذلك بعينه هو سبب حزنه » • ولكنني أرجو القارىء مع ذلك أن لا يتسرع

كنيرا فيستهزىء بصفاء علب بطلى • لست أميل من جهتى الى أن ألتمس نقص دراسته أو فله ما حصتًل من تقدم في العلوم في المدرسه ، بل أفف الموفف المضاد بغير تردد فأقول : انني أشعر نحو بساطته باحترام كبير. صحيح أن شبابا غيره ، شسبابا أكتر تعفلاً وأشد حسندرا في اندفاعات روحهم ، شبابا یحبون حبا حاراً ولا شك ، غیر أنهم یحبون بغیر هوی شديد ، شبابا يحسنون التحكم بحركات فلبهم في ذكاء واثق مستقيم لكنه مع ذلك مسرف في التعقل اذا قيس بأعمارهم (وهــو تبعا لذلك ضيل القيمة) ، واضح أن شبابا كهؤلاء كان يمكن أن يتقوا الاضطراب الذي وقع فيه بطلي • ولكن لأن ينساق المرء أحيانا مع اندفاع فد يكون طائشًا ولكنه مستلهم من حب كبير ، فذلك في رأيي أنبل وأكرم من أن يكون عاجزًا عن الشعور بمثل هذه العواطف • وهذا يصدق خاصة على الشباب ، لأن الشاب الذي يفرط في التروى لا يوحي بثقة عميقة وليس له قيمة كبيرة • ذلك رأيي أنا على الأقل • رب أناس رصينين يعترضون قائلين : « فالى أين نصير اذا آمن جميع الشباب بمثل هذه الآراء ؟ ليس صاحبك ألبوشا بمن تضرب به مثلاً أو تقدمه قدوة ، • واني لأجيب هؤلاء قائلاً : « لقد كان ألموشا يؤمن بحـــرارة وحماسة ، كان يؤمن ايمانا مقدساً لا يتزعزع ، ولكن ليس يخطر ببالى أن ألتمس له بســبب ذلك أعذارا ٠ ٠ ٠

ومع ذلك ٠٠٠ مهما أؤكد (وربما كنت في هذا التأكيد مفرطاً في التسرع) اننى لن أحاول أن أسوع غ سلوك بطلى أو أن ألتمس له الأعذار ، فاننى أرانى مضلطرا ، رغم كل شيء ، الى أن أقسدم بعض الايضاحات تسهيلاً لفهم قصتى • اليكم ما أريد أن أقوله : ليس غياب المعجزة هو ما أسلم أليوشا للاضطراب • ان أليوشا لم ينتظر ، نافد

الصبر ، ظهور ّ ظاهرة فوق الطبيعة ، عن خفة وطيش ، انه لم يكن في حاجة الى ذلك لتبوت صدق اعتقاده ثبوتا مظفرا (لا هذا على كل حال)، ولا ليتاح لفكرة قائمة في ذهنه أن تنتصر بمزيد من السهولة على رأى يمارضها • أبداً ! ان ما كان يعنيه في هذا الأمر قبل كل شيء آخر ، بل ودون كل شيء آخر ، انما هو مصير انسان ، مصير هذا الانسان وحده، أعنى شخص الشيخ الذي كان أليوشا يحبه ، شخص الرجل الصالح الذي كان أليوشا يعجب به ويبجله • ان ما في قلبه الفتي من قدرة على الحب ، وإن ما كان يشعر به نحو « جميع الأشياء وجميع الناس ، من مودة وعاطفة وحنان ، قد تركز في تلك الفترة ، أعنى أثناء تلك السنة ، على انسان واحد هو شيخه الحبيب الذي مان الآن ولكنه كان قد أصبح ــ ربما بشيء من الأفراط ــ القطب الوحيد الذي يجتذب أعمق عواطفه. صحيح أن هذا الشيخ ظل يتجسنُّد في نظره أرفع مثل أعلى انساني ، خلال مدة بلغت من الطول أن قوى طبيعته الشابة وأشـــواق نفسه كان لابد أن تتجه الى الشيخ وحده حتى لتنسبه في بعض الأحيان « جميع الأشياء وجميع الناس ، (سوف يتذكر فيما بعد أنه في ذلك اليوم الحزين قد نسى نسمانا تاما أخاه دمتري الذي كان يرغب أمس في رؤيته ، رغبة حارة ڤوية ؟ كما أن القرار الذي اتخذه أمس والذي يحرص عليه أشد الحرص ، وهو أن يرد المائتي روبل الى والد ايليـــوشا ، قد غاب عن ذهنه تماما) • ولكنني أعود فأقول مرة أخرى : ليست المعجزات هي ما كان أليوشا في حاجة اليه ، وانما كان أليوشا في حاجة الى « عـــدالة عليا ، ، وهذه العدالة العليا قد أوذيت في نظره ايذاء شديدا • فهذا لا غيره هو ما كان يؤلم قلب أليوشا ايلاما قاسيا • لقد كان هـــــذا طعنةً موجعة رهيبة • ليس بالأمر المهم أن تكون هذه « العدالة » قد تترجمت في ذهنه ، بتأثير البيئة الطبيعي ، توقعاً لمعجميزة لا بد أن تتحقق قرب

ما يأمله جميع الناس في الدير ، وفي طليعتهم أولئك الذين كان أليوشا يعترف بتفوقهم العقلي عليه ، كالأب بائيسي مثلاً ؛ لذلك لم يتردد أليوشا في أن يعبُّر عن أمله على نحـــو ما كانوا يعبرون ، دون أن تشــوشه شكوك أو تأملات • وقد نضج هذا التوقع في نفسه خلال سنة كاملة عاشها في الدير حتى أصبحت طبيعية كعادة • ولكن ظمأه كان الى عدالة لا الى معجزات! وهذا هو الانسان الذي كان في عاطفة ألبوشا فيوف جميع البشر في العالم بأسره يتجلل بالعسار فعاة ويسقط في الخزى بدلاً من أن ينال المجد الذي يستمحقه! لماذا؟ من هو القاضي الذي اتحذ هذا القرار وأصدر هذا الحكم ؟ من الذي يمكن أن يكون قد اتبخذ هذا القرار حقا ؟ تلكم هي الأسئلة التي داهمت نفسه البريئة التي تعـوزها المخبرة والتجربة وأخذت تسومها سوء العذاب • كان لا يطيق ، دون أن يشعر بالمذلة ودون أن يعصف به الغضب ، أن يرى أصلح الصالحين فريسة استهزاء شرير وتهكم خبيث يصبه عليه جمهور طائش هو دونه كثيرًا • كان يمكن أن يقبل أن لا تحدث أية معجزة وأن لا يقع أي شيء خارق للطبيعة ، تلبية ً لما يتوقعه جميع الناس • ولكن لماذا يعجلنُّل الشيخ بالخزى والعار ، لماذا هذا التفسيخ الذي يحدث قبل الأوان ، و « يسبق الطبيعة » كما كان يقول الرهبان الأشرار ؟ هل كان ضروريا أن تُنهيأ لهؤلاء الأشرار فرصة أن يروا في هذا التفسخ « اشارة » يسارعون الآن الى تأويلها كما يحبون ويشتهون وراء الأب تيرابونت ؟ ومن ذا الذي خواً لهم الحق في أن يعمدوا الى استدلالات من هذا النوع ؟ أين العناية الالهية في هذا كله وأين يد الله ؟ لماذا امتنع الرب عن التدخل فياللحظة التي كان فيها تدخله ألزم ما يكون وأوجب ما يكون (في رأى ألبوشا)

حتى لكأنه استسلم هـــو نفسه أمام قوى الطبيعة المـــاديه العمياء التي لا ترحم ؟

ذلكم ما كان ينزف منه قلب أليوشا • كان في تلك الساعة ، كما سبق أن قلت ، لا يفكر الا في ذلك الانسان الذي هو أحب انسان الى فليه في العالم ، وهــــذا الانسان هو من جُلِّل بالخــزي والعار الآن ، وغُنْضَتَ قيمته وأُنزل الى الدرك الأسفل • انني أسلم بأن هذا الفتي قد برهن ، حين كان يدمدم هذه الدمدمة ، على أنه طائش العقل مخطىء الرأى ، ولكنني أعود فأقول مرة ثالثة (ولتتهموني بخفة العقل أيضا اذا شئتم): انني ليسعدني أن ألبوشا قد أعوزه القصد والاعتدال في تلك الساعة من حياته ، لأن العقل يستنقظ دائماً في وقت مكر لدى الانسان الذي لم يُحرم من الذكاء ، فاذا لم يتغلب عليه الحب في مثل هذه اللحظة في قلب فتي مراهق ، فمتي عساء ينتصر في هــــذا لعالم ؟ على أنني لا أسطيع أن أصمت عن عاطفة أخرى غامضة مضطربة قد مست نفس ألوشا مساً عابرا في تلك الدقيقة القلقة الأليمة من حياته • ولعل كلمة « عاطفة » ليست هي الكلمة المناسبة • هو « شيء » كان يندبه ، هو شعور شاق مرتبط بذكري الحـــديث الذي قام أمس بنه وبين ايفان والذي يعاود فكره في هذه اللحظة الحرجة بالحاح محاصر • لست أعني قط أن عناصر ايمانه الأساسية ، الفطرية ان صبح التعبير ، قد أصـابها أي تزعزع ٠٠٠ لا ٠٠٠ انه يحب الهه الآن كما كان يحمه من قبل ، وانه ما بزال يؤمن بالهه وان كان يدمدم متذمراً في بعض اللحظات • ولكن ذلك الاحساس المقلق السيء الذي شعر به بعد ذلك الحديث رأساً قـــد استبقظ الآن في نفسه من جديد ، وأخذ يحاول الخسروج الى سسطح شعوره بقوة ما تنفك تتزايد .

هبط المساء أثناء ذلك ، وخيِّم الظلام • وهذا راكبتين الذي كان

يجتاز غابة الصنوبر ليذهب من الصومعة الى الدير يلمح أليوشا على فجأة ، مستلقيا تحت شجرة ، جاعلاً وجهه الى الأرض ، ساكناً لا يُ فكأنه نائم ، اقترب ركيتين منه وناداه :

_ أهذا أنت يا ألكسي ؟ أيمكن حقا أن ٠٠٠

كذلك قال راكيتين مدهوشا ، ولكنه أمسك فعجأة عن الكلا أن يتم جملته .

كان يريد أن يقول: « أيمكن حقا أن تصير من ذلك الى ◄ المحال ؟ » •

لم يرفع أليوشا عينيه نحو راكيتين، ولكن راكيتين أدرك من يسيرة تحركها جسم أليوشا ، أن أليوشا قد سمعه ، استأنف و يقول وقد أخذت الدهشة التي يعبر عنها وجهه تستحيل شيئا فشب الشامة ساخرة :

- ماذا بك ؟ ماذ دهاك ؟ اسمع يا أليوشا ! اننى أبحث عنه ساعتين في كل مكان • لقد اختفيت من هناك بغتة " • فماذا تصنع أهي سخافة جديدة ؟ أنظر الي على الأقل • • •

رفع أليوشا رأسه ، وجلس مسنداً ظهره الى الشنجرة ، لم يبكى ، ولكن الألم كان يُقرأ فى قسمات وجهه ، وكان فى عينيه على أنه لم يكن ينظر الى راكيتين وانما هو يتحدَّق الى شىء فى -قال راكيتين :

ــ هل تعلم أن وجهك قد تنير تمـــاما ؟ لم يبق فيه أثر مو: الودعة التى كنت توصف بها ؟ أتراك غاضبا من أحد ؟ هل أساء آحد لا قال أليوشا دون أن ينظر اليه أيضا ، قال وهو يحرك يده باشارة تعبر عن التململ والتبرم :

ـ الصرف!

قال راكيتين :

أخيرا رفع أليوشا اليه عينيه ، غير أن في هيئته الآن ذهولاً فكأنه لم يفهم جيدا ما فاله ساحبه ، وعاد راكيتين يهتف قائلا وقد استبدت به دهشة شديدة من جديد :

ــ أكلُّ هذا لأن صاحبك العجوز قد مات لا أكنت تفلن حقاً اذل أنه كان سيحقق معجزات ؟

فصرخ ألبوشا يقول بصوت حانق :

کنت أظن ، وما زلت أظن ، وأرید أن أظن ، وسأظل أظن !
 ۱۰۰۰ أبكفیك هذا الآن ؟

_ ولكننى لا أربد نسيًا يا عزيزى ! عجيب ! ان صبياً في الثالث. عنى عدرة من عمره لا يؤمن بهذه الأمور في أيامنا هذه • لك ما تشاء على كل حال ••• هأنت ذا اذن غاضب من الله ، ثائر عليـــه ثورة معلئة ! كموظف مستام من أنه نسى عند ترفيع ، أو حرم من وسام في احتفال! هذا أنتم ! •••

تفرس أليوشا في راكبتين طسويلاً ، وهو مغمض عينيه نصف المعماض ، وومض في عينيه برق ٠٠٠ غير أن هذا ليس الآن حنقاً وغيظا من راكبتين ٠ ثم قال وهو يحمل نفسه على الابتسام:

ــ لست النراعلى الهي ، ولكنني « أرفض قبول الخليقة » • ذلك كل شيء •

فكر راكيتين لحظة في هذا الجواب ثم سأله :

ـ ترفض ؟ ماذا تعنى ؟ ما هذا الكلام المضمحك أيضا !

لم يجب أليوشا • فال راكيتين :

_ كفانا كلاما في ترهات • لنفكر في الأمور الهامة : هــل أكلت ا البوم ؟

ـ لا أتذكر ٠٠٠ يبدو أننى أكلت ٠٠٠

ـ تدل هيئتك على أنك فى حاجة الى استرداد قواك • ان منظرك يثير الشفقة عليك • قبل لى انك لم تنم طول الليل • يظهر أنكم قد عقدتم اجتماعا كبيرا • ثم حــدث ذلك الهرج كله ، وقامت تلك الاحتمالات والعلقوس كلها • • • ان فى جيبى بعض المقابق ، حملته احتياطا حين جئت الى هنا • ولكن أظن أنك لا تأكل المقابق ، أليس كذلك ؟

_ هات المقانق ٠

_ هيه هيه ٠٠٠ هذا أمر جديد ٠٠٠ هذه ثورة أصولية ، ثورة بمتاريس ! هيم من مدا بقليل أيها الأخ ، هل تعلم ؟ طيب ٠٠٠ تعال معى الى بيتى ٠٠٠ أنا أيضا في حاجة الى قليل من الخمرة ٠٠٠ اننى مرهق ٠٠٠ أنت لا تشرب خمرة ، أليس كذلك ؟ اللهم الا أن ٠٠٠

ــ سأشرب خمرة ٠

قال راكيتين وهو ينفلر الى صاحبه مدهوشا :

ــ هه؟ • • • • هذا كثير • • • المقانق سلمنا بها • • • ولكن أخمرة أبضًا ؟ هذه أمور عظيمه حقا • يجب أن لا تفوت الفرصة • هيا بنا !

نهض أليوشا دون أن ينطق بكلمة ، وتبع راكيتين .

ــ لو علم أخوك ايفان بهذا لدهش هو • بالمناسبة : لقد سافر ايفان فيدوروقتش الى موسكو هذا السباح ، هل كنت تعرف ذلك ؟

فال أليوشا بغير اكتراث :

ـ أعرفه ٠

وانبثقت صورة دمترى فجأة فى خياله ، ولكنها لم تلبث فيسه الا لحظة قصيرة ، لقد أحس احساسا غامضا بوجود أمر مستعجل لا يحدمل أى ابطاء ، هو الزام أخلافى ، هو واجب رهيب يجب أن يقوم به ، ولكن هذه الذكرى لم تنخرجه من خدره ؟ لقد اجتازت فكره دون أن تبلغ قلبه ثم لم تلبث أن بارحته ، ومع ذلك فان هذه الواقعة التفصيلية ستعاود ذاكرته كثيرا فيما بعد ،

ـ لقد نعتنى أخوك المهذب اللطيف ايفان ذات مرة بقوله « تافه لبرالى لا موهبة له ، • أما أنت فقد أســـمعتنى فى يوم من الأيام أننى أفتقر الى « الاستقامة » • طيب ! سنرى قريبا ما قيمة مواهبكم واستقامتكم أنتم (أضاف راكيتين قوله هذا هامسا كأنه يخاطب نفسه) •

ثم أردف يقول بصوت عال ِ:

ب لنتحاش المرور بالدبر ولنتجه رأسا الى المدينة مجتازين المسسر

الفسيق ٠٠٠ هيم ! وسأثب لحظة الى منزل السميدة هوخلاكوفا أثناء العلريق ٠ تصور أننى قصصت عليها تفصيلا كل ما جرى هنا ، فاذا هى تعجيبنى منذ قليل فى بطاقة كتبت عليها بالقلم الرصاص (هذه السميدة تعشين كتابه البطافات) : « انها ما كان لها أن تتوقع من عجوز مبجبل كالشيخ زوسيما ٠٠٠ أن يصدر عنه ٠٠٠ مثل هذا السلوك ١ ٠٠٠ » مذا ما كتبته بالحرف : « السلوك » ! هى أيضا حاقدة عليه شخصيا بسبب ما وقم ٠ هذا أنتم !

قال راكيتين ذلك ثم صاح فجأة يقـــول وقد توقف عن الســـير ، وامسك ألوشا من كتفه ، وحدًق البه بعينين متفرستين :

_ هل تعلم يا أليوشا ؟

لقد استبدن براكيتين في تلك اللحظة فكرة جديدة انبئقت في ذهنه ؛ وكان واضحا رغم هيئته الضاحكة أنه ما زال لا يجرؤ أن يعسر عنها من فرط ما يصعب عليه أن يصددق ما كان عليه أليوشا من حالة نفسية هي في نظر راكيتين خارقة غير متوقعة .

وعزم أمره أخيرا فقال بصوت متردد غير مطمئن :

ــ أليوشا ، عزيزى ! هل تعلم أين ينجب علينا أن نذهب كلانا أولاً ؟

- ـ نذهب الى حيث تشاء . يستوى عندى كل شيء .
 - فقال راكيتين وهو يرتجف لهفه وخشية :
 - ــ لنذهب الى جروشنكا ! هل توافق ؟
 - فأجاب أليوشا هادئًا بغير تردد :
 - ــ لنذهب الى جروشنكا اذا آردت ا

_ هكذا ؟ عظيم ! ٠٠٠

ولكنه لم يلبث أن ناب الى نفسسه ، فأمسك أليوشا من ذراعه ، وأسرع يجره نحو الممر الضيق ، خشية أن يتراجع أليوشا عن قراره وسارا صامتين ، لأن راكيتين يتحاشى الآن أن يفتح فمه مخافة أن يمكتر ما كان عليه أليوشا من حسن الاستعداد والقبول ، غير أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يدمدم بعد لحظة قائلا :

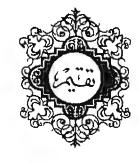
ــ ما أعظم ما ستشعر به جـــروشنكا من سرور برؤيتك ! أوه ! لمسوف تكون سعيدة !

ولكنه سرعان ما صمت •

على أن راكيتين لم يحاول أن يجذب أليوشا الى منزل جروشنكا ليسر جروشنكا • ان راكيتين رجل جاد ، فهو لا يحاول أمرا من الأمور دون أن يرى فيه نفعاً له • ولقد كان في تلك اللحظه يخضع لباعتين اثنين • فأما الباعث الأول فهو أنه يحب أن ينتقم: انه يريد أن يشهد متدنس الرجل الصالح » ، انه يريد أن يرى « سقوط » أليوشا من « القداسة الى الاثم » ، وذلك أمر كان راكيتين يتلذذ به منذ الآن • وأما الباعث الثاني فهو هدف مادى سيحقق له ربحاً كبيراً ، وسنأتي على ذكر وأما بعد •

قال راكبتين في سره وهو يشعر بفرح خفي خبيث : « اذن لقــد جاءت دقيقة كهذه الدقيقة في حياته • ويجب أن لا نفوت هذه الدقيقة ، لأنها تعدنا بمنافع كتيرة وفوائد جمة » •

Les les



جروشنكا فى قلب المدينة قرب سميدان الكنيسة، فى منزل المرأة موروسوفا ، وهى أرملة تاجر أجسّرت جروشنكا جناحا مبنيا من خشب فى فناء منزلها ؟ والمنزل من حيجر ، وهو واسع له طابق

فوق الطابق الأرضى ، لكنه متسخ ليس في مظهره كثير من رواه وصاحبته العجوز تعيش فيه وحيدة مع قريبتين لها طاعنتين في السن هما أيضا ؟ وهي تملك من التراء ما كان يمكن أن يعفيها من تأجير جناح الفناء ، والناس في المدينة يعلمون جميعا أنها لم تقبل سكني جروشنكا في منزلها (منذ أربع سنين) الا ارضاء قريبها التاجر سامسونوف الذي يميل الي الشابة ويرعاها ويحميها و والناس في المدينه يؤكدون أن العجوز الغيور على الشابة ، الها أراد في أول الأمر حين أسكن أثيرته في منزل موروسوفا ، ولكن سرعان ما ظهر أن هذا السلوك ليس في حاجة الى أن يراقب سلوكها وقد أصبحت المعجوز آخر الأمر لا تهتم بجروشنكا ، ولا تراها الا نادرا ، ولا تزعجها بالسؤال تلو السؤال من باب البحث والتقصى والتفتيش ، ولقد انقضت الآن أربع سنين على اليوم الذي جاء فيه التاجر العجوز الي هذا المنزل بالصبية المخجول التي لا يزيد عمرها على تمانية عشر عاما ، والتي لقيها في مركز الاقليم وكانت عنسدثذ تحيلة الجسم ضعيفة البنية والتي لقيها في مركز الاقليم وكانت عنسدثذ تحيلة الجسم ضعيفة البنية

كثيرة الوجوم حزينه النفس • ان مياهاً كثيرة قد جرت تحت الحســور منذ ذلك اليوم • وكان الناس في مدينتنا لا يعرفون الا أشياء فليلة عن ماضي الفتاة ، وكان ما يرددونه من معلومات عنها تعوزه الدقة ويعب وزه الوضوح ، ولم تزدد هذه المعلومات بعد ذلك كثيرا ، حتى في العهد الذي أصبح فيه أمر « الحسناء الرائعة ، ، أجرافين ألكسندروفنا ، يهم عـــددًّا كبيرًا من الاشخاس عندنا • كان 'يقــال ان ضابطا مجهــولا' قد أغراها وأغواها في السنة السابعة عشرة من عمـــرها ، ثم لم يلبث أن همجــرها وسافر وتزوج غيرها ، فتُسركت الصبية الشقية للمسار والبؤس • وكان يْزعم أيضًا أن جروشنكا ، رغم أن التاجر العجوز يعيُّلها ، انما تنتمي الى أسرة محترمة من رجال الدين ، وانهــا بنت قسس كان محــــالاً على الاسمستيداع ، أو كانت تقال أشياء من همذا القبيل . المهم ان اليتيمة الحسيَّاسة المَّذلَّة المسكينة قد اسمستحالت في غضمون أربع سمسنين الى حسناء روسيه بضه النجسم ، زاهيه الألوان ، جمة النشاط ، جريثة جسور ، لا تخلو من وقاحه ، حاذقة في شئون الأعمال ، شرهة الى المال، بخيلة حذرة في أن واحد • وكان يقال أيضًا انها استطاعت خلال هذه المدة القصيرة أن تجمع رأس مال صغيرا ، بوسائل ليست شريفة أمينة دائمًا • على أن هناك أمرًا ينجمع الناس عليه : هو أن جروشنكا امرأة يستحمل نملها ، فما من رجل واحد باستثناء حاملها العجوز ، استطاع أن يتباهى بأنه حظى منها بشيء خلال تلك السنين الأربع • والأمر محقــق لا ربب فيه ، ذاك أن رحالاً كثيرين قد سموا الى الحظوة بنعمها ، ولا سيما في السنتين الأخسرتين ، فلم يظفر أحد منهم بطالل ، وباحث جميع محاولاتهم بالاخماق ، حتى أن بعضهم قد اضــطر الى الانسحاب وهو موضع هزء وتهكم بسبب ما تتصف به السلسيدة من عزيمة صلبة وروح ساخرة . وقد عُرف أيضًا أنها أصبحت تهتم بالأعمال ، ولا سيما منذ

سنة ، وأنها تبذل فيها مقدرات كبيرة وتبرهن فيها على كفاءات عظيمة ، حتى أن كبيرا من الناس أصبحوا يصفونها بقولهم «يهودية» • لس معني هذا أنها كانت تقرض بالرباء ولكن عُرف مثلاً أنها كانت تشــــتري بالاشتراك مع فيدور بافلوفتش كارامازوف سندات قديمة بعشر قسمتهما ثم تتوصل بعد ذلك الى تحصيل قيمتها كاملة ، أي تتقاضي مبالغ تساوى عشرة أضعاف ما دفعت • وكان العجوز سامسونوف الذي تورمت ساقاه وأصبحنا عاجزتين عن الحركة منذ عام ، رجسلا أرمل يضطهد أبناء ويسومهم سوء العذاب ، ولكنه يملك عدة مئات من ألوف الروبلات ؛ ومع ما يتصف به من بخل وقسوة لا ترحم ، فقد وقع تحت تأثير الفتاة التي كان لا يمن علمها في أول الأمر الا بما « يسد الرمق ، أو بما يوجمه « الصام الكبير » على حد تعير الساخرين المستهزئين ، الى أن استطاعت جروشنكا أن تتحرر ، ولا سيما بفضــــل ما أوحته اليه من ثقــة عظيمة بوفائها له • أن هذا العجوز ، وهو رجل من كبار رجال الاعمال (ولقد توفى منذ زمن طويل) كان له طبع خاص أهم ملاميحه البخل والقسوة الشديدة • فرغم ما كان لجروشنكا من تأثير كبير عليه ــ حتى أصبح لا يستطيع الاستغناء عنها ــ فانه لم يترك لها مالاً كثيرا ؛ ولو قد هددته جروشنكا بالقطيعة لما تزحزح عن موقفه في هذا المجال • على أنه قــد أعطاها أثناء حياته مبلغا غير كبير من المال ، فلما علم الناس في المدينة بذلك دُ هشوا جميعاً • قال لها وهو يعطيها تمـــانية آلاف روبل « أنت امرأة ذكية ، فسوف تعرفين كيف تربين هــذا المبلغ باستثماره • ولكن اعلمي انني ، عدا ما أنفقه عليك لا عالتك التي سأستمر في تأمينها ، لن أعطيك شيئًا أثناء حياتي ، ولن أوصى لك بشيء في وصيتي بعد مماتي ،٠ وقد تمسك الرجل بقوله : مات تاركا كل ثروته لأبنائه الذين عاملهم أثناء حياته ، هم وزوجاتهم ، معاملة الخدم . أما جروشنكا فقد أبي حتى

أن يأتي على ذكرها في وصيته • هذه التفاصيل كلها قد عرفت فيما بعد• ولكن الرجل قد ساعد جروشنكا في مقابل ذلك بنصائحه في استمار رأس مالها الشخصي الصغير ، ، ودلسُّها مراراً على أعمال رابحة وصففات نافعة • فلما تولُّه فيدور بافلوفتش بحب جروشنكا التي عرفها بمناسبة صفقة طارئة ، ولما انتهى به الأمر على نحو لم يكن في حسبانه هو نفسه الى الهيام بها هياماً أفقده كل عقله تقريبًا ، فان العجوز سامسونوف الذي كان مريضاً جداً وكان يشارف على نهايته ، لم يزد على أن ضحك من ذلك • إن من الأمور البارزة أن جروشنكا كانت صريحة مع العجموز صراحة تامة طوال مدة العلاقة بينهما ؟ ويبدو أن العجوز كان هو الانسان الوحيد الذي تعامله جروشنكا هذه المعاملة وتصارحه هذه المصارحة • انقطع حاميها العجوز عن الضحك ؛ بل لقد اعتقد أن من واجبه أن ينبه المرأة الشابة ناصحاً محذرا ، فقال لها بلهجة جادة قاسمة : « اذا كان علمك أن تختاري بين الاثنين ، الأب وابنه ، فاختاري الأب ، ولــكن على شرط الكابتن ، فدعمه ، لأنه لا يناسك • ، • بهذا خاطب العجوز المحب لملذات الحياة صاحبته جروشنكا بينما كان يحس بوشك نهايته ، ولقد مات فعلاً " بعد ذلك ببخمسة أشهر • ولنذكر عابرين أن أحداً من الناس لم يكن يعرف على توجه الدقة ماذا كان موقف جـــروشنكا من كارامازوف الأب وكارامازوف الابن ، رغم أن أشخاصا كثيرين كاتوا في ذلك الوقت على علم بالمنافسة الفظيعة بين الأب وابنه على الفوز بحظوة المرأة الشابة • أما خادمتا جروشنكا فقد شهدتا في الدعوى (بعد الكارثة التي سنتحدث عنها فيما بعد) أن آجرافين ألكسندروفنا لم تكن تستقبل دمتري فبدوروفتش الا خوفاً ، لأنه كان قد « هدَّد بقتلها » • ان لجروشنكا خادمتين : احداهما

طباخة هرمة جدا كانت في الماضي تبخدم أسرتها وهي الآن مريضة وتكاد تكون صماء ، والتانية فتاة لطيفة في العشرين من عمرها كانت بمنابة وصيفة لها ، وهي حفيدة الطباخة العجوز ، وكانت جروشنكا تعيش حياة فقيرة في مسكن داخله بسيط متواضع جدا ، انها تشغل في الجناح ثلاث غرف أثاثها من خشب الأكاجو ، استأجرته جروشنكا من مالكة المنزل أيضاً ، وهو من طراز أثاث عام ١٨٢٠ .

حين وصل راكيتين وأليوشا الى مسكن جروشنكا كان الظلام قد خيتم ، ولكن الغسرف لم تشمل فيها الأضواء بعد ، كانت جروشنكا مضطجعة في الصالون على أريكة طويلة تقيلة لها مسند من خسب الأكاجو ، قد غُطيت بجلد صلب ، ونال منها الزمن فاهترأت وتنقبت في عدة مواضع ، ان المرأة الشابة مسندة رأسها على وسادتين أخذتهما من سريرها ؟ مستلقية على ظهرها ، ساكنة ، جاعلة ذراعيها تحت شعرها، مرتدية ثوبا من حرير أسود _ كأنها تنتظر زيارة أحد _ ملفعة شمرها بقبعة رائعة من تخريم أيضا قد بقبعة رائعة من تخريم ، ملقية على كتفيها وشاحاً من تخريم أيضا قد ببته بدبوس حلية كبيرة من ذهب ، واضح أنها كانت تنتظر أحداً ، لأن شاحبا ، وكانت عيناها تسطحان ، وكانت شفتاها تحترفان ، بينما كان طرف فدمها يلطم ذراع الأريكة لطماً موقعاً ينم عن تململ الانتظار ، فما ان دخل أليوشا وراكيتين مسكنها حتى استولى عليها اضطراب شديد ، لقد سمعاها ، وهما في المشي ، تثب عن أريكتها وتقف على قدميها وتصبح بلهجة فيها ذعر وهلع :

ہ من ھنا ؟

وها هي ذي الخادمة الشابة التي فتحت لهما الباب تهرع الى سيدتها على المور لتقول لها :

_ ليس هو ٠ هما شيخصان آخران ٠

دمدم راكيتين يقسول وهو يمسك أليوشا من ذراعيه ليقوده الى الصالون:

... ماذا دماما ؟

كانت جروشنكا واففه قرب الأريكة وهي ما تزال مذعورة بعض الشيء • ن ضفيرة كثيفة من شعرها الكستناوي قسد خرجت من تحت قبعتها وتهدلت على كتفها اليمني ، ولكن جروشنكا لم تنتبه اليها أول الأمر ولم نرفعها الا بعد أن تفرست في القادمين وعرفتهما •

قالت جروشنكا:

ــ هه ! أهذا أنت يا راكيتا ؟ لقد روّعتنى ! ومن هذا الذي جئّتنى به ؟ يا لها من مفاجأة !

كذلك صاحت جروشنكا حين رأت أليوشا •

ـ هلا أمرت باشعال الشموع •

_ طبعا طبعا • • • الشموع • • • الشموع ! فينيا * ، اثته بشمعة ! • • لقد أخترت َ اللحظة المناسبة لتجيئني به !

كذلك هتفت تقول جروشنكا مرة أخرى وهي تومي. برأسها الى أليوشا .

ثم التفنت نحو المرآة ، فتناولت الضــفيرة المتهدلة بكلتا يديها ،

وأسرعت تتبتها على رأسها • كان يبدو عليها أنها غير راضية • قال راكيتين مستاءً :

_ لعلني جئت في غير الأوان المناسب ؟ فقالت جروشنكا وهي تبتسم لأليوشا :

س كلا ۱۰۰ ولكنك رو عتنى يا راكيتا ، هذا كل شي ، و لا تخف منى يا عزيزى الطيب أليوشا ، ليتك تعرف مدى سعادتى برؤيتك ، أنا التي لم أكن أتوقع مجيئك ، أما أنت يا راكيتا فقد روعتنى منذ هنية ، لأننى ظننت أن ميتيا هو الذى كان يريد أن يقتحم بابى ، لقد خدعته فى هذا المساء ، وأجبرته على أن يحلف لى بأنه يصدقنى ، بينما كنت أكذب عليه ، ذلك أننى زعمت له أسى سأقضى السهرة كلها عنه عجوزى كوزمتش أساعده فى اجراء حساباته الى ساعة متأخرة من الليل ، انه يعلم أننى أذهب الى كوزما كوزمتش مرة كل أسبوع لتنظيم دفاتره ، يعلم أننى أذهب الى كوزما كوزمتش مرة كل أسبوع لتنظيم دفاتره ، وآخذ أنا بتسجيل ما يمليه على من أرقام ، لأننى الانسان الوحيد الذى يوليه نهته، ان ميتيا يعتقد بأننى الآن عند العجوز، على حين أننى مضطجعة يوليه نهته، ان ميتيا يعتقد بأننى الآن عند العجوز، على حين أننى مضطجعة هنا فى انتظار رسالة ، اننى لأنساءل لماذا سمحت لكم فينيا باللحول ، فينيا ! أسرعى الى الباب الكبير ، وألقى نظرة على الخارج لتأكدى من أن الكابتن لا يحوم حول المنزل ، جائز أن يكون قد اختباً ليتجسس من أن الكابتن لا يحوم حول المنزل ، جائز أن يكون قد اختباً ليتجسس على أخاف منه خوفا قاتلا !

_ ليس هناك أحد يا أجرافين ألكسندروفنا ، فلقد درت حول المنزل مند لحظة ، وأنا أنظر من شق الباب من حين الى حين ، لأننى أرتعد من الخوف أنا أيضا .

(قالت هذا وأسدلت الستائر الكنيفة بنفسها الى النصف) حتى لا يلاحظ نوراً فى النسوافذ • اننى خائفة من أخيك خيوفاً رهيباً فى هذا اليوم يا أليوشا •

كانت جروشنكا تتكلم بصوت عال ٍ رغم قلقهــــا وخوفها ، وكان يُلاحظ فيها شيء من حماسة •

سألها راكيتين :

_ لماذا تخافين ميتيا كل هذا الخوف في هــــذا المساء ؟ ما عهدتك وجلة معه ، فانما أنت تسيسرينه بعصا في العادة .

_ قلت لك اننى أنتظر رسالة ، رسالة نمينة ، فما ينبغى أن يجيء ميتيا الآن ، ثم انه لم يصدقنى حين زعمت له اننى ذاهبة الى كوزما كوزمتش ، لقد أحسست بذلك ، لا بد أنه أختباً فى مكان ما وراء حديقة فيدور بافلوفتش ليترصدنى ، هذا أفضل ، فهو فى هذه الحالة لن يجيء الى هنا ، أما كوزما كوزمتش فقد ذهبت اليه فعلا ، وقد رافقنى ميتيا حتى باب منزله ، وزعمت له أننى سأبقى هناك الى نصف الليل ، ورجوته ملحة أن يجيء ليصحبنى فى العودة الى بيتى ، عندئذ تركنى ، فمكثت عند العجوز عشر دقائق ، ثم رجعت الى البيت راكضة ، أوف ! ما أشد ما كنت أخشى أن ألقاء فى العريق !

ـ لأى مناسبة تزينت هذه الزينة كلها! انها لقبعة رائعة هذه القبعة التي أدى ٠٠٠

ـ غريب أمرك يا راكيتا ! قلت لك اننى أنتظر رسالة ، فمتى وصلت الرسالة أسرعت أخرج لا يؤخـــرنى أن أتحدث معكم ، لقــد تزينت استعدادا للحظة المناسبة ،

- ـ الى أين تذهبين ؟
- ـ تحب أن تعلم ذلك ؟ الاكثار من العلم ضرر يا عزيزي !
- _ ياه ! أنت فرحة جدا ما رأيتك على هذه الحال في يوم من
 - الأيام لقد تجملت وتزينت كأنها ذاهبة الى حفلة رقص !
 - كذلك قال راكيتين وهو يفحص بنظره جروشنكا
 - قالت له:
 - ــ ماذا تعرف أنت عن حفلات الرقص ؟
 - ـ وأنت ؟ هل تعرفين عنها أكثر مما أعرف ؟

انا ؟ شهدت حفلة رقص مرة واحدة في حياتي و حدث ذلك منذ اللاث سنين ، حين زوج كوزّما كوزمنش ابنه و كنت أشاهد الحفلة من أعلى الشرفة و على أنني لن ألهبو بمناقشتك يا راكيتا بينما عندي ضيف نادر هذه الندرة ، ضيف هو أمير حقا ! يا أليوشا ، يا ملاكي الصغير ، انني لا أصدق عيني ً اكيف أمكن أن يجيء الى بيتي ؟ الحق انني لم أتوقع ولا كنت أحلم أن أراك في منزلي الم أصد ق في يوم من الأيام أن من المكن أن تجيئني ، أعترف لك بذلك ! انك لم تختر اللحظة المناسبة ، ومع ذلك فأنا سعيدة كل السعادة برؤيتك ! اجلس على هذه الأربكة و ما عزيزي ، يا شمس مضيئة ا انني مذهولة و و لا بأس خطر ببالك يا راكيتا أن تجيئني به أمس ، أو أمس الأول و و لا بأس على حيث على كل حال و و اللحظة ، خيراً من المجيء بالأمس و و المن المن منه الله من من هذه اللحظة ، خيراً من المجيء بالأمس و و الأمس و و المن المن و و و الله من هي مثل هذه اللحظة ، خيراً من المجيء بالأمس و و و الأمس و و و المن الله و و المن الله و و و الله و الله

جلست جروشنكا على الأريكة قرب أليوشا بلخفة ونشاط وحرارة، وأخذت تنظر اليه في نشوة ووجد • كانت تشعر حقا بسعادة لرؤيته ، ولم تكذب حين أكدت له ذلك • كانت عناها تسطعان ، وكانت تضحك، ولكن بمرح فيه كثير من اللطف والكياسة • لم يكن أليوشا يتوقع أن يرى في وجهها منل هذا التعبير عن الطيه • • • انه لم يرها حتى الآن الا نادراً ، وكان رأيها فيهسا رأياً فظيعاً • كانت ثورتها المتوحشة على كانرين إيفانوفنا بالأمس قد قلبت نفسه رأساً على عقب ، لذلك أدهشه الآن أشد الدهشه أن يرى فيها انسانا مختلفا كل الاختلاف • انه رغم المحزن الشديد الذي يرهقه لم يستطع أن يمنع نفسه عن التحديق الى المرأة الشابة والتفرس فيها • كانت حركاتها وآدابها قد تغيرت عما كانت عليه بالأمس وتحسنت تحسنا ملحسوظا : ليس في صوتها الآن تلك النبرات الرخوة التي أصبحت الآن سريعة بسيطة مباشرة واثقة • هي الآن تشع طيبة وتنطلق على سجيتها طبيعية بلا تعمل ، رغم ما يبدو من أنها مضطربة اضطرابا شديدا •

قالت مدمدمة:

قال راكيتين مندخلاً وهو ببنسم ابتسامة صغيرة :

ـ أأنت تجهلينه الى هـ ذا الحد من الجهل؟ لا شك فى أنك لم تلحتى طوال هذه المدة فى طلب الاتيان به ، دون باعث يدفعك الى ذلك القد نقرت أذنى من طول ما سألتنى أن آتى به اليك ، فلا بد أن يكون لك فى ذلك هدف .

ــ كان لى هدف حقا ، ولكن لم يبق لى هدف الآن • فات الأوان• ماذا أقدم اليكما من طعام أو شراب؟ لقد أصبحت طيبة يا راكيتا ، هل تعلم ذلك ؟ هلا ً جلست يا راكيتا ؟ لماذا تظل واقفا ؟ ها •• أأنت جلست

اذن ؟ لا خوف على راكيتا من أن ينسى نفسه! ها هو ذا قد اتخذ له مكانا في قبالتنا يا أليوشا ، مستاء من أننى لم أدعه الى الجلوس فبل أن أدعوك أنت ، انه سريع التأذى ، هل تعرف هذا ؟ انه رهيب في سرعة تأذيه! (هذا ما أضافته ضاحكة) ، لا تزعل يا راكيتا! أنا اليوم طيبة جدا! ولكن أنت يا صغيرى أليوشا ، لماذا تبدو حزينا هذا الحزن كله ؟ ألعلني أخفك ؟

قالت له ذلك ونظرت في عينيه وهي تبتسم ابتسامة لاهية • قال راكتين :

- ــ هو حزين لأنه أُغفل في الترقيات
 - ۔ أية ترقيات ؟
 - ــ انتشرت من شيخه رائحة تفسخ ٠

ــ انتشرت ؟ ما هذه السخافات التي تقولها ؟ لا شك أنك تريد أن تغمز وتلمز ٠٠٠ أنا أعرفك ! اسكت أيها الأبله ٠

ثم قالت لأليوشا :

ـ هل تسمح لى يا ألبوشا بأن أقعد على ركبتيك ٠٠ هكذا ؟

قالت ذلك ثم قعدت على ركبتيه بوثبة واحدة وهي تضحك وتلامسه ملامسة رقيقة كقطة صغيرة •

ثم أحاطت عنقه بذراعهـــا اليمنى في عطف وحنــان • وأردفت تقول :

- سأعرف كيف أدخل البهجة الى قلبك يا فتاى الصغير التقى • حقاً ••• هل تسمح لى بأن أبقى على ركبتيك ؟ ألا تغضب ؟ اذا شــثت منت أ

صمت أليوشا ولم يجرؤ أن يتحسرك • لقد سمع قولها : « اذا شئت َ قمت ، ، ، ولكنه لم يعجب وشعر كأنه مشلول . ومع ذلك لم يحس بِمَا يَمْكُنَ أَنْ يَتَخَيِلُهُ رَجِلُ مُسْلِلُ رَاكِيتِينَ الذِّي كَانَ يَتَأْمُلُهُ بِطَرًّا • ان الألم العميق الذي يملأ قلبه قد جمَّد أحاسيسه ، ولو كان يستطيع أن يرى ما بنفسه رؤية واضـــحة لأدرك أنه كان في تلك اللحظة محصنا تنحصينا قويا من جميع الفتن وجميع الاغراءات الممكنة • ومع ذلك ، رغم ذهوله عن حاله ورغم الألم الذي كان يرهقه ، فقد أدهشه شعور جديد غريب نبت في نفسه : وهو أن هذه المرأة ، هذه المرأة «الرهبية، لاتخلفه الآن كما كانت تخيفه من قبل ، ولا تبعث في نفسه ذلك الذعر الذي كان يحسه حتى ذلك الحين متى خطرت بباله المرأة في المناسبات النادرة التي كان يمكن أن تتخطر بناله المرأة! بل ان ما يتحدث الآن هو عكس ذلك تماماً : ان هذه المرأة الشابة التي كان يخشاها أكثر مما يخشي ساثر النساء ، والتي تحيطه بذراعيها جالسة على ركبتيه ، توقظ في نفســـه شعورا مختلفا عن ذلك الشمعور كل الاختلاف ، شعورا فريدا غير متوقع ، شعورا هو استطلاع قوى 'يحسن الى حالته الروحية حقا. انه ، خاصةً ، لا يشعر بأي خوف ، لا يشعر بأي أثر من آثار جزعه الماضي، وهذا ما كان يدهشه بالرغم منه ٠

هتف راكيتين يقول :

ـ صحیح • وعدتك بذلك • لقد قطعت له على نفسى عهداً یا ألیوشا لأسقینیه شمانیا یوم یجیثنی بك ، هل تفهم ؟ هلموا بنا ، سأشرب أنا نفسی شمانیا • فینیا ، فینیا ، هاتینا بتلك الزجاجة التی تركهـــا میتیا ، اسرعی! سأسقيكم شمبانيا مهما أكن بخيلة! ما هذا من أجلك يا راكيتا، فما أنت الا خيارة فاسدة، بل من أجله هو، من أجل أميرى! سأشرب معكما، رغم أن فكرى في مكان آخر، أريد أن أقصف!

عاد راكبتين يسألها مستطلعاً ملحاً ، وهو يبذل جهـــدا كبيرا في سبيل أن يظهر بمظهر من لا يلاحظ السخريات التي تصبها عليه :

ــ ماذا حدث لك اليوم ؟ ما هذه الرسالة التي تنتظرنيها ؟ هل الأمر سر ؟

فقالت جروشنكا وقد عاودها قلقها فحأة :

ــ ليس الأمر سراً ، ثم انك على علم به .

وأدارت رأسها نحو راكيتين وابتعدت قليلا عن أليوشا مع بقـائها قاعدة على ركبتيه محيطة بذراعها عنقه ، وقالت :

- _ سيصل ضابطي يا راكيتين ، ضابطي الجميل!
- ــ أعرف أنه سيصل ، ولكننى كنت أظن أنه ما يزال بعيدا ·
- ... هو الآن في موكرويه ، وسيبعث الى من هناك رسولا ، ذكر لى ذلك في رسالة تلقيتها أمس ، فأنا أنتظر الآن هذا الرسول ،
 - ـ غریب! لماذا فی موکرویه ؟
 - ـ شرح هذا يطول يكفيك الآن ما علمت
 - _ وذلك الشنجاع ميتيا ؟ هل يعلم بالامر ؟
- _ لا يعلمه طبعا وهو لا يشتبه في شيء لو علم لقتلني ولكنني أصبحت لا أخاف منه انني لا أعبأ بخنجـــره اسكت يا راكيتا •

لا تحدثنى بعد الآن عن دمترى فيدوروفتش ، لقد أساء الى كثيرا ، لا أحب أن أفكر في هذه الأشياء بعد اليوم ، أوثر أن أهتم بأليوننا ، أنني أنظر اليه ، فيبتهج بذلك قلبي ، • • هلا ضحكت قليلا يا ملاكى ، كن أكثر فرحا ، شاركنى سعادتى ، اهزأ بحماقتى • • • آ • • • ها هو ذا يبتسم أخير • • • لقد ابتسم لى ! ما أجمل هذه الوداعة في نظرته • هل تعلم يا أليوشا لا لقد كنت أخشى أن تزعل منى بسبب تلك القصة التي حدثت في ذلك اليوم عند الآنسة • لقد تصرفت نحوها تصرف وحش خبيث ! هذا صحيح • ولكننى مسرورة رغم كل شيء بما حدث • كان هذا سيئا من جهة حسنا من جهة ثانية • (أضافت ذلك ضاحكة ثم وجمت على حين فجأة وطاف بابتسامتها شيء من القسوة) • روى لى ميتيا كيف صرخت تقول بعد انصرافى : « هذه البنت تستحق أن تنجلد على مرأى من الناس ه • لقد أرادت أن تعرفنى أملا في أن تسيطر على " • كانت تظن أنها ستغريني وستفتني بفنجان من الشوكولاته • • • لا • • • لا • • • لقد أرادت أن تصرفت كما تصرفت • كل ما أخشاه هو أن تكون أنت قد زعلت منى • • •

بهذا ختمت كلامها وهي تضحك ضحكة خفيفة .

قال راكيتين مدهوشا دهشة عميقة :

ـ يبدو أنها تخشى رأيك حقا يا أليوشا ! انها تخاف منك ، من دجاجة مثلك !

ے هو فی نظرك دجاجة لأنك ٠٠٠ لا ضمير لك ! هذا كل شيء ٠ أما أنا فأحبه بكل نفسى ، هل فهمت ؟ هل تصدقنى يا أليوشا اذا قلت لك اننى أحبك صادقة مخلصة ؟

- _ يا لخالعة العذار ! هذا تصريح بحب ٍ يا أُليوشا ، تصريح بحب ٍ لك أنت !
 - ـ لم لا يكون كذلك ما دمت أحبه ؟
 - ــ وصاحبك الضابط؟ والرسول الآتي من موكرويه؟
 - ـ هذان أمران مختلفان •
 - ـ ذلك ما تقوله النساء دائما في مثل هذه الحالة
 - أجابته جروشنكا بقوة وحرارة :

- لا تحنقنی یا راکیتا ، هذان أمران مختلفان ، أنا أحب ألیوشا حباً آخر ، صحیح أننی قد رسمت خططاً شریرة بشأنك یا ألیوشا ، لأننی منحطة عنیفة قاسیة ، ولکننی کنت فی لحظات أخری أعدك بمثابة ضمیر لی ، وکثیرا ما کنت أحدث نفسی قائلة : « لا بد أنه یحتقرنی بسبب سلوکی ، » ، وقد قلت لنفسی هذا الکلام أمس الأول حین رجعت من عند الآنسة ، لقد لاحظتك منذ زمن طویل یا ألیوشا ، ان میتیا یعلم هذا ، لقد ذکرته له ، وهو یفهمنی ، هل تصدق یا ألیوشا أنه یتفق لی أحیانا حین أنظر الیك أن أشعر بالخنجل فجأة ، بالخجل من نفسی ، ، وقد الله قلبی علی هذا النحو ؟ لقد نفذت الی قلبی ، کیف استطعت أن تدخل الی قلبی علی هذا النحو ؟ لقد نفذت الی قلبی ، الواقع ، ، ، فلا أدری فی الواقع ، ، ،

دخلت فينيا في تلك اللحظة ، ووضعت على المائدة صينية عليهـا زجاجة شمبانيا مفتوحة وثلاث كئوس ملأى •

هتف راكيتين يقول :

ـ وصلت الشمبانيا! أنت مهتاجة كثيرا في هذا المساء يا أجرافين ألكسندروفنا ، حتى أصبحت لا تسيطرين على نفسك • ومتى أفـرغت هذه الكأس فسوف ترقصين ، ترالالا ! ••• ولكننى ألاحظ أن الشمانيا لم تقدم وفقا للأصول • ان الزجاجة فاترة ، والسدادة منزوعة ، والخادم قد ملأت الكثوس في المطبخ • لا بأس ••• سنشربها على كل حال •

واقترب راكيتين من المائدة ، فتناول كأساء وأفرغها في جوفه دفعة المادة ثم ملأها من جديد ، وقال وهو يمر على شفتيه بلسانه :

ـ لا يتمتع المرء بالشمبانيا كل يوم • جاء دورك يا أليوشا • ألا فلنر مقدرتك ! أى نخب نشرب ؟ ربما نخب أبواب النجنة ؟ تناولى هذه الكأس يا جروشا واشربى معنا نخب أبواب النجنة !

_ أبواب الجنة ؟ ماذا تعنى ؟

وتناولت جروشنكا كأسا ؛ وكذلك فعــــل أليوشا فجـرع جرعة ووضع الكأس على المائدة وقال مبتسما ابتسامة عذبة :

_ أوثر أن لا أشرب •

فصاح راكيتين قائلاً :

_ فماذا كان تباهيك اذن ؟

وقالت جروشنكا :

_ لن أشرب أنا اذن • ثم اننى ليست بى رغبـــة فى الشراب • تستطيع أن تفرغ الزجاجة وحدك اذا شئت يا راكيتا • واذا قرر أليوشا أن يشرب شربت أنا أيضا •

قال راكىتىن ساخرا:

ــ يا للعواطف الرفيقة ! انها بهذا تجنو على ركبتيها • ان له هو عذر آعلى الاقل ، فهو حزين النفس ، أما أنت فأى عذر يمكن آن تنتحلى؟ لغد تمرد هو على الهه وأراد أن يأكل مقانق •

- ــ ماذا وقع له ؟
- ـ مات شيخه هذه الليلة ٠٠٠ الأب زوسيما ٠٠٠ ذلك القديس ٠
 - ـ ماذا ؟ الشيخ زوسيما مات ؟ لم أكن أعرف ذلك .

قالت جروشنكا هذا صائحة ، ورسمت على نفســـها اشارة الصليب بتقى وورع • وأردفت تقول منفعلة على حين فجأة كالمذعورة :

ـ آه ••• يا رب! وأجلس على ركبتيه في مثل هذا اليوم؟

ثم أسرعت تنهض ، ومضت تجلس على الأريكة ، حدَّق اليها أليوشا بنظرة طويلة دهشة ، وانبسطت أسارير وجهه قليلاً ، وقال يخاطب راكيتين بصوت قوى حازم :

- لا يضايقنى بموضوع ثورتى المزعومة على الله يا راكيتين • اننى لا أحب أن أغضب منك ، ومن أجل هذا أرجوك أن تبرهن على نبسل النفس أنت أيضا • لقد فقدت كنزا لم تملكه أنت في يوم من الايام ، لذلك لن تستطيع أن تفهمنى • خير لك أن تقتدى بها : هل رأيت كم دارتنى ورعتنى ؟ لقد جئت الى هنا لأقابل انسانة شريرة ، لألقى روحاً خبيثة ، وكنت أنمنى ذلك أنا تفسى ، لأننى كنت في تلك اللحظة جبانا شريرا • ثم اذا أنا ألقى أختاً صادقة ، جوهرة ثمينة ، نفساً صافية محبة مريرا • ثم اذا أنا ألقى أختاً صادقة ، جوهرة ثمينة ، نفساً صافية محبة ألكسندروفنا • لقد وهبت لى الجرأة على أن أحيا •

أُخذت شفتا أليوشا تختلج وصمت مختنقا •

قال راكبتين وهو يضحك ساخرا:

ـ لكأنها أنقذتك! ألا فاعلم اذن أنها كانت تنوى أن تبلعك!

قالت جروشنكا مندفعة :

_ كفى يا راكيتين • واسكتا كلاكما الآن • لا تقل شيئا يا ألبوشا ، لأن أقوالك تشعرنى بالدخزى والعار • أنا فى الحق خبية لا طبية كما تظن • أما أنت يا راكيتا فأريد أن تسكت لأنك تكذب • جائز أننى نويت فى السابق تلك النية الحبانة وهى أن أبلعه لقمة " واحدة ، ولكنك مع ذلك تكذب ، لأن هذا قد مضى الآن • • • لا أريد أن أسمع صوتك يا راكيتا !

كانت جروشنكا تتكلم مضطربة اضطرابا شديدا •

قال راكيتين بصوت صافر وهو ينظر اليهما مدهوشا :

_ لقد فقدا كلاهما العقل • لكأنهما مجنونان ! أترانى وقعت فى مستشفى للمعانين ؟ أصــــبحا عاطفيين ، وما هى الا لحظــة حتى يطفقا باكـيين »

قاطعته جروشنكا تقول :

ــ سوف أبكى ، نعم سوف أبكى . لقد دعانى أخته ، لن أنسى هذا ما حييت ! اعلم يا راكيتا أننى مهما أكن شريرة ، فقد وهبت بصلة * .

- أية بصلة ؟ حقا لقد فقدا العقل •

كان راكيتين يستغرب الدفاعاتهما الحماسية ، ويحس بالاهانة ، رغم أنه كان يمكن أن يدرك أن الظروف قد جمعت هدين الانسانين على نحو من شأنه أن يبث في نفسيهما الاضسطراب ، ولكن راكيتين ، السريع جدا الى ادراك كل ما يمسه ، يجسد عناء في فهم عسواطف الآخرين واحساساتهم أولا لأنه قليل المخبرة بحكم شبابه ، ونانيا لأنه على جانب عظيم من الأنانية ،

التفتت جروشنكا نحـــو أليوشا وهى تضـــحك ضحكة عصـبية وقالت له :

ـ ها قد زأيت يا ألبوشا أنني تباهيت أمام راكبتا بأنني قدمت بصلة. ولكنني سأتكلم معك صادقة مخلصة بغير تفاخر • الأمر أمر أسطورة : هي قصة جملة قصتها على في طفولتي ماترين التي تعمل عندي الـوم طباخة • اليك القصة : كان هناك في الماضي امرأة عجوز شريرة جداً ؟ فلما ماتت هذه العجوز وكانت لا تملك أية فضيلة يمكن أن تشفع لها في يوم الحساب ، فقد أمسكتها الشياطين وألقتها في بحيرة من نار . وعند ثذ أخذ حارسها الملاك يفكر • تساءل : « ما الذي يستطيع أن أفعله لانقاذها ؟ ألا يمكنني أن أكتشف فضلة الذكر ها عنها للرب! ه ، فاذا هو يتذكر حادثة جرت لهذه المرأة في حياتها ، فقال للرب : « لقـــد انتزعت من حديقتها بصلة في ذات يوم ووهبتها لشحاذ ٠ ٥ فقال الرب للملاك الحارس: « خذ هذه البصلة ، ومدَّها إلى هذه المرأة في بحبيرة النار ، ومرها أن تتشبث بها ، ثم شدها لتخرجها من اللهب • فاذا استطعت أن تخرجها ذهبت الى النجنة ، أما اذا تقطعت البصلة فستبقى المرأة حيث هي » • أسرع الملاك الى المرأة ومد اليها البصلة وقال لها : « تمسكي بهذه البصلة فأخرجك من النار » • وأخذ يشد بكل ما أوتي من قوة ، وكاد يخرج المرأة من بحيرة النيران حين لاحظ المذنبون الآخرون أنه كان بسسل انقاذها ، فتمسكوا بها بغية أن يخرجوا من البحيرة معها • ولكن العجوز كانت شريرة جدا ، فركلتهم بقدميها وهي تصرخ : « انما يراد انقاذي أنا لا انقاذكم أنتم • هذه الصلة بصلتي أنا لا بصلتكم أنتم ٥ • فما ان نطقت العجوز بهذه الكلمات حتى تقطعت البصلة ، فسقطت المرأة المحوز في المحيرة من جديد • وما تزال تمحترق في النار حتى الآن • أما الملاك فقد انصرف باكباً • انني أحفظ هذه الاسطورة على ظهر القلب؟

احتفظت بها لأننى شبيهة بتلك المرأة العجوز الشريرة • لقد تباهيت أمام واكيتا بأننى وهبت بصلة • أما للك أنت فأقول منواضعة اننى ان كنت قد وهبت بصلة مرة فى حياتى فذلك كل ما فعلته ، وليست تتعدى طيبتى هذه الحدود • فلا تمدحنى اذن يا أليوشا ، ولا تظن أننى طيبة • أنا شريرة ، شريرة جدا ، واننى لأمتلى ، بشعور الحزى والعار حين أسمعك تكيل لى المديح • وهأناذا أعترف لك بكل شى ء يا أليوشا : لقد بلغت من فرط الرغبة فى أن أراك عندى أننى كنت لا أعرف ما عساى فاعلة فرط راكيتين على أن يجيئنى بك • ووعدته أخيرا بأن أعطيه خمسة وعشرين روبلا اذا هو اصطحبك الى منزلى • لحظة يا راكبتا !

أسرعت جروشنكا تقترب من المنضدة ، ففتحت درجاً ، وتنـــاولت محفظة نقودها ، وأخرجت منها ورقة بخمسة وعشرين روبلاً .

هتف راكبتين يقول مرتبكا ارتباكا شديدا:

_ ما هذا السيخف ؟ كان ذلك هزلا لا جدآ .

ـ خذ المال يا راكيتا ! أنا مدينة لك به ! لن ترفضه ! لقد ألححت على للعطيك هذا المبلغ •

ورمت الله الورقة •

قال راکیتین بصوت أجش وهو یحاول أن یسیطر علی اضـطرابه وارتباکه وخجله :

- لأكونن مماراً اذا أنا رفضت • انما وجد الأغبياء في هذا العالم المصلحة الأذكياء •

قالت حروشنكا:

ـ والآن أسعد ُني بسكوتك با راكيةا • ان ما سأقوله الآن لا يصلح

لأذنيك • اجلس هناك ، في الركن ، ولا تقل بعد هذه اللحظة شـيئاً • أنت لا تحبنا فما عليك الا أن تلزم الصمت •

قال راكيتين بلهجة معاديه دون أن يحاول اخفاء غضبه :

ـ وفيم أحبكما ؟

ودس الورقة النقدية في جيبه ، ولكنه شعر بحرج شديد أمام اليوشا • كان يقد رأن يتقاضي مكافأته فيما بعدد ، على غير علم من اليوشا ، فاذا بالعار الذي يشعر به الآن يجعله خيتا شرسا • كان قد رأى أن من الحذق حتى ذلك الحين أن لا يستفز جروشنكا ، ولكنه بدأ يغضب الآن • قال :

ــ لا يحب المرء بغير باعث على الحب ، فما الذي يجعلكما تستحقان حبى ؟

ـ أحب ً بغير سبب ، مثل أليوشا !

ــ من قال لك ان أليوشا يحبك ؟ ماذا صنع من أجلك ؟ قليلاً من الفهم على الأقل ! •••

كانت جروشنكا في وسط الغرفة ، وكانت تتكلم متحمسة بصوت تداخله في بعض اللحظات نبرات هسترية .

- اسكت يا راكيتا ! انك لا تفهم في هذه الأمور شيئاً • ثم انني لا أريد بعد الآن أن ترفع الكلفة بيني وبينك وأن تخاطبني بصيغة المفرد • انني أمنعك أن تفعل هذا في المستقبل • من أجاز لك أن ترفع الكلفة الى هذه الدرجة ؟ ابق في ركنك واسكت ، لأنني أعدك بمثابة خادم لى • والآن يا ألوشا ، سأقول لك الحقيقة كاملة " ، لتعلم انني انسانة شريرة سيئة ! لك انما أعترف هذا الاعتراف ، لا لراكيتا ! لقد أردت ضياعك

يا ألوشاء أقول لك هذا لأنه هو الحقيقــة بعينها! ولقد تصــورت لهذا الأمر خطة راسخة ، وكنت أبلغ من شدة الحرص عليه أنني حرضت راكيتا بالمال على أن يعجيثني بك • ما هو السبب الذي دفعني الى أن أريد ضياعك ؟ اتمك لم تلاحظ شيئا ، ولم يخطر ببالك شيء ، وكنت تشسيح بوجهك عنى • كنت اذا لقيتني تغض طرفك • أما أنا فقد نظـرت اليك أكثر من مائة مرة ، وسألت جميع أصدقائي عنـك • انطبعت ملامح وجهك في قلبي • كنت أقول لنفسي : « انه يحتقــرني • انه يأبي حتى أن يرفع عينيه الى م وشعرت من ذلك بغيظ بلغ من فرط القوة أنني دُ هشتُ أنا نفسي • قلت : « لماذا البخوف من هذا الصبي الغر ؟ لآكلنه لقمة واحدة ، ولأضحكن بعد ذلك كتيرا • ، • ان نوعا من الحنـــق المسعور قد اضطرم في نفسي غضبا منك وحقدا عليك ٠ هل تصدق هذا ؟ لا يستطيع أحد أن يأخذ على شيئًا في هذه المدينة ، لن يجــرق أحد أن يشتبه فيأجرافين ألكسندروفنا فيسىء فيها الظن اذا هي استقبلت رجلا في بيتها • ليس في حياتي الا ذلك العجوز الذي ارتبطت به وبعته نفسى • لقد جمع الشيطان بيننا • غير أن ذلك العجوز هو الرجل الوحيد الذي حظى بي • ومع ذلك كنت مستعدة لأن أشذ عن هذه القاعدة من أجلك • كنت أتهيأ لأن أبلمك ، لأستطيع أن أضحك ما شئت أن أضحك بعد ذلك • فانظـــر مدى ما أتصف به من خبث وشر أنا التي دعوتني أختك • وهذا صاحبي الذي غشني وأغواني يبلغني أنه قادم ، وأنا أنتظر رسالةً منه • هل تعلم ماذا كان هــــذا الرجل في حياتي ؟ لقــد جاء بي كوزما الى هنا منذ خمس سنين • كنت أعيش في أول الأمر هاربة من الناس أخشى أن يراني أحد وأن يسمعني أحد . كنت هــزيلة الجسم غيبة العقل ، وكنت لا أكف عن البكاء في ليل ولا نهار • كنت أبقى مؤرقة مسهنَّدة ليالي برمتها أحدث نفسي قائلة : « أين هو في هذه الساعة،

الرجل الذي أغواني ؟ لا شك أنه يضحك على ُّ ويسخر مني مع امرأة أخرى • آء ••• ليتني أستطيع أن ألقـاه يوما! ليدفعن ً عندئذٌ تمـن ما جنت يداه ! » • وكنت أبكي على وسادتي في الظلمات وأحلم بالثأر والانتقام • كنت أســــتثير ألمي عامدة الأملأ نفسي كرهاً وحقداً • كنت أخرج في اللل قائلة : « لسموف يرى ! لسموف يرى ! للندمن على ما فعل ! » • ثم أدركت فجأة عجزى • وأصبحت اذا تصورت أنه يسخر منى ويضحك على م أو اذا تصورت أنه قد نسينى نسبانا تاما ـ وهــذا أنكى ــ أسقط عن سريري على الارض وأظل أتدحرج منتحبة مرتجفة بكل جسمى حتى مطلع الفجر • فاذا أشرق الصباح الهضت وأنا أشد ضراوة من كلب ، نهضت وأنا مستعدة لأن أوذي أول انسان يقع علمه بصرى • وانقضت السنون ، وأخذت أجمع المال ، وأصبحت بلا رحمة، وسمنت • ماذا تفلن ؟ هل تظن أنني غـــدوت بذلك أهدأ بالاً وأكثر تعقلاً ؟ لا ٠٠٠ ما من أحد يرى ما أعاني ، ما من أحد في الكون بأسره يتصور ما أقاسي : ما يزال يحدث لي حتى النوم ، كما كان يحدث لي منذ خمس سينين ، حين كنت صيمة يافعة ، أن أشد على أسناني في سريرى ليلاً ، وأن أستمر في البكاء الى الصباح ، مرددة قولى : «ليدفعنَّ ثمن ما جنت يداه ! » • هل تسمعني ؟ فاحكم على َّ الآن : لقد وصلتني منه منذ شهر رسالة أولى يبلغني فيها أنه ترمل ، وانه يريد أن يراني ، وانه يأمل أن يصل قريبًا • صُعقت في الوهلة الأولى وحطمني الانفعال • ثم قلت لنفسي فجأة : « سمود ، ولن يكون عليه الا أن يصمفر حتى أهرول الله ككلب ، محلَّلة بالبخزي ، مطعونة القلب ، طالبة الصفح والغفران! » • وتسماءات عندئذ: « أأكون جبانة وضميعة الى هذه الدرجة ؟ أأرضى أن أذل نفسي هـــذا الاذلال ؟ ، • وقد اســـتبد بي من الغضب على نفسي طوال هذا الشهر ، خشبة أن أسقط في مثل ذلك

بعد أن أفضت جروشنكا بهذا الاعتراف الذى « يُسرَنَى له » ، لم نستطع أن تتمالك نفسمها ، فاذا هى تنقطع عن الكلام ، وتغطى وجهها بيديها ، وتنهالك على الأريكة ، وتأخذ تنتحب على الوسادة كطفل صغير •

نهض أليوشا واقترب من راكيتين ، وقال له :

ـ لا تزعل يا ميشا! لقد أهانتك ولكن ما ينبغى لك أن تغضب منها. على المرء أن يعامل الطبيعة الانسانية بالتسامح والرحمة ، وأن يشارك لناس عذابهم وآلامهم ٠٠٠

قال أليوشا هذا الكلام باندفاعة من قلبه لا سبيل الى مقاومتها • كان شمر بحاجته الى اطلاق انفعاله حراً لا يعوقه عائق ؛ ولئن خاطب بهذا لكلام راكيتين ، فلقد كان يمكن أن يتحدث وحيدا لو لم يكن راكيتين ناك • ولكن راكيتين ألقى عليه نظرة باردة ساخرة ، فتوقف أليوشا عن كلام • قال راكيتين وهو بتسم ابتسامة كارهة حاقدة :

۔ شیخك هو الذی حشا رأسك بهذه الأفكار ، فترید أن تقدمها الی بدورك الآن یا ألبوشا ، یا راهباً صغیراً !

ــ لا تستهزىء يا راكيتين ، دع السخريات ، ولا تقل سوءاً فى الشيخ الراحل! انه خير من جميع البشر الذين عاشوا على هذه الارض.

كذلك قال أليوشا والدموع في صوته • ثم تابع كلامه يقول :

- لا أقول لك هذا الكلام فاضا بل متَّهُما هو نير المتهمين طرآ٠ ما أنا أمام هذه المرأة ؟ لقد جئت الى بنتها عاقداً نيتى على الضياع ، قائلاً لنفسي في جين وصغار وحطة « لا ضير ٠٠٠ لا ضير ٠٠٠ » ، فاذا هي، هي التي تألمت خلال خمس سنين ، تغفر كل شيء ، وتنسى كل شيء ، وتمكي بعد أقل من خمس دقائق ، لا لشيء الا لأن رجلاً" مجهولاً قال لها كلمة مودة صادقة! إن الرجل الذي أساء اللها كل تلك الاساءة ، وألحق بها كل ذلك الأذي ، قد عاد وأومأ البها ، فاذا هي تغفر له على الفور ، فرحة سميدة مستعجلة لقاءه • أما الخنجر فثق أنها لن تحمله! لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ أنا لا أساويها ، أنا لا أعدلها • لا أدرى يا مشا هل أنت طب نسل كطبيها ونبلها ، أما أنا فلست كذلك بحال من الاحوال • هذا درس تلقنته اليوم ٠٠٠ ان هذه المرأة أعظم منا بالحب ٠٠٠ هل كنت تعرف ما روته لنا الآن ؟ انك لم تكن تعرفه حتماً • والا لأدركت كل شيء منذ زمن طويل ٠٠٠ وتلك الأخرى التي آذتها هي أمس الأول ، يجب عليها أن تغفر لها هي أيضا ! سوف تغفر لها متى علمت ، وستعلم ٠٠٠ ان هذه النفس لمَّا تستردُّ هـدوءها وطمأننتها بعـــد ، فسنغي أن تداري وأن تراعي ٠٠٠ لعل فيها كنوزاً لا تخطر بنال ٠٠٠

صمت أليوشا منقطع الأنفاس • وكان راكيتين ينغلر اليه مدهوشا

رغم حنقه • ما كان ليتوقع متل هذا الكلام الطويل من الراهب المبتدى. البسيط!

قال راكتين صائحاً وهو يضحك ضحكة وقحة :

_ يا للمحامى البارع! أتراك وقعت فى حبها ؟ يا أجرافين ألكسندروفنا ، ان صاحبنا الصائم قد توله بحبك ، وهام غراما مك ، هنيئاً لك بالنصر!

أنهضت جروشنكا رأسها عن الوسادة ، وألقت على أليوشا نظـرة حنوناً أشرق بها وجهها المحتقن بالدموع على حين فجأة .

ــ لا تكترث له يا أليوشا ، يا ملاكى • أنت ترى ما هو ، فلا داعى الى مناقشته •

كذلك قالت جروشنكا ، ثم التفتت نحو راكبتين وقالت له :

ـ كنت أنوى يا ميشيل أوسيبوفتش أن أعتذر اليك عن الكلمــات الحارحة التي قلتها لك ، ولكنني أعدل عن ذلك الآن .

وعادت تخاطب أليوشا فقالت له وفي وجهها فرح :

_ أليوشا ، اجلس هنا ، بجانبي ، هكذا ، قريبا مني ، قل لى يا أليوشا (تناولت يده ونظرت في عينيه مبتسمة) ، قل لى : أما زلت أحبه ؟ أما زلت أحبه ؟ أما زلت أحب الآخر ؛ أقصد الرجل الذي أغواني ، • • لقد كنت قبل مجيئك ألقى على نفسي هذا السؤال في الظلام ، محاولة " أن أقسر أفي أعماق قلبي : أمازلت أحبه ؟ أضي المريقي يا أليوشا • هذه ساعة النخاذ القرار • انني أكل أمرى اليك • هل يجب على " أن أغفر له ؟

قال أليوشا مبتسماً :

ـ ولكنك غفرت له وانتهى الأمر!

فدمدمت جروشنكا تقول واجمة مفكرة :

ـ صحيح • لقد غفرت له • ما أجبن قلبي!

ثم هتفت تقول :

- اننى أشرب نخب هذا الجبان الكبير ، قلبي !

وتناولت من المائدة كأس شمبانيا ، وأفرغته في جوفها دفعة واحدة، ثم ألقته طائراً على الأرض ، تحطم الكرستال ، ورنت شظاياه ، ومرة أخرى ظهر في طرفي فمها شيء من قسوة ، قالت بصوت أجش متقل بتهديدات غامضة ، قالت وهي تخفض عينيها كأنها تخاطب نفسها :

ـ لعلنى لم أغفر له بعد ، ان قلبى يتهيأ للمغفرة ، وسأحاول أن أقاومه ، آه يا أليوشا ! ما كان أعظم تلذذى بالدموع التى سكبتها طوال خمس سنين ، ان عذابى هـو ما أحب ، اننى أحب ألمى ، ولا أحب هو !

قال راكستين متهكماً:

ـ لست أتمنى أن أكون اياه !

ــ لن تكون اياه أبداً يا راكيتا ، أبدا ٠٠٠ اعلم هذا ، أنت ستنظف لى حذاءى ، ذلك ما تصلح له أنت فى أكثر تقدير ، النساء اللواتى هن ً من نوعى لم يخلقن لك ، ولا له أيضا على كل حال ٠٠٠

_ ولا له أيضا ؟ فلمن تزينت اذن ؟

۔ لا تأخذ علی تزینی یا راکیتا ! أنت لا تعرفنی ! سأنزع ثوبی وزینتی اذا عن لی هذا ، سأرمیهما فورا ، هل تفهمنی ؟ (كذلك صرخت بصوت حاد) • أنت لا تعرف یا راکیتا الهدف الذی من أجله تزینت •

من يدرى ؟ ربما ذهبت اليه فقلت له: « انظر! انظر ماذا أصبحت! » لقد تركنى وأنا في السابعة عشرة من عمرى ناحلة مصدورة بكاءة وسأجلس قربه ، أغريه وأغويه ، وأضرم نار الهوى في قلبه ، أقول له: هيه! ألست اليوم جميلة ؟ أأت تعجب بي الآن ؟ اكتف اذن بالاعجاب لأن المسافة بعيدة بين الكأس والشفتين! ه و ربما كان هذا هو السبب في أنني تزينت يا راكيتا (بهذا ختمت جروشنكا كلامها لراكيتين وهي تضحك ضحكة خييثة) و أنا عنيفة يا أليوشا ، أنا شريرة و سوف أنزع ثوبي ، وأشوه نفسي ، وأحرق وجهي وأخدده بطعنات موسي لأدمر جمالي ثم أمضي أنسول و ليس يتوقف الا على آنا أن أبقي هنا في هذا المساء كوزمتش جميع الهدايا التي أهداها الى ، والمال الذي أعطانيه ، ثم أمضي كوزمتش جميع الهدايا التي أهداها الى ، والمال الذي أعطانيه ، ثم أمضي أشيئاً من هذا يا راكيتا ؟ هل تظن أنني لا أجرؤ على ذلك ؟ بل سأفعله ، سأفعله ؛ لا تُهجني والا فعلته فورا! و ووا أما الآخر ، فسأطرده ، سأمد له لساني استهزاء ، سأسل من بين أصابعه !

قالت هذه الكلمات الأخيرة بصوت ثاقب ، يوشك أن يكون هسترياً، ثم لم تتمالك نفسها فاذا هي تدفن وجهها في يديها من جديد ، وتتهالك على الوسادة ناشيجة منتجبة ، فنهض راكيتين من مكانه فجأة وقال :

ـ أن أوان الانصراف • لقد تأخرنا ، وسوف تغلق أبواب الدير • فانتفضت جروشنكا وصاحت تسأل ألبوشا بدهشة ألممة :

- أتمضى الآن يا أليوشا ؟ أتعبث بى اذن هــذا العبث ؟ لقــد بثثت الاضطراب فى نفسى ، وعريت أعصابى ، ثم تتركنى لأبقى وحيدة ، وحدة كما كنت من قبل ، فى هذه الظلمات !

قال راكيتين بصوت ساخر :

ــ لن يقضى الليلة عندك على كل حال ! اللهم الا أن يكون راغبا فى ذلك حريصا عليه ! وفى هذه البحالة سأعرف كيف أعود وحدى •

فصرخت جروشنكا تقول في غضب:

ـ اسكت أنت أيها النفس الخبيثة! انك لم تعـــرف في يوم من الأيام كيف تكلمني كما كلمني هو اليوم •

فقال راكيتين يسألها حانقاً:

ــ فما هي الأشياء الخارقة التي قالها لك ؟

- نسبت ، لا أعرف ، لا أتذكر كلماته ، ولكن كلماته مضت الى قلبى رأساً ، وهزت نفسى هزاً قوياً ٠٠٠ لقد أخذته بى شفقة ورحمة ، فكان أول انسان يرنى لحالى ، كان الانسان الوحيد الذى رئى لحالى ! لماذا لم تأت من قبل يا ملاكى ؟ (كذلك سألت أليوشا وهى تجثو على ركبتيها أمامه فيما يشبه الوجد) ، لقد انتظرتك طوال حياتى ، كنت أعلم ، كنت أحس أننى سألتقى فى يوم من ايام بانسان مثلك يعرف كيف يغفر لى ، كنت واثقة من أن أحدا سيحبنى آخر الامر أنا أيضا ، لغرض آخر غير عارى ٠٠٠

سألها أليوشا وهو يبتسم ابتسامة فيها حنان ورقة ، ويميل عليها ويتناول يدها :

ے ماذا فعلت حتی أستحق هذا كله ؟ أنا انها قدمت اليك بصلة ، بصلة حقيرة ، هذا كل شيء

وتوقف ألبوشا عن الكلام وطفق يبكى •

وفي تلك اللحظة سُمعت ضجة في الممر • ان أحداً قد دخل الى

البيت • تهضت جروشنكا مذعورة ذعراً شــديداً • وأسرعت فينيا الى الغرفة تهتف فرحة ً لاهتة :

ـ آنستى ، عزيزتى ، آنستى الطيبة، وصل الرسول! لقد أ'رسلت من موكرويه عربة تستقلينها ، ومضى الحوذى اليمونى ببدل الحيل . هناك رسالة لك يا آنستى ، رسالة ، رسالة ، وسالة هي !

كانت فييا تمسك الرسالة بيدها وتلوح بها في الهواء وهي تتكلم٠ انتزعت جروشنكا الرسالة منها وأدنتها من الشمعة ٠ هي بطاقة قسيرة جدا لا تضم الا بضعة أسطر قرأتها جروشنكا بلمححة عين ٠ ثم ساحت تقول وقد شحب وجهها شحوبا شديدا وتقبض وجهها بابتسامة أليمة :

_ لقد صفر لى • لقد صفر لى • ازحف أيها الكلب الصغير!

وظلت مترددة خلال هنيهة قصيرة ، ثم ازدحم الدم في وجنتيها فاحمرنا حتى صارتا بلون الأرجوان ، وهتفت تقول :

ـ سأذهب! انتهت تلك السنون الخمس من حياتي • وداعاً وداعاً! وداعاً لك أنت أيضا يا أليوشا • لقد تقرر مصيرى • اذهبوا ، انصرفوا الآن جميعا ، ولتغيبوا عن عيني الى الأبد! • • • • ان جروشنكا تبدأ حياة جديدة • لا تحمل لى حقداً ، أنت أيضا يا راكيتا • من يدرى ؟ قد أكون ذاهمة الى الموت! آه • • • أحس بأنني سكرى على حين فحاة • • •

ثم لم تحفل بهما وركضت الى غرفة نومها •

جمجم راكيتين يقول :

_ لقد طردتنا ٠٠٠ فلننصرف ٠٠٠ ضقت ذرها بهذا الصراخ تطلقه المرأة هسترية ٠ فلنمض قبل أن يُستأنف الصراخ ٠٠٠

انقاد ألبوشا انقياداً آلياً • كانت العربة في فناء المنزل • خيسول

تُنحل م وأناس منهمكون على ضيوء مصباح • وأمام الباب أفراس على ضيوء مصباح • وأمام الباب أفراس جديدة • وما ان هبط أليوشا وراكيتين درجات المدخل حتى فتحت نافذة غرفة النوم ، فاذا جروشنكا تصيح قائلة بصوت رنان :

على هذه الوغدة ، أنا • كرر على مسامعه هـــذه الكلمات عن لسانى : « وهبت جروشنكا نفسها لرجل بائس ، لا لك أنت النيل » ؟ قل له أيضا اننى أحببته ساعة ، ساعة واحدة ، فليتذكر تلك الساعة مدى الحياة ، ان جروشنكا هى الني تأمره بذلك •

ختمت جروشنكا كلامها شبه َ باكية وأسرعت تغلق النافذة • غمغم راكيتين وهو يضحك ساخراً :

ـ هيم ° ٠٠٠ هيم ° ٠٠٠ تغمد سكينا في قلبه ، في قلب أخيك ميتيا أث يتذكرها مدى الحياة ٠ يا للسادية !

لم يحب أليوشا • وكان يبدو عليه أنه لم يسمع • انه يسمير الى جانب رفيقه بخطى حثيثة • ولقد كان في الواقع ذاهلاً يمشى كآلة • شعر راكيتين بألم شديد كأن أحدا قد غرز اصبعه في جرح له لم يلتئم • ليست هذه هي المخاتمة التي كان يأملها للقاء بين أليوشا وجروشنكا • لقد جرى كل شيء على غير ما كان يتنبأ ؟ ولم يتحقق ما تمنى بكثير من الحرارة أن يتحقق • قال وهو يحاول أن يسبطر على اعتكار مزاجه :

- صاحبها الضابط بولندى • على أنه ليس الآن بضابط • لقد عمل زمناً فى ادارة الجمارك على الحدود الصينية • هو طيرح معتمر ما فى ذلك ربب • يُقال انه طرد من وظيفته • وأغلب الظن أنه علم أن جروشنكا قد جمعت بعض المال ، فها هو ذا يعود ••• هـــذه هى المعجزة كلها!

ما يزال أليونسـا صــامتا • ولم يطق راكيتين صبراً ، فقــال وهو يضحك ضحكا ساخرا خبيثا :

_ هيه ! هل هديتها الى البحق ، هذه الخاطئة ؟ هل رددت المرأة الضالة الى سبيل الرشاد ؟ هل طردت الشياطين السبعة من روحها ، هه ؟ هذه هى المعجزة التي انتظرها الناس طويلاً منذ هذا الصباح ٠٠٠ لقد تحققت !

قال أليوشا متألمًا :

_ اسكت يا راكيتين!

ـ أبسب هذه الروبلات الخمسة والعشرين انما تحتقرني الآن ؟ أتراني بعت صديقا ؟ ما أنت بيسوع المسيح فيما أعلم ولا أنا بيهـــوذا الأسخريوطي !

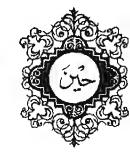
ــ أؤكد لك اننى لم أكن أفكر فى هذا الامر • أنت الذى تذكرنى به الآن •

كذلك قال أليوشا ، فغضب راكيتين فى هذه المرة غضبا كاملا ، وأعول يقول :

ـ شیطان یأخـــذکم جمیما ! انی لأتســـاءل ما کانت حاجتی الی الارتباط بك ! لا أرید أن أعرفك بعد الآن • امض فی سبیلك وحدك !

ومال فجأة فسار في شارع آخر وترك أليوشا وحيدا في الليل • خرج ألبوشا من المدينة واتجه الى الدير خلال الحقول •

هوک ما قب ان



وصل أليوشا الى الصومعة كان الوقت متأخراً جدا بالنسب الى الأنظمة المتبعة فى الدير وسمع له الراهب البواب أن يدخل من مسرخفى • كانت الساعة التاسعة قد دقت ، وكان

كل شيء يستريح بعد نها مضطرب ذلك الاضطراب كله • تسلل أليوشا وجلاً الى الغرفة التى سنجتّى فيها تابوت الشيخ • كان الأب يائيسى وحيدا في الغرفة ما يزال يقرأ الانجيل • وكان الراهب المبتدى وفير الذى أتعبه الحديث الطويل في الليلة البارحة وأتعبته انفعالات النهار ، ينام في الغرفة المجاورة على الارض نوما عميقا يتيحه له شبابه ولم يلفت الأب بائيسى رأسه رغم أنه سمع دخول أليوشا • اتجه أليوشا الى الركن الذى يقع على يمين الباب ، وجنا على ركبتيه ، وأخذ يصلى كانت نفسه طافحة ، غير أن المشاعر المختلفة التي عاناها أثناء النهار تختلط الآن في نفسه اختلاطا مبهما دون أن تكون لأحدها غلبة ، وانسا هي تتعاقب ويطرد بعضها بعضا في حركة مطردة هادئة • وشعر أليسوشا بانفعال رفيق عذب يجتاح نفسه ، فكان العجيب في الامر أنه لم يستغرب بانفعال رفيق عذب يجتاح نفسه ، فكان العجيب في الامر أنه لم يستغرب بانفعال رفيق عذب يجتاح نفسه ، فكان العجيب في الامر أنه لم يستغرب بانفعال رفيق عذب يجتاح نفسه ، فكان العجيب في الامر أنه لم يستغرب بانفعال رفيق عذب يجتاح نفسه ، فكان العجيب في الامر أنه لم يستغرب دلك الانفعال و انه يرى أمامه التسابوت الذي يضم جثمان الراحل

المحبوب، يراه من جديد، ولكن الألم الثقيل الذي كان يجثم على صدره طوال الصباح قد حلت محله الآن عاطفة هادئة وادعة • انه حين وصل قد ركع أمام التابوت ركوعه أمام هيكل ، غير أن فرحاً عذباً يملأ الآن روحه ويفض من قلمه • كانت احدى نوافذ الغرفة قد تُه كت مفتوحة، فمنها يدخل الى الغرفة هواء طرى منعش ، قال ألبوشا يحدث نفسه : « لا بد أن الرائحة قد اشتدت ما داموا قد قرروا فتح النافذة • ، • غير أن فكرة رائحة التفسخ التي أثارت في نفسه عند الصباح ذلك الاضطراب كله وذلك النمرد كله ، والتي كانت تبدو له رهيبــة فظيعة مهينة للقدُّر مخلة بالكرامة ، أصبحت الآن لا تزعجه ولا تشعره بشيء من الحرج • أخذ ألبوشا يصلي صامتًا • ولكنه لاحظ بعد برهة أنه يصلي صلاة آلـة• ان نتفاً متناثرة من أفكار تلامس ذهنه ملامسة وتومض في خياله كشرارات ثم ما تلبث أن تنطفيء ليحل محلها غيرها • وقد أخذ في بعض اللحظات يصلي بحرارة وحماسة ، شاعرا بحاجة قوية عنيفة الى أن يشكر وأن يحب ٠٠٠ ولكن فكره ما يلمث أن ينصرف الى شيء آخر ، قاذا هو يغرق في أحلام غامضة مبهمة تنسبه الصلاة وتنسبه التأمل الذي قطع الصلاة. أصاخ بسمعه في لحظة من اللحظات الى قراءة الأب باليسي ، ثم أدركه التعب ، فاذا هو ينحدر شيئًا فشيئًا الى وسن ِ هادىء رفيق •

« وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليه ل وكانت أم يسوع هناك ٠٠ » *

« عرس ؟ ما العرس ؟ وثارت في فكره زوبعة من الخواطر • هي أيضًا سعيدة ••• ذهبت الى احتفال ••• لم تحمل الخنجر ••• ما كان ذلك منها الا قولا طائشا ••• يجب أن نغفر الأقوال الطائشة ، لأنها تهدىء النفس ••• وبدونها يصبح ألم الانسان أشد من أن يطاق •••

غاب راكيتين في شارع صغير ٠٠٠ لسوف يغيب في شوارع صغيرة ما ظل لا يفكر الا في الاهانات التي تناله هو ٠٠٠ أما الطـــريق فهي عريضة لاحبة مشرقة مضيئة ٠٠٠ مستقيمة طاهرة ٠٠٠ نقية نقـــاء البلور ٠٠٠ والشمس هي التي تسطع في نهايتها ٠٠٠ ماذا يقرأ الآن ؟ ٠٠

« ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر ٠٠٠ »

« ها ٠٠٠ نعم ، لم أتابع القراءة ، مع أننى كنت لا أحب أن تفوتنى هذه الفقرة ، اننى أحبها كثيرا : عرس قانا ، المعجزة الأولى ٠٠٠ كانت تلك معجزة ، معجزة الهية ٠٠٠ لم ينجى، يسوع للحزن ، بل للفرح ٠٠٠ أفرح قلب الناس بتلك المعجزة الاولى ٠٠٠ « الذى يحب البشر ، يحب فرحهم أيضا ٠ » ٠٠٠ ذلك ما كان يردده الشيخ الراحل بغير انقطاع ٠٠٠ ذلك تعليم من تعاليمه الرئيسية ٠٠٠ لا يستطيع الانسان أن ينحيا بغير فرح ، كذلك يقول ميتيا ٠٠٠ نعم يا ميتيا ٠٠٠ كل ما هو عظيم وجميل يشيع منه الغفران الشامل ٠٠٠ انه هو الذى كان يقول هذا أيضا ٠٠٠ »

« • • • قال يسوع :

« قال لها يسلوع : مالى ولك يا امراة ! لم تات سلاعتى بعد • قالت أمه للخدام : مهما قال لكم فافعلوه ! »

« افعلوا ٠٠٠ كان ذلك لفرح أناس فقراء ، فقراء مغمورين ، فقرا جدا ، جدا ، حدا ، ١٠٠ لا شك أنهم كانوا في فقر مدقع ما دام الخمر قد أعوزهم حتى لعرس ٠٠٠ يؤكد المؤرخوون أن الأهالي الذين كانوا يعيشون في ذلك العصر على ضفاف بحيرة طبرية وفي المناطق المجاورة

لها كانوا أفقر الناس في هذا العالم ٠٠٠ هــنه امرأة عليا كانت في العرس ، هي أم يسوع، تشعر في قلبها بأنه لم ينزل الى الارض الا لهدف واحد هو أن يقوم بنضحيته الهائلة ، وأن نفسه قادرة على أن تشارك في الفرح البسيط الساذج الذي يحسه هؤلاء الناس المتواضعون المبرأون من المكر ، الذين دعوه بمحبة الى حضور عرسهم الذي لا تألق فيه ، قال لها يسوع وهو يبتسم ابتسامة رقيقة : « لم تأت ساعتى بعد » (لا نسك أنه ابتسم في تلك اللحظة ابتسامة لا نهاية لرقتها وعذوبتها) ١٠٠ أجاء اذن الى الارض ليزبد الحمر في أعراس الفقراء ؟ ومع ذلك لم يتردد، ولمي رجاءها ٠٠٠ »

« قال لهم يسوع املاوا الأجران ماء ، فملاوها الى فوق • ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا الى دثيس السقاة فقدموا ، فلما ذاق دئيس السقاة الماء المتحول خمرا ولم يكن يعلم من اين هى بينما الخدام الذين كانوا فد استقوا الماء علموا ، دعا العريس وقال له : كل انسان يضع الخمر الجيدة أولا فمتى سكروا وضمع الرديئة ، أما أنت فقهد ابقيت الخمر الجيدة الى الآن • » •

« ولكن ما هذا ؟ ما معنى هذا ؟ لماذا تتسع الغرفة فجأة ؟ ١٠٠ آ٠٠ حقاً ١٠٠ هو الزواج ١٠٠ هذا عرس ١٠٠ طبعا ١٠ هؤلاء هم المدعوون ١٠٠ وهذان هما العربسان ، والمجمهور الفرح ١٠٠ ولكن أين هو اذن ذلك الساقى الحكيم جدا ؟ وهذا ، من هذا ؟ من هذا ؟ الغرفة تتسع مزيدا من الاتساع ١٠٠ من ذا الذي ينهض على المائدة الكبرى هناك ؟ كيف هو ؟ أيكون هو أيضا هنا ؟٠٠٠ كنت أحسب أنه في تابوته ١٠٠ بلى ! انه هو بعينه ١٠٠ نهض ١٠٠ رآني ١٠٠ ها هو ذا يقبل على ١٠٠ رباه ! » ٠٠٠

واقترب فعلاً من أليوشا ، الشيخ الناحل المخدَّد وجهــه بغضون

صغيرة • كان فرحاً ، وكان يضحك ضحكا رقيقا حلواً • لقد اختفى التابوت • والشيخ يرتدى الملابس التي كان يرتديها أمس أثناء ذلك الحديث الاخير مع أصدقائه • ان وجهه يشرق مودة ومحبة ، وان عينيه تلتمعان • « كيف أمكن أن يكون هنا ، في هذه الحفلة ؟ أدعى اذن الى عرس قانا ؟ » • كذلك تساءل أليوشا • فسمع صوتا لطيفا يقول له من فوقه ، صوتا ألف أليوشا أن يسمعه :

۔ نعم یا بنی ، لقد د'عیت أنا أیضا ، د'عیت ونودیت • لماذا تختبی، فی ذلك الركن 4 لا یكاد براك أحد • تعال ، وكن منا •••

هو صوته ، صوت الشيخ زوسيما ٠٠٠ لا شك أنه الشيخ ، مادام يناديه • ومد ً الشيخ يده الى أليوشا الراكع ، فنهض أليوشا • وتابع الشيخ المعروق كلامه قائلا :

- ألا فلنبتهج! لنشرب الخمر الجديد ٠٠٠ انه خمر فرح جديد، فرح عظيم جدا ٠٠٠ هل ترى جميع هؤلاء المدعوين ؟ هذا هو الخطيب، وهذه هى الخطيبة ، وهذا هو الساقى الحكيم جدا ، يذوق الخمسر المدهشة ، لماذا تنظر الى هكذا ؟ لقد وهبت بصلة فقبلت في هذه الحفلة، كثيرون هنا هم الذين لم يهبوا الا بصلة ، بصلة صغيرة جدا ٠٠٠ كيف الأحوال عندنا ؟ أنت أيضا ، يا بنى الطيب الوادع ، لا بد أنك وهبت اليوم بصلة لجائعة مسكينة ، ابدأ مهمتك ، واجه عملك ، يا صحيعيى اللطيف! هل تراه هو ؟ هل ترى يسوع ، شمسنا ؟

دمدم أليوشا يقول :

ــ أنا خائف ٠٠٠ لا أجرؤ أن أنظر اليه ٠

ـ لا تخف منه • هو مخيف بعظمته التي ترفعه فوقنا ، هو مخيف

بالعلو الذي هبط منه الينا ، ولكن لطفه لا نهايه له ، لقد جعل نفسه شبيهاً بنا ، وارتضى بالمحبة أن يشاركنا فرحتنا ، وأحال الماء خمراً حتى لا تنقطع سعادة الضيوف ، وهو ينتظر مدعوين آخـــرين ، وما ينفــك يدعو منهم المزيد الى الأبد ، انظر ، ها هم يجيئون بالتخمر الجديد ، ها هم يحملون الأوانى ، ، ،

كان قلب أليوشا يحترق احتراقا وقد امتلأ بفرح شديد يصاقب الألم ، وانبجست من عينيه دموع حماسة ٠٠٠ ومد ذراعيه ، وأطلق صرخة ، واستقف من نومه ٠٠٠

التابوت ما يزال في مكانه ، والنافذة ما تزال مفتوحة ؟ وصوت الأب بائيسي ما يزال يُسمع وقورا هادئا وهو يقرأ الانجيل ببطء و ولكن أليوشا لم يصغ اليه و كان قد نام على ركبتيه و والغريب أنه الآن واقف على قدميه وها هو ذا يتقدم فجأة ، كأن قوة خفية تدفعه دفعاً ، فاذا هو يصبح قرب التابوت بعد ثلاث خطوات سريعة ، حتى لقد لامس كتف الأب بائيسي دون أن يلحظ ذلك و رفع الأب بائيسي عينيه وألقي على أليوشا نظرة قصيرة ، ولكنه سرعان ما استأنف قرراءته ، اذ أدرك أن الفتي كان في حالة غريبة وقف أليوشا أمام التابوت نصصف دقيقة : تأمل التابوت ، تأمل المتوفى الساكن الذي غطى وجهه ببرقع ، وو ضعت تأمل التابوت ، تأمل المتوفى الساكن الذي غطى وجهه ببرقع ، وو ضعت بين يديه أيقونة ، ولنقع وأسه بقبعة يزينها صليب ذو ثمانية أفرع و لقد أنيه و الوشا صوته قبل بضع لحظات ، وما يزال هذا الصوت يترجع في أذبيه و ان أليوشا يصغى وينتظر و و اتراه يسمعه من جديد ؟ وفجأة ، استدار أليوشا وخرج من الغرفة و

لم يتوقف عند درجات الباب بل هبطها مسرعا • كانت نفسه التي تطفح حماسة ، في حاجة الى فضاء وحرية • هذه قبة السماء تعلوه ممتدة

فى جميع الجهات الى غير نهاية ، مزدحمة بنجوم تسطع أشعتها سطوعا هادئا ، ان المجرة ، التي لا تكاد أترى بعد ، تمتد من السمت الى الأفق، وان ليلة طرية هادئة صامتة ساجية ، يبدو أنها تلف الأرض بأكملها ، والأبراج لبيضاء والقبب المذهبة من الكنائس تبرز على قاع لازوردى، وأزهار البخريف الغنية تبدو نائمة فى أحواضها التي تحف بالمنزل ، ان سكينة الارض تتحد بسكينة السماء ، وان سر البحياة والنجوم يرفرف على العالم ، من خارت قواه ،

لم يعرف ألبوشا لماذا عانق الارض ، ولماذا شعر بمثل هذه الحاجة الى أن يغمرها بالقبل • كان يقبلها باكبًا ، فيرويها بدموعه ، حالفًا بكشير من الحماسة ليحنيُّها على الدوام ، ليحينها أبد الدهر ••• « اسق الأرض دموع َ الفرح ، وأحب دموعك ، ، كذلك قال له صوت في أعماق نفسه . لماذا هذه العبرات ؟ كان ألوشا يبكي من المحماسة ، حتى لقد كان يبكي لهذه النجوم التي تنظر الله من قرارة اللانهاية ، ولم « يكن يشعر بخجل من هذا الوجد الذي ملأ نفسه ، • ان الصلات الخفة التي تشده الى هذه العوالم البعيدة ، كانت تهتز عندئذ في قلبه ، وكان يطير فرحاً من شعوره بنشوء « هذا الاتصال بينه وبين الملأ الأعلى » في نفسه • كان يشتهي أن يغفر كل شيء لجميع الناس ، وأن يستغفر أيضا لا لنفســـه وحدها بل لجميع الناس ، وعن كل شيء • ومرة أخرى قال صوت في أعماق نفسه : « ان آخرين سسألون لي اللطف » • وشـــعر في الوقت نفسه باحساس واضح جدا ، احساس يشبه أن يكون جسميا ، أن نفحة ً قوية خالدة كانت تهبط من قبة السماء ، وتجتاح كبانه كله شيئًا بعد ، شيء ، كفكرة تبزغ في روحه لتحكمها الى الأبد . كان ألوشا قد سقط على الأرض فتي واهناً ضمفاً ، ولكنه حين نهض الآن أحس بأنه مناضل جسور على مدى ما بقى له من أيام فى هذه الحياة • واختلط وعيه لهذا النبدل المفاجى الذى وقع له ، اختلط بحماسته ، فاذا هو فى حالة نفسية جعلته لا ينسى تلك الدقيقة فى يوم من الايام • وقد ظل يؤكد بعد ذلك باقتناع عميق « أن أحدا قد زار نفسه فى تلك اللحظة ، •

وبعد ثلاثة أيام ترك الدير متبعـاً وصــية الشــيخ الراحل الذي « أرسله الى العالم » •

لبابالثان: مد يما

•

كوزم اسامسونون

دمتری فیدوروفتش الذی ، أمرت ، جروسنکا ، وهی تطیر نحمو حیسمات جمدیدة ، بأن یابلغ مسلاماً أخیراً ، مع المطالبة بأن یحفظ الی الأبد ذکری سماعة فصیرة من حب وهبته له ، كان

وهيب • سوف تذكر هذه الظروف المختلفة بتفاصيلها بعد قليل ، وحسبى الآن أن أسرد أهم وقائع هـذين اليومين الرهيبين ، هـذين اليومين الأخيرين اللذين سبقا سقوط الكارثة على حياته ذلك السقوط القاسى المفاجىء •

صحيح أن جروشنكا قد أحبته خلال ساعة من الزمان حبًّا صادقًا، ولكنها في مقابل ذلك قد عذبته مرارا بقسوة لا رحمة فيها • وأنكى ما في الامر أنه لم يستطع أن يفهم عواطفها الحقيقية فهماً واضحا • ولم يكن له أى أمل في أن يكتشف هذه العواطف لا بالملاطفات ولا بالقوة. ولو قد حاول ذلك لعاندته في جميع الاحوال ولتركته غاضبة حانقة • كان هو يشعر بذلك شعورا كاملا • وكان يدرك أنها تحتاز هي نفسها في تلك الساعة أزمة عصبية وأنها تتخبط في حيرة شديدة ، فهي توشك أن تعزم أمرها دائما ثم تتردد كلَّ مرة في آخر لحظة ؟ وكان يقدَّر ــ وليس يخلو تقديره هذا من حق ــ أنها كانت في بعض الأحيان تكرمه وتكره غرامه بها • لعله لم يكن مخطئاً في هذا ، ولكن السبب الحقيقي للقلق الذي تعانمه جروشنكا كان يفوته. وكانت المسألة التي تعذبه انما ترتد في الواقع الى هذا الاختيار بين شخصين لا ثالث لهما : « اما هو ميتيا ، واما فيدور بافلوفتش » • وهنا يحسن أن نوضح النقطة التفصيلية التالية: كان ميتيا مقتنعا اقتناعا مطلقا بأن فيدور بافلوفتش مستعد لأن يتزوج جروشنكا (ولعله عرض عليها ذلك) ، وكان لا يتخبــــل في لحظة من اللحظات أن العجوز الفاسق قد خطر بناله أن يصل الى تحقيق أغراضه دون أن يضحي بشيء الا ثلاثة آلاف روبل • هكذا كان يفكر دمتري على أساس ما يظن أنه يعرفه من طبع جروشنكا • لذلك كان من المكن أن يقدر أن ما تعانيه المرأة الشابة من قلق وتردد انما يرجع الى أنهــا لا تدرى من تختار منهما ، جاهلة اليهما أنفع لها وأجدى عليها . أما

أن يعود في القريب ذلك « الضابط » ، ذلك الرجل المشتوم الذي احتل هذا المكان كله في حياة جروشنكا والذي كانت جروشنكا تنتظر وصوله بذلك القدر كله من نفاد الصبر وشدة الخوف ، فان دمتري لم يخطر بباله هذا الامر مرة واحدة خلال تلك الأيام ، مهما يبد ذلك غريبا ٠ صحيح أن جروشنكا أصبحت منذ زمن طويل لا تكلمه في هذا الامرى ولكن دمتري كان يعلم أن صاحب جروشنكا قد كتب الـها ، لأنها أطلعته على الرسالة التي تلقتها منه منذ شهر، وكان يعرف بعض ما تضمنته هذم الرسالة • لقد أطلعته جروشنكا على الرسالة بدافع القسوة ، فمــا كان أشد دهشتها حين رأت أنه لم يول الرسالة أي اهتمام في أول الامر ، ولا اكترث لها • انه لمن العسير أن نشرح السب الذي جعـــل دمتري لا يحفل بالرسالة ولا يقيم لها وزناً كبيرا • لعل ذلك يرجع ، ببساطة ، الى أنه قد بلغ من شدة رزوحه تحت وطأة هول تنافسه مع أبيه على هذه المرأة أنه كان يستحيل عليه أن يتخيل مصيبة أكبر من تلك المصيبة وشقاء ً أعظم من ذلك الشقاء ، في تلك الفترة على الأقل • أضف الى ذلك أنه كان لا يتصور أن من الممكن أن يعود خطيب " بعد غياب خمسي سنين ، وأنه كان لا يصدق خاصة آن يعود قريبا • هذا الى أن وسالة « الضابط » لم تتضمن اشارة الى محمئه الا بكلمات غامضة : لقد كانت الرسالة لا تحنوى الا أمورا عامة ومناجيات غائمة وتصريحات عاطفية ٠ يبجب أن نذكر أن جروشنكا قد أخفت عنه الأسطر الأخيرة التي يشسير فيها كاتب الرسالة الى عودته القريبة بشيء من الوضوح • وكان دمتري بتذكر عدا هذا أنه لاحظ أن المرأة الشابة ، حين أطلعته على الرسالة ، قد أُظهرت على غير ارادة منها احتقارها للرجل الذي كتب البها الرسالة من أقاصي سسريا • ولم تفض جروشنكا الى دمتري بعد ذلك بأي شيء

وجوده شسيئًا بعد شيء • فكان لا يشغله الا اعتقاده بان الصراع الحاسم بينه وبين فيدور بافلوفتش يبدو وشيكاً مهمــا يحـــدث من أمر ، فلا بد أن تحل هذه المسألة على أي حال من الأحوال قبل سائر المسائل • وكان ينتظر على أحر من الجمر قلقاً ، أن تتخذ جروشنكا قرارها من دقيقة الى دقيقة ، وكان يقدر انها ستتخذ هذا القرار فيحـأة بما يشـــه الوحي أو الالهام ، فتقـــول له ذات يوم : « خذني ، أنا لك الى الأبد » ، وينتهي كل شيء ، فيقبض عندئذ عليها ، ويمضى بها الى آخر العالم • نعم ••• لـأخذنـُّها عندئذ فوراً الى أبعد مكان ممكن ، لـأخذنها الى أقصى روسيا ان لم يأخذها الى أقصى الأرض ؛ وسوف يتزوجان ويستقران مجهولين لا يعرفهما أحد ، ولا يمكن أن يهتم بهما أحد بعد ذلك لا هنا ولا هناك • ولسوف تبدأ عندئذ حياة جديدة ! كدلك كان دمترى لايني يحلم متحمساً بالحياة الجديدة ، الحياة « الفاضلة » (الفاضلة خاصة) • لقد كان في ظمأ شديد الى هذا التجديد ، إلى هذا الانبعاث ، لأنه كان يتألم تألماً قوياً من الحمأة الحقيرة التي تردى اليها وغاص فيها بارادته ؟ وكان ، ككتير من الرجال في مثل هذه الحالة ، يؤمن بالخلاص عن طريق تغيير البيَّة : فلا يرى هؤلاء الناس ولا يعيش في هذا الوسط بعد الآن • كان يتصور أنه متى ترك هذا المحيط تغير كل شيء بين عشبة وضحاها ، وبدأت حياة جديدة على أسس جديدة • ذلك كان أمله ، والى هذه الغاية انما كانت تتجه أحلامه نافد كالصس •

غير أن هذا الحل لا يمكن أن يتحقق الا اذا اتخذت جروشنكا القرار الأول ، القرار السعيد التي تختاره فيه من دون أبيه • وهناك قرار ثان ما يزال من الممكن أن تتخذه جروشنكا ، هناك حل آخر رهيب يمكن أن يتحقق ، هو أن تقول له مثلاً على حين فجأة : « اغرب عنى الآن ، فلقد اتفقت مع فيدور بافلوفتش اتفاقا نهائيا وقررت أن أتزوجه،

فلا حاجة بى اليك بعد اليوم • • • ففى هذه الحالة • • • فى هذه الحالة • • • فى هذه الحالة • • • فقد كان ميتيا لا يعرف هو نفسه ما قد يحدث عندئذ ، ولقه خلل لا يعرف ذلك الى آخر دقيقة • • • علينا أن نذكر هذه الحقيقة تبرئة له • انه لم يعقد نيته على شى • ، ولم يفكر فى ارتكاب جريمة • كان لا يزيد على أن براقب ويترصد ويتربص ويتجسس ، ويتعذب بغير انقطاع ، ولكنه لا يتصور الا الحل الأول ، ولا يتنبأ الا بالخاتمة السعيدة ، ويعلرد من ذهنه كل فكرة أخرى • على أن هناك صعوبة أخرى كانت تنبجس عندئذ وتجعله قلقاً مهموما مغموما ؟ ذلك أن عقبة جديدة تقف عثرة فى طريقه حتى حين يتحقق الحل الأول السعيد ، عقبة خارجية عثرة م ولكنها عقبة رهيبة يستحيل تذليلها على كل حال •

هب جروشنكا قالت له: « أنا لك ، خذنى » ، فما عساه يفعل من أجل أن يرحل معها لا أين يبجد المال اللازم للسفر ؟ ان الأموال التى هيأتها له دفعات فيدور بافلوفتش قد نفدت نفداداً تاما ، صحيح أن جروشنكا تملك مالا ، ولكن مينا كان يشعر عندئذ على حين فجئة بكبرياء شديدة تستيقظ في نفسه ، كبرياء عنيفة لا تنثني ولا تلين ، لقد كان يحرص أشد الحرص على أن يتحمل هو نفقات الرحيل ، وأن يبدأ معها حياة جديدة بماله ، ويرفض أن يعيش عالة عليها ، كان لا يطيق أن يتصور أن يأخذ من مالها شيئاً ، وكان اذا تصور ذلك يبلغ من شدة الألم حد الاشمئزاز من نفسه ، لن أحاول أن أشرح هنا هذه الحالة النفسية ولا أن أحلكها ، وحسبي أن أقرر ان هذه كانت عاطفته ، وان هذا كان شعوره ، جائز جدا ن يكون هذا الموقف قد أملاه عليه ، على المبلغ غير شعور منه ، ما قاساه ضميره من عذاب خفي منذ أن استولى على المبلغ غير شعور منه ، ما قاساه ضميره من عذاب خفي منذ أن استولى على المبلغ بعض الأحيان ، كما اعترف بهذا فيما بعد : « أنا وغد حقير في نظر بعض الأحيان ، كما اعترف بهذا فيما بعد : « أنا وغد حقير في نظر بعض الأحيان ، كما اعترف بهذا فيما بعد : « أنا وغد حقير في نظر

الأولى ، وسأصبح وغداً حقيرا في نظر الثانية ، اذا علمت جروشنكا بالأمر ، فلن ترضى بنذل مثلى » ، ولكن أين عساه يجد المسال اللازم والحالة هذه ؟ أين عساه يجد المال الذي يحتاج اليه هذا الاحتياج الفاجع كله ، والذي بدونه سيتعرض كل شيء للخطر ، وبدونه لن يمكن أن يتحقق أي هدف ؟ « أكل هذا بسبب مسألة مالية حقيرة ؟ آه ، ، ،

سأستبق الآن القصة فأشير الى أن مترى ربما كان يعلم أين يمكنه أن يجد هذا المبلغ ، وربما كان لا يجهل في أي مكان يوجد هذا المبلغ. ولن أدخل الآن في سرد التفاصيل التي ستعرض في حينها • غير أنني سأبين ، على نحو قد لا يكون واضحاً وضوحاً كافيا (ولكن لا ضير !) ، ماذا كانت الصعوبة الكرى في نظره : لقد كان يرى أن عليه ، حتى يستطيع أن يأخذ المبلغ المخبأ في مكان ما ، حتى يكون « من حقه ، أن يستولى على هذا المبلغ ، كان يرى أن عليه أولا أن يردُّ الثلاثة آلاف روبل التي يدين بها لكاترين ايفانوفنا • « والا لم أكن الا سارقا صغيرا، الا لصاّ حقيراً ، وسيستحيل على عندئذ أن أبدأ حياة جديدة » • كذلك كان يقول ميتيا لنفسه ، ولهذا قرر أن يقلب العالم رأساً على عقب اذا لزم الأمر ، من أجل أن يستطيع ردًّ المبلغ الى كاترين ايفانوفنا . وقد اختمر هذا القرار في نفسه في الأيام الأخيرة ، أثناء الساعات التي أعقبت لقاءه أليوشا في الطــريق ، بعد أن علم من أخيــه بأمر الاهانة التي ألحقتها جروشنكا بكاترين ايفانوفنا ، فهتف يقول : «قل هذا عن لسانمي لكاترين ايفانوفنا اذا كان ذلك يمكن أن يهدى، روعها ، • ولقد شعر أثناء تلك الليلة ، وهو على ما هو عليه من اضطراب شديد ، « بأنه يحسن صنعاً اذا هو قتل أحداً وسلمه ما معه في سمل أن يرد الى كاتبا مالها ، • قال يخاطب عندئذ نفسه : « ألا فلأصبح قاتلاً ولصاً في نظر ضحتي وفي نظر جميع الناس ، ألا فلأ رسك الى سجون الأشغال الشاقة بسيبريا ، فى سيل أن لا تستطيع كاتيا أن تقول عنى اننى لم أخنها فحسب ، وانما سرقتها أيضا وسطوت على مالها لأهرب مع جروشنكا وأبدأ بدلك حياة حديدة ، لا أطيق أن تقول عنى كاتيا هنذا الكلام! » ، ذلك ما كان يحدث به ميتيا نفسه وهو يكز أسنانه ، وكان من حقه فعلا أن يخشى أن يصاب باحتقان فى دماغه ، ولكنه كان ، حتى تلك اللحظة على الأقل، ما يزال يكافح ، . .

والامر الغريب أنه كان من الممكن أن يبدو له أن الهــدف الذي يسعى اليه لا يمكن تتحققه وانه لم يبق له الا أن يياس ، فمن أين يمكنه الحصول على مثل هذا المبلغ الكبير من المال بينما هو يتخبط منذ الان في فقر مدفع وبؤس أسود • ومع ذلك ظل يأمل حتى النهاية ، واثقاً من أنه سعيترُ على مبلغ الثلاثة آلاف روبل هذا ، وأن هذا المبلغ سيهبط عليه من السماء عند الحاجة • فكذلك يفكر على وجه العموم أولئك الذين لم يعرفوا في حياتهم الا تبديد ما ورثوا ، مثل دمتري ، والذين يجهلون كل شيء عن طريقه جنى الرزق وتحصيل المال • ان مشاريع خيالية عجيبة تغلى وتفور في ذهنه منذ أن ترك أليوشا قبل يومين ، وفد أختلطت مى عقله أبسط الممانى واضطربت أيسر الأفكار ، فبدأ مساعيه بمشروع هو أسخف ما يمكن أن يتخيله الخيال من مشاريع • ومن النجائز على كل حال أن تكون أشد الأفكار شذوذا وأكثرها اغرابا وأعمقها ايغالاً في عالم الأوهام هي التي تفرض نفسها أكتر من غيرها على أناس من نوعه في ظروف كظروفه ، وتبدو لهم سهلة التحقيق • لقد قرر دمتري أن يذهب الى التاجر سامسونوف ، حامي جروشنكا ، ليعـــرض عليه م صفقة " » ويحصل منه فورا على الثلاثة آلاف روبل سلفة " على الربح. وانما كان يتسامل كيف عسى يستقبله العجوز • وكان دمتري يعــرف العجوز وجهاً ، ولكنه لم يكلمه يوما حتى ذلك الحين • وكان مقتنعا منذ زمن طویل ، علی کل حال ، سواء أكان اقتناعه هذا خطأ أم صوابا ، بأن هذا العجوز الفاسق الذي وضع احدى قدمه في القبر منذ الآن ، لن يعارض في أن تنني جروشنكا لنفسها حياة شريفة بتزوج رجل «يستحق الثقة » • كان يقول لنفسه : « أغلب الظن أن العجوز لن يرى أى ضير في هذا ، بل لعله يتمناه ويساعد في تحقيقه اذا عرضت الفرصة . . . وكان يعتقد أيضا ، على أساس شائعات غامضة وعلى أساس أقوال أفلتت من جروشنكا ، أن سامسونوف يؤثره على فيدور بافلوفتش زوجاً للمرأة الشابة في المستقبل • وبمـــا كان بعض قــرائي يرون أن حسابا كهذا العصاب من جانب دمتري ، وما عقد عليه النية من استلام خطبيته من يدى حاميها ان صح التعبير ، يدلان على أن دمترى فيدوروفتش يفتقر الى رقة الشعور وأتاقة السلوك افتقارا شديدا ، وأنه امرؤ تخلو نفسه من وساوس الضمير خلواً عجباً • ولكنني أجب على هذا بقولي ان ستاكان يرى أن ماضي جروشنكا قد د'فن إلى الأبد • لقد كان شقاؤه وستقوطه يوفظان في نفسه شفقة عظمة ورحمة لا حدود لها • لقد دفعته حرارة الهوى الى الاعتقاد بأن جروشنكا ستبعث بعتاً جديدا وتصبح امرأة جديدة متى صارحته بحمها وقررن أن تتزوجه ، وأنه سسُعث هــو نفسه بعثاً جديدا ، فكون في وسعهما كليهما أن يبدءا حياة مبرأة من كل اثم ، حياةً كلُّها فضيلة : لسوف يغفر كل منهما لصاحبه أخطاءه ، ويعشان حاة جديدة كل التحدة • أما كوزما سامسونوف فكان دمتري يري أنه قد لعب في حياة جروشنكا ابان صياها دوراً مشتوماً و لائك ، وأنه لم یحبها علی کل حال ، ولکن دمتری کان بری أیضا أن کوزما _ وهذا هو الأمر الأساسي ــ قد « انقضي » هو أيضًا ، فلا يُعجسب بعد الآن •

أضف الى ذلك أنه لم يكن يستطيع كيراً فى اللحظة الراهنة أن يرى فى هذا العجوز رجلاً ، فلقد كان معلوما فى المدينة أن كوزما ليس اليوم الا خرقة بالية ، وكان الناس لا يجهلون أنه لم تبق له بجرونسنكا الا علاقات أبوية ان صح التعبير ، وذلك منذ زمن غير قصير ، منذ ما يقرب من عام ، صحيح أن موقف ميتيا هذا فيه كتير من السذاجة ، ولسكن ميتيا كان على جانب عظيم من السذاجة حقاً رغم جميع عيوبه ، فكذلك كان يظن لبساطته أن العجوز كوزما الذى يشعر بأنه يوشك أن يبارح هذا العالم كان يحس بندامة صادقة على سلوكه مع جروشنكا؟ وأن جروشند ليس لها فى هذا العالم فى هذه اللحظة صديق أشد اخلاصاً وأكثر تنزها من هذا العجوز الذى أصبح الآن لا ينخشى منه أذى ،

ففى غداة الحديث الذى جرى بين ميتيا وأليوشا على الطبيريق ، ذهب ميتيا الذى لم يغمض له جفن طسوال الليل ، ذهب الى منزل سامسونوف فى الساعة العاشرة من الصباح ، وأعلن عن نفسه ، المنزل مبنى حزين المظهر ، عظيم الانساع ، له طابق فوق الطابق الأرضى ، وله ملحقات كثيرة وجناح فى الفناء ، ان الطابق الأرضى يسكنه ابنا التاجر المتزوجان ، وأخته الطاعنة فى السن ، وابنته التى لم تنزوج ، أما الجناح الذى فى الفناء فيسكنه اننان من مستخدميه فى تجمارته ، أحدهما ذو عائلة كبيرة ، ان أولاد سامسونوف ومستخدميه تضيق بهم مساكنهم ، عائلة كبيرة ، ان أولاد سامسونوف وحده ، الذى كان يرفض حتى ينما الطابق الأعلى وقف على سامسونوف وحده ، الذى كان يرفض حتى عليها ، فى ساعة محددة ، وكلما ناداها ، أن تذهب اليه وأن تصعد السلم رغم مرض الربو الذى تشكو منه منذ زمن طويل ، ان الطابق الأعلى الذى يسكنه العجوز يتألف من حجرات واسعة متتابعة ، مؤثنة على الطراز الذى كان يحبه التجار فى الماضى ، قد اصطفت على طول جدرانها مقاعد الذى كان يحبه التجار فى الماضى ، قد اصطفت على طول جدرانها مقاعد الذى كان يحبه التجار فى الماضى ، قد اصطفت على طول جدرانها مقاعد الذى كان يحبه التجار فى الماضى ، قد اصطفت على طول جدرانها مقاعد الذى كان يحبه التجار فى الماضى ، قد اصطفت على طول جدرانها مقاعد الذى كان يحبه التجار فى الماضى ، قد اصطفت على طول جدرانها مقاعد الذى كان يحبه التجار فى الماضى ، قد اصطفت على طول جدرانها مقاعد

متشابهة تقيدله من خشب الأكاجو ، وعلمنقت في سقوفها تريات من الكرستال مجللة بأغطية ، ووضعت في زواياها مرايا قاتمه ، ان هده الحجرات خالية من السكان الآن ، لأن العجوز المريض أسبح لايغادر غرفة نومه الصغيرة التي تقع في آخر البيت والتي تخدمه فيها خادم عجوز تقمط رأسها دائماً بمديل ، و « صبي » ينام على دكة في الدهليز ، وقد أصبحت ساقاه المتورمتان لا تكادان تتيحان له أن يمشي ، فهو يكتفي بأن ينهض عن كرسيه بمساعدة الحادم العجوز من حين الى حين ليسير بضع خطوات في الغرفه ، وهو قاسي الطبع منجهم المزاج لا يتكلم الا قليلا حتى مع هذه الحادم ،

فلما أُ بلغ زيارة « الكابتن » ، رفض أن يستقبله في أول الأمر ؛ ولكن ميتيا ألح ً أن يراء ، فسأل العجوز ُ الصبي َ هل يبدو على الزائر أنه سكران أو هل يظهر عليه أنه يسعى الى فضيحة ، فقال الغلام :

ــ لا ٠٠٠ ما هو بسكران ، ولكنه لا يريد أن ينصرف ٠

فرفض العجوز مرة أخرى أن ينفتح بابه و ولكن ميتيا لم يفقد سيطرته على نفسه ولم يذهب صبره ، لأنه كان فد تنبأ بالأمر ، وتزود سلفاً بقسلم وورقة و فها هو ذا يكتب على الورقة « أن القضية قضية مستعجلة تتصل بأجرافين ألكسندروفنا من كتب » ، ويرسل الورفة الى التاجر العجوز و فكر سامسونوف بضع لحظات ، ثم أمر الصبى بادخال الزائر الى الصالون ، وأسرع يرسل الخادم العجوز في الوقت نفسه الى النائر الى الصالون ، وأسرع يرسل الخادم العجوز في الوقت نفسه الى ابنه الأصغر آمرا اياه أن يصعد اليه فورا ، فسرعان ما حضر الابن دون أن ينطق بكلمة و انه رجل طويل القامة عريض الجسم قسوى قوة هرقلية ، حليق اللحية يرتدى الزي الألماني (أما سامسونوف نفسه فكان يرتدى قفطانا وكانت له لحية) و ان جميع أفراد الأسرة يرتعدون

خوفا أمام الأب • ولقد استدعى العجور ابنه القوى هسدا لا خوفاً من الكابتن ، فانه لا تعوزه الشجاعه ، ولكن ليكون هنالك ساهد ذا لزم أن يكون هناك شاهد • وها هو ذا يتسند على ابنه وعلى العسبى فيظهر أخيرا في عتبة الصالون كتله ما ما ما وربما كان ينبغى أن نسسلم بأنه كان يشعر بكتير من الاستطلاع والفضول •

ان الصالون الذي كان متما ينتظر فيه هو غرفة واسعة كالحه ، من شأن مظهرها وحده أن يقبض الصـــدر ويهيء النفس للحزن ، وهي مزدانة بثلاث ثريات كبيرة مجلله بأغطية ، وسماط من اللوحات تصطف في القسم الأعلى من العجدران المصنوعة من مقلَّد المـــرمر • كان مشأ جالساً على كرسي قرب الـاب ينتغلـــر أن ينقرر مصيره وهــو في حالة عصبية شديدة و فلما ظهر العجوز في الباب المقابل له على مسافة عشرين مترا ، نهض فجأة وتقدم نحوه بخطى واسعة حازمة هي خطي جندي ٠ لقد كان حسن الهندام ، يرتدي ردنجوتاً معقود الأزرار ، ويحمل ببديه قبعة " مدو "رة ، ويلبس قفازين سوداوين ، تماما كما كان قبل تلائة أيام في الدير عنـــد الشبخ أثناء لقائه بفــدور بافلوفتش وأخويه • انتظره العجوز واقفاً ، رصين المظهر وفور الهيئة ، وشعر مشاحين اقترب منه أنه كان يتفرس فيه ويفحصه بانتباء • وفد خطف بصره ما كان قد أصاب وجه كوزما كوزمتش من تورم شديد منذ زمن • ان شفة كوؤما السفلي، وهي شفة سـمكة ، تتدلى الآن تدلــاً • المحنى سامسونوف أمام ضيفه صامتا رصينا ، وأشار له الى مقعد أمام كنبة جلس عليها هو بتهالك بطيء مستندا الى ابنه مطلقا من صدره بعض الأنين • فسرعان ما شعر ميتيا أمام هذه الحهود الأليمة التي يبذلها العجوز ، بعذاب الضمير من أنه ، وهو الثماب التافه ، قد أجاز لنفسه أن يزعج شخصية مرموقة كهذه الشخصية الكبيرة • قال العجوز أخيرا بعد أن استقر على الكنبة : ــ ماذا تريد يا سـدى ؟

وقد ألقى هذا السؤال بصوت بطىء قاس ، مجزئاً مقاطع كلماته، ولكنه ألقاه بلهجة مؤدبة مهذبة .

ارتعش ميتيا ، وأراد أن ينهض ، ولكنه عاد يجلس فورا ، وبدأ شروحه متكلما بسرعة كبيرة وعصبية سديدة ، مكترا من الحسركات والاشارات ، لأنه كان في حالة اهتياج عظيم ، فمن رآه أحس أنه أمام رجل اندفع الى آخر مدى يحاول أن يجد مخرجاً من مأزقه وأنه مستعد لأن يلقى نفسه في الماء اذا أخفق ، ولا شك أن العجوز سامسونوف فد لاحظ ذلك من أول نظرة ، ولكن وجهه ظل باردا هادئا رصينا مغلقا كأنه وجه تمثال ،

_ لا شك أن كوزما كوزمتش المحترم جدا قد سمع عن منازعاتي مع أبي فيدور بافلوفتش كارامازوف الذي سلبني ميراثي من أمي المرحومة ١٠٠٠ ان المدينة كلها تلغط في هذا الأمر منذ زمن طويل ، لأن الناس هنا قد تعودوا هذه العادة البشعة وهي أن يهتموا بما لا يعنيهم ١٠٠ ولا شك أنك علمت من جروشنكا _ معذرة " ، أردت أن أقول أجرافين ألكسندروفنا التي أحترمها وأبجلها الى غير حد ١٠٠٠

بهذه الكلمات بدأ ميتيا حديثه ، نم لم يلبث أن اضطرب . على أننى لن أنقل هنا أقواله كلمة كلمــة ، وحسبى أن ألخص مضمونها الأساسى • اليكم ما ذكره دمترى : لقد ذكر أنه استشار منذ ثلاثة أشهر محاميا من البندر (كان ميتيا يتعمد أن يستعمل فى شروحه تعابير رائحة فى البئة التى ينتمى البها سامسونوف) • قال :

ـ ذهبت الى بافل بافلوفتش كورنيبلودوف الشــهير الذي لعلك

تعرفه یا کوزما کوزمتش ۰۰۰ هو انسان عریض الجبهة ۰۰۰ له ذکاء یشبه أن یکون ذکاء رجل دولة ۰۰۰ انه یعرفك أیضا ۰۰۰ وقد أثنی علیه ثناء عظیما ۰۰۰

- ثلاثون ألف روبل ، ثلاثون ألف روبل يا كوزما كوزمتش ، مع اننى لم أستطع أن آخذ من هذا الرجل القاسى الا سبعة عشر ألف روبل ، تصور! ولكننى آثرت أن لا أرفع دعوى، لأننى لا أفهم فى شئون المخاصمات شيئاً ٠٠٠ فلما وصلت الى هذه المدينة رأيتنى الاحتق وأطار د (هنا اضطرب ميتيا أيضاً وأسرع يقفز الى موضوع آخر) ٠٠٠ هل تقبل ، فى هذه الشروط ، يا كوزما كوزمتش المحترم ، أن أتنازل لك عن جميع حقوقى عند هذا الشيطان الرجيم ، على أن تدفع لى فى مقابل ذلك ثلاثة آلاف روبل فحسب ؟ ٠٠٠ انك لا تجازف بشىء على مقابل ذلك ثلاثة آلاف روبل فحسب ؟ ٠٠٠ انك لا تجازف بشىء على

الاطــــلاق ، أؤكد لك ذلك صــــادقاً ، وأحلف لك عليه بشرفي ٠٠٠ بالعكس : لسوف تُردُ اللَّكَ هذه الثلاثة آلاف ستة أو سبعه ٠٠٠ وانما المهم أن تتم هذه الصفقة كلهـا « اليوم » • انني مســتعد لأن أوقع عقداً مستجلاً لدى الكاتب بالعدل ، أو سَينًا من هذا القبيل ٠٠٠ أى انني مستعد لكل سيء ٠٠٠ أعطيك الأوراق التي ستحتاج اليها ، وأتنازل لك عن جميع الحقوق التي تريدها ٠٠٠ نبرم العقد فوراً ، في هذا العسباح ان أمكن ، اذا كنت تستطيع ذلك ٠٠٠ ثم تعطيني الثلاثة آلاف روبل ٠٠٠ أنت الذي تعد أغني رجـــل في هذه المدينة ٠٠٠ وبذلك تنقذني وتهب لى فرصة تعقيق مشروع سام جداً نبيل جـــداً في الوافع ٠٠٠ فاتني أضمر عواطف رقيقة لانسانة تعرفها أنت وتسهر علىها وترعاها رعاية الأب ابنته ؟ وما كان لى أن أجيء اليك لولا علمي بأنك قد أصبحت لها بمثابة الأب حقاً • واذا شــئنا الدقة في التعبير وجب أن نقول ان رجالاً ثلاثة يتصادمون هنا ، لأن القدر قوة هائلة رهيبة يا كوزما كوزمتش . فلنكن واقعيين يا كوزما كوزمتش ، لنكن واقعيين ! واذ انك أصبحت منذ زمن طويل لا تُحسب في عداد المتصادمين ، فلم يبق هنا لك الا خصمان يتنازعان • انني أعبر عما بنفسي تعبيراً أخرق ، أنا أعرف ذلك ، ولكنني لست بأديب • المهم أنه لم يبق هنالك الا أنا من جهة ، وذلك الشيطان الرجيم من جهه أخرى • فاختر الآن : أتختـارني أنا أم تختار ذلك الشيطان ؟ كل شيء متـوقف عليك منـــذ الآن • انك تملك في يديك مصائر ثلاثة أشخاص ، وعليك أنت أن ترمي النرد فتفصل في الأمر٠٠ اعذرني اذا رأيتني أرتبك ولا أحسن التعبير : ولكنك ستفهمني ولا شك. اتني أرى من نظرات عينيك المحترمتين أنك ستفهمني ، فان لم تفهمني فلن يبقى لى الا أن ألقى نفسي في الماء ، هذا هو الأمر ٠٠٠

قطع ميتيا حديثه الغسريب المدهش فجأة بعسد أن نطق بجملته

السخيفة تلك: «هذا هو الأمر »، ونهض عن مكانه بوئبة واحدة ينتظر الرد على عرضه المضحك • لقد أحس على حين بغتة وهمو يختم تلك الجملة ، أن كل شيء قد ضاع الى غير رجعة ، وأنه قد ارتكب على وجه الخصوص حماقة كبرى • قال يحدث نفسه مضملطرباً مرتبكاً متحيراً «غريب! كنت حين وصولى أحس أن الفكرة رائعة ، فاذا هي لا تسفر في النهاية الاعن غباء » وكان العجوز أتناء تدفق ميتيا في الكلام ، يحافظ على هدوء وضعه ، ويلاحظ محدثه وقد لاح في عينيه تعيير بارد برودة النلج • فلما أنهى ميتيا كلامه ، جعله العجوز ينتظر الجواب دقيقة ، ثم قال له بلهجة حازمة موئسة :

_ متأسف یا سیدی ! اتنی لا أتعاطی أعمالا من هذا النوع • أحس میتیا بساقیه تنثنیان ! وتمتم یقول و هو یبتسم ابتسامة یرثمی لهیا :

ے ولکن یا کوزما کوزمتش ، ما عسی أصیر الیه فی مثل ہے۔ ذہ الحالة ؟ لقد ہلکت' اذن ، ألا تصدق ذلك ؟

_ آسف ۵۰۰

لبث مينيا جامداً ساكن النظـــرة ، ولكنه لاحظ عنــدئد شيئا من الانفراج في عضلات وجه سامسونوف ، فارتعش وعاوده الأمل فجأة . فال المحوز :

_ أنا يا سيدى لم أتمود تعاطى أعمال كهذه ، عاننى أكره الدعاوى وأمقت المحامين ٠٠٠ ومع ذلك في وسمعى أن أدلك ، اذا شئت ، على شخص يمكنك أن تتجه البه وتتكل عليه ٠٠٠

قدمدم ميتيا يقول:

ــ من هــو؟ آه ٠٠٠ يا رب! انك تردُ الى ً الحيـــاة يا كوزما كوزمتش ا ليس هذا الرجل من هنا ، وليس يقيم الآن في هده المدينة أيضا الله فلاح يتعاطى تعجارة البخشب ، اسمه لياجافى ، وهو يتفاوض منذ سنة مع فيدور بافلوفتش على ثمن الأشجار التي آن قطعها في قريتك تلك نفسها تشرماشنيا ، ولكنهما لم يتفقا على التمن كما لعلك تعلم ذلك ، وقد جاء الى المنطقة من جديد ، وهو يسكن الآن عند القس ايلسكى في قرية ايلنسكى التي تبعد اثنى عشر فرسخا عن محطة فولوفيا ، وقد كتب الى في موضوع الأشجار هذه مستنصحاً ، وأحسب من جهة أخرى أن في دور بافلوفتش يعتزم الذهاب اليه ، فاذا أنذرت فيلمور بافلوفتش وعرضت على لياجافى ما عرضته على الآن ، فمن الجائز أن ، و مد

فقاطعه مشا قائلاً بحماسة:

_ ولكن هذه فكرة عبقرية! ذلك هو الرجل الذى أنا فى حاجة اليه؟ هذه الصفقة صفقته! انه يساوكم على السعر ، وينطلب منه مبلغ باهفك ثمناً لأشجار يقطمها ، فاذا هو يبجد بين يديه أوراقا تجمله مالكاً للمنطقة بأسرها! هاهاها! •••

انفجر ميتيا يضحك ضحكته الصغيرة الجافة على نحو لم يكن في حسبان العجوز ، فلم يملك العجوز الا أن يرتعش قليلا .

واستأنف ميتيا كلامه قائلا وهو يغلى ويفور أملاً :

_ كيف أشكر لك جميلك يا كوزما كوزمتش ؟

فقال سامسونوف وهو يبحني رأسه :

- لا داعي الى الشكر •

ـ أوه ! انك لا تعلم • • • لقد أنقذتنى من اليأس • • • قلبى هو الذى هدانى اليك • • • والآن ، الى ذلك القس !

ـ لا داعي الى الشكر .

- اننى ذاهب الى هناك ! سأركض الى هناك ركضاً ! لقد أسرفت فى الاستفادة من لطفك وذوقك وكياستك ، بينما أنت مريض موجع٠٠ أوه ! لن أنسى جميلك ما حييت ٠ ان روسياً هــو الذى يعدك بذلك ، رو ٠٠٠ ساً ٠٠٠

ـ طب

أراد ميتها أن يمسك يد العجوز ليصافحها شاكراً ممتناً ، ولكنه لاحظ وميضا خبيثا في عيني العجوز في تلك اللحظة ، فأمسك فسورا ، وأرخى يده ، غير أنه سرعان ما لام نفسه على سوء ظنه ، وقال لنفسه : « لا بد أن يكون متعا ٠٠٠ » ، وهتف يقول بصوت مدو :

ـ هذا من أجلها يا كوزما كوزمتش ، هذا في سبيلها !

ثم حياً العجوز َ بانحناء ، واستدار ، واتجه نحر والباب بعظى واسعة دون أن يلتفت بعد ذلك ، كان ينبض حماسة ، قال لنفسه ، ه ظننت أن كن شيء قد ضاع ، ولكن ملاكي المحارس أنقذني ، فحين يدلني رجل خبير من رجال الأعمال على هذا الطريق (ما أبل نفسه ، وما أعظم مهابته !) ، فمعني ذلك أنني ربحت القضية ، ٠٠ ما ينبغي أن أضيع دقيقة واحدة ، سأذهب الى هناك حالا ، ثم أعود قبل الليل ، ٠٠ نعم قبل الليل ، ١٠ أصبح الأمر في جيبي ا ذلك أن العجوز لايمكن أن يكون قد سيخر مني على كن حال ! » ، بذلك كان ميتيا يحدث نفسه وهو يتجه الى بيته ، ولم يكن يمكنه في الواقع أن يتصور الا أحد أمرين لا ثالث لهما : فاما أن المسألة مسألة حل مضمون يوصي به رجل

له خبرة سامسونوف الذي كان على علم بالموقف وكان عدا ذلك يعرف لياجافي هذا _ يا له من اسم غريب ! _ واما أن العجبوز قد سخر منه وضحك عليه ! والحق أن هذا الافتراض الناني كان هو الصحيح • لقد ظل العجوز سامسونوف زمناً طويلا بعد وقوع الكارئة يضحك كلما تذكر أنه دبير مكيدة لهذا « الكابتن » • ان سامسونوف اسسان سيء الطوية قاسي القلب ساخر النفس ، كثيرا ما يخالط الكره في نفسه مرض • ترى هل فعل ذلك بسبب ما رآه عند مينا من حماسة شديدة وحميا عظيمة واعتقاد ساذج بأنه برهو سامسونوف ، يمكن أن تنطلي عليه هذه العروض الخداعة تصدر عن رأس محموم و « سلة متقوبة » من همذا النوع ؟ أم أنه فعل ذلك بسبب ما شعر به من غيرة على جروشنكا التي جاء هذا « الولد الطائش الفاجر » يسأله المال باسمها من أجل مشروع سخيف مضحك ؟ لا أدرى أي الدافين فعل في نفس الشيخ حين كان مينيا يقف أمامه شاعرا بانثناء ساقيه هاتفا في غباء أنه هلك ! المهم أن منسسونوف انما ألقي عليه في تلك االمحفله نظرات خبيثة وقرر أن يضحك عليه ويسخر منه •

وما ان انصرف ميتيا حتى التفت كوزما كوزمتش الى ابنه ، وقد شحب لونه من شدة الغضب ، فأمره بأن يفعل كل ما يجب فعله حتى لا يستطيع هذا الشاب الرث أن يظهر في منزله مرة اخرى في المستقبل وأن لا يُسمح له بدخون الفناء ، والا ٠٠٠

ولم بكمل كوزما كوزمتش تهديده ، ولكن ابنه ارتمد خوفا ، رغم أنه سبق أن رآه غاضبا مرات كنيرة • وظل العجوز بعيد ذلك ساعةً كاملة فريسة حنق شديد يرتعش منه جسمه كله • حتى اذا جاء المساء أحس ً بألم ووهن ، فنادى الممرض الذى يجرعه أدويته •

ليساجهافث



كذلك كان يردد ميتيا على نفسه • ولكنه لم يكن قد بقى معه مال لاستئجار خيول • ان فى جيبه بضعة قروس ، فذلك كل ما بقى له من سنى التراء التى عاشها! لكنه تذكر أن عنده فى البيت

ساعة فديمة من فضه ، متعطلة منذ زمن طبويل ، فحملها الى تاجسر ساعات يهودى ، له دكان قرب السوق ، فاشتراها منه هذا التاجر بسبتة روبلات ، هنف مينيا يقول لنفسه متحمسا : «لم أكن آمل أن أحصل على هذا المبلغ كله! » (أصبحت حماسة مينيا لا تفتر!) ، وعاد الى مسكنه بالمبلغ مسرعا ، وأكمله باقتراض ثلاثة روبلات من أصحاب الدار التى يقيم فيها ، ولقد قبل أصحاب الدار أن يقرضوه راضين مسرورين ، رغم أنهم كانوا هم أنفسهم في عسر، وذلك لأنهم يحبونه كتيرا، وأبلغهم مينيا ، وهو على ما هو عليه من فرح طافح ، أن مصيره سيتقرر ، وشرح مينيا ، وهو على ما هو عليه من فرح طافح ، أن مصيره سيتقرر ، وشرح والقرار الذي اتخذه سامسونوف ، والآمال التي أشرقت في نفسه ، النح ، وكان هؤلاء الناس الطيبون على علم سابق ببعض أسراره ، وهذا هو وكان هؤلاء الناس الطيبون على علم سابق ببعض أسراره ، وهذا هو السبب في أنهم كانوا يعدونه واحدا منهم ، فهو « سيد » لا يتكبر ولا يتعلى ، فلما أن جمع مينيا تسعة روبلات على هذا النحو ، أمر بخيول

للسفر الى فولوفيا • ولكن هذا أليَّف واقعة ثابتة ستُذكر فيما بعد : « في عشية الحادثة ، لم يكن ميتيا يملك قرشاً واحداً ، حتى لقد اضطر ، من أجل الحصول على شيء من المال ، أن يبيع ساعته وأن يستدين ثلاثة روبلات من أصحاب الدار ، وذلك كله تشهد به شهود • » •

اننى أذكر هنا هذا الفلرف الذى لن تظهر خطورة شأنه الا فيما .

كان ميتيا ، أثناء انطلاق الخيسول به الى فولوفيا بسرعة ، مشرق الأمال متهلل النفس ، كان يتنبأ فسرحاً بأن « جميع هسف الشئون » ستسوتى أخيرا ، ومع ذلك كان يقلق ويرتعش خوفا فى بعض اللحظات حين يتساءل ما عسى تصير اليه جرونينكا أثناء غيابه ، هبها قررت فى ذلك المسساء نفسه أن تذهب الى فيسدور بافلوفتش ؟ انه بسبب هذا الافتراض انما قرر أن لا ينبئها بأمر سفره ، كما أنه أمر أصحاب داره أن لا يكشفوا لأحد عن المكان الذى سافر اليه اذا هم سئلوا عن ذلك ، «بعجب أن أعهود قبل هبوط الليل ، مهما كلف الأمر ، مهما كلف الأمر » وكان يكرد لنفسه بينما كانت العربة تنطلق به الى فولوفيا مسرعة وتهزه هزا قوياً ، وكان يحدث نفسه أثناء تعجله المحموم هذا قائلاً : وكان يحدث نفسه أثناء تعجله المحموم هذا قائلاً : نفسة أثناء تعجله المحموم هذا قائلاً : لن يتحقق على ما رسم له من « خطط » وا أسفاه !

فهو أولاً قد وصــل متأخراً ، لأنه سلك ، ابتداء من فولوفيا ، طريقا من الطرق التى تصل بين القـرى الصسغيرة ، فلم يقطع اثنى عشر فرسخاً بل ثمانية عشر • ثم ان القس ايلسكى لم يكن فى بيته لأنه كان قد ذهب الى ضيعة مجاورة • فلما عثر عليه ميتيا أخيرا فى تلك الضيعة التى تابع طريقه اليها بخيوله المكدودة المنهوكة ، كان الليل قد أوشــك أن يهبط • وسرعان ما ذكر له هذا الكاهن ، وهو رجل لطيف خجول

المظهر ، أن لياجافي قد نزل عنده فعلاً في أول الأمر ، ولكنه يقيم الآن في سوخوي بوزيولوك ، وأنه سيبيت هذه الليلة في عزبة حارس الحراج لأن له أعمالاً ينجب أن ينجزها هناك • فتوسل اليه ميتيا أن يصحبه فورا الى لياجافي وأن « ينقذه » بذلك ، فتردد القس في أول الأمر ، لكنه وافق أخيرا على أن يراففه حتى سوخوى بوزيولوك ، وكان واضحا أن الفضول هو الذي دفعه الى هذه الموافقة • ومن سوء الحفل أنه نصب بقطع الطريق سيرًا على الأقدام ، لأن المسافة لا تزيد على فرسخ واحد يسير بخطى مديدة على عادته في السير ، فكان الكاهن العائر الحف مضطراً الى أن يماشيه راكضاً أو شبه راكض • ان هذا الكاهن رجل ما يزال غض الاهاب ، وهو في أحاديثه شديد التروي والتعقل والحذر • وسرعان ما أطلعه ميتيا على مشاريعه ، عرضها له بحرارة وسأله بعض النصائح في أمر لياجافي ، بالحاح عصبي ، وظل يتكلم على هذا النحو طول الطريق • فكان القس يصـــغي الى كلامه بانتباء ، ولكنه كان ضــنيناً بالأجوبة ، يقتصر على أن يكرر في الجواب على أســـئلة ميتيا الملحة : « لا أعلم ، مع لأسف • أنَّى لى أن أعلم ! » • ولما حدثه ميتيا عن نزاعه مع أبيه في موضــوع الميراث ، ذعر القس ، لأنه كان مرتبطاً بفيدور بافلوفتش من بعض النواحى فيما يبدو ؟ ومع ذلك سأل ميتيا عن سبب اطلاقه اسم لياجافي على هذا الفلاح جور سكين ، وذكر له أن هذا الفلاح لا يسميه أحد بهذا الاسم رغم انه اسمه فعلاً ، لأنه يستاء استياء شديداً من مناداته بهذا الاســـم ، وانه لا غنى عن مخاطبته باسم جورسكين ه والا فلن تفلح معه في شيء ، بل ولن يسمع لك » · بهذه العبارة ختم القس كلامه ، فدهش ميتيا قليلاً ، وأجاب بأن هذا الاسم هو الاسم الذي ذكره له سامسونوف نفسه. فلما سمع الكاهن ذلك أسرع يغير الحديث. ولعله كان يحسن صنعاً لو أفصح لميتيا عن الشك الذي راوده والشبهة التي خطرت بباله : لئن أرسله سامسونوف الى هذا الفلاح مطلقاً عليه اسم للجافي ، فمن الجائز جـدا أن يكون فد فعل ذلك ســخراً به وضحكاً علمه ؟ ولا بد أن يكون في الأمر شيء « يعرج » على كل حال • ولكن ميتيا لم يكن في وقته متسع للتلبث على « متل هذه السفاسف » •فهو يغذُُّ السير ويمشى بخطى مديدة ، ولم يدرك أن المسافة التي قطعها ليست فرسمخاً ولا فرسمخاً ونصف فرسخ ، بل ثلاثة فراسخ على الأقل ، لم يدرك ذلك الاحين وصل الى سوخوى بوزيولوك • ومع ذلك كبح جماح غضبه وسيبطر على حنقه • ودخل الرجلان العزبة التي كان حارس الحراج، وهو رجل يعرفه القس، يشغل نصفها ، بينما كان نصفها الناني الذي يفضل لأول عناية" وصانة والذي يفصله عن النصف الأول دهلنز ، موضوعاً تحت تصرف جورسكين ؛ ومضى الرجلان الي جورسكين رأساً بعد أن أشعلا شمعةً • كانت الغرفة مدفَّأةً تدفئة شديدة ، وعلى مائدة من خشب السنديان يُرى سماور منطفىء وسسنة وفناجين وزجاجة « روم » فارغة وابريق ما يزال فيه بقايا خمـــر ، وكسرات خنز • أما للجافي فكان مستلفا على دكة ، قد لف سترته واتخذها وسادة ، وكان يشحر شحيراً ثقيلاً • نظر الله منها متحيراً ، ثم قال في قلق:

يحب ايقاظه طبعا ! ان القضية التي جئت من أجلها ملحة ، وأنا
 في عجلة من أمرى ، لأن على أن أرجع في هذا اليوم نفسه .

صمت القس والحارس ولم يقولا رأيهما • واقترب ميتيا من النائم وأخذ يحاول ايقاظه ، فكان يهزه هزآ قوياً ، ولكنه لم يظفر بشيء ؟ ولاحظ بعد برهة أن الرجل سكران ، فقال :

- هو سكران ، فماذا عماى أصنع ؟ ما عماى أصير ؟ يا رب ! واذ بلغ الدروة من تفاد الصبر ، شد الشاخر من ذراعيه ، ثم شده من ساقيه ، ثم انهض رأسه ، ثم أجلسه على الدكة ، فلم يستطع أن يستطع أن يستطع أن ينتزع منه بعد جهود طويلة الا بضع دمدمات تتخللها ثنتائم مقدعة رغم اضطرابها .

قال القس أخيراً:

ـ خير لك أن تنتظر ، فما هو في حالة تمكنه من المناقشة .

وقال الحارس:

_ لقد ظل يشرب طول النهار •

فصاح ميتيا يقول:

ــ آه! يا رب! لو علمتما مدى حاجتى اليه ، وفي أي ظرف أنا! •••

قال القس:

ــ لا حيلة في الأمر ، لا بد من الانتظار الى صباح غد ٠

ـ الى غد ؟ انك لا تفكر في الأمر ! هذا مستحيل !

واشتد به الكرب فأراد أن يهز السكران من جديد ، ولكنه لم يلبث أن عدل عن ذلك ، لأنه أدرك أن جهوده عبث لا فائدة منه ، وقد صمت القس فأصبح لا يقول شيئاً ؛ أما الحارس فكان شديد النعاس فسكت كذلك كالح الوجه عابس الهيئة ،

قال ميتيا وقد بلغ أوج الحيرة والاضطراب:

- المحياة تهى، للانسان في بعض الأحيان مهازل فاجعة مبكية من هذا النوع!

وكانت قطرات من العرق تسيل على جبينه • وانتهز القس لحظة هدنة وهدوء فأوضح كيف أن ايقاظ النائم لن ينفع في شيء ، لأنه لن يكون قادرا على المناقشة وهو فيما هو فيه من سكر شديد • وختم القس كلامه قائلا:

ــ وما دام الأمر الذي جئت من أجله هاماً ، فالأفضل أن ترجئه الى الصباح .

فوافق ميتيا على هذا الاقتراح وهو يحرك ذراعيه معبراً عن العجز، قال :

ـ طيب يا أبي • سأبقى هنا مع الشمعة أرقب اللحظة المواتية ، فمتى استيقظ كلمته •

وأضاف يقول ملتفتاً نحو الحارس:

ـ وسأدفع لك ثمن الشمعة ، وسأدفع لك أيضا أجر قضاء الليلة هنا • سوف تتذكر دمترى كارامازوف •

ثم عاد يخاطب القس فسأله :

ــ ولکن أين تنام أنت يا أبي ؟

فأجابه القس بقوله:

ـ الأمر بسيط • أعود الى بيتى •

وأضاف يقول مومثاً الى الحارس:

ــ سیمیرنی فرسه • والآن نعمت مساءً • أرجو لك التوفیق كله • وذلك ما كان • عاد القس الى بیته على الفرس ، سمیدا بخلاصه من میتیا • وكان فی أثناء الطریق یحرك رأسه قلقاً بعض القلق ، متسائلا

ألا يحسن به أن يبلغ فيدور بافلوفتش أمر هذه القضية العجيبة منذ الغد، قائلاً لنفسه: « انه اذا علم بالأمر لسوء الحظ ، فقد يغضب منى فيمنع عنى خيراته • » • أما المحارس فقد حك ّرأسه وعاد الى غرفته دون أن ينطق بكلمة •

جلس ميتيا على الدكة مترقباً اللحظة المواتية كما فال ، وقد هبط عليه حزن عميق شمله كضباب كثيف • وأراد أن يفكر وهو على ماهو علمه من ارهاق شديد وكرب لا حدود له ، ولكن أفكاره كانت تتهرب•

ان الشمعة تذوب ببطء ؟ وهذا جدجد يغنى في مكان ما ؟ والهواء قد أصبح خالقاً في الغرفة المدفأة تدفئة زائدة • وفجأة تراءّت لحيال ميتيا حديقة أبيه ، والممر الذي يقع خلف الحديقة ، وتراءى له باب ينفتح خلسة في المنزل ، وتراءت له جروشنكا تتسلل من الباب • • • فاذا هو يش عن الدكة واقفاً ! • • •

دمدم يقول وهو يصرف بأسنانه:

_ يا للمأساة!

ثم دنا من النائم بخطوات آلية ، وأخذ يتفرس في وجهه ، انه فلاح نحيل ما يزال شابا ، شديد استطالة الوجه ، مضفور الشعر ، لذقنه لحية طويلة رقيقة ، يرتدى قميصا هنديا وصديرة سوداء تتدلى من جيبها سلسلة سباعة من فضة ، تأمل ميتيا وجهه ، فشعر بكره شديد لهذا الرجل ، وأحنقته ضفائره خاصة ، لا يدرى لماذا ! وبدا له أنه أمر لا يطاق ، أمر مذل مهين أن يكون عليه ، هو ميتيا الذي جاء لأمر مستعجل هام ضحى في سبيله بكل شيء ، أن يكون عليه أن ينتظر هنا ممز ق القلب هما ، بينما هذا الكسلان « الذي يتوقف عليه مصيرى في هذه الساعة يغط في النوم كأن شيئا لم يكن ، وكأنه على كوكب آخر ، ه

صاح ميتيا يفول فحأة :

ـ آه ٠٠٠ يا لسخريه القدر!

وطاس صوابه فهجم على الفلاح السكران مرة أخرى يريد أن يوقظه • انه الآن حافد عليه فها همو ذا يهزه بكل ما أوتى من قوة ، وها هو ذا يصدمه ، بل ها هو ذا يضربه • ولكن جميع جهوده ذهبت سدى ! فلما رأى بعد خمس دقائق من الجهود الضائعة أنه لا سبيل الى ايقاظه ، عاد الى مكانه وجلس شاعرة باضطراب عاجز وهو يكرر قوله :

_ يا للسخف! يا للغاء!

ثم اذا هو يضيف الى ذلك فجأة دون أن يعرف لماذا :

_ يا للذل أيضا! يا للعار!

وأخذ يشعر بصداع رهيب في رأسه • وتساءل لحظة : « أأعدل ؟ أأرجع ؟ » ولكنه أجاب يقــول : « بل سأتنظر الى الصـباح • سأبقى خصيصا ، خصيصا ! سيستحق الأمر أن أكون قد جثت الى هنا ••• ثم ما عساى أفعل لأرحل بغير خيل ؟ أوه ! ما أسخف هذا كله ! ••• » •

وكان صُداع رأسه ما ينفك بشتد أثناء ذلك ، وظل ساكناً جامداً دون أن يلاحظ النعاس الذي كان يستولى عليه شيئا بعد شيء ، ونام آخر الأمر جالساً ، لا بد أنه نام على هذه الحال ساعة أو ساعتين ، فلما استيقظ كان يشعر بألم فظيع في الرأس ، ألم لا يطاق ، حتى ليوشك ميتيا من فرط شدته أن يصرخ ، كان صدغاه يطنان طنينا ، وكان يحس بوجع في القذال ، فلما فتح عينيه لم يستطع أن يسترد حواسه ، وانقضت برهة طويلة قبل أن يفهم ما به ، ثم أدرك على حين فعجأة أن الغرفة المسدفأة تدفئة زائدة تمتلى وكان السكران ما يزال يغسط في نومه على الدكة ، يموت اختناقا ، وكان السكران ما يزال يغسط في نومه على الدكة ،

وكانت الشمعة التى انصهرت انصهارا تاما تهم أن تنطفى، • صرخ ميتيا وأسرع الى غرفة المحارس مترنح الحظى • فسرعان ما استيقظ المحارس، ولكن لم يبد عليه أنه انفعل كثيرا حين علم بما حدث ، وانما مضى يتخذ الاجراءات اللازمة ببرودة وقلة اكتراث ، فدهش ميتيا من ذلك حتى كاد ينفجر غضا • وصاح يقول مضطربا اضطرابا شديدا :

_ لقد مات ، مات • • •

فتُح الباب ، وفتحت نافذة ، ودخل الهـــواء الى الغرفة ، ونظفت مدخنة المدفأة المسـدودة ، ومضى مينيا فجــاء بقادوس ماء فأغطس فيه رأسه ، ثم تناول خرقة فبللها بالماء ووضــمها على جبين لياجافى ، فكان الحارس ينظر اليه أثناء ذلك هادئاً هدوءاً يوشك أن يشتمل على احتقار ؟ وقال بلهجة متجهمة بعد أن اكتفى بفتح نافذة :

_ هذا كاف .

ثم رجع الى غرفته ينام ، اركا لينيا سراجاً مشستعلاً ، ظل ميتيا يتحرك قرابة نصف ساعة الى جانب السكران الذى يوشك أن يكون مختنقاً ، وظل يجد دله الكمادات المبتلة مرة بعد مرة ، وقرر أن يستمر على هذه الحال حتى الصسباح ، ولكنه جلس ليستريح لحظه فصيرة ، فسرعان ما أغمض عينيه ، واضطجع على الدكة دون أن يلاحظ ذلك ، ولم يلبث أن الم على الفور نوماً تقيلاً ،

فلما استيقظ كان الوقت ضحى • لقد دقت الساعة التاسعة ، والشمس تسطع من خلال نافذتى الغرفة الصغيرتين ؟ والفلاح المضفور الشعر قد ارتدى ثيابه كاملة ، وجلس الى المائدة التي كان عليها سماور جديد وابريق خمر جديد قد أُنفرغ نصفه منذ الآن (كان الابريق الأول فارغاً ليس فيه قطرة واحدة) ، فنهض ميتيا بوثبة واحدة ، وأدرك

منذ النظرة الأولى أن الفلاح اللعين قد سكر من جـــديد ، وأن سكره سيكون في هذه المرة عميقا لا برء منه ولا علاج له • ظل ميتيا يبحد ق الى الفلاح دقيقة محملق العينين • أما الفلاح فكان يلاحظ ميتيا صامتاً، بشيء من الخبث والمكر ، الى هدوء مهين ، بل والى ثقة مستخفة محتقرة، فيما بدا لميتيا • قال له ميتيا :

ــ معذرة ٠٠ أعتقد ٠٠ لا بد أن حارس الحراج قد أخبرك ٠٠٠ أنا الليوتنان دمترى كارامازوف ، ابن العجوز كارامازوف الذى تفاوضه في أمر "ممن أشجار الغابة ٠٠٠

فأجابه الفلاح يقول بيقين هادىء وثقة كاملة مقطعا كلامه :

- ـ أنت تكذب! هذا غير صحيح!
- كيف ؟ أنا أكذب ؟ انك تعرف فيدور بافلوفتش مع ذلك !
 فقال الفلاح رخو ً الفم :
 - ـ أنا أجهل من هو فيدور بافلوفتش!
- ــ كيف هذا ؟ لقد ساومته على نمن أشجار الغابة التي ستقطع هلاً استيقظت أخيراً ؟ هل ثبت الى رشدك ! ان الأب بولس ايلنسكى هو الذي جاء بي الى هنا تذكر ••• ولقد كتبت أنت الى سامسونوف، فأرسلني سامسونوف اللك •

كذلك قال ميتيا لاهثاً مختنقاً • فعاد لياجافي يقول له:

- _ أنت ٠٠٠ تك ٠٠٠ لمان ٠
- فأحس ميتيا بقشعريرة باردة في ظهره •
- ــ أرجوك ! ليس الأمر مزاحاً لعلك سكران قليلا حاول أن تتكلم جاداً • افهمني • أو • أصبحت لا أفهم !

_ أنت صبًّاغ! هذه هي مهنتك!

_ أرجوك ، أتوسل اليك ! أنا كارامازوف ، دمترى كارامازوف ، وقد جثت أعرض عليك صفقة ٠٠٠ صفقة رابحة ٠٠٠ رابحة جدا لك ٠٠٠ صفقة تتعلق بهذه الأشجار نفسها التي ستقطع ٠٠٠

أخذ الفلاح يلاعب لحيته بوقار ورصانة • ثم قال :

_ ه_ ذا كذب ! لا شك أنك قد تواطأت على جـريمة وتريد أن تدحر جنى • أنت نذل ، نعم نذل •

قال ميتيا محتجاً وهو يعقف ذراعيه كمداً ويأساً :

_ أؤكد لك أنك مخطىء!

عندئذ أغمض الفلاح عينيه نصف اغماض ماكرا ، وهو ما يزال بلاعب لحيته • ثم قال :

ــ تاتاتا ۱۰۰۰ انبی لأوثر أن تفول لی ما هــو القــانون الذی يجيز للناس أن يقترفوا النذالات ۱ هل تسمعنی يا نذل ؟ أنت نذل ، هــل تفهم ؟

تقهقر ميتيا وقد أظلمت نفسه اظلاماً تسديدا • وعندئذ برقت فى ذهنه فكرة مفاجئة ، « كأن أحداً ضربه على جبينه » ، كما روى هسو ذلك فيما بعد • لقد اتضح كل شىء فى فكره الآن • « كان ذلك الهاماً مباغتاً ، فأدركت كل شىء » • تساءل ميتيا ، مذهولا ، كيف أمكن أن ينساق ، هو الرجل الذكى رغم كل شىء ، كيف أمكن أن ينساق الى وضع سخيف هذا السخف ، وكيف أمكن أن يندفع فى مغامرة كهذه المنامرة ، وأن يستمر فيها قرابة أربع وعشرين ساعة ، وأن يشغل نفسه بلياجافى هذا واضعاً على جبينه كمادات مبللة ••• « انه سكران ، سكران ، سكران

سكراً فغليعاً ، وسيغلل يشرب على هذا النحو أسبوعاً بكامله ٠٠٠ فعلام أنتظر مزيدا من الانتغلار ؟ وماذا اذا كان سامسونوف قد سيخر منى وصحك على بارسالى الى هنا ؟ وماذا اذا هي ٠٠٠ أثناء هذه المدة ٠٠٠ قد ٠٠٠ آه ٠٠٠ يا رب ! ماذا صنعت بنفسى ؟! ٠٠٠ ه ٠

كان الفلاح ينظر الله هادئا ضاحكا • فلو فد كان منتا في ظرف غير هذا الظرف اذن لانقض على هذا الأبله حانقاً فصرعه ، ولكنــه كان يشمر في تلك اللحظة أنه ضعف كطفل • فها هو ذا يتجه نحو الدكة بعخطی بطیئة ، فیرتدی معطفه ، ویخرج من الغرفة دون أن یقول کلمة واحدة • ولم يجد حارس الحراج في الغرفة الأخرى ، فتناول من جبيه خمسين كوبكا فوضعها على المنضدة ثمنأ للشمعة وأجرآ للمبيت وتعويضا عن الازعاج • وحرج من العزبة ، فوجد نفسه في قلب الغابة دون أن يكون هناك شيء يمكن أن يستهديه في معـــرفه طريقه ؟ فسار على غير هدى ، لأنه لم يتذكر حتى الجهة التي جاء منها ، فلم يعرف أيتجه يمنة ً أم ينجه يسرة حين يخرج من منزل الحارس • انه ام يلاحظ الطريق في اللبلة البارحة من شدة تعجله • وهـــو الأن لا يشعر بأية رغبة في الانتقام ، حتى ولا من سامسونوف ، أنه يسير في ممر الغابة لصيق ، خاوى الرأس زائغ النظرة ، كأنه يبحث عن « فكرة ضائعة » ، ولا يهمه أن يعرف الى أين كان ذاهبا ! ان في وسع طفــل صـــخير أن يقلبه على الأرض في نلك اللحظة بسهولة ، من فرط ما كان يعاني من ارهاق جسمي ونفسى مماً • ومع ذلك خرج أخبرا من الغابة ، فوجد نفسه فجأة أمام حفول محصودة عارية تنسبط على مدى النصر • قال في نفسه وهو مايزال يسير فدماً دون أن يلوي على شيء : « كأن النَّاسِ والموت قد مرًّا بهذا المكان! ، ٠

وأنقذه فلاحون • ان عربة تنقل تاجراً عجـــوزاً كانت تسير على

طول الطريق الذي يصلى بين قرى صغيرة • فلما بلغت العربة سأل حوذيتها عن الدرب ، فاتفق أن كان الحوذي ذاهبا الى فولوفيا أيضا • وسرعان ما تم الاتفاق بينه وبين الحوذي ، فركب ميتيا الى جانب المسافر العجوز • وبعد ثلاث ساعات وصلت العربة الى محطة فولوفيا ، فلاحظ ميتيا على حين فجأة ، بعد أن أمر بحيل تقله الى المدينة ، أنه يكاد يموت جوعاً ؛ فبينما كانت الحيل تقرن ، أمر لنفسه بطبق من عجة التهمه التهاماً مع فطعة كبيرة من الحبر ، ثم انقض على سجق وجده جاهزاً ، وشرب ثلاث أقداح صغيرة من الفودكا • حتى اذا استرد بذلك قواه ، شميعر بتجدد شجاعته ، واستعاد صحو ذهنه •

العنيل تنجرى ، وميتيا يبحض الحسودى على مزيد من السرعة ، ويهى ويهى ويهى الوقت نفسه « خطة » جديدة ، خطة « لا تخطى » في هذه المرة ، من أجل الحصول على « هذا المبلغ اللعين » قبل نهاية ذلك اليوم. هتف يقول مشمئزاً الممئزازاً عميقا : « كيف يمكن أن يهسوى مصير انسان بسبب هذه التلاث آلاف روبل الحقيرة ؟ • لأجدنها في هذا اليوم نفسه ! » • وكان يمكن أن يجعله هذا التصميم سعيدا ، لولا أن التفكير في جروشنكا كان يحاصره • « ما الذي صارت اليه ؟ ماذا حدث لها ؟» • كان هذا السؤال يطعنه في كل لحظة كشفرة مسنونة • ووصلت العربة أخيرا ، فأسرع ميتيا الى جروشنكا رأساً •

من جم الازهب



هذه الزيارة انما تحدثت جروشتكا الى راكيتين مذعورة • كان قد سراها ، وهي تنتظر الرسالة التي يعرف القارىء أمرها ، أن ميتيا لم يظهر منذ يومين ، وكانت تقول لنفسها انه قد لا يحيء

قبل رحیلها باذن الله و ولکنه ظهر علی حین فجأة و والقاری، یعرف التتمة، یعرف کیف تعللت له بضرورة ذهابها الی کوزما کوزمتش حالاً «لاجراء بعض الحسابات» ، وکیف رجته أن برافقها ، وکیف استقطعته علی نفسه وعداً ، حین ترکته أمام منزل التاجر العجوز ، بأن یجی فی منتصف اللیل لاصطحابها الی منزلها ، وقد سعد میتیا بهذه التسویة ، قال لنفسه : « ما دامت ستقضی السهرة عند کوزما کوزمتش ، فلن تذهب الی فیدور بافلوفتش ، ، ولم یلبث أن أضاف یحدث نفسه قائلاً : « اللهم الا أن تکون کاذبة ، » ولکنه کان یعتقد بأنها صادقة ، انه ینتمی الی تلك الفئة من الغیورین الذین یتخیلون أفظع الأشیاء متی ابتعدوا عن المرأة المحبوبة ، ویعانون عذاباً رهیباً من تصور « خیانتها » لهم أثناء غیابهم ، ولکن میتیا کان متی التقی بحروشنکا مرة أخری مضطرباً قلقاً یالساً معذب النفس من یقینه بأنها خانته ، لا یلت أن یسترد شیجاعته حین یری معذب النفس من یقینه بأنها خانته ، لا یلت أن یسترد شیجاعته حین یری

وجهها الضــاحك الرفيق المرح ، فاذا هو يطرد من فكره كل شيء ، ويشعر بالخجل من غيرته ، ويلوم نفسه على قلة النقة .

بعد أن قام ميتيا بمرافقه جروسكا الى منزل سامسوبوف أسرع يعود الى بيته • ان هناك مسائل كنيرة بفى عليه أن يحلها فبل حلول الغد! وكان يشعر على الأفل بأن حملاً نقيلاً فد انزاح الآن عن صدره غير أنه لم يلبث أن فال لنفسه : « ينبغى لى أن أسأل سمردياكوف ، بأقصى سرعه ممكنة ، هل حدب سىء فى الليلة البارحة ، هل ذهبت جروشنكا الى فيدور بافلوفتش أمس ؟ » • هكذا استعلت الغيرة فى فلبه المعذب من جديد ، قبل أن يتسع وقته للعودة الى بيته •

الغيرة! « ليس عطيل غيوراً ، انه واثق » ، كذلك فال بوشكين و ان هذه الملاحظة البسيطة تشهد بعمق عبقرية شاعرنا القومى و ان ما عاناه عطيل من قلق النفس واضطراب الأفكار ناشىء عن انه ه فقد ايمانه بمنله الأعلى » و ولكن عطيل ما كان له أبداً أن يرضى لنفسه هوان المرابطة في مكان ما من أجل أن يتجسس ويترصد ويترقب: انه أكتر ثقة من أن يفعل ذلك و بالعكس: كان لا بد من دفعه ومن تقديم البراهين له ، ومن تحريضه بالأدلة الدامنة لحمله على تصهور الخيانة و ولا كذلك الغيور الحق و لا يستطيع المرء أن يتخيل مدى ما يمكن أن يهوى اليه الغيور من درك الدناءة والحطة دون أن يشعر بأى خجل من ذلك و فيس الغيور من درك الدناءة والحطة دون أن يشعر بأى خجل من ذلك و فيس معنى هذا أن الغيورين أناس يتصفون بحقارة النفس حتماً و لا وويس بختبىء تنحت السرر ، وأن يرشى أناساً قذرين ، وأن يستخدم أحط بختبىء تنحت السرر ، وأن يرشى أناساً قذرين ، وأن يستخدم أحط أنواع التجسس! وما كان لعطيل أبداً أن بذعن للخيانة ما أقول يذعن طمل للخيانة ولا أقول يغفرها ما من شيء الا ويمكن أن يدعن له منعن أن يه نفساً رقيقة بريئة كنفس طمل صغير و ولا كذلك الغيور الحق! ما من شيء الا ويمكن أن يدعن له عند له بنعن أن يدعن له عند له نبية كنفس طمل صغير و ولا كذلك الغيور الحق! ما من شيء الا ويمكن أن يدعن له

أسرع الناس الى الغفران ، والنساء يعرفن هذا ! هم قادرون ملاً على أن يمسيحوا خانه مشهوده (بعد أن يبوروا نوره عيفه في البدايه طبعاً) ، وقبلات وعناقات رأوها بأعينهم ، شريطة أن يستطيعوا أن يقولوا لأنفسهم ان « هذه آخر مرة » وان الغريم سيغيب وانه سيرحل الى بلد في أخــر العالم ، أو انهم سيمضون هم أنفسهم بحبيتهم الى معلقه نائيه لا يستطيع النخصم الكريه أن يدركها فيها يوما • نم لا تدوم المصالحة أكر من ساعة طبعاً ، ذلك أنهم ، ولو اختفى الخصم ، ما يلبتـــون أن يكتشــفوا خصما جديدا منذ الغد ، فاذا هم يستأنفون عذاب أنفسهم بسبب هسذه « الخيانة ، الجديدة • رب متسائل يتساءل : ما هي في نظرهم قيمة حب يقتضى هذه الاحتياطات كلهاء ويتطلب هذه المراقبة الدائمة المتصلة، وهل المرأة التي يتصورون خيانتها تستحق منهم هذا الحب كله • ألا ان هذا السؤال بعينه هو مالا يلقيه الغيورون الحقيقيون على أنفسهم ، مع أن منهم أناساً لهم نفوس سامية رفيعة • وهناك أمر جدير بالملاحظة أيضا : ان ذوى العواطف النبيلة من هؤلاء الغيورين يستطيعون ، وهم مختبئون في ركن من الأركان للتجسس والمباغتة ، يستطيعون أن يفهموا تماما ، « لنبل قلوبهم » ، أنهم ينحدرون الى الخزى والعار ، ولكنهم مع ذلك لا يشعرون بشيء من عذاب الضمير ، ما ظلوا مختبئين في أوكارهم على الأقل •

ما ان رأى متيا صاحبته جروشنكا حتى شعر بغيرته تتبدد وتزول، وحتى أصبح واثقا كريما سمحا خلال بضع لحظات ، بل لقد مضى فى هذا الى حد احتقار نفسه بسبب تلك الشكوك الأثيمة التى ساورته وذلك يدل على أن حبه لتلك المرأة كان فيه عنصر أسمى كثيرا مما كان يظن هو نفسه ، وأن الشهوانية والتعلق الحبسدى اللذين حدث عنهما أخاه

أليوشا ، ليسا جوهر ذلك الحب • ولكن ما ان غابت جروشنكا عن عينيه حتى عاد يتصور فيها جميع حقارات الخيانة ودناءاتها ، دون أن يشعر أثناء ذلك بأى ندم أو عذاب ضمير •

استبدت به الغيرة اذن من جديد • وكان عليه أن يستعجل على كل حال • كان عليه قبل كل شيء أن يبجد قلبلا من المال لسدِّ حاجاته الماشرة: ان الروبلات التسعة التي جمعها في اللبلة البارحة كانت قسد نفدت في تلك الرحلة ؟ والمرء لا يستطيع أن يفعل شيئًا حين لايكون في جيبه قرش واحد كمه يعلم ذلك جميع الناس • ولقد فكتَّر ميتيا ، أثناء وضعه خطته الجديدة في العربة ، فكِّر في الوسلة التي تمكنه من الحصول على بضعة روبلات بلا ابطاء • انه يملك مسدسين رائعين من السدسات التي تستعمل في المبارزات ، ولم يكن قد رهنهما حتى الآن ، لأنه يحرص علمهما حرصا شديدا • وكان قد تعرف منذ زمن ، في كاباريه «العاصمة الكبرى » ، بموظف شاب عازب غنى كان فيما يقال يهوى جمع الأسلحة على اختلاف أنواعها هوى شديدا ، فهمو يشتري مسدسات وبسدقات وخناجر يعلقها في جدران غرفته ، ويدعو ضوفه الى مشاهدتها والاعجاب بها ، معتزاً بأن يشرح لهم نظام كل مسدس وطريقة حشوه بالرصاص ، وطريقة التصويب به ، النح • ذهب منها الى هـــذا الموظف الشاب دون تفكير كنير ، وعرض عليه أن يستودعه مسدسيه رهناً على قرض قمدره عشرة روبلات ، فسر ً الموظف سرورا عظيما ، وحاول اقناع ميتيا بأن يبيعه هذين السلاحين ، ولكن ميتيا رفض التخلي عنهما ، فدفع له الموظف عندئذ عشرة روبلان فائلاً انه أن بتقاضي فوائد عن هذا القرض بحال من الأحوال • وافترق الرجلان صـــديقين • وأسرع ميتيا الى جناحه الذي يقع خلف منزل فيدور بافلوفتش بنية أن يلقى ســمردياكوف • وبهذا أثبت مشا واقعة جـــديدة هي أنه « قـــل حدوث الحادث الذي سنتحدث عنه طويلاً فيما بعد ، قبل حدوث ذلك الحادث بثلاث ساعات أو أربع لم يكن في جيبه كوبك واحد ، فقرر أن يرهن في سبيل الحصول على عشر روبلات مسدسين كان يحرص عليهما أشد الحرص، ثم اذا هو بعد ذلك ببضع ساعات يملك ألوف الروبلات ٠٠٠ » ولكنني أسبق بهذا تتمة القصة ، فلأعد الى حيث وصلت منها ٠

علم منتا في منزل ماريا كوندراتيفنا (جارة فدور بافلوفتش) بنياً مرض سمر دياكوف فاضطرب اضطرابا شديدا وقلق قلقها عظما ٠ أصغى الى قصة سقوطه في القبو ، ونوبة الصرع ، ووصول الطبيب ، ومبادرة فبدور بافلوفتش • وأُ'بلغ أيضًا نبأ سفر ايفان فيدوروفتش الى موسكو في مطلع الصباح ، فبدا علمه اهتمام شديد بهذه الواقعة التفصيلية. قال يحدث نفسه : « لا بد أن ايفسان قد مر " بفولوفيا قبلي » • غير أن مرض سمردياكوف قد أحدث في نفسه قلقاً كبيرا ومخاوف خطيرة • فأخذ يسائل المرأتين قائلا: ه فما العمل الآن ؟ من عساى أكلف بمراقبة وأدركت المرأتان فوراً ما الذي يحاول أن يعرفه فطمأنتاه ما وسعهما أن تطمئناه • قالتًا له مؤكدتين : « لم يجيء أحـد • وقد أمضي ايفان فىدوروفتش الليلة كما اعتاد أن يمضيها ، وجرى كل شيء على ما يبجب ». وجم منتبا مفكرًا • لا بد من حراسة في هذه اللبلة أيضًا • الأمر واضح• ولكن أين يرابط؟ أيرابط هنا في الحـــديقة ، أم يرابط أمام منزل سامســونوف ؟ وقرر أخيراً أن يراقب المكانين كلـهمــا ، وفقاً لما توجيه الظروف ، ولكن المهم قبل كل شيء ، قبل كل شيء ، هو أن ٠٠٠

وقد أن فعلاً أوان تنفيذ « الخطه » الجديدة ، الجدية في هــــذه المرة ، التي رسمها في العربة • ان هذا المشروع لا يمكن تأجيله • فقرر ميتيا أن يقف على هذا المشروع ساعة من الزمن و قال يحدث نفســه :

« بعد ساعة واحمدة أكون فلد سو يت كل نبىء ، نم أذهب الى منزل سامسونوف أسأل أما تزال جروشنكا عنده ، ثم أعود الى هنا فورا لأبقى حتى الساعة الحادية عشرة ، وبعلم ذلك أذهب الى منزل سامسونوف ثانية لأصحبها الى بيتها » • على هذا النحو حل ميتا الصعوبة •

وأسرع الى بيته فاغتسل ونظف بيابه بالفريناة ، وارتدى ملابسية وذهب الى السيدة هوخلاكوفا • فهناك كانت « خطته » ، واحزناه ! كان منتنا قد قرر أن يقترض الثلاثة ألاف روبل من تلك السيدة • حتى لقد راوده على حين فجأة يقين عجيب خارق من أنها لن تمنع عنه هذا المبلغ. رب متسائل يتساءل : اذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يخطر بباله أن يتجه قبل هذا الوقت الى هده المرأة التي تنتمي الى بيئته على الأقل ، ولماذا آنر أن يتجه الى سامسونوف الذي يجهل ميتا طبيعة تفكيره ولا يعرف بأي لغة يبخاطبه ! يبحسن أن نذكر هنا أن متما كان قد انقطع منذ شهر عن التردد الى منزل هذه السيدة التي كان لا يعرفها كتير، على كل حال ٠ وكان يعلم عدا ذلك أنها لا تطبقه ، ذلك أنها قد ناصبته العداء منذ البداية في الواقع ، لسبب بسيط هو أنه كان خطيب كاترين ايفانوفنا • لقــــد كانت تتمنى أن تقطع كاترين صلتها به لتتزوج ايفان فيدوروفتش «الشاب المثقف ، اللطيف ، المحبب ، الذي يملك روح الفروسية ويتمتع بآداب راقبة » ، على حين أن آداب ميتيا كريهة مقيتة · ثم ان ميتيا قــــد سيخر منها مرارا كثيرة وقال عنها « انها كثيرة الحركة والحماسة والكلام بمقدار ما هي قليلة الثقافة ، • ولكن فكرة قد ومضت في ذهنه وميض البرق في الصباح ، فقمال لنفسمه : « ما دامت تكره أن أتزوج كاترين ايفانوفنــا وما دام هذا الزواج ينير حنقها الى هذا الحد (كان لا يجهل أن استباء السيدة هوخلاكوفا من هذا الزواج يبلغ حد الهستريا) ، فلا يمكن أن ترفض اقراضي هذه الثلاثة آلاف روبل التي ستتبيح لي ان

أفصم علاقتي بكاتبا ، وأن أرحل من هنا الى الأبد · ، · وكان ميتبا يقول لنفسه أيضًا : « ان نساء المجتمع هاته ، وهن صاحبات نزوات دلُّمتهن الأفدار ، لا يرفضن بذل جميع التضحيات المالية في سسبيل هوى غريب من أهوائهن العجبية! » • ان « الخطة » التي وضعها لاقتراض هـــــذا المبلغ من السيدة هوخلاكوفا لا تختلف عن خطة البارحة : سوف يعرض علمها أن يتنازل لها عن حقوفه في قرية تشرماشنيا ، ولكنه لا ينوي في هذه المرة أن يسبط الأمر على أنه صفقة تتحارية ، ولا يهدف إلى اغراء هذه السيدة ، كما حاول اغراء سامسونوف ، بأنها ستربح ستة آلاف أو سَعَةُ آلافُ رُوبِلُ ؟ وانما يكون التنازلُ عن الحقوق ، في هذه الخطُّـةُ الحديدة ، بمثابة ضمانة سخمة للقرض الذي سنتفق عليه • وكان كلما ازداد تفكيرا في هذا المشروع ازداد حماسة كله ، وذلك ما يحدث له دائما حين يتخذ قرارا جديدا • انه يتحمس في البداية لكل مشروع من مشاريعه • ومع ذلك شعر ، وهو يصعد درجات الباب من منزل آل هوخلاكوف ، بقشعريرة في ظهره ، واجتاحت نفسه عندئذ عاطفة قلق رهيب وخوف شديد : لقد أدرك في تلك اللحظة ، بيقين رياضي ، أنه يقامر بآخر ورقة يملكها ، فاذا لم تفلح هذه المحاولة ، فلا أمل بعد ذلك، « اللهم الا أن أذبح أحداً وأسلبه ثلاث آلاف روبل ، وبدون ذلك فلا مخرج لي ٠٠٠ » · كذلك قال مبتيا لنفسه · وكانت الساعة هي السابعة والنصف حين شدًّ الحرس •

بدا كل شيء يجرى على ما يحب ويشتهى في أول الأمر: فما ان أ بلغت السيدة هوخلاكوفا وصوله حتى أمرت بادخاله • فد هش ميتا من سرعة استقباله ، وقال لنفسه: « لكأنها كانت تنتظرني » • وما كاد يدخل الصالون حتى هرعت اليه وأعلنت له فجأة أنها كانت تنتظره • • • كنت أنتظرك ، كنت أنتظرك ! لا شيء كان يسمح لى بأن أتنبأ

بریارتك ، أعتقد أنك تقدر ذلك بسهولة . ومع هـــذا كنت أنتظرك . فاعجب بما أملك من صدق غريزة المرأة يا دمترى فيدوروفتش ، لأننى كنت واثقة ، منذ هذا الصباح ، بأنك ستزورنى .

قال ميتيا وهو يجلس بخراقة :

ـ حقاً ان هذا يثير الدهشة ، يثير أكبر الدهشة . . . ولكننى جثت من أجل قضــية خطيرة ، خطـيرة خطـورة رهيبة . . . بالنسبة الى وحدى . . . لذلك أسارع ف . . .

ـ أعرف أن السبب الذى دفعك الى المجىء سبب خطير يا دمنرى فيدوروفتش و ويست السألة هنا مسألة تنبؤات أتنبؤها ، لأننى أكره ذلك الايمان الرجعى بما هو فوق الطبيعة (لعلك على علم بمغامرة الشيخ زوسيما) ٥٠٠ وانما الأمر حساب رياضى : كان لا بد أن تنجىء الى حتما بعد كل ما جرى مع كاترين ايفانوفنا ، لم يكن في وسعك أن لا تجيء و هذه رياضيات ٥٠٠

ــ أو فلنقل هذا واقعية يا سيدتى • لنكن واقعيين ••• اسميحى لى أن أبسط لك بايجاز •••

ـ الواقعيــة ٠٠٠ قلتها يا دمترى فيــدوروفتش! أنا من أنصار الواقعية بعد اليوم! آه ٠٠٠ لقد شُفيت من مرض الايمان بالمعجزات عصدقنى! أنت لا تجهل طبعا أن الشيخ زوسيما قد مات!

قال ميتيا بشيء من الدهشة:

ـ لم أكن أعلم شيئًا عن ذلك •

وطافت بخياله صورة أليوشا • قالت السيدة هوخلاكوفا :

ــ مات هذه الليلة ٠٠٠ تصور أن ٠٠٠

قاطعها مبتما قائلاً:

- سیدتی ، أنا لا أعرف الا شیئاً واحدا : هو أننی فی وضع عصیب وأن كل شیء سینهار اذا أنت لم تساعدینی ، وسأكون أنا أول من ینهار اغفری لی خشونة لغتی ، ولكننی فی قلق محموم ؛ ان بی حمی حقا ۰۰ - أعرف ذلك ، أعرف ذلك ، أعرف أن بك حمی ۰ أنا مطلعه علی كل شیء ، وما كان یمكن أن تكون حالتك النفسیة غیر ما هی الیوم و كل ما قد تقوله لی الآن ، أنا أعرفه سلفا ۱ اننی أفكر فی مصیرك منذ زمن طویل یا دمتری فیدوروفتش ۰ كنت ألاحظ حیاتك ، وأدرسها۰۰ هه ! أنا طبیة نفوس ، خبیرة مجدا من أجل أن یبدو لطیفا محبیا : عاد مینیا یقول و هو یبذل جهدا من أجل أن یبدو لطیفا محبیا : مریض خبیر ۰ اننی مقتنع اقتناعا قویا بأنك سیساعدیننی فی اتقاء هملاك مریض خبیر ۰ اننی مقتنع اقتناعا قویا بأنك سیساعدیننی فی اتقاء هملاك كبیر ، ما دمت قد قد اهتمت بمصیری ذلك الاهتمام كله ۰ فاسمحی لی لهذا أن أبسطها لك ۰۰ لهذا أن أبسطها لك ۰۰ لهز أجل أن بهذه المناسبة نفسها اننی آمل منك ۱۰۰ لقد جئت یاسیدتی امن و به ان ۱۰۰۰ لقد جئت یاسیدتی مین أجل أن ۰۰۰ لقد جئت یاسیدتی امن اجل أن ۰۰۰ لقد جئت یاسیدتی مین أجل أن ۰۰۰

لا تشرح ٠٠٠ هذا أمر ثانوى ! لن تكون أول شخص أساعد، يا دمترى فيدوروفتش ! لا شك أنك سمعت عن ابنة عمى بلمسوفا، كان زوجها الذى تدمرت حالته المالية قد انهار انهيارا على حد التعبير الصادق الذى استعملته أنت منذ هنيهة، فنصحتها بتعاطى تربية الخيول، فأصبحت حالتها اليوم مزدهرة ازدهارا عظيما ، هل تفهم فى شئون تربية الخيسول يا دمترى فيدوروفتش ؟

صاح مبتيا يقول نافد الصبر ثائر الأعصباب ، حتى لقد هم الله أن ينهض :

للك يا سيدتى أن تصغى الى الخطسة و دعينى أتكلم دقيقتين فحسب اللك يا سيدتى أن تصغى الى الخطسة و دعينى أتكلم دقيقتين فحسب الأعرض لك مشروعى و ثم اننى لا أملك الا وقتا قصييرا جداء أنا مستعجل غاية الاستعجال (كذلك أعول ميتبا يقول بصوت هسترى و اذرا أنها ستقاطعه وأمال أن يستطيع منعها من مقاطعته برفع صوته) لقد جئت اليك لأننى قد بلغت ذروة الكرب والياس وأردت أن أرجوك أن تسلفينى ثلاثة آلاف روبل ولكن بضمائة قوية وطيدة يا سيدتى وشروط موثوقة تماما وهأنذا أشرح لك الموضوع وودو

قالت السيدة هوخلاكوفا وهي تحرك ذراعيها كأنما تطرد الشروح التي هم مَ بها ميتيا :

- تشرح فيما بعد ، فيما بعد ، مستقول لى هذا كله فيما بعد ، ثم اننى أعرف سلفاً كل ما قد تذكره لى ، سبق أن قلت لك هذا ، أنت في حاجة الى مال ، أنت تطلب ثلاثة آلاف روبل ، ولكننى سأعطيك أكتر من ذلك ، أكثر كثيرا ، لأننى أريد أن أنقذك يا دمترى فيدوروفتش ، ولكننى أطالبك فى مقابل ذلك بأن تطيعنى ،

وثب ميتيا من مقعده من جديد ، قائلاً بانفعال شديد :

ـ آه! سبدتی! هل يمكن أن تكونی طيبة الی هذا الحد؟ آه! لقد أنقذتنی! يا رب! لقد انتزعت انسانا من ميتة عنيفة يا سيدتی ، من ميتة انتحار بطلقة مسدس ٠٠٠ لسوف أظل شاكراً لك الى الأبد ٠٠٠

عادت السدة هوخلاكوفا تقول ، وهي تنظر بابتســــامة مشرقة الى وجه ميتيا المتحمس :

ـ لأعطينك أكبر كنيرا من ثلاثة آلاف روبل ؟

ـ أكتر كثيرا ؟ لست في حاجة الى كل هذا • ليس بي حاجة الا

الى هذه الثلاثة آلاف الشقية ! وأريد من جهتى أن أعطيك ضمانة لهــذا القرض ، وأن أعبر لك عن شكر لا حدود له • ان المشروع الذى أحب أن أبسطه لك هو •••

ــ كفى ! أنا لا أنكث عهداً • لقد وعدتك بأن أنقذك ، وسأفعل • سأخرجك من مأزقك كما أخرجت بلمسوفا • ما رأيك فى مناجم الذهب يا دمترى فيدوروفتش ؟

ــ مناجم الذهب يا ســـيدتي ؟ لم أفكر في هذا الأمر يوماً حتى الآن ٠٠٠

_ أما أنا فقد فكرت فيه من أجلك ! لقد وزنت جميع جوانب المسألة • اننى ألاحظك منذ شهر لهذا الغرض • ظللت أفحصك أكثر من مائة مرة عابراً ، فكنت أقول لنفسى في كل مرة : « هذا رجل نشيط فعال يمكن أن ينجح في مناجم الذهب » ، حتى لقد أنعمت النظر في مشيئك ، فاستنتجت أنك ستكتشف مناجم كنيرة •

لم يملك ميتيا الا أن يسأل السيدة هوخلاكوفا مبتسما :

ـ استنتجت ذلك من مشيتي يا سيدتي ؟

فأجابت السيدة هوخلاكوفا :

ــ نعم ، من مشـــيتك أيضا ، هل تســـتطيع أن تنكر يا دمترى فيدوروفتش أن في الامكان معرفة طبع الشخص من مشيته ؟ ان العلوم الطبيعية تعلمنا هذا ، آه ، ٠٠ ما أكتر ما أصبحت وافعيه الآن! فمنذ ذلك اليوم ، منذ تلك القصة التي حدثت في الدير والتي هزتنا هزاً قوياً ،

أصبحت لا أؤمن الا بالواقعيه ، بالوا • • قعية ، وأصبحت أريد أن أقف حياتي على نشاط عملى • لقد شفيت من الغيبية الى الأبد • « كفى ! » ، كما قال تورجنيف * •

ــ ولكن ماذا عن تلك النلاثة آلاف روبل التي تفضلت فوعدتني بها كريمة سخية !

قالت السيدة خلاكوفا بقوة وحرارة :

_ ستحصل عليها ، تستطيع أن تعدها في جيبك منذ الآن • لا ثلاثة آلاف ، بل ثلاثة ملايين ، وخلال فترة وجيزة يا دمترى فيدوروفتش اليك المشروع الذى أقترحه عليك : تكتشف مناجم ذهب فتثرى ثراء عظيماً وتصبيح من أصحاب الملايين ؛ ثم تعود الينا رجلاً كبيراً من رجال العمل والفعل ، تصبح رجلاً محركاً لغيرك من الناس ، تنقذنا من خدرنا وكسلنا ، وتقودنا نحو البخير • هل يبجب أن تترك جميع هذه المبادرات لهؤلاء اليهود ؟ ستبنى عمارات ، وستخلق صناعات ، وستساعد الفقراء ، وسيغمرك هؤلاء الفقراء بالدعوات والبركات • • • اتنا نعيش في عصر السكك الحديدية يا دمترى فيدوروفتش • وستعلم وزارة البخزانة ، التى السكك الحديدية يا دمترى فيدوروفتش • وستعلم وزارة البخزانة ، التى تتخبط في مصاعب ضخمة ، ستعلم بوجودك فتناديك وتعتمد عليك • ان سقوط عملتنا الورقية قد حرمنى من النوم ! ذلك جانب من طبيعتى لا يعرفه الناس كثيراً • • •

قاطعها ميتيا قائلاً وهو يوجس قلقاً شديداً :

ـ سيدتى ! سيدتى ! من المكن جداً أن أتبع نصيحتك ، وهى نصيحة سديدة جدا فى الواقع ٠٠٠ سأتبع هـ ذه النصـــيحة حتما فيما بعد ٠٠٠ سأذهب الى سناجم الذهب هـــذه ٠٠٠ وسأعود مرة أخرى لنتحدث فى أمرها ٠٠٠ أما الآن ٠٠٠ فلنتكلم فى تلك الثلاثة آلاف روبل التي تكرمت ف ٠٠٠ آه ! ان هذا المبلغ سيخرجني من جميع المصاعب!

ليتنى أستطيع الحصول عليه فى هذا اليوم ٠٠٠ ذلك أننى ، كما ترين ، لا أملك وقتاً أُفستّعه ٠٠٠ لا يوما ، ولا ساعة ٠٠٠

قاطعته السيدة هوخلاكوفا تأمره بلهجة قاطعة :

_ كفى ، كفى ! أجبنى : أتذهب الى مناجم الذهب أم لا ؟ هــل عزمت أمرك ؟ أريد جوابا واضحا دقيقا !

_ سأذهب يا سيدتى فيما بعد • سأذهب الى حيث تريدين ياسيدتى ! أما الآن •••

صاحت السيدة هوخلاكوفا تقول:

ـ انتظر!

وهرعت نحو مكتبها الأنيق ذى الأدراج الكبيرة ، فأخذت تفتحها درجاً درجاً بسرعة ، باحثة فيها عن شىء ما ٠

قال ميتيا محدثا نفسه وقد كاد ينشق قلبه: « التلائة آلاف! وبدون ضمانة ، بدون رهن ، بدون وصل ، ما أبلها امرأة! ولكن ليتها كانت أقل نرثرة ٠٠٠ » ٠

وهتفت السيدة هوخلاكوفا تقول عائدة الله:

_ هاك ٠٠٠ هاك ما كنت أبعدت عنه ٠

هو أيقونة صغيرة جدا من فضة ، ذات حبـــــ ، كالأيقونات التي تحمل أحيانا تحت القميص مع الصليب .

وشرحت السدة هوخلاكوفا قائلة برصانة:

ـ هذه الأيقونة من كييف • لقد لمست هذه الصورة رفات القديسة بارب ، الشهيدة العظيمة • فاسمح لى أن أعلقها لك بنفسى ، لتباركك فى حياتك الجديدة ، ومشاريعك المقبلة • قالت له ذلك ، ووضعت الأيفونه حول عنقه ، وجهدت أن تعدلها ، أحنى ميتيا رأسه متحيراً ، وأخذ يساعدها ، وأفلح أخيرا في أن يدس الصورة تحت الياقة ورباط العنق وأن يضعها على صدره .

عند ثذ قالت السيدة هوخلاكوفا بلهجة فيها أبهة :

ـ والآن هلم الى مناجم الذهب •

وعادت تحلس ٠

قال مشا:

سسدتى! أنا متأثر جدا ١٠٠٠ لا أدرى كيف أشكر لك هـــذه المواطف الكريمة وهذه المشاعر النبيلة ١٠٠٠ ولكن ليتك تعلمين مدى استمجالى! ١٠٠٠ ان ذلك المبـــلخ الذى انتظره من كرمك وأنا ممتلى القلب بالأمل يا سيدتى ١٠٠٠ آه ١٠٠٠ ما أطبيك ، ما أعظم عطفك على "! (بهدا هتف ميتيا في سورة صادقة) ١٠٠٠ اسمحى لى أن أعترف لك ١٠٠ مأمر تعرفينه منذ زمن طويل على كل حال ١٠٠٠ اننى أحب امرأة في هذه المدينة ١٠٠٠ لقد خنت كاتيا ١٠٠ أقصد كاترين ايفاتوفنا . وا أسفاه! كان سلوكى معها خالياً من الخلق والشرف ١٠٠٠ تولهت هنا بامرأة أخرى مده ولكن يستحيل على "أن أتركها ، يستحيل ! لذلك كانت هــــذه الثلائة الاف روبل ١٠٠٠

قاطعته السيدة هوخلاكوفا قائلة بلهجة قاطعة :

دعك من هذا • دع النساء خاصة ! مناجم لذهب ، ذلك هو هدفك بعد اليوم ، ولا شــأن للنساء هناك ! فيما بعد ، حين ترجع غنياً مجللاً بالمجد ، تختار حليلة من بنات أرقى مجتمع : فتاة عصرية ،

منقفة ، متحررة من الآراء الشـــائعة ، وفي ذلك الحين ستكون مشكلة المرأة ، هذه المشكلة التي يتحدث النــاس عنها كثيراً في هذه الأيام ، ستكون قد حُلِّت ، وستظهر في روسيا امرأة جديدة ٠٠٠

سبل هو هذا ، هو هذا يا دمترى فيدوروفتش ! هو هذا ولا شيء سواه ! هنالك السعادة التي تنشدها دون أن تعرف أنت نفسك ذلك وحتى مظعة اطلاعاً واسعاً على مشكلة المرأة وان تحرر المرأة ، وحتى وصولها الى الحياة السياسية ، هو مثلى الأعلى و ان لى ابنه يا دمترى فيدوروفتش ، والناس لا يعرفوننى كثيراً في همذا المجال و لقد كتبت في هذا الى شتيدرين* و ان هذا الكاتب قد كشف لى أموراً كنيرة ، كنيرة جداً ، أموراً لا تخطر على البال ، عن رسالة المرأة ، فوجهت اليه في العام الماضى كتاباً لم أذكر فيه اسمى ، كتاباً من سطرين : « أقبلك بعدرارة ، يا عزيزى المفكر الكبير ، باسم المرأة العصرية و استمر! » وذيلت الكتاب بهذا التوقيع : «أم» و خطر ببالى أن أوقتع : «أم عصرية» ولكننى اكتفيت ، بعد تردد ، بكلمة الأم ، لأن فيها جمالاً روحياً أعظم ولكننى اكتفيت ، بعد تردد ، بكلمة الأم ، لأن فيها جمالاً روحياً أعظم يادمترى فيدوروفتش ؟ هذا عدا أن كلمة « عصرية » كان بمكن أن يادمترى فيدوروفتش ؟ هذا عدا أن كلمة « عصرية » كان بمكن أن الرقابة التى تسود الآن و و لكن ماذا بك ؟ ماذا جرى لك ؟

كان ميتيا قد ونب عن مقعده • وها هو ذا يضم يديه احداهما الى الأخرى أمامها صائحاً بضراعة طائشة :

ــ سیدتی ! لسوف تبکیننی اذا تأخرت مزیداً من التأخر عن تنفیذ ما تکرمت فوعدتنی به ۰۰۰ - ابك يا دمتسرى فيدوروفتش ، لا تخش أن تبكى! ان هسده العواطف تشرَّفك ٠٠٠ ما يزال طسريقك طويلاً! ستحسن الدموع اليك ، سوف تعسود يوماً وسوف تكون سعيدا ، ستجيئني من أعساق سيبريا خصيصا لأشاركك فرحتك ٠٠٠٠

أعول ميتيا في هذه المرة يقول :

ــ اسمحى لى أخيراً أن أقـــول كلمة • أرجـوك مرة أخيرة أن تحبيبنى : هل يمكننى أن أتلقى هذا المبلغ منك اليوم ؟ والا ففى أى يوم تأمرين أن أجىء لأخذه ؟

ـ عن أى مبلغ تتكلم با دمترى فيدوروفتش ؟

_ ماذا ؟ ثلاثة آلاف روبل ؟ آه ٠٠٠ لا ٠٠٠ أنا لا أملك هــذا المبلغ ٠

كذلك قالت السيدة هو خلاكوفا بدهشة هادئة ٠

صعق ميتياً • وقال :

- كيف هذا؟ لقد وعدتنى منذ برهه ٠٠٠ منذ هنيهة قصيرة ٠٠٠ حتى لقد قلت اتنى أستطيع أن أعد هذا المبلغ موجودا في جيبي ٠

۔ آه • • لا • • • لا شک أنك أسأت فهمی یا دمتری فیدوروفتش • لا ، لا ، انك لم تفهمنی • لقد قلت ذلك الكلام بصدد مناجم الذهب • صحیح أننی وعدتك بأكتر كثیراً من ثلاثة آلاف روبل ، تذكرت هـذا الآن ، ولكننی كنت لا أفكر عندئذ الا فی مناجم الذهب •

صاح ميتيا يقول بغياء:

ــ والمبلغ ؟ والثلاثة آلاف روبل ؟

اننى لا أملك مالا اننى الآن خالية الوفاض تماما يا دمترى فيدوروفتش. اننى لا أملك مالا اننى الآن خالية الوفاض تماما يا دمترى فيدوروفتش. حتى اننى فى شجار مع وكيلى ، وقد اضطررت أن أقترض خمسمائة روبل من ميوسوف منذ بضعة أيام • لا ، لا أستطيع أن أسلفك شيئا • واعلم عدا ذلك يا دمترى فيدوروفتش أننى لو كنت أملك مالا أسلفتك أيضا ، أولا لأننى لا أقرض أحداً قط ، فالدين خصام دائماً ؛ واذا أقرضت غيرك ، فلا أقرضك أنت ، لأننى أريد لك الدخير ، وأريد أن أنقذك ، وما أنت فى حاجة الا الى شىء واحد : المناجم ، المناجم ، المناجم !

زأر ميتيا يقول :

ـ شيطان يأخذ المناجم!

وهوى بقبضة يده على المنضدة يضربها بكل ما أوتى من قوة •

_ آی ۰۰۰ آی ۰۰۰

كذلك أنتَّت السيدة هوخــــلاكوفا مرتاعة وهي تهرب الى آخــر الصالون .

بصق ميتيا من فسيرط حنقه • وبخطى سريعة ، اجتاز الغرفة ، وخرج من المنزل ، وأوغل فى الشارع المظلم • انه يسبر الآن كمجنون، ويلطم صدره بقبضة يده ، على ذلك الموضع نفسه الذى لطمه منذ يومين بعحضور أليوشا حين لقيه فى الشارع ساعة الغسق • لماذا يلطم صدره هذا اللطم ، « على هذا الموضع نفسه » ، وماذا كان معنى هذه الحركة ؟

ذلك أمر لم يفصح عنه لأحد ، حتى ولا لأليوشا ، هذا سره في تلك الساعة ، ولكنه كان يعلم أنه ، لأسباب يكتمها ، انما يسمير الى هاوية العار ، الى انهيار حياته ، الى الانتحار ، ذلك ما سيحدث حتماً اذا هو لم يحصل على هذه التلاثة آلاف روبل ليرد الى كاترين ايفانوفنا مالها ، ولينزع عن صدره ، « عن هذا الموضع بعينه من صدره » ، الخزى الذى يختقه ، المحمل الذى يبهظه ، والذى يرهق ضميره أشد الارهاق ، ان هذا كله سيتضح مزيدا من الاتضاح فيما بعد ، والآن وقد انهار آخر أمل من آمال هذا الرجل القوى الجسم ، فانه ما ان ابتعد بضع خطوات عن منزل السيدة هوخلاكوفا ، حتى انفجر يبكى على حين فجأة ناشجا كطفل صغير ، وها هو ذا يمسح دموعه بقبضتى يديه وهو فيما هو فيه من اضطراب ، وعلى هذه الحال انما وصل الى الميدان ، حيث أحس بغتة أمن اضطراب ، وعلى هذه الحال انما وصل الى الميدان ، حيث أحس بغتة كاد صدم شيئاً ما ، وسرعان ما سمع أنات شاكية صادرة عن عجوز كاد يقلبها ،

ـ يا رب! كاد يقتلنى! هلا ً نظرت أين تسير أيها الوغد! صاح ميتيا يقول وهو يتفرس وجه المرأة العجوز فى الظلام؟ ـ كنف؟ أهذا أنت؟

لقد عرف ميتيا في هذه المرآة العجوز ، خادمة كوزما كوزمتش الطاعنة في السن التي لاحظها في منزله الليلة البارحة .

سألته العجوز بصوت أصبح لطيفا على حين فجأة :

ــ ومن أنت يا بني ؟

ـ أنت في خدمة كوزما كوزمتش ، أليس كذلك ؟

ـ هـــذا صحيح يابني ، وأنا ذاهبة الآن الى بروخـورتش ٠٠٠ لا أستطيع أن أميـزك في هذا الظلام ٠٠٠

قال ميتيا وهو يرتجف قلقاً وخوفاً :

_ قولى لى يا أماء : هل أجرافين الكسندروفنا عندكم الآن • لقد أوصلتها الى منزلكم منذ قليل •

ـ لقد جاءت يا بني فمكثت لحظة ثم انصرفت ٠

فصرخ منتا:

_ انصرفت ؟ كيف هذا ؟ الى أين ذهبت ؟

ــ لم تمكث عندنا الا دقيقة ، قصَّت خلالها على كوزما كوزمتش قصة مضحكة ثم لم تلبث أن انصرفت ٠

زأر ميتيا يقول :

ـ أنت تكذبين أيتها العجوز اللعينة •

فصاتت المرأة تقول مذعورة :

ــ آی ۲۰۰ آی ۲۰۰

ولكن ميتيا كان قد غاب ٠

أسرع ميتيا يركض بخطى كبيرة نحو منزل آل موروسوف. كانت جروشنكا قد سافرت منذ ربع سماعة الى موكرويه ، وكانت فينيا فى المطبخ مع جدتها ماترين الطباخة ، حين ظهر « الكابتن » فجأة فى المنزل. فلما رأته أطلقت صرخات ارتياع وجزع .

أعول مشا يسألها:

ــ ها ۰۰۰ تصرخین ؟ أین هی ؟

ولكن قبل أن يتسع وقت فينيا ، التي شحب لونها شيحوبا شديدا من الذعر ، لأن تنطق بكلمة واحدة ، ارتمي ميتيا على قدميها قائلاً لها : ـ فينيا ، قولى لى ، أناشدك يسوع المسيح ، الى أين ذهبت ؟

ــ لا أدرى يا سيدى ، لست على علم بشىء أيهـــا العزيز دمترى فيدوروفتش ، ولو قتلتنى لما استطعت أن أقول لك أكثر من هذا ، ثم انك قد خرجت معها منذ قليل ،

كذلك أكدت فنيا متدفقة في كلامها •

قال ميتيا:

_ ولكنها عادت •

ـــ لا ، لا ، يا عزيزي دمتري، فيدوروفتش ، لم تعد ، أحلف لك بالله انها لم تعد !

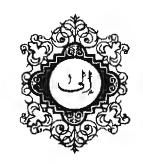
صرخ ميتيا يقول :

- تكذبين! وانى لأحزر من ذعرك وحده الى أن ذهبت؟ وأسرع يركض فى الشارع من جديد ، فما كان أسعد فينيا بأنها تخلصت منه بمثل هذه السهولة! فلقد أدركت حق الادراك أنه كان سيسومها سو، العذاب خلال ربع ساعة ، لولا استعجاله الشديد ، على أنه قد فاجاً فينيا وماترين العجوز ، حين انصرافه ، بحركة لم تكن فى الحسبان: كان هناك على المائدة هاون ومدق من نحاس ، ولكن المدق ليس كبيراً ، فينما كان مينيا يضع يده على قبضة الباب راكضا ليخرج ، مد يده الأخرى فتناول المدق اختطافا ودسته في جيب سترته ،

هتفت فينيا تقول وهي تضم يديها احداهما الى الأخرى :

_ رباه! سيقتل أحدا •

في لانظها



این كان يركض ؟ ذلك سؤال 'بحزر جوابه: « أین عساها تكون ان لم تكن عند فیدور بافلوفتش ؟ لا شك أنها ذهبت الیه رأساً بعد أن غادرت منزل سامسونوف ، الحیلة واضحة ،

والكذب مفضوح! » • كانت هذه الأفكار تغلى في رأس ميتيا •

تحاشى ميتيا أن يمر بحديقة ماريا كوندراتيفنا • قال لنفسه : «يجب أن لا ترانى ماريا بحال من الأحوال ! • • • ليجب أن لا أبهها • • • ولا وشت بى فوراً ، وأبلغت أتنى هنا • • • لسبوف تعنوننى حتماً • لا شك فى أنها متواطئة معهم • وكذلك سمر دياكوف • لقد اشتروا جميعاً ! » • لذلك سلك طريقاً آخر : دار دورة طويلة ، فمر بالشارع الصيغير الذى يقع خلف منزل فيدور بافلوفتش ، واجتاز شيارع دمتريفسكا ، وعبر الجسر الضيق الصغير ، فوصل بذلك الى مكان خال غير مأهول يقع وراء الفناء • ان هذا المكان يحده سياج بستان مجاور من جهة ، ويحده من الجهة لأخرى السور العالى الذى يحيط بمنزل فيدور بافلوفتش • واختار ميتيا لتخطى ذلك السور الموضع الذى يثروى أن البزابث سمر دياشتايا قد تخطت السور منه فى الماضى • قال ميتيا لنفسه :

« اذا استطاعت تلك أن تتخطاه له يدرى الا الله لماذا له فكيف لا أفلح أنا في تخطيه ؟ » • واستطاع فعلا من أول وثبة ، أن يتشبث بذروة السور بيده ، وأن يرتفع بعد ذلك باندفاعة قوية ، فاذا هو يصلبح في أعلى السور ، فيركب عليه ركوبه على حصان • ان حمامات المنزل قريبة جدا من ذلك المكان ، ومنه 'ترى نوافذ الدار المضاءة • قال ميتيا يحسدث نفسله : « طبعا او • • ان في غسرفة نوم العجوز نوراً • معنى هذا أنها عنده ! » • ووثب بعد ذلك الى الحديقة • ورغم علمه بأن جريجورى مريض ، وبأن مرض سمر دياكوف قد لا يكون تمارضا ، وأن أحداً من المنزل لا يمكن اذن أن يسمعه في هذه اللحظة ، فقد لطا متجمعا على نفسه بدافع الغريزة ، وجمد لا يتحرك ، وأصاخ بسمعه • ان صمتا كصمت الموت يخيم على المكان وما حوله • لا نأمة ، ولا نسمة • • • هدو مطلق، كأنما عن قصد وعمد • • • • • هدو مطلق،

«الصمت وحده يهمهم » • خطر هذا البيت من الشعر ببال ميتيا وقال يحدث نفسه : « آمل أن لا أكون قد سلمعت الحظة قفزت ! ولكن يغلهر أننى لم السمع » • وبعد أن لبث على هذه الحال دقيقة لا ينحرك ، تسلل بخطى وثيدة خلال الحديقة ، سائرا على العشب حتى يخنق كل ضيحة • كان يتحاشى الأشجار والأدغال ، ويتقدم بطيئا ، ولا يضع قدمه الا محاذرا ، ويصيخ بسممه الى أيسر صوت • فلم يصل الى النافذة المضاءة الا بعد خمس دقائق • وتذكر أن تحت النوافذ أشجار بيلسان ورباط كثيفة تمتد أغصانها الى علو كاف • وكان الباب الذي يفضى من الحديقة الى داخل المنزل على الجهة اليسرى من الواجهة مغلقا ، فاتبه ميتيا الى ذلك انتباها خاصاً وسجله فى ذهنه عند مروره • ووصل أخيرا الى التعجيرات فاختباً وراءها حاساً أنفاسه • قال لنفسه : « يجب أن أتلبث هنا بضع لحظات ، فلعلهم قد سمعوا صوت وقع خطواتى ، فأخذوا

يصبخون بأسماعهم للتأكد ٠٠٠ أرجو أن لا أسعل أو أعطس ٠٠٠ × ٠ وانتظر دفيقتين ، خافق القلب خففاناً شــديداً ، حتى لتكاد تنقطع من ذلك أنفاسه · ثم قال لنفسه : « لا · · · لا أستطيع أن أبقى هنا · ان دقات قلبي لن تهدأ ، فلا يمكنني أن أنتظر مزيداً من الانتظار » • كان مبتسا مختبئاً في ظل مجملوعة الأشجار التي ينيز الضلوء لأتي من النافذة جانبها الحُلفي • ورأى نفسه يدمدم قائلاً دون أن يعرف لماذا : « ما أشد الاحمرار في أثمار أشجار الرباط هذه! ه • ثم أخذ يدنو من النــافذة بخطى كخطى الذئب ، حتى اذا بلغها انتصب واقفاً على رءوس الأصابع • بدت له غرفة نوم فيدور بافلوفتش كلها • انها غرفة صغيرة ، تنقسم قسمين بحاجزين أحمرين ، كان فدور بافلوفتش يسمهما « الصينيين » • قال ميتيا لنفسه : « الحاجزان الصينيان • • لا شك أن جروشنكا تختبيء وراءهما » • وأخذ ميتيا ينعم النظر في أبيه • كان الأب يلبس ثوباً جديداً للمنزل من حرير مخطط ما رآه عليه ميتيا من قبل ، ويشد على خصره حزاماً من حرير أيضاً ينتهي بعقد ؟ وتحت ياقة الثوب ُ برى قميص أنيق نظيف جداً مصنوع من نسيج رقيق ناعم وله أزرار من ذهب؟ وكان فيدور بافلوفتش يضع على رأسه الضماد المصنوع من قماش أحمر الذي سبق أن رآء ألبوشا • قال مبتبا لنفسه : « لقد تجمل وتزين » • وكان أبوه واقفاً قرب النافذة واجماً شارد اللب • وها هو ذا يرفع رأسه على حين فجأة مصبحًا بسمعه كأنما لنصت ؟ فلما لم يسمع ششًا اقترب من الماثدة فصب مصف قدح من الكونياك وأفرغه في جوفه ، ثم تنفس تنفساً عميقاً ملء رئتيه • وفكَّر بضع لحظات ، ثم اتجه نحو المرآة بخطى ذاهلة ، فأزاح بيده اليمني المنديل الذي يخفي جسنه ، وأخــذ ينعم النظر في النــدبات والبقع الزرق التي لم تختف بعــد • قال ميشيـا لنفسه : « أغلب الظن أنه وحيـد ليس عنده أحــد » • وفي تلك اللحظة

ابتعد فيدور بافلوفتش عن المرآة ، والتفت فجأة نحــو النافذة ، وأخذ ينظر الى الخارج ، فما كان من ميتيا الا أن ارتمى في الظــلام بوثبة واحدة ،

وقال ميتا لنفسه: « من الجائز أيضاً أن تكون مختبشة وراء الحاجزين عوربما كانت نائمة • » • فما ان تراءى له هسذا الافتراض حتى شعر بطعنة تنفذ فى قلبه • وابتعد فيدور بافلوفتش عن النافذة • « لا شك انه يترقبها هى اذ ينظر من النافذة الى الخارج • فليست اذن عنده! والا فما له وللظلمات يمعن النظر فيها متفرساً مستطلماً! واضح أن نفاد الصبر يحرقه حرقاً » • وعاد ميتا يقترب ، وأخذ يرصد أباه • كان العجوز قد جلس الى المائدة ، وكان واضحاً عليه أنه خائب الرجاء يائس النفس • ووضع كوعيه أخيراً على المائدة ، وأسند خده الى راحة يده اليمنى • فكان ميتيا يفحصه بنوع من النهم!

وقال بصوت خافت جداً: « وحيد! انه وحيد! فلو كانت معه ؟ لكان وجهه وجها آخر » • ومن عجائب قلب الانسان ما شهر به ميتيا حينذاك: لقد أحس فجأة حين أدرك أن جروشنكا ليسست هناك ؟ ننوع من خيبة الأمل عجيب لا أيفهم! فقال يشرح لنفسه: « لا • • • ان ما أحسه من اهتياج لا يرجع الى اننى لا أراها ، وانما يرجع الى أننى لا أملك أية وسيلة للتأكد على وجه اليقين من أنها مع العجوز أو أنها ليست معه » • وقد تذكر ميتيا فيما بعد أن فكره فى تلك اللحظة كان على جانب عظيم من الصحو والصفاء ، فلا تفوته ناردة ولا واردة ، حتى ليدرك أدق تفاصيل الموقف • ولكن القلق كان يجتاح نفسه بمزيد من القوة شيئاً بعد شى ، الأنه ليس من أمره على يقين ، حتى أصبح لا يطيق هذا الوضع •

تساءل : « أهى هنا أم لا ؟ » • واشتعل حنقه • وها هو ذا يعزم أمره على حين فعجأة ، فيمد ذراعه ، وينقر على الزجاج نقرات الاشسارة المتفق عليها مع سمر دياكوف وهى : نقسرتان متباعدتان ، فثلاث نقرات متقاربة ، دلالة على أن « جروشنكا قد وصلت » • فانتفض العجوز ، ورفع رأسه ، ووثب من مكانه ، واندفع نحو النافذة • فارتمى ميتيا في الغلام •

دمدم فيدور بافلوفتش يسأل بصوت مرتجف :

۔ أهذا أنت يا جروشــنكا ؟ أنت ؟ أين أنت يا ملاكى ؟ أين أنت يا حبى ؟ أين أنت ؟

وكان يختنق من فرط الانفعال •

قال ميتما لنفسه: « انه وحيد » •

واستأنف العجوز يسأل :

۔ أين أنت اذن ؟

وكان الأب وهو يرسل هذا السؤال يميل برأسه من النافذة حتى الكتفين ناظراً الى جميع الجهات • وها هو ذا يضيف قوله :

- تعالى ! لقد أعددت لك مفاجأة حلوة . تعالى فأريك المفاجأة .

قال ميتيا في سره : « هي الظرف الذي يضم الثلاثة آلاف روبل ، •

ـ ولكن أين أنت اذن ؟ لعلك قرب الباب ؟ سأفتح لك الياب •

وكاد يسقط من النافذة من شدة ميله عليها ليرى المرأة الشابة فى الظلام من جهة الباب الذى يفضى الى الحديقة على اليمين • ولو قد اتسع الوقت لحظة أخرى اذن لأسرع الى الباب حتماً دون أن ينتظر جواب

جروشنكا • كان ميتيا يرقبه من قرارة مخبئه بغير حركة • كان يراه من جانب • فكان وجهه الكريه المقيت ، وكانت جوزة عنقه ، وكان أنفه الأقنى ، وكانت شفتاه اللتان تبتسمان بانتظار نبيق ، كان ذلك كله يبرز في ضوء ساطع يسقط عليه موارباً من المصباح الموجود في الجهة اليسرى من الفرفة • فاذا بكره عنيف فظيع يغلى في قلب ميتيا فجأة ، فيقول وي نفسه : « هذا هو ، هذا هو غريمي ، هذا هو خصمي ، هذا هو جلا دى، هذا هو عدو حياتي ! » • انها سورة الحنق المباغت المسعور الحاقد الظامى، الى الانتقام ، الذي تحدث عنه الى أليوشا بما يشبه التنبؤ أثناء حديمهما في الجناح قبل أربعة أيام جواباً على سؤال أليوشا له : « كيف يمكن أن يخطر ببالك أن تقتل أباك ؟ » • لقد أجابه يومئذ قائلا : « لا أدرى ، أصبحت لا أدرى ، قد لا أقتل ، ولكن من المكن أن أقتل • أخشي أن يصبح في نظرى كريهاً على حين فجأة بوجهه المقيت في تلك اللحظة • يسبح في نظرى كريهاً على حين فجأة بوجهه المقيت في تلك اللحظة • انني أكره جوزة عنقه ، وأنفه ، وعينيه ، وضحكته الصغيرة المستهترة • انه يثير في تقززاً جسمياً • ذلك هو ما أخشاه خاصة • قد لا أستطيع أن أكبح جماح نفسي » •

وكان التقزز الجسمى الذى يحس به ميتيا لا حدود له • فاذا هو ، دون أن يدرك ماذا يفعل ، يخرج من جيبه مردق الهساون على حين فجأة •••

سوف يقول فيما بعد ان الله كان ساهراً عليه فى تلك الدقيقة ، فغى تلك اللحظة نفسها استيقظ جريجورى فاسيلفتش فى سريره الذى كان قد اضطجع عليه مريضاً ، كان جريجورى قد لجأ فى المساء الى استعمال الدواء الذى ذكره سمردياكوف فى حديثه مع ايفان فيدوروفتش، أى دلك جسمه بمعاونة امرأته بخليط من الخمر ومغلى أعشاب قوى

ثم شرب ما تبقى من هذا الخليط ، بينما كانت مارفا اجناتيفتا تقرأ عليه دعاءٌ سرياً بصوت خافت • ثم رقد وذاقت مارفا اجناتيفنا الدواء أيضاً ، ولكنها لم تلبِث أن نامت الى جانب زوجها نوماً عميقاً على الفور ، لأنها لم تألف شرب الكحول ، ولم تتعوده • أما جريجوري فقد استيقظ من نومه في وسط الليل على غير توقع ، وفكتَّر لحظة ، ثم اذا هو يجلس علىسرير. رغم أنه أحس بألم شــديد في المنطقة الحقوية • فلما فكر من جديد ، تهض وأسرع يرتدى ثيابه • من الجائز أن يكون قد شعر بعذاب الضمير لأنه نام بينما بقى البيت بغير حارس يحرســه « في فترة خطرة الى هــذا الحد » • وكان سمر دياكوف الذي صرعته النوبة ، راقداً بلا حراك في الغرفة الصغيرة المجاورة • ولم تتحرك مارفا اجناتيفنا ، فقال جريجورى لنفسمه وهو يلقى نظرةً عليها : « انها لم تتحمل الدواء » ثم خبرج الى درجات الباب وهو يثنء كان لايستهدف الا أن يلقى نظرة على الحارج، لأنه كان لا يحس أنه قادر على المشى ، بسبب الألم الشـــديد الذي كان يشمر به في الكليتين والساق اليمني • ولكنه تذكر في تلك اللحظة نفسها أنه لم يقفل باب الحديقة الحديدي في المساء • ان جريجوري رجل دقيق المواعيد منظم السلموك ، لا ينحرف أبداً عن القــواعد التي فرضها على نفسه الى الأبد ولا عن العادات التي أخذ نفسهبها خلال سنين • وها هو ذا يهبط درجات الباب عارجاً متلوياً من الألم ، ويتجه الى الحديقة. وكان باب الحديقة الحديدي مفتوحاً حقاً • أتراه لاحظ شيئا يثير الانتباه أو سمع صوتًا لا 'يتوقع ؟ فلما لفت رأسه فجأة نحو السار ، رأى النافذة في غرفة نوم مولاه مفتوحة ، ولم ير أحداً عليها ؟ فتساءل : «كيف تكون النافذة مفتوحة ولسنا في فصل الصيف؟ » بم ولمح في تلك اللحظة نفسها ظلاً يتحرك في الحديقة على مسافة أربعين خطوةً منه • كان هنــاك رجـــل يهرب في الظلام • صاح جريجوري يقول : « رباه ! » ، ثم نسي فجأة

ألمه ، واندفع يركض ليقطع على الهارب طريق الفرار ، فسلل أقصر طريق ، لأنه يعرف الحديفة أكثر مما يعرفها الرجل الذي يطارده ، لقد اتبجه الهارب نحو الحمامات ، فدار حولها ، ثم اندفع صحوب الحائط ، وكان جريجوري يركض بأقصى سرعة دون أن يغيب الرجل عن بصره، فوصل الى السحود في اللحظة التي كان فيها الرجل المجهول يتسلق السور ؟ وها هو ذا يطلق صرخة قوية وقد خرج عن طوره ، ويمسك احدى ساقى الرجل بكلتا يديه ،

لم يخطئه حدسه ؟ عرف الرجل : انه ذلك الشيطان الرجيم « قاتل أبه » •

زأر العجوز يقول:

_ يا قاتل أبيه! •

ولكنه لم يستطع أن يقول أكثر من ذلك : فها هو ذا يهوى على الأرض مجندلاً .

قفز ميتيا الى الحديقة من جديد و مال على الخادم الذى جند له • و كان ميتيا يمسك المدق النحاسى بيده ، فرماه على العشب ذاهلاً • سقط المدق على مسافة خطوتين من جريجورى ، لا بين الحشائش ، بل فى الممر، أى فى أبرز موضع يرى • ولبث ميتيا بضبع لحظات يتأمل جسم العخادم العجوز الدامى رأسسه ، ومد يده يبجس الرأس • لقسد تذكر ميتيا فيما بعد ، تذكراً واضحاً ، أنه شسعر فى تلك اللحظة بحاجة قوية لا تقاوم ، الى « التأكد تأكداً كاملاً » : هل كسرت جمجمة جريجورى أم أن الأمر لا يعدو أن يكون قد أن غمى عليه بسبب الضربة التى أصابت صدغه • ولكن الدم الحاركان يتدفق فيغرق أصسابع ميتيا المرتجفة • وتذكر ميتيا فيما بعد أنه أخرج من جبيه منديلاً نظيفاً كان قد تزود به وتذكر ميتيا فيما بعد أنه أخرج من جبيه منديلاً نظيفاً كان قد تزود به

حين ذهب الى السيدة هو خلاكوفا ، فوضعه على وجه جريجورى ، محاولاً بغباء أن يقطع سيلان الدم على جبينه وخديه ، فسرعان ما ابتل المنديل بالدم خلال بضع ثوان ، فأسرع ميتيا يتساءل فجأة وقد ثاب الى رشده : « ما بقائى هنا ؟ » ثم أضاف يقول يائساً : « وكيف يمكننى أن أعرف الآن هل كُسرت الجمجمة أم لا ؟ وما جدوى هذا على كل حال ؟ ما وقع فقد وقع ، • ولقد كان العجوز متهوراً فنال ما يستحق ! » • بهذا ختم ميتيا كلامه بصوت عال ، ثم اندفع نحو السيور ، فتسلقه ، وقفز الى مينيا كلامه بصوت عال ، ثم اندفع نحو السيور ، فتسلقه ، وقفز الى منديله المبلل بالدم ، فدست و راكضاً • وكان لا يزال يمسك بيده اليمنى منديله المبلل بالدم ، فدستَّه في جيب سترته دون أن يهيدي سرعة ركضه • كان يعدو عدوا شديداً يوشك أن يقطع أنفاسه ؛ ولسوف يتذكر عدة مارة صادفوه في الشوارع أنهم رأوا في تلك الليلة رجلا يهرب في الظلام طائش العقل •

اتنجه ميتيا من جديد الى منزل آل موروسيوف • كانت فينيا قد أسرعت ، بعد انصرافه ، الى بيت البواب نازير ايفانوفتش فتوسلت اليه «باسم يسوع المسيح أن لايدع «للكابتن» أن يدخل المنزل مرة أخرى ، لا في هذا المساء ولا في الغد » ، فوعدها نازير ابفي الطابق الأعلى ، وجاءها ، ولكنه اذ اضطر أن يذهب الى مالكة المنزل في الطابق الأعلى ، عهد بمراقبة الفناء الى ابن أخيه ، وهو فتى في العشرين من عمره كان قد وصل من الريف مؤخراً ، ونسى أن يوصيه بما كان يجب أن يوصيه به شأن الكابتن ، فلما وصل دمترى طرق الباب ، ففتح له الشاب الفلاح فعرفه ، لأن ميتيا كان قد أعطاه « بقاشيش » كبيرة مرات كثيرة ، وتركه يدخل ، حتى لقد أسرع يبلغه ، وهو يبتسم ابتسامة تودد ، أن « أجرافين يدخل ، حتى لقد أسرع يبلغه ، وهو يبتسم ابتسامة تودد ، أن « أجرافين الكسندروفنا است في بينها » • فسأله متنا بحرارة :

[۔] فاین هی یا بروخور ؟

فقال له الشاب:

ــ سافرت الى موكرويه منذ أكثر من ساعتين ، وتولى تيمــوتى قيادة اللخيل •

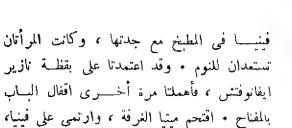
صاح ميتيا يسأله:

ــ ماذا ذهبت تصنع هناك ؟

ـ لا أدرى يا سيدى ! ضابط استدعاها وأرسل اليها عربة تقلها .

كان ميتيا قد انقطع عن الاصغاء اليه · فلقد أسرع يدخل البيت كالمجنون ماحثاً عن فينيا ·

ت دلارمف جي



فقيض على عنقها ، وزأر يسألها خارجاً عن طوره :

_ قولی لی حالاً ، مع من هی فی موکرویه الآن ؟

فأطلقت المرأتان صرخة حادة • وجمجمت فينيا تقول بسرعة وقد استحوذ عليها هلع رهيب :

ــ سأقول كل شيء يا دمترى فيدوروفتش العزيز ، سأتكلم ، لن أخفى شيئًا ، لقد ذهبت جروشنكا الى لقاء ضابطها في موكرويه ،

صرخ ميتيا يسألها:

ـ أي ضابط ؟

فأسرعت تجمه:

ــ الضابط الذي عرفته في الماضي ، منذ خمس سنين ••• الضابط الذي تركها وسافر •

أعتق مينا عنق فينيا • ولبن أمامها لحظة لا ينطق بكلمة ، وقد اصطبخ وجهه بصفرة كصفرة الموت، وعبرن نظرته عن أنه أدرك الحقيقة الآن على حين فجأة ، وأنه فهم كل شيء وحزر كلشيء دفعة واحدة. ولكن فينا المسكينة لم يخطر ببالها في تلك اللحظة أن تلاحظه لتعلم هل أدرك الحقيقة فعلا أم هو لم يدركها • لقد ظلت جالسة على صندوق كما كانت حين وصول مينا ، ولبت ترتعش جامدة على ذلك الوضع نفسه مادة ذراعيها كأنما لتحمى نفسها • وكانت عيناها اللتان اتسعت حدقتاهما من الجزع تحدقان الى مينا الذي كانت يداه حمراوين من الدم ، وكان مينا أثناء الطريق قد اضطر أن يمسح بيديه العرق الذي كان يتصب من وجهه ، فكانت بقع الدم ترى كذلك على جبينه وعلى خده اليمنى • وشعرت فينا أنها توشك أن تصاب بنوبة عصيبة • وكانت العجوز وشعرت فينا أنها توشك أن تصاب بنوبة عصيبة • وكانت العجوز مجنونة من شدة الهلع • وبعد دقيقة من صمت تهالك مينا على كرسي مجنونة من شدة الهلع • وبعد دقيقة من صمت تهالك مينا على كرسي قرب فينا •

كان ميتيا لا يفكر • انه الآن أقرب الى أن يكون خائفا مذهولا • كان كل شيء قد اتضح : انه ذلك الضابط • وكان ميتيا على علم بوجود هذا الضابط مع ذلك وكان لا يجهل أنه كتب الى جروشنكا منذ شهر ، وقد عرف ذلك من جروشنكا نفسها • فخلال شهر اذن ، خلال شهر كامل ، ظلت هذه المؤامرة تدبر من وراء ظهره ، الى أن وصل الخصم الجديد ، دون أن يكون ميتيا قد اهتم بهذا الأمر أو اكترث له أو قلق منه • كيف أمكنه أن لا يفكر في هذا الضابط يوما ، ولماذا نسيه نسيانا تاما بعد أن رأى رسالته ؟ كان هذا السيول يعذب ميتيا كأمر عجيب غريب ، ويبعث في نفسه خوفاً ورعباً •

وهاهوذا ميتيا يخاطب فينيا على حين فجأة برقة ولطف وكياسة ،

كطفل طيب خجول ، دون أن يتذكر كيف داهمها وقسا عليها منذ لخظات ، أخذ يلقى عليها أسئلة واضحة دقيقة يُستغرب صدورها عن رجل في مثل حالته فكانت فينيا تحيبه عن كل سؤال بلطف عظيم وبشاشة كبيرة ، رغم أنها لم تستطع أن تحو ل بصرها المذعور عن يديه الداميتين حتى لقد بدا عليها أنها تحرص على أن لا تكتمه شيئاً وأن لا تخفى عنه شيئاً و ولاح شيئاً فشيئاً أنها تحد مسرة في أن تكشف له عن جميع التفاصيل ، لا بقصد ايلامه ، بل عن رغبة صادقة منها في أن تكون نافعة له ، قصت عليه أحداث النهار تفصيلاً ، وذكرت له زيارة راكبتين وألبوشا ، وحكت له كيف أنها كليفت بالترقب والترصد ، وروت له سفر جروشنكا ، ورد دت على مسامعه التحيات التي حرصت المرأة الشابة على أن تكلف ألبوشا من النافذة بأن ينقلها البه ، بغية « أن يتذكر على مدى حياته الساعة التي أحبته فيها ، فلما وصلت فينيا الى هذه النقطة من حديثها ابتسم دمترى ، واحمر خداه الشاحبان بضع ثوان و وتجرأت من عديد فسألته دون خوف في هذه المرة:

سه لماذا أرى يديك ملوثتين بالدم يا دمترى فيدوروفتش ؟ فأجابها متنا ذاهلاً:

- آ ٠٠٠ نعم ٠٠٠ صحصح ٠

وألقى على يديه نظرة ذاهلة •

ولكنه سرعان ما نسى السؤال الذى أُنلقى عليه ، وغرق فى الصمت ، لقد انقضى نصف ساعة على وجوده هنا ، ان الرعب الذى اجتاحه قبل بضع لحظات قد تبدد الآن ، وبدا على ميتيا أن قراراً حازماً لا رجعة عنه قد استولى عليه وحل محل ذلك الرعب ، وها هوذا ينهض فحأة ويبسم حالم النظرة ذاهل اللب شارد الفكر ،

سألته فينيا وهي تشير الى يديه :

ـ ماذا وقع لك يا سيدى ؟

نظر میتیا مرة أخـری الى یدیه • ثم أجابها وهو ینظر الیها نظره غریبه :

مودم يا فينيا ١٠٠٠ دم السالي ١٠٠٠ الله وحده يعرف لماذا منفح هذا الدم ١٠٠٠ ولكن اعلمي يا فينيا أنه يوجد هنالك سور عال (وكان ميتيا ينظر اليها في تلك اللحظه نظرة من يلقي عليها «فزورة»)، سور رهيب ١٠٠٠ وغداً ، عند الفجر ، حين تبدأ الشمس مسيرتها، سيقفز ميتيا ذلك السور ١٠٠٠ انك لا تفهمين يا ميتيا أي سور أعني ١٠٠٠ لا ضير ١٠٠٠ سيتعرفين ذلك غداً ، وسيتفهمين عندئذ كل شيء ١٠٠٠ أما الآن ، فوداعاً ! لن أكون عقبة في طريق سعادتها ، سأعرف كيف أما الآن ، فوداعاً ! لن أكون عقبة في طريق سعادتها ، سأعرف كيف أمحى ١٠٠٠ عيشي واسعدي يا فرحتي ، يا ضييائي ١٠٠٠ لقد أحببتني ساعة ، ولسوف تذكرين ميتكا كارامازوف طوال حياتك ١٠٠٠ تعلمين أنها كانت تناديني ميتكا !

قال ميتيا هذه الكلمات وخرج من المطبخ فظهر على فينيا أن انصرافه هذا قد أرعبها أكنر مما أرعبها وصوله حين اقتحم الغرفة وهجم عليها •

وبعد عشر دقائق تماماً كان دمترى فيدوروفتش يمثل أمام بطرس ايلتش برخوتين ، الموظف الشاب الذى استودعه المسدسين رهنا. كانت الساعة قد بلغت الثامنة والنصف ، وكان بطرس ايلتش قد احتسى الشاى ، وارتدى ردنجوته ليمضى يلعب البلياردو قليلاً في كاباريه

« العاصمه الكبرى » • • • وصل اليه مينيا في اللحظة التي كان يهم فيها أن يخرج • فما ان رأى الشاب يديه الداميتين حتى صرخ مدهوشاً • ـ ماذا وفع لك ؟

_ لا شيء ! جثت أردُ اليك مالك واسترد المسدسين • لقد قدمت لى خدمة كبيرة أنا مستعجل جداً يا بطرس ايلتش ، فلا نضيعن الوقت. كانت دهشة بطرس ايلتش ما تنفك تزداد : ذلك أنه رأى في يدى متنا كدسة أوراق نقدية ، وأغرب ما في الأمر أن منتا كان يمسك كدسة الأوراق النقدية كما لا يمسكها أحد: كان قابضاً علمها بيده الىمنى التي يقدمها الى أمام كأنما لىعرضها • وفد صرَّح الحادم الشاب الذي يعمل في منزل الموظف ، صرَّح فيما بعد أن دمتري فيدوروفتش

قد دخل المنزل وهو على هذه الحال ، وأن أغلب الظن اذن أنه كان في الشارع أيضاً يحمل حزمة الأوراق النقدية (وهي أوراق من فئة المائة

روبل) بيده على هذه الصورة بحيث يراها الناس بسهولة •

كان متنا يشد على الأوراق النقدية بأصـــابعه المدماة • وقد ذكر بطرس ايلتش للأشخاص الذين سألوه فيما بعد عن المبلغ هل هو ضخم، ذكر أن من الصعب تقديره بالنظر وحده ، وأن من الجائز أن يبلغ ألفي روبل وربما ثلاثة آلاف روبل ، غير أن الكدسة كانت كبيرة على كل حال ، كانت سمىكة جداً . أما دمترى فيدوروفتش فلقد كان ، كما ورد في الشهادة التي أدلى بها هذا الموظف الشاب فيما بعد ، في حالة غير طبيعية ، ولكنه لم يكن ثملاً ، وانما كان شديد الاندفاع ، عميق الذهول، رغم أن منظره يُشعر في الوقت نفسه بأنه كان يُركز ذهنه على فكرة تشغله ، فهو يندو مفكراً باحثاً عن حل لا يفلح في الوصول اليه • وكان عدا ذلك مستمجلاً جداً ، وكان بحب بأجوبة ماغتة ، وجمل قصيرة ، غريبة • وكان يمكن أن يُنظن في بعض اللحظات أنه فرح لا حزين ه • صاح بطرس ايلتش يســـأل من جديد وهو يتفرس في ذائره مذهولاً:

_ ولكن ماذا بك؟ ماذا فعلت حتى تلطخت بالدم هذا التلطخ كله؟ أتراك سقطت على الأرض؟ أنظر الى نفسك في المرآة •

قال له ذلك وأمسكه من كوعه ودفعه نبحو مرآة • فلما رأى ميتيا وجهه دامياً ارتعش وقطب حاجبيه • ودمدم يقول حانقاً :

ـ هه! لم يكن ينقص الا هذا ٠٠٠

وأسرع ينقل الأوراق المالية من يدها اليمنى الى يده اليسرى ، وأخرج منديله من جيبه بحركة متشنجة • كان هذا المنديل (الذى استعمله ميتيا في مسح وجه جريجورى) ملطخا بالدم ، وكانت طياته قد التصقت بعضها ببعض التصاقاً قوياً فلم يفلح ميتيا في فضها ، فرمى المنديل على الأرض غاضاً وهو يسأل بطرس ايلتش قائلاً :

ـ أليس عندك خرقة ٠٠٠ أمسح بها ؟

ـ تمسيح ؟ أأنت تلوثت بالدم تلوثاً فحسب ؟ ألست جريحاً اذن ؟ اذا كان الأمر كذلك فتعال اغتسل • سأعطيك طشت ماء •

_ شكراً •• ولكن أين أضع هذا ؟

قال ذلك وهو يشير الى حزّمة الأوراق المالية ، سـائلاً بطرس ايلتش بنظراته كأن بطرس ايلتش هو الذى يقع على عاتقه أن يقرر ماذا يفعل ميتيا بماله • قال بطرس ايلتش :

_ ضع المال في جيبك ٠٠٠ أو ضـعه على المائدة هنا ٠٠٠ فلن يأخذه أحد ٠

ـ في جيبي ؟ طبعا في جيبي ٠٠٠ عظيم ٠٠٠

ثم صاح يقول فحأة كأنه يبخرج من ذهوله :

ــ هذا كله سخيف! ٠٠٠ لا ٠٠٠ يجب أن نسوتى تلك المسألة أولاً ٠٠٠ هان المسدسين ٠٠٠ اليك المال ٠٠٠ اننى فى حاجة ماسة الى المسدسين ٠٠٠ وأنا مستعجل جداً ٠٠٠ ليس هناك لحظة أسستطيع أن أضيعها ٠

قال ذلك ومدً الى الموظف ورقة بمائة روبل كانت أولى أوراق الحزمة ، فقال له بطرس ايلتش :

ـــ لا أستطيع أن أبدلُّها لك ٠٠٠ أليس معك نقود صغيرة ؟

فأجابه ميتيا :

· · · Y _

ولکنه جس ورقتین أخربین أو الاث ورقات أخری کأنه غیر مثأکد من صحة جوابه ، ثم أضاف :

ـ لا ٠٠٠ ليس عندى أوراق صغيرة ٠٠٠ هى جميعاً واحدة • قال ذلك ونظر الى بطرس ايلتش مرتبكاً •

سأله الموظف الشاب:

ــ من أبين جاءتك هذه الثروة كلها ؟

ثم أضاف يقول:

ــ انتظر ! سأرسل الصبى الى مخزن آل بلوتنيكوف • انهم يغلقون متجرهم فى ساعة متأخرة ، وسيبدلون لنا هذه الورقة • هيه ! ميشا !

كذلك نادى الصبيُّ وهو يفتح الباب •

هتف ميتيا يقول فيما يشبه الألهام المباغت :

ــ مخزن آل بلوننكوف ؟ فكرة رائعة ٢٠٠٠

ثم قال يتخاطب الصبي الذي دخل العرفة في تلك اللحظة :

ــ مشا؟ أركض الى متجر آل بلوتنيكوف * ، وقل لهم ان دمترى فيدوروفتش يبلغكم تحياته ، وانه سيجيء اليكم بنصبه بعــد فليل ٠٠٠ وقل لهم أيضاً هذا : أن يحضروا نسمبانيا بانتظار وصولى اليهم • نعم ••• ثلاث دستات شمبانيا ٠٠٠ وليحزموها كما فعلوا في المرة الأخيرة حين أضاف يقول فجأة وهو يلتفت الى بطرس ايلتش) • وهم يعلمون على كل حال ، يا ميشا ٠٠٠ لا تهتم بشيء (هكذا استأنف كلامه مخاطيـــاً الصبي) ٠٠٠ ها نعم! قل لهم أيضاً أن يضـــيفوا جبنــاً ، وفطائر من ستراسبورج ، وأسماكاً مدخنة ، وشرائح من فحذ الخنزير ، وكافياراً ، أى شيئًا من كل ما عندهم في مخزنهم ، بحيث يكون ثمن المجموع مائة أو مائة وعشرين روبلاً كما في المرة السـابقة ٠٠٠ وقل لهم كذلك أن لا ينسوا الملسن والسكاكر الذوابة والكمثري ، وبطبختين أو ثلاثاً ٠٠٠ لا بل تكفى بطبخة واحدة ٠٠٠ ولكن لا بد في مقابل ذلك من شوكولاتة وسكر شعير ، وفاكهة مرببة وكارامل لين ، تماماً كالمرة الماضية ؟ فيكون الثمن مع الشميانيا حوالي ثلاثمائة روبل ٠٠٠ تماماً كالمرة السابقة ٠٠٠ هل ستنذكر يامشاً ؟ ألسن اسمه مشاً ؟ (وجَّه هذا السؤال الي بطرس ايلتش) •

قال بطرس ايلتش الذي كان يصغى اليه ويلاحظه قلقاً :

_ لحظة ! • • • أليس الأفضل أن تأمرهم أنت باعداد الأشـــياء ؟ لا شك أن الصبي سيخطيء •

ـ سيخطىء ، سيرتبك ! أوه ! ميشا ! كنت أريد أن أقبِّلك منــذ

الآن شكراً لك ٠٠٠ اسمع : اذا لم تخطىء فى تنفيذ المهمة ، فلك منى عشر روبلات ، هيا أسرع ٠٠٠ لا تنس الشمبانيا خاصة ، يجب أن يحتضروا كتيراً من الشممانيا ٠٠٠ وكذلك من الكونياك ٠٠٠ أبيض وأحمر ٠٠٠ تماماً كالمرة السماية ، هم يعرفون ما طلبته فى المرة السابقة ،

قاطعه بطرس ايلتش قائلاً وقد نفد صبره :

ــ هلاً تركتنى أتكلم آخر الأمر ؟ أعود فأقول لك : حسب الصبى أن يجيئنا بالنقود ، وأن يوصيهم بأن لا يغلقوا متجرهم قبل وصولك . وستذهب اليهم فورآ ، فتعمل ما يجب بنفسك ، اعطنى هذه الورقة ... والأن هيًا يا ميشا ، وأسرع ... فهمت ؟

يبدو أن الموظف كان حريصاً على أن يسرع فى صرف ميشا الذى كان ينظر محملق العينين الى الزائر الذى تلطخت يداه وتلطخ وجهه بالدم وحملت أصابعه المرتعشة حزمة من الأوراق المالية • كان الغلام واقفاً أمام ميتيا فاغر الفم ، ولعله لم يفهم شيئاً مما كان يقال له •

فلما انصرف الغلام قال بطرس ايلتش بلهجة جافة :

_ والآن ثعال اغتسل • ضع المال على المائدة أو ضعه فى جيبك ••• هكذا ••• اقترب ••• اخلع عنك هذا الردنجوت !

وساعده في خلع الردنجوت ، فاذا هو يصبح فجأة من جديد قائلا :

ـ أنظر ٠٠٠ الردنجوت أيضاً ملوث بالدم ٠

ــ ليس هو ٠٠٠ ليس هو الردنجوت ٠٠٠ الكم وحده انســـخ قليلاً في هذا الموضع ٠٠٠ وهنا أيضاً ٠٠٠ ذلك لأنني هنا انها دسست المنديل ، فنضح الدم ٠٠٠ ولا بد أننى قعدت عليه عند فينيا ، فرشح الدم من الجيب ٠

كذلك راح ميتيا يشرح الأمر في سورة من ثقة عجيبة • فقطب بطرس ايلتش حاجبيه • وقال متذمراً :

ـ مأنت ذا دبرت أمرك! أتراك اقتتلت مع أحد؟

وابتدأ التنظيف • تناول بطرس ايلتش جرة وأخذ يسكب الماد فكان ميتيا من فرط تعجله لا يحسن « تصبين » يديه (كانت يداه ترتمشان ؟ تذكر بطرس ايلتش ذلك فيما بعد) ، فأمره الموظف الشاب بأن يعيد الكرة فيصبن يديه من جديد • كان الموظف في تلك اللحظة يسيطر على ميتها ، وكان سلطانه عليه يقوى شيئا بعد شيء • يحسن أن تشير هنا الى أن هذا الشاب لم يكن خجول الطبع •

ـ أنظر: لقد نسيت أن تنظف ما تحت الأظافر • وادلك وجهك الآن • أكثر من هذا! هنا على الصدغين ، وقرب الأذن أيضًا ••• هل تنوى أن تنصرف لابسًا هذا القميص ؟ والى اين تريد أن تذهب؟ ألا ترى أن الكم اليمنى ملأى بالدم ؟

فقال ميتيا وهو يفحص الكم:

- _ حقا! انها ملطخة •
- ـ بِتَّدل اذن ملابسك الداخلة •

ــ لا يتسع وقتى • ســـأدبر هذا الأمر : أثنى طرف الكم نحو الداخل ، فلا يُـرى الدم ••• هكذا •••

كذلك أجاب ميتيا بتلك الثقة نفسها ، وهو يجفف وجهــه ويديه ويرتدي ردنجوته . _ قلى لى الآن ما وقع لك؟ هل اقتلت مع أحد؟ مع من اقتتلت؟ أفى الكاباريه ، كما حدث هذا من قبل ؟ أتراك اقتتلت مرة أخرى مع ذلك الكابتن نفسه الذى جررته الى الشارع وأخذت تضربه ضرباً مبرحاً؟ (ذكر بطرس ايلتش ذلك المشهد بلهجة لائمه) • من ذا ضربت اليوم • • • أم تراك قتلت أحداً ؟

_ سيخافات !

ـ سعخافات ؟ ماذا تعنى ؟

قال ميتيا:

ــ دعك من هذا الأمر •

ثم استدرك يقول مبتسماً وقد ثاب الى نفسه:

ــ دست امرأة عجوزاً في الميدان •

_ دست امرأة عجوزاً •

ـ بل رجلاً عجوزاً .

كذلك صحتَّح ميتيا أجابته ضــاحكاً ، وصارخاً كأنه يكلم رجلاً أطرش • وكان يسدد نظراته الى عيني بطرس ايلتش •

ـ رجل عجوز ٠٠٠ امرأة عجوز ! ٠٠٠ أصبحت لا أفهم ! ٠٠٠ أتراك قتلت أحداً ؟

ـ لا بل تصالحنا • تضاربنا في أول الأمر ثم تصالحنا بعد ذلك • حدث ذلك هناك • وافترقنا صديقين • ثم انه غبى أبله • • • أوه ! لقد غفر لى وعفا عنى • • • لابد أن يكون قد صفح عنى في هذه الساعة • • • ولو قد نهض ، لما أمكن أن يخفر لى • • • هه • • • فليذهب الأبله الى

الشيطان! هل تسمعنى يا بطرس ايلتش ؟ فليذهب الى الشيطان! لا أريد أن أهتم به بعد الآن ، لا أريد أن يخطر ببالى في هذه اللحظة!

كذلك صاح ميتيا يقول بلهجة قاطعة • قال بطرس ايلتش:

_ لا أحب أن أكون كنير الفضول ٠٠٠ ولكن أيه لذة تجد في التشاجر مع أول قادم ٢ ٠٠٠ وفي سبيل ترهات وسفاسف ، كما حدث مع ذلك الكابتن ٢ تقتتل ثم تمضى تلهو وتقصف ، ذلك طبعك حقاً ! ثلاث دستات شمانا ! أين تقدر أن تشرب هذا كله ؟

- أعطنى المسدسين بسرعة • أنا مستعجل جداً ، أحلف لك ! كنت أود لو أثر ثر معك يا عزيزى ، ولكن ليس فى وقتى مسع • ثم فيم النرثرة ؟ لقد فات أوان الـكلام الآن • آه !••• ولكن ! أموالى ، أين أين وضعتها ؟

كذلك هتف يقول وهو يفتش جيوبه واحداً بعد آخر •

ما أموالك على المائدة ٠٠٠ هناك ٠٠٠ وضعتها على المائدة بنفسك هل نسيت ؟ لكأن المسال ليس له أى شأن عندك حقاً ! أما مسمسلا فهاكهما ٠ انى لأستغرب أن تكون قد رهنتهما لاقتراض عشر روبلات عند العصر ، ثم اذا بك تقبض بيديك الآن على ألوف ٠ كم معك على وجه الدقة ؟ ألفان ، ربما ثلاثة آلاف ؟

أجاب ميتيا ضاحكاً:

ــ ثلاثة آلاف ٠

ودس الحزمة في جيب سرواله •

ـ سوف تضيعها هكذا ؟ أثراك اكتشفت منجم ذهب ؟

صــــاح میتیـــا یقول بصوت قوی وهو ینفجر بضحك صاخب مجلجل :

ـ مناجم ، مناجم ذهب ! هل تهمك المنسساجم يا عزيزى الشهم برخوتين ؟ اننى أعرف هنا سيده تعطيك ثلاثة آلاف روبل على الفور اذا أنت مضيت باحثاً عن المناجم • لقد أعطتنى أنا ثلاثة آلاف روبل ، فالى هذا المدى يذهب جنونها بالمناجم ! هل تعرف السيدة هوخلاكوفا ؟

ــ أعرفها بالنظر ، وبالسمعة أيضاً • أهى التي أعطتك النلائة آلاف روبل ؟ أعطتكها هكذا ؟

كذلك سأله بطرس ايلتش وقد بدا فى وجهه أنه لم يصدق زعم صاحبه •

- اذا كنت لا تصدق ما أقول فاذهب اليها غداً منذ الفيجر ، ساعة يرتقى فيبوس قبة السماء مسبحاً بحمد الرب ممجداً عظمته بشسبابه المخالد ، اذهب اليها فاسألها ألم تعطنى ثلاثة آلاف روبل ، وسسوف تعلم ،

_ لا أتدخل في علاقاتك • وما دمت تؤكد ذلك جازماً فلا بد أن يكون صحيحاً • • • ولكنك ما ان استلمت المبلغ حتى أخذت تلهو وتقصف وتبدد ، بدلاً من أن تذهب الى سيبيريا ! • • • الى أين تنوى أن تذهب في هذه الساعة ؟

ــ الى موكرويه •

ــ الى موكرويه ؟ ايلاً ؟ قال مشا فحأة :

_ كان العالم ملك يميني ، فأصبحت لا أملك الآن شيئًا !

_ لا تملك شيئاً ؟ وهذه النلائه آلاف روبل ؟

_ لا قيمة لها عندى ! ألا فليذهب المال الى الشيطان ٠٠٠ وانما أنا أتكلم عن طبع النساء ٠٠٠

> فكر النساء سريع التصديق * وقلبهن كثير التقلب فاسد

ان أوليس هو الذي قال هذا ، وأنا أوافقه في الرأى كل الموافقة . _ لا أفهمك .

د افهمت

_ أظن أنك تحسبني ثملاً كا

ـ لا تملاً ، ولكن ربما أسوأ من ذلك م

ـ أنا ثمل بالمعنى المجــازى يا بطرس ايلتش ، لأن روحى هي السكرى • ولكن كفي هذا الآن •••

_ ماذا تفعل ؟ أتحشو مسدسك ؟

_ نعم أحشوه •

كان مينيا قد فتح علبة السدسين فعلاً ، فبعد أن سكب باروداً في خرطوشة ، دس الخرطوشة في المسدس ؟ وقبل أن يضع الرصاصة في السبطانة ، أمسكها بين اصبعين وأخذ ينعم النظير اليها في ضوء الشمعة .

سأله بطرس ايلتش الذي كان يراقبه بفضول قلق:

ـ لماذا تنظر إلى الرصاصة ؟

ــ هى نزوة لا أكثر ٠٠٠ لو كنت تنوى أن تُسكن هذه الرصاصة في دماغك ، أفما كنت تنظر اليها حين تحشو المسدس ؟

أنظر الها؟ لماذا؟

ما دامت ستنفذ في جمجمتي أنا ، فانه ليهمني أن أرى هيئتها قليلاً! • • • هذه سخافات أقولها على كل حال ، لا أدرى ماذا أصابني • ثم أضاف يقول بحرارة وهو يدخل الرساسة ويرسخيها بالمشاقة :

ــ انتهى ! ما هذا كله الا ســـخافات يا عزيزى بطرس ايلتش ، سيخافات لا أكر ٠٠٠ ليتك تعلم مدى ما في هذا كله من غباء • أعطني ورقة بسرعة !

- _ هذه ورقة •
- ــ بل أريد ورقاً نظيفاً أكتب عليه هذا يصلح على كل حال •

وتناول ميتيا ريشة من على المنضد، ، فكتب على الورقة سطرين بسرعة ، وحلوى الورقة أربعة أرباع ، ودستها في أحد جيوب صديرته ، وبعد ذلك أعاد المسدسين الى العلبة ، وأفقلها بالمفتاح واحتفظ بهسا في يده ، ثم راح ينظر الى بطرس ايلتش ملياً ، وهو يبتسم ابتسامة حالمة ، وقال :

- _ والآن أمضي ؟
- _ الى أين ؟ قف ! ألعلك تفكر فعلاً في ارسال هذه الرصاصة الى رأسك ؟
 - كذلك سأله بطرس ايلتش متدخلاً ، وقد اشتد قلقه •
- هذه الرصاصة ؟ يا للغباء! ألا فاعلم أننى أريد أن أحيا ، لأننى أحب الحياة ! اننى أعظم حباً لفيبوس وضفائره الذهبية وحرارته من أن

يخطر ببالى الانتحار ٠٠٠ قل لى يا عزيزى بطرس ايلتش : هل تستطيع أنت أن تمتّحى ؟

- ـ أن أميحي ؟ ماذا تعني ؟
- ـ نعم أن تمنّعى ، أن تزول من الدرب ، أن تخلى السـاحة للانسان الذى تحب حتى ذلك الذى تكرهه ؛ وأن تحب حتى ذلك الذى كان عليك أن تكرهه ، • أن تبتعد عن طريقهما قائلاً : « هيئًا اسعدا ، ولـحرسكما الله ، أما أنا فسوف •
 - _ سوف ٥٠ ماذا ؟
 - _ لا شيء ! فلأمض ٠٠٠
- _ أحسب أننى سأبلغ أقرباءك ليمنعوك من السفر ماذا عسمالك فاعلاً في موكرويه ؟

كذلك قال بطرس ايلتش وهو يتفرس في ميتيا • فأجابه ميتيا :

- _ في موكرويه امرأة ٠٠٠ امرأة ٠٠٠ هأنت ذا عرفت الآن مافيه الكفاية يا بطرس ايلتش ! حسبك هذا !
- ــ اسمع لى : أنت انسان متوحش ، ولكنك كنت دائماً محبباً الى قلمي فأنا الآن شديد القلق علمك •••
- ــ نسكراً يا أخى ! أتقــول اتنى متوحش ؟ هذا صحيح ! ذلك ما كنت أدعيه دائماً : متوحشون ، متوحشون ، • آ • هذا ميشا قد عاد كنت قد نسيته •

وصل میشا لاهثاً یحمل النقود • فذکر أن آل بلوتنیکوف قد «هبوا یتحرکون ویعملون » ، فهـــم یحملون الزجاجات ویهیئون الســـمك ویجلبون الشای ، وأن كل شیء سیكون قد تم اعداده بعد بضع دقائق • تناول ميتيا ورقة مالية بعشرة روبلان ، فمدُّها الى بطرس ايلتش ، ورمى للصبى ورقة أخرى بتلك القيمه نفسها .

مستحبل! لا أسمح لك بأن تعطيه « بقاسيش » في دارى • فان ذلك سيفسده • أعد هذا المال الى جيبك ولا تبدده • قد تحتاج اليه في القريب • اننى لأتنبأ بأن تعود الى منذ الغد لتستدين عشرة روبلات • • • ولكن لا • • • لا تدس جميع همذه الأوراق في جيب السروال ، والا ضاعت منك!

_ هيه يا صديقي ! ليتنا نذهب الى موكرويه معاً • ما رأيك ؟ _ ما ذهابي أنا الى هناك ؟

- اسمع ! سنعنج احدى الزجاحات لنشرب تسجيداً للحياة • اننى فى حاجه الى شرب شىء من السمانيا • فلنشرب معاً ! أظن أننا لم نشرب معاً فى يوم من الأيام ! وأنا أحرص على هذا وأصر عليه !

ـ لك ما تشاء! فلنذهب اذن الى الكاباريه • لقد كنت أنوى أن أذهب الى هناك •

ــ لا الى الكاباريه! ليس فى وقتى منســـع • سنشرب عند آل بلوتنيكوف ، فى الحجرة التى وراء الدكان • سألقى عليك « فزورة » ، هل توافق ؟

_ ألقها •

أخرج ميتيا من جيب صديرته الورقة التي كان قد طواها ووضعها فيها ، ففض الورقة وأطلع عليها الموظف الشاب ، فقرأ هذا الجملة التالية التي كتبها عليها ميتيا بأحرف كبيرة : « اننى أعاقب نفسى مكفتّراً عن حياتي كلها ، وأقبل هذا العقاب » .

قال بطرس ايلتش بعد أن قرأ الجملة :

ــ أحسب حقاً أن على ً أن أبلغ أفاربك ! سأفوم بهذا !

ـ لن ينسع وقتك يا عزيزى ! هلم َّ نشرب ! ذلك أفضل !

يقع متجر آل بلوتنيكوف في ناصية الشارع قريباً جداً من دار بطرس ايلتش ۱۰ انه أكبر « بقالية » في المدينة ، وهو مشروع تجارى مزدهر ناجح يحسن أصحابه ادارته ؛ وفي هذا المتجر يباع كل شيء ، كما في المخازن الكبرى بالعاصمة : خمور من « أقبية الاخوة السيف » ، فاكه ، سيجار ، شاى ، سكر ، بن ، الخ ، وفيه يعمل ثلاثة مستخدمون مقيمون ، وغلامان متجولان يحملان السلم الى منازل الزبائن ، لقد أصيب اقليمنا بفقر شديد ، وغادره أثرياء المالكين ، وبارت التجارة فيه ، ولكن مخازن البقسالة ظلت مزدهرة ، حتى ليمكن القول انها تزداد ولكن مخازن البقسالة ظلت مزدهرة ، حتى ليمكن القول انها تزداد يشتريها في كل زمان ،

كان آل بلوتنيكوف ينتظرون وصول ميتيسسا الى مخزنهم نافدى الصبر ، لأنهم يتذكرون ما اشتراه منذ بضعه أسابيع من سلع كثيرة ، اذ ابتاع ، دفعة واحدة ، من الخمور والبضائع ما بلغت قيمته بضع مئات من الروبلات عدا ونقدا (وما كان لهم بطبيعة الحال أن يبيموه شيئاً بالدين)؛ وهم لم ينسوا أيضاً أنه كان يحمل بيده ، كما في هذه المرة ، حزمة أوراق مالية ضخمة ، وأنه كان يرميها لهم دون أن يساوم ودون أن يفكر في فائدة تلك السلم الكثيرة التي اشتراها ، وقد روى بعد ذلك في المدينة كلها أنه «حين ذهب الى موكرويه بصحبة جروشنكا ، قد أنفق في لبلة واحدة وفي النهار الذي أعقب تلك الليلة مبلغ الثلاثة آلاف روبل كله ، ثم عاد من ذلك القصف بغير قرش واحد في جيبه ، كما ولدته أمه

تماماً » • ذلك أنه قد استأجر فرقة من الغجر (كانوا يعسكرون أيامئذ على مقربة من بلدتنا) ، فرتب هؤلاء أمرهم بحيث يسلبونه مشات ومئات من الروبلات ، ومن أجل أن يفتحسوا أعداداً كبيرة من الزجاجات ، مستغلين سكره • وقد روى الناس أيضاً ، في معرض السخر من ميتا ، أنه قدم شمانيا لفلاحي موكرويه ، وأنه أشمسبع بنات الحي فطائر ستراسبورجية وأنواعاً من الحلوى • وكان النساس يتندرون أيضاً ، ولا سيما في الكاباربه (ولكن لا بتعضور ميتيا ، والا تعرضوا للمخاطر) ، كانوا يتندرون بتلك الواقعة التي ذكرها هو نفسه على رءوس الأشهاد ، وهي أنه لم يحفل من جروشكا ، من قبيل المكافأة له على تلك الرحلة ، الا بقبلة من قدمها ، ولا شيء غير ذلك » •

حين اقترب ميتيا وبطرس ابلتش من البقاليه وجدا على بابها مركبه ترويكا مجهزة تماماً ، مزينه العدة بأجراس ومفارش ، وعربه مزودة بغطاء مريح ، وكان الحوذي آندره ينتظر ميتيا متربعاً على مقعده وكان في الدكان منذ ذلك الحين صندوى خشبي كبير قد ملىء تقريب بالسلع التي أمر بها ميتيا ، وكان أصبحاب التجر لا ينتغلرون الا وصول ميتيا لتسمير العندوق ووضعه في العربة ،

دهش بطرس ایلتش ، فسأل میتیا : ــ من أین جانت مركبة الترویكا هذه ؟

فأجابه منما:

لله لقد التقيت بآندره حين كنت آنياً اليك ، فأمرته بأن ينظرني مع المخيول أمام البقالية ، فلقد كان على أن لاأخيت وفئاً ، ان تيمودي هو الذي قادني في المرة السابقة ، ولكنه سافر في هذا المساء مع سلامه دون أن يحفل بي ٠٠٠ ترالالا ٠٠٠ هل سنتأخر كبيراً يا آندره ؟

أسرع آندره يحيب:

لن يسبقونا الاساعة واحدة فى أكنر تقدير ١٠٠ بل أفل من ذلك ! ١٠٠ ساعة قصيرة ! لقد قرنت خيول تيمودى بنفسى ، وأنا أعرف سرعتها • لأقودنتك بسرعة غير تلك السرعة يا دمترى فيدوروفتش ! هل تظن أنهم يمكن أن يقاسوا بنا ؟ لن يصلوا قبلنا بساعة كاملة •

كذلك قال آندره مؤكداً بحرارة ، وهو وجل ما يزال شاباً ، أحمر الشعر ، جاف الجلد ، يرتدى قميصاً ويحمل قفطانه على ذراعه .

_ لك منى خمســـون روبلاً « بقشيشاً » اذا لم نتأخر أكثر من ساعة !

ــ اعتمد علی یا دمتری فیدوروفتشی. ساعة ؟ سیکون من حقهم أن یعتزوا ویفتخروا اذا هم سبقونا بنصف ساعة ؟

أخذ ميتيا يتحرك في المتجر في فوضى مضطربة ، متنقلاً من طلب الى طلب آخر قبل انهاء الطلب الأول ، فرأى بطرس ايلتش أن من واجبه أن يتدخل محاولاً تخفف اندفاعه والحد من جنونه ،

قال ميتيا آمراً:

ـ أريد أن يكون الثمن اربعمائة روبل على الأقل ، تماماً كالمرة السابقة ، أربع دستات شمبانيا ، هل تسمعون ؟ لا أريد أن تنقص زجاجة واحدة !

ـ صرخ بطرس ایلتش :

ـ قف ! ما عساك صانعاً بكل هذا العدد من زجاجات الشمبانيـا ؟ ماذا يحتوى هذا الصندوق الخشبى ؟ لا يمكن أن يكون فيه ما يساوى ثمنه اربعمائة روبل .

أسرع المستخدمون يشرحون له ، بلهجه متلطفة ، أن هذا الصندوق الأول لا يحتوي الا سن زجاجان من الشمياما ، وانه يحتوي كذلك « الأشاء الضرورية جداً » كالمقلات ، والملس ، والحلوي ، النج ٠٠٠ أما « الغلات » الأسماسية فستحزم على حدة ، بم ترسل كالمرة السمايفة على ترويكا أخرى تصل بعد « دمتري فدوروفتش بأقل من ساعة a •

فال مشا ملحاً:

ــ بعد ساعة واحدة ، لا أكتر من ذلك • وستضعون فيها أكبر قدر ممكن من الجاتو والكارامل • ان البنات هناك يعشقن الجاتو والكارامل • كذلك أضاف يقول بحرارة :

قاطعه بطرس ايلتش يقول شبه غاضب:

_ أوافق على الكارامل! ولكن ما عساك صائعاً بأربع دســــتات من زجاجات الشمانيا ؟ تكفيك دستة واحدة وتزيد!

وأخذ بطرس ايلتش يساوم ،وطلب أن يرى الماتورة ، وتحرك كثيراً ، ثم لم يستطع آخر الأمر أن ينقذ الا مائة روبل ، فنقرر أن لايزيد ثمن البضائع المشتراة على ثلاثمائة روبل •

ثم صاح بطرس ايلتش يقول وقد نفد صبره وضاق ذرعاً :

ـ شيطان يأخذكم! ما أغاني اذ أتدخل في هذه الأمور ، وأقحم نفسي فيها! بدَّد مالك كما تشاء ، وارمه من النافذة اذا حلا لك ذلك ، ما دمت قد كسته بغير جهد!

فقال له ميتيا وهو يجره الى الغرفة التي تقع خلف الدكان :

_ هدىء روعك يا معلمي ! سأتوننا الآن بزجاجة ترطب حلقينا !

نل لى يا بطرس ايلتش : لماذا لا تسافر معى ؟ أنت شاب شهم ، واتنى أحب أمثالك من الرجال •

جلس ميتيا على مقعد أمام مائدة مغطاة بمفرش غير نظيف • وجلس طرس ايلتش قبالته ، وجيئا بالشمبانيا • واقترحت عليهما محارات « من بوع فاخر وصلت مؤخراً » ، فقال بطرس ايلتش رافضاً الاقتراح في نفض :

ـ دعوني من محاراتكم ، فانني لا أحب المحار ٠

وقال منيا :

ــ لا يتسع وفشـــا لأكل المحار ، ثم اننى لا أشتهى أن آكل الآن محاراً .

ثم التفت يقول لبطرس ايلتش وقد تحمس على حين فجأة :

ـ اسمع يا صديقي ، انني اكره كل هذه الفوضي .

_ ومن ذا الذي لا يشمئر منهـا ؟ ثلاث دســـتات من زجاجات الشمبانيا ٠٠٠ ولمن ؟ لفلاحين ؟ ألا ان هذا ليتير التقزر ويبعث الغثيان !

ما ليس هذا ما أعنيه و فانما أنا أقصد الفوضى التي تشوش النظام الأعلى ، نظام النفس ، نظام الروح! لقد أعوزنى دائما ذلك النظام و و السب في نفسى انسجام و و لكن انتهى الآن كل شيء ، فعسلام الندم والأسف ؟ فات الأوان! لا بأس! وو م تكن حياتى كلها الا فوضى طويلة ، وقد آن لى أن أدخل عليها شيئاً من النظام و اننى أسستعمل استعارات وكنايات رديئة ، هه ؟

ـــ بل قل انك تخرف ! ••• قال مشا :

الجد للخالق في الخلق الجد للخالق في نفسي *

لقد نظمت هذا البيت من الشعر في الماضي ، انبجس مني في ذات يوم انبجاس دمعة ٠٠٠ أوه ! لم يكن هو اليوم الذي جررت فيه الكابتن من لحته !

ـ لماذا تتكلم عن ذلك الكابتن ؟ انه ! ٠٠٠

_ لماذا ؟ لماذا ؟ آه ••• ما كل شيء الا دخان ! كل شيء يتبدد ! كل شيء يزول آخر الأمر !

_ اسمع ! ان مسدسیك یقلقایی ۰۰۰

ما المسدسات الا دخان! اشرب ، و كف من قول هذه السخاقات! اننى أحب الحياة ، ١٠٠ اننى أسرف فى حب الحياة ، حتى لأخجل من ذلك! كفى! فلنشرب يا عزيزى ، فلنشرب نخب الحياة ، نخب الحياة ! لماذا أنا معجب بنفسى! اننى نبرير ، ولكننى راض عن نفسى! ومع ذلك يعذينى أن أحب نفسى هذا الحب رغم صغارى ودناءتى! اننى أبارك الحليقة ، واننى مستعد لأن أسبح بحمد الحالق ، وأن أتغنى بعظمته ، ولكن ١٠٠ يجب أولا سحق حشرة خبيت حتى لا تسمم حياة الآخرين ١٠٠ هيه يا أخى! فلنشرب نخب الحياة ! أى شى، أفغل من الحياة ؟ لا شىء أفضل من الحياة ؟ لا شىء أفضل من الحياة ؟ لا شىء أفضل من الحياة ، لا شيء أفضل من الحياة ، لا شيء أفضل من الحياة ، للكات !

_ لك ما تشاء! فلنشرب الحب الحياة ، ولنشرب للحب ملكة قلبك. وأفرغ كل من الرجلين كأساً . كان مشا ، الحذر المهذار في آن

واحد ، ببدو حزيناً ، كأن هما ثقيلاً يجبُم على صدره وليس يستطيع طرده .

ـ ها ٠٠٠ هاهوذا ميشا ، ها هوذا غلامك ميشا قد دخل ! نعال الى هنا أيها الصبى الطيب ! اشرب كأساً معنا ، تمجيداً لفيبوس وضـفائره الشقراء ، تمجيداً للشمس التي ستطلع غداً ٠٠٠

قال بطرس ايلتش محتحاً حانقاً:

ــ أأنت مجنون ؟ أنسقيه هو شمبانيا ؟

فقال ميتيا:

ـ اسمح له بأن يشرب مرة ً واحدة ! لسوف يسرني هذا •

ــ ولكن ٠٠٠ الخلاصة ٠٠٠ ما دمت تصر ! ٠٠٠

أفرغ ميشا قدحاً ، وسلَّم ثم انصرف •

قال ميتيا:

مكذا سيتذكرنى مدة أطول على الأفل ٠٠٠ اننى أحب المرأة ، أحب المرأة ! ما المرأة ؟ هى ملكة الأرض ٠٠ أوه ! اننى أحس بحزن يا بطرس ايلتش ، أحس بحزن رهيب ٠ هل تتمدكر ذلك المقطع من مسرحية هملت ٠ « أشعر بحزن يا هوراسيو ، أشعر بحزن شديد ٠٠٠ وا أسماه ! مسكين يوريك ذاك ! » ٠ لعلنى أنا يوريك ! اننى فى هذه اللحظة بعينها يوريك ٠ وبعد ذلك سأكون الجمجمة ٠

. كان بطرس ايلتش يصغى اليه صامتاً • وصمت ميتيا أيضاً •

ثم اتبجه بالكلام فجأة الى المستخدم يسأله شارد اللب وقد رأى فى الركن كلباً صغيراً طويل الشعر متدلى الأذنين أسود العينين :

ـ لمن هذا الكلب ٩

أجاب المستخدم:

مو لفارفارا ألكسييفنا ، صاحبه المتجر ، نسبته هنا منذ فليل ،
 سيكون علينا أن نذهب به اليها ،

قال مستا حالماً:

رأيت في الماضي كلباً يشبهه كل الشبه ٠٠٠ كان ذلك في الكتيبة ٠٠٠ ولكن ذلك الكلب كان مكسور الساق ٠٠٠ بالمناسبة يا بطرس ايلتش ، كنت أريد أن أطرح عليك سؤالاً : هل اتفق لك أن سرقت في حاتك ؟

ـ يالها من فكرة!

- افهمنى ! أقصد السرقة الحقيقية ٠٠٠ أن تأخذ مالاً من جيب شخص آخر ، لا من الدولة ، فجميع الناس يسرقون الدولة ٠٠٠ هذا شيء معروف ، وأنت أيضاً تسرق الدولة ، لاندك عندى في ذلك ٠٠٠

_ سحقاً لك ٠٠٠

ـ هل سرقت مع ذلك ؟ من جيب ، أو من محفظة ؟ ٠٠٠

ـ سرقت فى طفولتى قطعة نقدية بعشرين كوبكاً من أمى • كان عمرى تسع سنين • أخذت القطعة النقدية من على المائدة ، دون أن يرانى أحد ، وأخفتها فى قبضة يدى •

_ وبعد ذلك ؟

ـــ لا شيء • احتفظت بها ثلاثة أيام ، ثم شعرت بالخجل والعــار ، فرددتها معترفاً بالسرقة •

ہے ٹیم ؟

ـ جُلدت كما أستحق • ولكن لماذا هذه الأسئلة ؟ أتراك سرقت ؟

قال ميتيا وهو يغمز غمزة ماكرة :

ــ سرقت!

فسأله بطرس ايلتش قلقاً:

_ ماذا سرقت ؟

ـ سرقت عشرین کوبکاً من أبی • کان عمری تسع سنین • ثم رددتها •

قال ميتيا ذلك ثم نهض فحاًة •

صرخ الحوذى آندره يقول من باب المتجر :

ــ آن أوان السفر يا دمتري فيدوروفتش •

_ هل کل شیء جاهز ؟ هيًّا بنا !

قال ميتيا ذلك ، وأخذ يتحرك هنا وهناك . وأضاف يقول :

_ بضعة أسطر أخرى وأتم القصيدة! كأساً من الخمر لأندره! بسرعة! واعطوه أيضاً كأس كونياك! • • • • أما العلبة (علبة المسدسات) ، فضعوها تحت المخدات • استودعك الله يا بطرس ايلتش ، ما ينبغي لك أن تؤاخذني •

ـ ولكنك ستمود غدًا ؟

ــ لعم نعم ، سأعود •

قال مستخدم و هو يهرع الى ميتيا :

ـ اسمح لى أن أقدم اليك الحساب +

_ آ ٠٠٠ نعم ٠٠٠ الحساب ٠٠٠ طبعاً !

أخرج ميتيا من جيبه حزمة الأوراف المالية ، فسل منها ثلاث ورقات من فئه المائه روبل ، ورماها على البسطة باهمال ، ثم اتجه مسرعاً نحو الباب ، فرافقه جميع مستخدمي المتجر ، وشيعوه متمنين له رحلة سميدة وهم ينحنون لها انحناء كبيراً ، وكان آندره قد أفرغ كأساً من الكونياك، فهاهوذا يسعل لينظف حلقه ، ثم يصعد الى مكانه من العربة ، ولكن بينما كان ميتيا يهم أن يسميتقر في العربة ، انبجست فينيا راكضة لاهثة ، فضمت يديها احداهما الى الأخرى ، وجثت على ركبتيها أمامه ، وهتفت تتوسل الله قائلة :

ـ سیدی العزیز دمتری فیدوروفتش ، ملاکی ، لا تصب الآسة بسوء ، لا تنلها بأذی ! ألا ما كان أغبانی حین قصصت علیك كل شی، ! ولا تسیء الیه هو أیضاً ، القدیم ۱۰۰ لأنه عرفها قبلك ، وهو ینوی أن یتزوج أجرافین ألكسندروفنا ، لقد جاء من سیبریا لهذا الغرض ۱۰۰ سیدی العزیز دمتری فیدوروفتش ، لا تحطم حیاتهما ، لا تسیفح دم أخلك الانسان !

قال بطرس ایلتش یخاطب نفسه : « آ ۰۰۰ هذا بیت القصید فی الحکایة کلما ۰۰۰ ستحدث مشاجرة هناك ۰ استبان الآن کل شیء ۰ أصبح کل شیء واضحاً ۰ ، ۰ ثم هتف يقول بصوت عال :

ــ دمتری فیدوروفتش ! أعد الی ً هذین المســـدسین فی الجال اذا کنت رجلا ً • هل تسمح یا دمتری ؟

فأجابه مشا:

سه المسدسين ؟ لحظة يا عزيزى ٠٠٠ سأرميهما أثنــــاء الطريق فى غدير ٠ وانهضى أنت يا فينيا ٠ لا تركعى أمامى ٠ ان ميتيا لن يقتل ، ان ميتيا ، هذا الصبى النبى ، لن يحطم حياة أحد بعد الآن ٠

ثم أردف يقول بعد أن استفر في المركبة :

ــ اسمعی یا فینیا ، لقد أهنتك منذ قلیل ، فأرجو أن تغفری لی ۰ اغفری لهدا الشقی البائس ۰۰۰ علی أنه یستوی أن تغفری وأن لا تغفری مد۰۰ لم یبق لهـــذا قیمة ۰۰۰ هیاً یا آندره ، ولتجسر المرکبة بأقصی سرعة ۰

رفع آندره سوطه ، فجلجلت الأجراس . ــ استودعك الله يا بطرس ايلتش ، لك مني آخر دمعة ! ٠٠٠

قال بطرس ایلتش یخاطب نفسه وهو یتابع بنظره مرکبة الترویکا التی أخذت تبتعد : « لیس بسکران ، ولکن ما أشد الاضطراب فی أقواله » • وقد أراد بطرس ایلتش أن یبقی فی المتجر لیرافب شد. ون المخمور والمئونات علی عربة أخری ، لأنه كان یحس أنهم سیغشرون میتیا • ولکنه شعر بحنق علی نفسه فجأة ً ، لاهتمامه بهذه التفاصیل ، وبصق من شدة غضبه ، واتجه تحو الكاباریه لیلمب البلیاردو قلیلا كما كان ینوی ذلك •

وقال في نفسه أتناء الطريق: « انه رجل أبله ، ولكنه طيب » ، أما ذلك الضابط ، أما صاحب جروشنكا « القديم » ذاك ، فقد سسبق أن سبعت عنه ، هل عاد اذن ؟ ٠٠٠ ولكن ما القول في المسدسين ، المسدسين ، المسدسين ، المسدسين ، الله فليحل الرجلان نزاعهما ٠٠٠ ولن يحدث شيء على كل حال سيصرخان كثيراً ، وسيسكران ، وسيقتنلان ، ثم يتصالحان ، ليسسوا جادين ، لا هؤلاء ولا أولئك ٠٠٠ كلمات جوفاء! « سوف أتنحى عن طريقهما ٥٠٠ » « انني أعاقب نفسي ٥٠٠ » ٥٠٠ دعنا من هذا! لن يفعل من ذلك شيئاً ، لقد ردد أقوالاً من هذا النوع مائة مرة في الكاباريه حين كان ثملاً ، وهو في هذه المرة لم يشرب « نفسي سكرى ٥٠٠ » ؟

ان جميع أماله من القاصفين يحبون العبارات الرنانة الطانه • أأنا مربيه أخيراً ؟ لقد تشاجر على عادته ، فدمى وجهه • ولكن من ذا الذى تشاجر معه ؟ سأعرف هدا فى الكاباريه حتماً • وذلك المنديل المدمتّى ؟ • • • لقد تركه فى غرفتى • • • ولكن لا قيمة لهذا كله على كل حال ! ما لى ولهذا كله ! » •

وصل بطرس ایلتش الی الکاباریه معتکر المزاج جدا ، وأخذ یلعب البلیاردو فورا ، وأشرق مزاجه أثناء اللعب شیئاً بعد نبی ، وشرع فی اللعب مرة أخری ، وأخذ یقص علی أحد ملاعبیه أن دمتری کارامازوف أصبح یملك مبلغاً کبیراً من المال مرة أخری ، وأنه رأی فی یدیه بأم عینه ثلاثة آلاف روبل ، وأضاف أن میتیا قد سافر فی هذه المرة أیضاً الی موکرویه لیقصف فیها مع جروشنکا ، أصغی السامعون الی هذه الأنباء بفضول شدید ، وسرعان ما أخذوا یتناقشون بحرارة ، دون مزاح ، ویتکلمون بلهجة فیها جد عجیب ، حتی لقد انقطع لعب البلیاردو ،

ـ ثلاثة آلاف روبل ؟ من أين جاء بها ؟

أخذ الحضور يمطرون بطرس ايلتش بوابل من الأسئله • ولم يصدقوا حكاية مناجم الذهب التي اقترحتها السيدة هوخلاكوفا •

ـ أليس من المكن أن يكون قد سرق أباء العجوز ؟

ــ ثلاثة آلاف روبل! هذا أمر يثير الاشتباه!

لله عنه الله الله الله الله الله الله العجوز ، وسمعه جميع الناس ، حتى لقد تحدث في تلك المناسبة نفسها عن ثلاثة آلاف روبل ٠٠

كان بطرس ايلتش يصغى ، وأصبحت أجوبته موجزة مقتضبة على حين فجأة ، حتى لكأنه يتهرب من الكلام ، ولم ينطق بكلمة واحدة عن الدم الذى رآء على وجه ميتيا ويديه ، رغم أنه كان ينوى أن يتحدث عن

ذلك حين ذهب الى الكاباريه • وبدىء لعب البلياردو مرة ثالثة ، وانصرف الحديث عن ميتيا •

حنى اذا اننهت اللعبة النائلة ، أعلن بطرس ايلتش أنه لا يحب أن يلمب مزيدا من اللعب ، ثم وضع عصا البلياردو ، وخرج حتى دون أن يتعشى ، خلافاً لما كان ينتويه ، فلما وصل الى المسلمان توقف لحظة ، وتساءل مدهوشاً منزعجاً كيف أمكن أن يخطر بباله أن يذهب الى دار فيدور بافلوفتش بيعرف هل وقع له شيء ، « يا للحماقة ! سأوقظ جميع الناس ، وأحدث فضيحة ، مع أن هذا كله ليس الا تخيلاً ! وما شأنى أنا ؟ أأنا خادمهم ؟ » ،

وعاد الى منزله حانقاً مزيداً من الحنق و وفجأة خطرت بباله فينياه قال لنفسه في حسرة: « ما أغباني ! ان فينيا هي الشخص الذي كان يبجب أن أسأله ، ولو فعلت لقالت لى كل شيء ! » وشعر عند ثذ برغبة قوية في أن يكلمها ، وبلغت هذه الرغبة من القوة انه انعطف فجأة ، وهو في منتصف الطريق الى داره ، فاتجه نحو منزل آل موروسوف الذي تقيم فيه جروشنكا و فلما وصل الى الباب طرقه ، فاذا بالطرقات التي ترجعت في صمت الليل ترده فجأة الى الواقع ، واذا بحنقه يشتد لأنه يقوم بمسعى غير لائق و قال في نفسه وهو يشعر بحرج يوشك أن يكون أليماً: «سوف غير لائق، قال في نفسه وهو يشعر بحرج يوشك أن يكون أليماً: «سوف أحدث فضيحة ، و ولكنه لم ينصرف ، بل استأنف طرق الباب ، بكل أوتى من فوة في هذه المرة و دو ت طرقات الباب في الشارع كله وفرد د يقول : « لا ضير ! لسوف أظل أطرق الباب الى أن يفتحوا ! » ، فرد د يقول : « لا ضير ! لسوف أظل أطرق الباب الى أن يفتحوا ! » ، بينما كان سخطه على نفسه يزداد لدى كل طرقة جديدة و لكنه كان بينما للوق بمزيد من القوة و

هائناول



دمترى فيدوروفتش يتجده لحدو موكم بسرعة عظيمة • ان المسدافة تزيد قليدلا عشرين فرسخاً • ومن الممكن ، بفضل عدو خيول آندره ، قطع هذه المسدافة

وربع ساعة و أنعشت سرعة الجرى فكر مينيا و كان الهواه قوياً و المجوم كبيرة تتلألأ في سماء بلا سحب و في تلك الليلة ، وربما في الساعة ، انما تهالك اليوشا على الأرض ، « حالفاً بحسرارة ليحبنو الأبد » و كان مينيا يشعر بضيق شديد ، ولكن نفسه ، رغم ثقل الاالتي تعذبها ، كانت لا تنصرف في تلك اللحظة الا الى المرأة الحيية ملكته التي يتعجل لقاءها ليتأملها مرة أخيرة و حسبي أن أقرر ما كان لا يعخطر ببال مينيا أن يناضل للاحتفاظ بهذه المرأة و وسواء أص كلامي أم كذبتموه ، فان الحقيقة تجبرني أن أقول ان هذا النيور لم يشعر بأية عاطفة من عواطف العداوة نحو القادم الجديد ، نحو المخصم الذي لم يكن في حسبانه ، نحو هذا « الضابط » الذي حياته بهذه القسوة الشديدة و لو حاول أي انسان آخسر أن محل مينيا لدى جروشنكا ، لأسرع مينيا يرد بحنق غيرو مسعو ولتلطخت يداه بالدم من جديد و أما تحاه هذا الانسان الذي هو «

رجل » في حياة جروسنكا فان ميتيا كان لا يشعر بأية غيرة ، ولا بأيه عداوة ، أثناء ما كانت مركبه الترويكا تقله الى موكرويه ، ولم يكن فد رأى ذلك الرجل بعد ، « الأمر واضح ، انها على حق ، هو أول حب في حيانها ، هو الرجل الذي لم تسلطع أن تسلماه يوماً خلال خمس سنين ، معنى هدا أنها لم تنقطع عن حبه طوال تلك المدة ، أما أنا ، فماذا جئت أعمل في حياتها ؟ ما أنا عندها ؟ ابتعد يا ميتيا ! تنع عن طريقها ! ثم ما فيمة هذا كله اليسوم ، ما دام مصيرى قد تقرر ، ما دام كل شي، سينتهى بالنسبة الى ، حتى ولو يكن هو هناك ، حنى ولو لم يجيء ذلك الضابط ؟ ، ، » ،

بهذه العبارات تقريباً انما كان يمكن أن يعبر مينيا عن المشاعر التي كانت تجيش في نفسه ، لو كان قادراً على التفكير في تلك الآونة ولكن مينيا لم يكن يفكر و ان القرار الذي اتبخذه انما وافاه على حين فجأة ، دون أي تفكير ، فاذا هو يقبله دفعة واحدة مع جميع النتائيج التي تترتب عليه ، أثناء انفعاله ذاك الذي أيقظه في نفسه ما كشفت له عنه فينيا من أمور و ومع ذلك ما يزال مينيا يشعر بضيق واختناق ، وما يزال بشعر باضطراب أليم : ان قراره لم يرد السكينة والطمأنية والسلام الى نفسه و ان أشياء كثيرة تربطه بذلك الماضي و

كان يقول لنفسه في بعض اللحظات : « ما أغرب هذا ! »

كان ميتيا فد نطق بحكم نهائى على مصيره ، كان فد كتب على ورقة قسوله : « اننى أعاقب نفسى ، وأنا أقسل هذا العقاب ، ، وان هذه الورقة موجودة الآن فى جيبه ، معداة لأن تستعمل ؟ وان مسدسه محشو، وهو يعلم حق العلم ما الذى سيفعله فى صباح الغد ، حين يطلع «فيبوس ذو الضفائر الذهبية ، فيدفى الأرض من جديد بأولى أشعته ، ومع ذلك دم يكن ميتيا يستطيع أن ينفصل عن ذكرياته التى تلازمه وتحاصره

وتعذبه • فكان يقول متألماً : لا سبيل الى النسيان ؛ وكان الشعور بهذه الاستحالة يملؤه كمداً ويأساً • ولقد أوشك في لحظة من اللحظات ، أتناء هذه الرحلة ، أن يأمر آندره بالتوقف ، وأن يفرغ من الأمر كله ؛ يخرج من العربة ، ويطلق على نفسه رصاصة دون أن ينتظر الغد • ولكن هذه النية لم تلبث أن تبددت ، كما تنطفيء شرارة طائرة • وكانت مركبة الترويكا « تنهب به الأرض نهباً » ، فكلما اقتربت به من غايته ، كانت صورة تلك المرأة تنفذ فيه مزيداً من النفاذ بقوة طاغيه مستبدة مستأثرة ، طاردة جميع أشباح الرعب التي تملأ قلبه • «أوه! أريد أن ألمحها مرة أخيرة ، ولو من بعيد ، عابرة • • • انها في هذه الساعة معه ، وسأراهما كليهما ، هي وحبيبها الأول ، وسأتأملهما ، ذلك هو كل ما أتمناه الآن! ، كليهما ، هي وحبيبها الأول ، وسأتأملهما ، ذلك هو كل ما أتمناه الآن! ، لم يشعر نحو هذه المرأة في يوم من الأيام بمثل ما يشعر به الآن من عاطفة المخضوع والمذلة التي تدفعه الى أن رقيقة حنون لا حدود لها ، من عاطفة المخضوع والمذلة التي تدفعه الى أن يريد نسيان ذاته ، والتضحية بنفسه في سبيلها •

هتف يقول فجأة وقد استبدت به حماسة تشبه أن تكون هذياناً : ــ سأتنحى من طريقهما •

العربة تعدو منذ قرابة ساعة • ميتيا صامت • وآندره ، وهو فلاح مهذار في العادة ، لا يتكلم أيضاً ، كأنه يخاف خوفاً غامضاً من أن يقطع الصمت • فهو لا يزيد على أن يحرض بصوته أحصنته الكمت النحاف على عصبية • وفجأة هتف ميتيا يقول بقلق شديد :

ــ آندره ! ماذا لو وجدناهم نائمين ؟

 ــ جائز جداً أن يكونوا في هذه الســــاعه راقدين يا دمترى فدوروفتش .

قطب مييا حاجبيه مغاظاً حانفاً و ماذا ؟ أيجيء حاملاً هذه العواطف و و م يكونون نائمين نوماً هادئاً ٥٠٠ هي أيضاً ٥٠٠ ربما الى جانبه ! وغلى الغضب في قلب ميتيا ٠

صرخ يقول خارجاً عن طوره:

_ اجلد يا آندره! مزيداً من الاسراع ، مزيداً من الاسراع أيضاً. قال آندره بعد صمت:

ــ ما أحسب أنهم ناموا • لقد أسر ً لى تيموتى أن جمعاً غفيراً قد اجتمع هذا الساء في موكرويه ؟

_ في محطة العربات ؟

ـ بل في نزل أل بلاسنونوف ، وهو محطة عربات أيضًا •

ــ أعرف • أتقول انهم جمع غفير ؟ كيف هذا ؟ من أين جاءوا ؟ كذلك هنف مينا يسأل الحوذى وقد شدهه هذا النبأ الذى لم يكن بتوقعه •

ـ يبدو أنهم جميعاً أناس محترمون على ما قال تيمونى : اثنان منهم جاءا من المديسة ولا أدرى من هما ، فان تيمونى لم يذكر لى ذلك ؛ واثنان من هما ، ثم اثنان آخران هما مسافران عابران فيما يظهر ، ثم شخص آخر أيضاً اذا صح فهمى ، وهم يلعبون بالورق ، على ما يدعى تيموتى ،

س بالورق ؟

- نعم • وما داموا قد أخذوا يلعبون بالورق ، فلا يعقل أن يكونوا قد ناموا • ان الساعة لم تتجاوز الحادية عشرة الآن •

صرخ ميثيا يقول من جديد بعصبية:

اسرع ، أسرع مزيداً من الاسراع .
 واستأنف آندره كلامه بعد صمت فقال :

_ قل لى يا سيدى • هناك أمر أحب أن أسألك عنه ، ولكنى أخشى أ أن أغضىك •

ـ ما هو هذا الأمر ؟

- ان فیدوسیا مارکوفنا قد ارتمت علی قدمیك منذ قلیل متوسلة الیك أن لا تلحق أذی بمولاتها وبشخص آخر ۵۰۰ فیاسیدی ، ما دمت أنا أقودك الی هناك ، فان ضمیری ۵۰۰ لا تؤاخذیی یا سیدی ۵۰۰ اذا كنت غساً فيما أقول ۵۰۰

فأمسكه ميتيا من كتفيه فجأة ، وسأله وهو فريسة اضطراب نفسى شديد :

ــ أنت حوذي ، أليس كذلك ؟ أنت حوذي •

ـ نعم ، حوذی ۰۰۰

- فأنت تعلم اذن ما معنى التنحى عن الطريق ، واخسلانه ، هل يستطبع حوذى أن يمضى الى أمام ، رافضساً أن يمر الآخرون ؟ هل يستطبع أن يقول لغيره : لسوف أدوسك ولا أتخلى لك عن الطريق ؟ انه لا يستطبع ذلك ، أليس هذا صحيحاً ؟ ليس لحودى أن يدوس الماراة عيره ، ومن يدمتر حياة شخص آخر ، فانه لا يبقى عليه الا أن يعاقب تفسسه ومن يدمتر حياة شخص آخر ، فانه لا يبقى عليه الا أن يعاقب تفسسه

بنفسه بعد ذلك ٠٠٠ اذا هو دمَّر خيــــاة أحد ، فلسمض ٠٠٠ فلينل العقاب !

تكلم ميتيا جياش النفس ، شديد الاندفاع ، ورغم أن آندره د'هش من أقواله ، فانه لم يفصع الحديث قال :

محیح جداً به تقوله با سیدی دمتری فیدوروفتش ، أنت علی حق ، ما ینبغی لأحد أن یدوس البشر ، ولا أن یعذبهم ؛ وما ینبغی له أن یدوس الجوانات أیضاً ولا أن یعذبها ، فالحیوانات مخلوقات كسائر مخلوقات الله التی تتنفس ! أنظر الی البخیول مثلاً : ان من الناس من یضربونها بغیر طائل ، ویستحتونها أكثر مما یجب ، ان بعض الحوذبین فی بلادنا لا یعرفون القصد والاعتدال ، وهم بذلك یسیرون كالمسعورین لا أدری الی أین وكیف ؟

قاطعه مبتيا قائلاً وهو يضحك ضحكته الصغيرة الجافة :

للهم يفعلون هذا ليصلموا الى جهنم بسرعة أكبر • قل لى يا آندره: انك انسان طيب القلب بسيط النفس (وأمسكه من كتفيه مرة أخرى) هل تعتقد أن دمترى فيدوروفتش كارامازوف سلميذهب الى جهنم ؟

- لا أدرى يا سيدى الطيب ، ذلك متوقف عليك أنت ١٠٠٠ اسمع يا سيدى : حين مات ابن الله على الصليب ، نزل رأساً الى جهنم فخلسَص جميع الخاطئين الذين كانوا يقاسون فيها عذاب السعير ، وقد تشكى الجحيم عندئذ ، مخافة أن لا يستقبل خاطئين بعد ذلك ، فقال الرب للجحيم : « اطمئنى يا جهنم ، فانك ستستقبلين بعد الآن شخصيات كبيرة: ستستقبلين أمراء وقضاة عظاماً وأغنياء ، وستمثلتين من جديد كما كنت ممثلة في الماضى ، الى اليوم الذي أرجع فيه الى هذا العالم » ، ان هذا الكلام هو الحقيقة ، لأن الرب قاله ، . .

ــ هذه اسطورة شعبية جميلة • أجلد الحصان الأيسر يا آندره ا استأنف آندره كلامه وهو يصفق بسوطه فوق الحصان الأيسر ؟ قال :

- أولئك هم الناس الذين أعدت لهم جهنم • أما أنت يا سيدى فنحن نعدك طفلاً ••• ذلك هو رأينا نحن ••• مهما تكن عنيفاً غضوب ••• وانك لعنيف غضوب ما في ذلك ريب ••• فان الرب سيغفر لك لأنك انسان بسبط •

- ـ وأنت يا آندره ، هل تغفر لي ؟
- _ ليس هناك ما أغفره لك يا سيدى ، فانك لم تسيء الي م
- ــ اننى أسألك هل تستطيع أن تغفر لى نيابة عن الجميع ، أن تغفر لى أنت ، في هذه اللحظة ، على هذا الطريق ؟ هل تغفر لى باسم الجميع ؟ أجبنى يا ابن الشعب !
- ــ سيدى ! لقد بدأت أخاف ٠٠٠ انك تتكلم كلاماً غريباً جداً ٠٠٠ كان مينيا قد أصبح لا يصغى اليه ، فهو الآن يصلى صلاة حارة ، مدمدماً بنوع من حماسة عنيفة وحشية :

_ يارب! اقبلني رغم حطتي ، ولكن لا تحكم على ما اللهم السمح لى أن أجيء الليك دون أن أمثل أمام محكمتك ٠٠٠ لا تحكم على ما مادمت قد حكمت على نفسي بنفسي ٠٠٠ لا تحكم على ما لأنني أحبك يا رب اللهم انني خبيث دني، وليكني أحبك وحتى في الجحيم ، اذا أنت أرسلتني الى الجحيم ، سأظل أحبك ، وسأظل أهتف لك بحبي الى الأبد، ولكن دع لى أن أحب حبى الأرضى حتى النهاية ٠٠٠٠ السمح لى أن أظل أحب ، في هذه الحياة الدنيا ، خمس سساعات أخرى ، الى أن تطلع

شمسك الدافئه ۰۰۰ اتنى أحب ملكة فلبى ، ولا أملك أن امتنع عن حبها اللهم انك ترانى كلى فى هذه اللحظة • سوف أهرع اليها ، فأرتمى عند قدميها ، وأفول لها : لقد كنت على حق حين نبذتنى ، وداعاً • • • انسى ضحينك ، ولا تدعى لذكراى أن تعذبك يوماً ! ، •

صاح آندره يقول وهو يوميء الى القرية بسوطه الممدود في آخر ذراعه :

ــ هذه موكرويه!

فمن خلال ليل شاحب ، كانت تأرى رؤية " ضعيفة ، كتله " مظلمة، هى كتلة منازل القرية المبعثرة على رقعة واسعة ، ان سكان قرية موكرويه يبلغ عددهم ألفى نسمة ، ولكن كل شىء كان غارقاً فى النوم ، وليس يرى الناظر الا بضعة أنوار تخترق الفللام هنا وهناك ،

سرخ ميتيا يقول محمومًا:

ـ أسرع ، أسرع مزيداً من الاسراع •

فقال آندره وهو يشير بسوطه الى نزل آل بلاستونوف ، الذى يقع عند مدخل القرية ، والذى كانت نوافذه الست المطلة على الشارع مضاءة الضاءة قوية :

ــ لم يناموا بعد •

فكرر مينيا كلام الحوذي فرحاً:

ـ لم يناموا بعد ! اجر بالعربة جرياً سريعاً يا آندره ، حتى ترن جلاجلها فيكون لدخولى ضجة وجلبة ، ألا فليعلم الجميع من الواصل ! هو أنا ٠٠٠ هأناذا وصلت !

كذلك صرخ ميتيا وقد بلغ ذروة الاهتياج •

استحث آندره حصانيه المكدودين ، فوصلت العربة الى باب النزل مفرقعة قرقعة قوية ، وهنالك استوقف الحسودى الحصانين الهزيلين وقد أوشكا أن يموتا تعبآ ، وثب ميتيا من العربة فى اللحظة التى كان فيها صاحب النزل يهم أن يرقد فى فراشه فلما سمع قرقعة العربة ظهر على عتبة الباب يريد أن يرى من عسى يصل فى مثل هذه الساعة بمثل هذه السرعة ، هتف مشا يسأله :

ـ أهذا أنت يا تريفون بوريستش ؟

مال صاحب النزل الى أمام ليستطيع أن يميز فى الظلام ملامح وجه القادم ، ثم نزل درجات المدخل راكضاً ، وهرع الى الزائر بحماســـة مجاملة ، وهو يقول :

_ ماذا ؟ أهذا أنت يا عزيزى دمترى فيدوروفتش ؟ ما أعظم فرحى برؤيتك من جديد !

ان تريفون بوريستش هذا فلاح قوى البنية مربوع الجسم متوسط طول القامة ضخم الوجه ، تعبر قسماته فى العسادة عن قسوة وغيظ ، ولا سيما حين يكلم فلاحى موكرويه ، ولكنه يملك قدرة فذة على تغير سحنته فوراً ، وعلى اصطناع هيئة المجاملة الشديدة والملاطفة المفرطة منى آنس منفعة وربحاً ، انه يرتدى ثياباً على الزى الروسى ، فقميصه مقلوب الباقة ، وصديرته مطرزة ، ورغم أنه قد جمع كثيراً من المال ، فلقد كان لا يحيا الا لجمع المزيد من الثراء ، وتحقيق المزيد من الارتفاع ، ان أكثر من نصف فلاحى موكرويه مدينون له ، واقمون فى شباكه ، خاضعون لتسلطه ، كان يسترى بعض هذه الأراضى أيضاً ، فيجبر الفلاحين على العمل فيها سداداً لما له أربع بنات من ديون لا يصلون الى التخلص منها أبداً ، وهو أرمل له أربع بنات

كبيرات ، احداه ما عنها زوجها فهى تعيش عند أبيها مع طفلين صغيرين ، ويعاملها أبوها معامله خادمه ؛ والثنائية زوجة موظف من الموظفين ، فالداخل الى المنزل يستطيع أن يرى على جدار احدى غرفه صورة فونوغرافية صغيرة لهذا الخادم من خدم الدولة بلباسه الرسمى الذي يزدان كنفاه بشارات القصب * • أما البنان الأخريان ، فهما في أيام أعياد المنطقة أو أثناء الزيارات تختالان بأثواب زرفاء أو خضراء ذات أذيال طويلة على آخر « موضه » ، ولكنهما تنهضان في الغداة منذ الفجر كسائر شغلوها ، وكان تريفون بوريستش ، رغم المال المخبأ الكثير الذي جمه ، مشغلوها ، وكان تريفون بوريستش ، رغم المال المخبأ الكثير الذي جمه ، يبتهج كثيراً لكل فرصه تمكنه من استلاب أموال مبذر من المبذرين ، يبتهج كثيراً لكل فرصه تمكنه من استلاب أموال مبذر من المبذرين ، وبل ان لم يكن ثلاثمائة روبل ، في يوم واحد ، حين تلبث هذا في نزله ليقصف ويتلف ماله مع جروشنكا ، لذلك استسقبله هذه المرة بفرح ليقصف ويتلف ماله مع جروشنكا ، لذلك استسقبله هذه المرة بفرح الصاخب ، أن الفريسة ستكون سهلة ،

- ـ عزیزی دمتری فیدوروفتش ، هأنت ذا عندنا من جدید ! فقاطعه مشا یسأله :
- ـــ لحظة يا تريفون بوريستش قل لى الأمر الأساسي أولاً: أهى هنا ؟

فسأله صاحب المنزل الذي فهم ما يعنيه ميتيا حق الفهم وكان يحدف اليه بنظرة نافذة :

- ــ أجرافين الكسندروفنا ؟ هي هنا ٠٠٠ أيضاً !
 - ۔ مع من ؟ مع من ؟

- ـ مع نزلاء عابرين ٠٠٠ موظف لا شك أنه من أصل بولندى ٠٠٠ يظهر هذا من لهجته ٠٠٠ انه هو الذى أرسل خيلاً لتجيء بها الى هنا ٠٠٠ وشخص آخر هو صاحب البولنـــدى ، أو رفيق رحلته فحسب ، لا أدرى ٠٠٠ وهما كلاهما يرتديان ملابس مدنية ٠٠٠
 - _ هل يقصفون ؟ هل يملكون مالاً ؟
 - ـ يقصفون ؟ دعك من هذا الكلام! هم أناس عاديون ٠٠٠
 - ـ عاديون ؟ والآخرون ؟
- مناك سيدان من المدينة ٠٠٠ كانا عائدين من تشرنايا ، فتلبشا هنا لقضاء الليل ، أحدهما شاب هو قريب ميوسوف فيما يبدو ، ولكنني نسيت اسمه ٠٠٠ أما الثاني فأحسب أنك تعرفه أيضاً: انه الملاك ماكسيموف الذي ذهب يحيج الى دير كنيستكم فيما يدعى ، وهو الآن يرافق ذلك الفتى قريب السيد ميوسوف في الطريق ٠٠٠
 - _ أهذا كل شيء ؟
 - _ نعيم ، ليس هناك أحد عدا هؤلاء .
- اسکت یا تریفون بوریستش شیء واحد یهمنی : ماذا تفعل
 هی الآن ؟
 - ـ وصلت منذ وقت غير طويل ، وهي الآن معهم ٠
 - ـ أهي مرحة ؟ أهي تضحك ؟
- ــ لا ٠٠٠ انها لا تضحك كتيراً فيما لاحظت حتى لقد بدا لى أنها حزينة • وكانت تلاعب شعر الشاب •
 - _ شعر الضابط ، ذلك البولندي ؟

ــ دعك من هذا الكلام! ليس البولندى شاباً ولا هو ضابط • أنا لم أقصد البولندى ، بل الشاب • • • قريب ميوسوف ؟ مالى نسيت اسمه ؟

- _ لعل اسمه كالجانوف ؟
 - ـ تماماً ، كالجانوف •
- ــ طيب ، سوف أرى قلت أنهم يلعبون بالورق ، أليس كذلك ؟
 - ـ كفوا عن اللعب لقد تناولوا الشاى ، وأمر الضابط بخمور •
- ــ لحظة يا تريفون بوريستش ! هذه كلها أمور نانوية ، وسأحكم على الموفف بنفسى أجبنى الآن عن الشيء الأساسى : هل في القرية غجر ؟
- ــ لم يبق غجر يا دمترى فيدوروفتش ! لقد طردتهم السلطات غير أن عندنا في مقابل ذلك يهـــوداً يعزفون على الرباب والكمان هم الآن في رودجستفنسكا ، ولكن يمكن استدعاؤهم فيجيئون حتماً •
- ــ استدعهم حالاً ويحب كذلك ايقاظ البنـــات ، كما في المرة السابقة ، ولا سيما ماريا تلك ، ثم ستيانيد وايرين سأدفع للجوقة مائتي روبل •
- بهذا المبلغ أوقف لك أهل القرية بكاملها ، ولو كانوا نائمين كالأموات ، ولكن هل يستحق هؤلاء الفلاحون وهاته البنات أن يدفع لهم مسلغ ضخم كهذا المسلغ ؟ هؤلاء رعاع لا بسستحقون هده الملاطفات! لم يبخلق فلاحونا لتدخين السيجار وقد قدمت لهم سيجاراً، هؤلاء أناس نتنون ، أما النساء فهن جميعاً قذرات وسخات ، انى لأوثر أن أرسل اليك بناتى ، ولو بالمجان ، على أن أدعك تبعثر هذا المال كله، ان بناتى ، ولو بالمجان ، سأوقظهن ركلاً بقدمى اذا اقتضى بناتى ، ولا تعلق سأوقظهن ركلاً بقدمى اذا اقتضى

الأمر ، وسأجبر هن على أن يغنين لك • لا أستطبع أن أتصور كيف فدمت شميانيا لأولئك الفلاحين! ذلك أمر يبعث على الشفقة!

ــ تريفون بوريستش ! ألا تتذكر أننى انفقت هنا أكثر من ألف روبل في المرة الماضية ؟

ــ كيف لا أتذكر ؟ بل لقد أنفقت هنا ثلاثة آلاف روبل يا ضيفى العزيز •

ا اذن فاعلم أننى أملك الآن مثل ذلك المبلغ نفسه • أنظر!

قال ميتيا ذلك وأخرج حزمة الأوراق المالية وأدناها من أنف صاحب المنزل • ثم أضاف قوله :

ــ اسمع الآن وحاول أن تفهم: بعد ساعة سيصل خمر ومقبلات وفطائر وسكاكر • فاحمل هذا كله فورا الى فوق • أما ذلك الصندوق المخشبي الموجود تبحت مقعد آندره فيبجب أن تنقله الى هناك أيضاً عفتمتحه وتقدم الشمبانيا حالاً • ولكن لا تنس أن الأمر الأساسي هو البنات ، البنات ! وأريد حتماً أن تجيء ماري تلك ! • • •

واتجه ميتيا الى العربة فأخرج من تحت المخدات علبة المسدسين •

_ سأدفع لك دينك على ً يا آندره • اليـك خمسة عشر روبلاً ، أُجر َ العربة ، واليك خمسين أخرى « بقشيشـــــاً » ••• مكافأة لك على اخلاصك ، وتقديراً لصداقتك ••• تذكر البارين كارامازوف !

قال آندره بلهجة مترددة :

ـ لا أجـرؤ يا بارين * ٠٠٠ انني أقبل خمسـة روبلات مكافأة ، لا أكثر من ذلك • مستحيل •٠٠ هذا تريفون بوريستش شاهد على ً •٠ اغفر لى حماقتي •٠٠

سأله ميتيا وهو يشقله بنظره :

ــ مم تخاف!

ثم صرخ يقول متذمراً وهو يلقى اليه خمسة روبلات :

_ أنت وشأنك ! اذهب الى الشيطان ! والآن يا تريفون بوريسش خدنى برفق وهدوء الى موضع أستطيع منه أولا أن أتفحصهم جميعاً على مهل دون أن يرونى • أين هم الآن ؟ أظن أنهم فى الغرفة الزرقاء ، أليس كذلك ؟

ألقى تريفون بوريستش على ميتيا نظرة فلقة ، ولكنه أطاعه صاغراً فقاده فى حذر خلال دهليز ، و دخل غرفة كبيرة تتاخم الغرفة التى كان فيها النزلاء ، فأبعد الشمعة التى كانت تضىء تلك الغرفة ؟ ثم أدخل ميتيا الى الغرفة المغللمة بغير ضبجة ، وأجلسه فى ركن معتم جدا يسهل عليه منه أن يتفحص المتحادثين دون أن ينرى ، غير أن ميتيا لم يمكث مدة طويلة ليتأملهم : فما ان رآها حتى أخذ قلبه يخفق خففانا شدبدا يكاد ينفجر منه صدره ، وحتى اضطرب بصره فلا يكاد يرى ، كانت جالسة على مقعد قرب المائدة ، وكان الشاب كالجانوف يجلس قريبا منها على الكنبة ، وهو فتى حسن الهيئة وسيم الطلعة ، كانن جروننكا ممسكة بده وكانها تضحك ، بينما كان هو ينافس ماكسيموف ممتعض الوجه ، وكان ماكسيموف هذا يجلس الى الطرف الآخر من المائدة قبالة جروشنكا أما « هو ، فقد كان جالساً على السكنية نصف مضطجع ، وكان يدخن غليوناً ، وفي جانب ، على كرسى مستند الى الجدار ، لاحظ مينيا رجلاً غليوناً ، وفي جانب ، على كرسى مستند الى الجدار ، لاحظ مينيا رجلاً بدين

الجسم عريض الوجه ، قصير القامة في أغلب الظن ، أما التاني فهو طويل جداً • على أن ميتيا لم يتسع وقته لأن يرى أكتر من ذلك • لقد انقطعت أنفاسه ، ولم يستطع أن يمكث زمناً أطول ، فوضع العلبة على المنضدة ، ودخل الغرفة الزرقاء التي كان يجلس فيها المتحادثون وهو يشعر ببرودة في ظهره • رأته جروشنكا أول من رآه ، فصاحت تقول :

ـ آی ۰۰۰

والصديق ولقت يم والنزى ولامكن جحده



میتیا من المائدة بعظی کبیرة سریعة لا یلوی علی شیء و وبدأ کلامه یقول بصــوت قوی جداً، بصوت یکاد یکون صراخاً، ولکنه یتلعثم عند کل کلمة:

_ أنا • • • لا • • • لا شيء • • • لا تخافوا ، لن أفعل شيئاً • • • (ثم قال ملتفتاً نحسو جروشنكا التي مالت على كالجانوف مذعورة وتشبئت بذراعه) • • • لا شيء • • • أنا • • • أنا هنا عابر كذلك • • • سأمكث حتى الصباح فقط • • • يا سادتي ، هل تأذنون لمسافر ضل طريقه في هذا المكان • • • ان يجالسكم ، حتى الصباح فحسب ، ولآخر مرة • • • في هذه الغرفة نفسها • • •

وجَّه ميتيا هذا السؤال الى الرجل القصير السمين الذى كان يدخِّن على الكنبة • فما كان من هذا الا أن أقصى الغليون عن شمسفتيه بوقار ، وأجاب بصوت قاس :

_ « يا سيد » ، هذا اجتماع خاص ، وفي النزل حجرات أخرى. فتدخل كالجانوف فجأة يقول :

_ أهذا أنت يا دمترى فيدورفتش ؟ فلماذا هذه الكلفة كلها ٠٠٠ اجلس ٠٠٠ أهلاً بك !

فأجابه ميتيا مسرعاً فرحاً :

_ يومك سعيد أيها الصديق العزيز ، أيها الصديق الذي لا نظير له . لقد شعرت نحوك دائماً بكثير من الاحترام .

ومدُّ اليه يده من فوق المائدة •

قال كالجانوف ضاحكاً:

- أوه ! يالها من قبضة قويه ! لقد أوشك أن يحطّم أصابعي • فقالت جروشنكا مرحة وهي تبسم خجلي :

ــ هذه طريقته في المصافحة دائماً •••

لقد أدركت جروشنكا من النظر في هيئته أنه لن يعمد الى شيء من العنف • وكانت تتفحصه باستطلاع قوى تداخله بقية من قلق • ان شيئا ما في تعبير وجه ميتيا قد خطف بصرها وأسر انتباهها ، لا سيما وأن دخوله على هذا النحو قد بدا لها غريباً جداً •

وانبرى الملاُّك ماكسيموف بدوره ، فقال بصوته المتعاذب :

ـ يومك سعيد يا دمترى فيدوروفتش !

وبدا على ميتيا أنه سعيد بمصافحته أيضاً • قال له متدفقاً في كلامه:

- أهذا أنت ؟ ما أسعدنى برؤيتك ! أينها السادة ! أينها السادة ! أنا ٠٠٠ (وقد توجه بكلامه من جديد الى السيد الذى يدخن الغليون ، وكان واضحاً أنه يعده أهم شخص فى هذا الجمع) ٠٠٠ أنا قد أسرعت الى هنا ، لأقضى ليلتى الأخيرة ، لأقضى ساعاتى الأخيرة فى هذه الحجرة،

فى هذه الغرفه نفسها ٠٠٠ الى أنسح لى فيها ، أنا أيضاً ، أن أعبد ملكتى! (ثم هتف يقول بحماسه) اغفر لى يا سيدى ٠ لفد آليت حين جئت الى هنا ١٠٠٠ أوه! لا نخش شيئا ، لأن هذه الليلة هى ليلنى الأخيرة! فلنشرب أيها السيد ، فلنشرب نخب صدافتنا! سوف يجيئوننا بخمر ٠ ولقد حملت معى هذا (قال ذلك وهو يخرج من جيبه كدسة الأوراق المالية ، لا يدرى أحد لماذا!) ١٠٠٠ اسمح لى أيها السيد ١٠٠٠ اننى أريد موسيقى ، آريد صخباً ، أريد حركة ، تماماً كالمرة الماضية ٠ ان دودة الأرض ، ان دودة الأرض ، ان دودة الأرض ، الانخيرة منه الله ولا فائدة منها ستكف قريباً عن الزحف على الأرض الذي لا نفع لها ولا فائدة منها ستكف قريباً عن الزحف على الأرض ١٠٠٠ لسوف تختفى وتزول ١٠٠٠ أريد أن استحضر فى ليلتى الأخيرة هذه ذكرى أجمل يوم من أيام حياتى! ١٠٠٠

كان ميتيا يختنق اختناقا • أراد أن يقول أشياء أخرى كثيرة ، ولكنه لم يستطع أن يفصح عن ذات نفسه الا بصيحات غريبة عجيبة • لبث البولندى جامداً لا يتحرك ، منقلًا بصره بين ميتيا وكدسة الأوراق وجروشنكا ، وقد ظهرت عليه حيرة شديدة وبللة كبيرة • قال :

ـ اذا وافقت ملكتي ٠٠٠

قالت جروشنكا مقاطعة :

_ ما أسخفكما كليكما بهذه الطريقة في الكلام! أ أنا ملكة ؟ انكما لتضحكاني! اجلس هنا يا ميتيا • ماذا كنت تعنى حين قلت ان هذه الليلة هي آخر لياليك؟ لا ترو عنى ، أرجوك • لن ترو عنى ، أليس كذلك؟ اذا كففت عن تخويفي فسوف أكون سعيدة بمجيئك •••

هتف ميتيا يقول رافعاً ذراعيه في الهواء :

_ أنا ؟ أنا ؟ أنا أرو على ؟ أوه ٠٠٠ اعبرى ٠٠٠ اعبرى ٠٠٠ لن أكون عقبة في طريقك ٠٠٠

وما ان قال ذلك حتى ارتمى فجئة على كرسى وأجهش يبكى ، محوّلاً رأسه ، شاداً بيديه ظهر الكرسى كأنه يعانقه • ذلك ما فعله مبتيا على نحو لم يكن يتوقعه أحد ، ولا كان يتوقعه هو نفسه •

سألته جروشنكا بلهجة العتب:

ما هذا ؟ ما هذا؟ ماذا تفعل ؟ ذلك هو سلوكه حين يأتمي الى " • يأخذ يقول أشياء لاتنفهم على حين فعجأة ، حتى لقد انفجر ناشجاً منتجباً في ذات مرة ٠٠٠ وها هو ذا يعيد الآن الكرة • ألا تستحى ؟ لماذا البكاء؟

ثم أضافت تقول بلهجة ملغزة ، وهي تشـــدد كلماتها بشيء من الحنق:

_ لو كان هنالك ما يدعوك الى المكاء على الأقل ٠٠٠

قال ميتيا:

ـ أنا ٠٠٠ أنا لا أبكى ٠٠٠ هيه ! يومكم سعيد جميعاً !

واستدار فجأة على كرسيه وانفجر ضاحكاً • ليست ضحكته الآن تلك الضحكة الجافة المعهودة فيه ، ولكنها ضحكة تشبه أن تكون صامتة، ضحكة عصبية ، ممتدة ، مشدودة ، متوترة ، كانت تهز جسمه كله •

قالت جروشنكا ملحة :

_ أيضاً ؟ هلاً كنت أكثر مرحاً ، أكثر مرحاً ! انهى ســـعيدة جداً بمجيئك يا مينبا ، سعيدة جداً جداً ، هل تسمعني ؟

ثم قالت بلهجة آمرة وهى تتجه بكلامها الى جميع الحضور فى ظاهر الأمر ، وان كان كلامها منصرفاً الى الشخص المضطجع على الكنبة فى الواقع :

ــ أريد أن يبقى معنا ! أريد ذلك ، أريد ذلك ! فاذا كان عليه أن منصرف ، انصرفت أنا أيضاً •

أضافت جروشنكا هذه العبارة الأخيرة وقدحت عيناها شرراً •

قال « السيد » وهو يلثم يد جروشنكا بلطف ورقة :

ــ رغبات ملکتی هی عندی قوانین •

ثم التفت الى ميتيا متحبباً متودداً وقال :

_ تفضل فاجلس معنا يا سيدى !

وهم ميتيا أن يتب عن مكانه ليلقى خطاباً جديداً كما ظهر ذلك في هيته ، ولكنه لم يلبث أن عدل عن هذا ، واكتفى بأن قال :

_ لنشرب أيها السيد!

وأخذ الجميع يضحكون •

هتفت جروشنكا تقول بعصبية :

_ يارب السماء ! ما كان أضلني حين تصورت أنه سيلقى علينــا خطاباً آخر . • • •

ثم أضافت تخاطب ميتيا بلهجة الاستبداد:

- اسمع يا ميتيا ، كف عن الوثوب عن كرسيك ، والزم مكانك هاد مًا ، أما الشمبانيا فقد أحسنت اذ جئت بها ، سيحلو لى أن أشرب شمبانيا ، لأننى أكره الخمور الأخرى ، واننى ليهمنى خاصة أنك قد خطر ببالك أن تأتى ، فلقد كنا هنا فى ضجر رهيب خانق ، و أن أنك تنوى أن تقصف وأن تبدد ، و و خبى ، أوراقك المالية هذه فى جيك ، من أين جئت بكل هذا المال ؟

وها هو ذا منيا الذي كان لا يترال يشد بين أصابعه الأوراق المالية التي تجعدت والتي كان حجمها الكبير قد خطف أبصار الحضور ولا سيما « السيدين » البولنديين ، ها هو ذا مينيا يسرع فيدس الكدسة في جيبه وفد اضطرب واحمر وجهه و وظهر عندئذ صاحب النزل حاملاً على صينية زجاجة أسمبانيا مفتوحة وأقداحاً و فأمسك ميتيا الزجاجة ، ولكنه من فرط ارتباكه كان يبدو أنه أصبح لا يعرف ماذا يصنع بها ، فهب كالجانوف الى تجدته ، فتناول الزجاجة بيديه وملأ الأقداح و

قال ميتيا يأمر صاحب النزل :

ـ هات زجاجة أخرى ، هات زجاجة أخرى !

ونسى أن يقرع كأســـه بكأس « السيد » بعد أن دعاه إلى شرب الكأس نخب الصداقة ، فها هو ذا يفرغ كأسه فى جوفه دون أن ينتظر أن يرفع الآخرون كثوسهم ٠

وسرعان ما تغیر تعییر وجهه ۱۰ ان الهیئه التراجیدیه الفخمه النی کانت له عند دخوله قد استحالت الآن ابتسامه تشبه أن تکون ابتسامه طفل ۱۰ فهو ینظر الی الحضور بفرح خجول تتخلله فی کل لحظه ضحکات صغیره عصبیه تذکر الکلب الصغیر المذب الذی یحس بسعاده وامتان حین یری أصحابه قد غفروا له و أخذوا یلاعبونه من جدید ۱۰ لکأنه نسی کل شی عن الماضی ، فهو یتفحص المتحادثین واحداً بعد واحد ، بنوع من الحماسة ، ویبتسم ابتساماً بریئاً ساذجاً ۱۰ أما جروشنکا فکان یتفرس فیها بغیر انقطاع ضاحکا ، حتی لقد قر ب کرسیه من مقعدها ۱۰ وشیئاً فشیئاً أخذ یلاحظ الرجلین البولندیین أیضاً ، فأما « السید » الأول فقد أدهشه بمظهر م الرزین الرصین ، ولهجته البولندیة ، وغلیونه خاصة ۱۰ قال میتیا لنفسه : « هل من ضیر فی أن یدخن ؟ ان من حقه تماماً أن یحب میتیا لنفسه : « هل من ضیر فی أن یدخن ؟ ان من حقه تماماً أن یحب

الغليون! ، • ولم يصدمه في أول الامر ما لاحظه في وجه هذا «السند» الذي يقارب عمره الاربعين ، من غضون واخاديد ، ولا ضايقه انفه الصغير الدى يمتد تحته شاربان رفيقان نحلان مشمتعان يضفان على وجهه لا أدري أي نوع من الاستخفاف والوقاحة ؟ لا ولا أزعجته الباروكة البشعة المصنوعة في سبيريا والمشوطة مشطأ غماً من خلف الي أمام على الصدغين • قال مبتيا لنفسه وهو فيما هو فيه من غيطة وهنياءة : « باروكة ؟ لسم ً لا ؟ » • وأما البولندي الآخر الذي يحلس قرب الجدار ويبدو أصغر سناً من « السيد » ذي الغلمون ، فقد كان ينظر الى الجمع بوقاحة مستفرَّة ، ويتابع حديثهم محتفظاً لنفســــــه بصمت فيه ازدراء واحتقار • أن الشيء الوحد الذي خطف بصر َ متنا فيه أنما هو فرط طوله الذي يؤلف مع قصر رفيقه ابن وطنه تناقضاً واضحاً وتضاداً بارزاً قال منتنا لنفسه : « لو نهض لكان طوله قريباً من مترين ! » • وقد اعتقد ميتيا أيضاً أن « السيد » الطويل لابد أن يكون مرتبطاً بصاحب الغلبون ارتباط حارس بسده ، فالقصير هو الذي يأمر العملاق في أغلب الظن. وبدا ذلك كله لمينيا طبيعياً سعيداً كل السعادة • لم يبق في قلبه الصلغير أثر من خصومة أو تنسافس • ولم يكن قد أدرك بعد' المعنى الحقيقي لموقف جروشنكا ، وللهجة الملغزة التي كانت تقول بها بعض عباراتها • فكل ما عرفه متأثراً في قرارة قلبه أشد التأثر ، هو أنها لطبفة معه وأنها «عفت» عنه وأنها أذنت له أن يجلس الى جانبها • وقد أصبح لا يملك نفسه اعجاباً بها وهي تحسو بضع جرعات من الشمبانيا • ولكن الصمت الذي كان يخسُّم على النزلاء لم يلمث أن لفت انتباهه فحأة ، فأجال على الحضور نظرة سائلة ، فكأن عينيه تقولان : « ما بالنا لا نفعل شيئًا ؟ ما الذي يمنعنا من أن تلهو وتتسل ؟ » فال كالجانوف في تلك اللحظة ، وكأنه قد حزر ما جال في خاطره، قال مشيراً الى ماكسموف :

ـ انظروا الى هذا ! انه لا يني يكذب ، وقد أضحكنا كثيراً •

فحدق ميتيا الى الرجلين واحداً بعد آخر • وســأل وهو يضحك ضحكته الصغيرة ، كأن ذلك قد أبهجه كثيراً :

_ یکنب ؟ مأ مأ ٠٠٠

ـ نعم • تصور أنه يدعى أن جميع ضباطنا في سلاح الفرسان قد تزوجوا نساء بولنديات بين عامى ١٨٢٠ و ١٨٣٠ ؟ هذا سخف ، أليس كذلك ؟

قال ميتيا بالغاً أوج السرور:

_ بولنديات ؟

كان كالجانوف يدرك حق الادراك نوع العلاقات القائمة بين ميتيا وجروشنكا ، وكان يحزر أيضاً دور « السيد » البولندى ، ولكن لم يكن يبدو عليه أنه مهتم بذلك كثيراً ، لاستغراقه فى جداله مع ماكسيموف خاصة ، أو قل لانشسخاله بهذا الجدال وحده دون ما عداه • لقد قادته المصادفة الى صحبة ماكسيموف فى هذا النزل الذى التقى فيه بالرجلين البولنديين اللذين لا يعرفهما حتى الآن • أما جروشنكا فقد سبق أن رآها بل لقد ذهب الى بيتها فى ذات يوم مع أحد أصدقائه ، ولم تعجبه حينذاك؟ ولكنها تنظر اليه هنا بعينين تفيضان رقة وحناناً • وقد ظل لا يبالى بها فى ظاهر الأمر رغم أنها قد أخذت تلاطفه وتلامسه قبل وصول ميتيا • انه فتى فى العشرين من عمره على أكثر تقدير ، شسديد الأناقة ، جميل الوجه ، شاحب اللون ، له شعر أشقر رائع ، وعينان زرقاوان أخاذتان

تعبران عن ذكاء ، وتعبران في بعض اللحظات عن عمق ، فلا يتعق ذلك مع سنه الغضه ، لا سيما وأن مظهره وحركاته وحتى أفواله تشمر في كثير من الأحيان بأنه طفل ، على أن هذا لم يكن يضمايقه قط ، رغم شعوره القوى به ، كان يبدو على وجه العموم انساناً متفرداً ، وربما بدا في بعض الأحوال صاحب نزوات وبدوات ، ولكن ذلك لا يخرجه أبداً عن لطفه وعذوبته ، وكان تعبير وجهه يتجمد في بعض الأحيان فيكشى منينا يشبه العناد : فهو عندتذ ينظر الى محدثه ويصغى اليه ، ولكنه يكون غارقاً في أفكاره هو ، يتابعها في اصرار لا يحيد عنه ، وهو تارة رخو متوان ، وهو تارة أخرى حاد مندفع الى أقصى الحدود ، يضطرب لأيسر متوان ، وهو تارة أخرى حاد مندفع الى أقصى الحدود ، يضطرب لأيسر الأمور ويهتاج لأتفه الأسباب ،

تابع كالجانوف كلامه قائلاً وهو ينجر كلماته جراً كسولاً يظل طبيعياً لا اختيال فيه ولا غطرسة :

- تصور ألنى أطو في هذا الرجل معى منذ أربعة أيام ، منذ اللحظة التى دفعه فيها أخوك الى خارج العربة فسقط ، كما تتذكر ذلك حتماً ، لقد اهتممت بأمره عند لذ ، وأخذته معى الى الريف ، ولكنه لا ينقطع عن الكذب ، انه يكذب بلا توقف ، حتى أخذ كذبه يضايقني ويزعجني، وانى أنوى أن أعيده الى داره ، • •

قال البولندى ذو الغليون مخاطباً ماكسيموف باللغة البولندية :

ـ ان هذا الرجل لم يعرف في حياته نساءً بولنديات ، وهو يروى أشياء كاذبة •

کان البولندی ذو الغلیون یجید اللغة الروسیة اجادة تامة ، وکان علی کل حال یجیدها أکثر مما یترامی لمن یسمعه • ولکنه یصر علی أن

ينطق بها نطقاً رديئاً ، فهو يشوِّه الألفاظ ، ويدس في جمله كلمسات بولندية .

أجاب ماكسيموف يقول بلهجة ساخرة : - ولكننى تزوجت أنا نفسى امرأة بولندية • فسرعان ما تدخل كالجانوف فاثلاً :

ـ ليست هذه هي المسألة • هل خدمت في سلاح الفرسان ؟ ذلك أنك عن سلاح الفرسان انما تتكلم ! هــل له هيئة ضــابط من سلاح الفرسان ؟

هتف ميثيا يقول مرحاً ، وكان يصغى الى الحديث بنهم وشراهة : ــ هذا هو الأمر ! هذا هو الأمر ! يا للفارس الجميل الذي كان يمكن أن يُـرى في سلاح الفرسان! ٠٠٠

وكانت عينا ميتيا السائلتان تتنقلان بين المتحادثين واحداً بعد آخر ، كأنه ينتظر منهم أن يكشفوا عن حقائق مدهشة لا يدرى الا الله ما هي ! قال ماكسموف وهو يلتفت الى مشا :

لا ٠٠٠ لقد أسأت فهمى ٠ فانما أنا أفصيد أولئك الفتيات البولنديات ٠٠٠ وهن قانات في الواقع ٠٠٠ ولكنهن يفقدن صيوابهن متى رقصن رفصة بازوركا مع أحد فرساننا الرماجين ٠٠٠ يكفى أن ترقص احداهن مع الفارس رفصة مازوركا ، حتى تثب بعد ذلك فوراً على ركبتيه ، كقطة صغيرة بيضاء ٠٠٠ ويكون السيد أبوها والسيدة أمها حاضرين ، فلا بجدان في ذلك بأسا ولا يحتجان ٠٠٠ بل هما يأذلان ويستحسنان ويشجعان ٠٠٠ وفي الغد يمضى الفارس يطلب يد الفتاة ٠٠٠ هل فهمتم ؟ يمضى يخطب الحسناء ٠٠٠ ألس هذا صحيحاً ؟ هأ ها ٠٠٠

كذلك ختم ماكسيموف كلامه ضاحكاً •

_ سيد مسكين!

هكذا جمجم يقول البولندى الطويل ، الجالس على كرسى قرب الحائط ، وأنزل احدى ساقيه المتصالبتين عن الأخرى ، ليصالبهما في الاتجاه المعاكس من جديد .

لاحظ ميتيا عندئذ جزمته الضخمة المشمعة التي كان نعلها السميك وسخا جداً • يجب أن نذكر على كل حال أن الرجلين البولنديين كان مظهرهما مهملاً ، ولم تكن ثيابهما نظيفة نظافة لا مأخذ عليها •

تدخلت جروشنكا تقول بلهجة حانقة :

ــ لماذا يكون مسكيناً ؟ أنا لا أحب الاهانات!

فقال البولندي ذو الغلبون وهو يلتفت نحو جروشنكا :

ــ سيدتى أجريبنا ! لابد أن هذا السيد قد عاشر فى بولنده بنات وضيعات لا سيدات من الطبقة النبيلة !

فأمَّن الرجل العملاق على كلامها صاحبه قائلا":

ـ تستطيعين أن تكوني من ذلك على يقين ٠

قالت جروشنكا متجهمة الأسارير :

ــ كفى ! دعوه يتكلم ! بماذا أساء اليكم ؟ ان المرء ليتسلى مع أمثاله على الأقل !

فأجاب « السيد » البولندي ذو الباروكة ، أجاب يقول بوقار :

ـ لست أمنعه من الكلام يا سيدتبي •

قال كالجانوف متحمساً وكأن الأمر أمر مناقشة هامة جداً :

قال ماكسيموف شارحاً:

لا ٠٠٠ وانما تزوجت في اقليم سمولنسك ١٠٠ أحد الفرسان هو الذي جاء الى ذلك الاقليم بزوجتي ٠٠٠ أعنى بمن أصبحت زوجتي فيما بعد ٠٠٠ جاء بها الى ذلك الاقليم تصحبها السيدة أمها ، وخالة من خالاتها ، وقريبة أخرى لها ابن كبير ٠ لقد جاءت هذه السيدات من بولنده ، فهن ولنديات حقا ٠٠٠ وقد تنازل لى الفارس عنها ٠ كان هذا الفارس فتى أخاذا ٥٠٠ كان في نيته أن يتزوجها هو نفسه في أول الأمر ، ولكنه تركها أخيراً لأنها كانت عرجاء ٠

هتف كالحانوف يسأله:

_ كيف ؟ تزوجت عرجاء ؟

ـ نعم ، كانت تعرج ، وقد تآمرا كلاهما على خداعى ، كنت أنا أظن أنها تتواثب تواثباً جميلاً ، وكنت أعزو ذلك الى فرحتها ...

ـ الى فرحتها بتزوجك ؟

كذلك مأله كالجانوف بصوت رنان طفولي ٠

ـ نعم ، الى فرحتها بتزوجي . ولكن اتضح لى أن الأمر لم يكن

كذلك البتة • فبعد زواجنا ، بل في مسهاء الحفلة نفسه ، اعترفت لى بالحقيقة ، واعتذرت اعتذاراً مؤثراً : يظهر أنها قد أرادت أثناء طفولتها أن تقفز فوق غدير ، فانكسرت عندئذ سافها ! هأ هأ !

انطلق كالجانوف عندئذ في ضحك كضحك الأطفال تماماً ، وكاد ينقلب على الكنبة • وضحكت جروشنكا أيضاً • أما ميتيا فقد شعر أنه في ذروة الغبطة والهناءة والسعادة •

صاح كالجانوف يقول مخاطباً ميتيا :

ــ هل تدرى أنه ذكر الآن الحقيقة ؟ انه لم يكذب في هذه المرة ! اعلموا أنه تزوج مرتين ٠٠٠ وهو عن زوجته الأولى انما تحدث الآن ، أما الثانية فقد هربت ٠٠٠ هل تعلمون هذا ؟ وهي ما تزال حية ، أكنتم تجهلون ذلك ؟

قال منها مندهشاً وهو يلتفت بقوة الى ماكسموف:

_ غير معقول!

فقال ماكسيموف مؤكداً بتواضع :

ـ بل لقد هربت فعلاً • نعم • • • جدث لى هذا المكروه! سافرت مع رجل فرنسى • وأسوأ ما فى الأمر أنها كانت قد سنجلت على اسمه قريتنا والأراضى التى تتبعها • قالت لى : « أنت رجل مثقف ، وسلوف تستطيع تدبير أمرك وحدك » • على هذا النحو انما تركتنى • وقد نبهنى أسقف محترم جداً فى ذات يوم الى أن احدى زوجتى كانت ساقها عرجاء ، وأن الثانية كانت ساقها خفيفة • • • هأ هأ! • • •

صاح كالجانوف يقول في حماسة :

ــ هل تسمعون ؟ هل تسمعون ؟ اذا كذب ــ وهذا ما يحدث له

أحياناً كنيرة _ فهو لا يكذب الا ليسلينا • ليس في هذا شيء من حطة ، ليس فيه شيء من حطه ! انه يعجبني أحيانا ، هل تعلمون ؟ هو دنيء جداً ، ولكن دناءته طبيعية ، أليس كذلك ؟ ما رأيكم ؟ غيره يتحطون طمعاً في منفعة ، أو سعياً الى ربح ، أما هو فبفعل ذلك مجانا ، يفعل ذلك مدفوعا اليه بطبيعته المنزهة عن الغرض • تصوروا مثلا أنه يدعي أن جوجول انما وصفه هو في كتابه « النفوس الميتة » * • لقد تشاجرنا أمس حول هذا الموضوع طوال الطريق • انكم تذكرون أن كتاب جوجول هذا يحدثنا الرجل « بتهمة توجيه اساءة شخصية بالسياط ، في حالة سكر ، الى الرجل « بتهمة توجيه اساءة شخصية بالسياط ، في حالة سكر ، الى الملاك ماكسيموف • » • ان صاحبنا ماكسيموف لا يتورع أن يؤكد الآن أنه هو الذي جلد بالسياط ذلك الجلد الذي يحدثنا عنه كتاب جوجول، فهل هذا ممكن ؟ فكروا قليلا ! ان تشتشيكوف قد سافر سنة • ١٨٢ ، فالتاريخ اذن غير مطابق أبداً • انه ليستحيل استحالة مادية أن يكون فالسيموفنا نحن قد جلد منذ زمن بعيد كل ذلك البعد • يستحيل ، ماكسيموفنا نحن قد جلد منذ زمن بعيد كل ذلك البعد • يستحيل ، ألس كذلك ؟

لقد تحمس كالجانوف تحمساً صادقاً ، رغم أن من الصعب على المرء أن يفهم لماذا يولى هذه المسألة كل هذا الاهتمام ، ولماذا يقيم لها كل هذا الوزن! وتحيز له ميتيا باقتناع تام ، ثم صاح يقول وهو يضمحك ضحكاً مدوياً:

ــ ولكن ما دام يعترف بأنه جُـُلد •••

فقاطعه ماكسيموف مصححاً:

ــ الحق أن ما وقع لى لم يكن هو الجلد تماماً ، بل كان شيئاً من هذا ا القبيل • ـ كيف هذا ؟ شيء من هذا القبيل ؟ اما أنك جُلدت واما أنك لم تُنجلد ، ولا وسط بين الأمرين !

سأل « السيد » البولندى ذو الغليون ، ســـأل صاحبه البولندى الطويل ، متململاً متذمراً :

_ كم الساعة الآن ؟

فرفع البولنـــدى الطويل كتفيه • لم يكن مع أحد من الرجلين البولنديين ساعة •

تدخلت جروشنكا تقول بلهجة هجومية :

ــ هل أضــــجركم هذا الحديث ؟ دعوا الآخرين يتكلمون! لماذا تمنعونهم من أن يتسلوا ويسروا عن أنفسهم؟

كان يبدو على جروشنكا أن مزاجها متأهب للمشاجرة ، فد'هش ميتيا من هذا لأول مرة ، أجاب « السيد » البولندى بشى، من العصبية ، أجاب يقول باللغة البولندية :

_ أسيدتني ! أنا لم أقل شيئًا ، ولا أنوى أن أزعج أحداً • فهتفت جروشنكا متجهة بالكلام الى ماكسيموف :

_ طیب • اقصص الآن • مالی أراکم تسکتون جمیعــــاً علی حین فحأة ا

استأنف ماكسيموف كلامه يقول وقد سرَّه الاهتمام به ، وأخذ يصطنع اللطف :

_ ليس هناك ما أقصه ! ما هذا كله الا مراء ! ثم ان جوجول قد موسَّه أكثر الأسماء في هذه القصة ، وأبدلها بتسميات رمزية • من ذلك

أن نوزدريوف قد كان اسمه الحقيقي نوسوف*، كما ان كوفشينيكوف كان اسمه الحقيقي شكفورنيف ، والاسمان مختلفان كل الاختسلاف ، أما فيناردي فكان اسمه فعلا فيناردي ، ولكنه كان روسياً لا ايطالياً : فيناردي بتروف ، وكانت الآنسنة فيناردي فتاة أخاذة فتانة ، • • ليتكم رأيتموها ! ليتكم رأيتم ساقيها المغمدين في سروالها الضيق تحت تنورتها القصيرة ذات الأسلاك المشدودة ! • • • وما كان أروع دورانها ! • • • ولكنها لم تدر الا خلال أربع دقائق ، لا خلال أربع ساعات ، لقد فتنت ألبانسا جميعاً يومئذ • • •

زأر كالحانوف يسأله:

ــ ولكن لماذا جلدوك ؟ هلا ً قلت لنا لماذا جلدوك ؟ ذلك هو الأمر الذي يعنمنا !

أجاب ماكسيموف :

ـ جلدوني بسبب بيرون ٠

فسأله متنا:

ـ ای بیرون ؟

- الكاتب الفرنسى الشهير بيرون • كنا جماعة كبيرة في كاباريه وكنا قد شربنا قدراً لا بأس به من الخمر • حدث ذلك في أنساء تلك السوق نفسها • دعو ني ، فما لبثت أن كلت لهم أبياتاً شعرية لاذعة • قالوا لى : « أهذا أنت • • • الشاعر بوالو ؟ يا للزى الغريب المضحك! » * فأجابهم بوالو بأنه ذاهب الى حفلة تنكرية ، وكان بوالو يقصد بذلك الحمامات • • • هأ هأ ! • • • ولكنهم عدوا هذا تعريضاً بهم • وعندئذ

أسرعت أكيل لهم أبياتاً جديدة معروفة في الأوساط المثقفة ، وكانت في الحق كاوية :

أنت سافو وأنا فاوون ... ذلك أمر مر ولكن أكبر مصائبي أنك تجهلين طريق البحر * .

فازداد استياؤهم وأخذوا يهينونني اهانات ليست لائقة ، فاردت عندئذ ، لسوء حظى ، أن أصلح ما بدر مني من خراقة ؛ ومن أجل أن أسوتي الأمر قصصت عليهم حكاية عن الشاعر بيرون التي لا يعرفها الا المثقفون جدا ، فذكرت لهم كيف أن هذا الشاعر ، حين لم ينتخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية ، أراد أن ينتقم لنفسه ، فنظم بيتين لشاهدة قبره ، فقال :

هنا يرقد بيرون ، الذي لم يكن شيئًا ذا بال حتى ولا عضوا في الاكاديمية

فما كان منهم الا أن هجموا على ً فجلدوني .

۔۔ عجیب! لماذا ؟ لأى مسب ؟

ـ ليعاقبوني على سعة اطلاعي ٠

وأضاف ماكسيموف يختم كلامه ، مصطنعاً هيئة الثممق والحـكمة، قائلاً :

ـ ما أكثر الأسباب التي يُعجلد من أجلها انسان!

قاطمته جروشنكا قاثلة :

_ كفى ! لقد ضقت ذرعاً بهذه الحكايات المضميحيرة ! لا أريد أن أسمعها بعد الآن • لقد توقعت شيئاً أدعى الى البهجة وأبعث على الضحك!

فسرعان ما وجم ميتيا وكف عن الضحك • ونهض « السسيد » البولندى الطويل ، وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً واضعاً يديه وراء ظهره ، وقد بدا عليه الكبر والتعالى ، كرجل أوقعت المقادير في صحبة أناس يزدريهم فهو يشعر بملل وسأم •

قالت جروشنكا وهي تنظر اليه باحتقار :

_ ما أبلد مشبته هذه!

فازداد انفعال ميتيا ، لا سيما وأن « السيد » الجالس على السكنبة كان يتفرس فيه بغير لطف أو وداعة فيما خيل اليه • فصاح ميتيـــــا يقول :

- فلنشرب أيها السيد • (نم التفت الى البـــولندى الآخر وتابع كلامه) • وأنت أيضاً ••• فلنشرب ، فلنشرب أيها السادة !

وتناول ثلاث كثوس وملأها شمبانيا • وهتف يقول :

- فلنشرب نخب بولنده! فلنشرب نخب بلادكم بولنده! فلنشرب نخب الأرض البولندية!

فأجابه « الســـــيد » ذو الغليون قائلاً بوقار متلطف وهو يرفع كأسه :

ـ بكل سرور يا سيدى ! فلنشرب !

فقال مشا مهتما :

ــ والســـيد الآحر أيضاً • هلا َ فلتم لى اســـمه ! خذ كأســاً يا سيدى •

فال السلد ذو الغلمون:

ـ اسمه السيد فروبلفسكى •

هنف مینیا وهو یرفع کأسه :

ــ فلنشرب نخب بولنده يا سادتي !

وقرع النلاثة كتوسهم بعضها ببعض • ولم يلبث ميتيا أن تناول الزجاجة فملأ الكتوس التلات من جديد • وفال :

ـ والآن فلنشرب نخب روسيا أيها السادة ! علينا أن نتآخى !

قالت جروشنكا :

ـــ املأ لى أنا أيضاً كأساً • أريد أن أسرب كأس روسيا •

وقال كالجانوف:

_ وأنا كذلك!

وزاد ماكسيموف فقال :

هتف ميتا يقول:

 جى. بالزجاجات الثلاث الباقية • وملأ ميتيا الكئوس • وصاح يقول من جديد :

ــ نخب روسیا !

فشرب الجميع الا البولنديين • أفـــرغت جروشنكا كأســـها دفعة" واحدة • أما البولنديان فلم يمسـاً كاسيهما •

قال ملتا في دهشة :

_ ماذا ؟ أهكذا أنتم ؟

فتناول « السيد » فروبلفسكي كأسه ، ورفعه ، وقال بصـــــوت أخف :

اننى اشرب نخب روسيا بحدودها السابقة على سنة ١٧٧٢! *
 فهتف « السبد » الأخر قائلاً باللغة البولندية ;

_ عظیم!

وأفرغ الاثنان كأسيهما • فلم يملك ميتيا الا أن يقول :

_ ما أغماكما!

فانتصب « السيدان ، أمام ميتيا كديكين ، وقالا له بلهجة التهديد :

_ أيها ٠٠٠ السند!

وكان يبدو على فروبلفسكى أنه خارج عن طوره؛ وها هو ذا يصرخ قائلاً في استباء (باللغة الـولندية) :

_ هل محظور على المرء أن يحب بلاده ؟

وهنا انفجرت جروشنكا تقول بصوت صمارم وهي تقرع الأرض بقدمها :

ــ سكوت ! كفاكم شعجاراً ! لا أريد هذه المناقشات !

قالت جروشنكا ذلك وقد التهب وجههما وسطعت عينها • كانت الشميانيا قد فعلت فعلها • خاف ميتيا • وأسرع يقول :

_ معذرة أيها السيدان! أنا المذنب • لن أكرر • يا فروبلفسكى ، يا سيد فروبلفسكى ، سأجلس ساكناً هادئاً بعد الآن •

فقاطمته جروشنكا قائلة بانزعاج :

_ لتك نسكت أنت على الأقل ؟ أبله !

جلس جميع الحضور ، وخيم الصمت ، وأخذوا ينظرون بعضهم الى بعض في حرج .

لم يدرك ميتيا شيئًا عن اندفاع جروشنكا ، فاستأنف يقول :

ـــ أنا سبب هذا كله أيها السادة ! يجب أن لا نبقى عاطلين هكذا ٠٠ ألا نستطيع أن نتخيل شيئًا ٠٠٠ فنسترد مرحنا وانطلاقنا ؟ ٠٠٠

قال كالحانوف باهمال ودون اكتراث :

ــ حقاً ان المرء ليضبجر هنا ضبجراً رهيباً •

فقال ماكسيموف مقترحاً :

ــ ما رأيكم فى لعبة بالورق كما فعلنا منذ قليل ؟ هي. هي. !

فقال ميتيا مؤيداً مستحسناً:

_ لعبة بالورق ؟ فكرة عظيمة ! هذا اذا وافق هذان السيدان ٠٠٠ فقال السيد ذو الغليون بلهيجة تنم عن اعتكار المزاج ، قال باللغـــة المولندية :

- ـ بوزنو (الوقت متأخر)
 - فقال فروبلفسكى مؤمنا:
 - ــ هو على حق •
 - فسألت جروشنكا:
- ـ بوزنو ؟ ما معنى هذه الكلمة ؟
- فأجابها السيد الجالس على الكنبة :
 - _ معناها : الوقت متأخر •

فقالت جروشنكا بصوت حاد وقد نفد صبرها :

- الوقت دائماً متأخر في نظر هذين السيدين ، وكل شيء مستحيل في نظر هذين السيدين ، انهما لا يجيدان الا الضبجر والسأم ، ويريدان أن يحرما الآخرين من البهجة والمسرة ، انهما ، الى أن جثت يا ميتيا ، لم يفعلا طوال الوقت شيئاً غير الصمت ، متخذين هيئة التعالى تجاهى ،

فهتف « السيد » الجالس على الكنبة يقول باللغة البولندية :

_ الهتى ! ما قلته صحيح تماماً • لقد أصبحت حزيناً منذ لاحظت أنك مستاءة غير راضية •

وأضاف يقول لمينيا بغير تمهل :

- _ أنا مستعد ٠
 - فأجابه ميتيا :
- . ـ افتح اللعب يا سدى •

قال ميتيا ذلك وأخرج حزمة الأوراق المالية من جيبه فسل منها ورقتين بمائتي روبل ووضعهما على المائدة • وقال :

ـ أريد با سيدى أن أخسر مالاً كنيراً معك • خذ الورق ، وكن أنت المخازن •

قال « السيد » القصير بلهجة جادة مشدداً كلماته:

ـ يجب أن تلعب بورق صاحب النزل •

فقال السيد فروبلفسكي مؤيداً :

_ ذلك أفضل حقاً!

قال منيا وقد أدرك ريسهما :

ــ تفضلون ورق صاحب النزل ؟ طيب أيها السادة ! سنأخذ ورق صاحب النزل • أنتم على حق •

وقال يأمر صاحب النزل :

ہے ہات ورقاً 🔹

فجاء صاحب النزل برزمة ورق مختومة ، وأعلن ليتيا أن البنات قد تجمعتن ، وأن اليهود الذين يعزفون على الرباب والكمان سيصلون بعد هنيهة ، ولكن العربة التى تحمل المؤن قد تأخرت ، فنهض ميتيا فجأة ، وأسرع الى الغرفة المجاورة ليتخذ الاجراءات اللازمة ، لم يكن في الغرفة الا ثلاث بنات ، ولم تكن ماربا قد ظهرت بعد ، وكان ميتيا لا بعرف في الواقع ما هي الاجراءات التي كان عليه أن يتخذها ، حتى لقد تساءل ماذا جاء يعمل في هسذه الغرفة ، ومن أجل أن يخرج من ارتباكه أمر بأن يؤتى بالصندوق الذي يحتوى السكاكر ، وأن يوزع

على البنات كارامل • وأضاف يقول متعجلاً : « وقد موا فودكا لآندر. لأننى جرحت شعوره منذ قليل » • وشعر ميتيا في تلك اللحظة بأن أحداً يضـع يده على كتفه ، فالتفت فرأى ماكسيموف الذي كان قد تبعه الى المرفة •

همس الملاك يقول له:

ــ هل تستطيع أن تسلفنى خمسة روبلات ؟ اننى أحب أن ألعب أيضاً ! هيء هيء ٠٠٠

- عظیم! عظیم! خذ هذه الروبلات العشرة! الیك عشرة روبلات! وأخرج میتیا حزمة الأوراق المالیة من جیبه مرة أخرى ، فتنساول منها ورقة بعشرة روبلات ، وقال له:

ــ وما عليك اذا خسرتها الا أن تطلب المزيد • ســــأعطيك غيرها أيضاً •••

همس ماكسيموف يقول فرحاً كل الفرح:

ـ هذا يدبر أمرى !

وأسرع يعود الى القاعة الأخرى •

ولم يتأخر ميتيا عن اللحاق به ، واعتذر للجمع عن تغيبه ، وكان البولنديان ، الجالسان الآن الى المائدة ، قد فضا الورق قبل وصوله ، وقد أصبح وجهاهما أقل جهامة وأكثر بشاشة حتى ليمكن أن يوصفا باللطف والدمائة ، وها هوذا « السيد » القصير ، الذي أشعل غليوناً جديداً ، يستعد لخلط الورق بوقار ، هتف فروبلفسكي يقول :

_ مكانكم يا سادتمي !

فقال كالحانوف :

- ــ أنا لن ألعب فقد سبق أن حسرت معهما خمسين روبلا فقال السيد ذو الغلمون :
- ــ ان سیدی لم یحالفه الحفل فی المرة السابقة ، ولکن فد یتدارك الآن ما فاته ۰۰۰

سأل مشا متحمساً:

_ كم البخزنة ؟

ــ يمكن أن تكون مائة روبل ، ويمكن أن تكون مائتين ، فذلك متوقف على المبلغ الذي تحطه .

فقال منتنا وهو ينفجر ضاحكاً :

ـ مليون !

ــ لا شك أن الكابنن يعرف قصة السيد بودفيزوكي * ؟

۔ أي بودفنزوكي ؟

محدث في ذات مسماء في فارصوفيا أن تكدست جميع الأموال المحطوطة عند الخازن و فأقبل بودفيروكي ، فرأى ألوف القطع الذهبية، فحط مبلغاً و سأله الخازن عند ثذ أهو يريد أن يلمب بذهب أم هو يريد أن يلمب اعتماداً على عهد الشرف و فقال بودفيزوكي : « بل اعتماداً على عهد الشرف » ، فقال الخازن « حساً » ، وقطسع ، فلم بودفيزوكي القطع الذهبية و فاذا بالخازن يقول له : « لحظة أيها السيد ، و وفتح الدرج و ناول بودفيزوكي مليوناً وهو يقول له : « خذ و هذا ما ربحته لقد كانت البخزنة مليوناً و قال بودفيزوكي متردداً : « كنت أجهل هذا » فقال له الخازن : « يا سيد بودفيزوكي ، أنت لعبت بالاعتماد على عهد

الشرف ٠٠٠ وأنا كذلك • فأخذ بودفيزوكي المليون ودستَّه في جيبه ٠

هتف كالجانوف يقول :

_ هذا غير صحيح!

فقال السيد ذو الغلبون ، يخاطبه باللغة البولنديه :

ـ يا سيد كالجانوف ، ما هكذا يتكلم المرء في صـــــحبة أناس محترمين !

فصاح ميتيا قائلاً:

ــ لا تحاول أن تقنعنا بأن بولندياً قد أعطى مليوناً على هذا النحو! ولكن ميتيا لم يلبث أن ثاب الى نفسه فاستدرك يقول:

معذرة يا سيدى ! ها أنا ذا أخطىء من جديد ! ان البولندين يمكن أن يعطوا مليوناً بسهولة ، تنفيذاً لعهد الشرف ، صوباً للشرف البولندى ٠٠٠ أنا أسلم بهذا ! ٠٠٠ أرى أننى سأتكلم أنا أيضاً باللغة البسولندية آخر الأمر ! هأ هأ هأ ! أحط عشرة روبلات على الأعرج (الفاليه) .

فقال ماكسيموف وهو يقدم ورفة البنت (الدام) :

ـ وأنا أقامر بروبل صــغير على البنت ، البنت المجميــلة ، البنت المستونية ، على « الست » ، هي، هي، هن، • • •

قال ماكسيموف ذلك واقترب من المائدة اقتراباً شديداً ، كأنه يريد أن يخفى ما سيفعله ، ورسم تحت المائدة اشارة الصليب .

ربح ميتيا ، وربح الروبل الصغير أيضاً •

قال مينيا:

_ أَسْاعف •

وتمتم ماكسيموف يقول بسعادة كبيرة وقد طار لبه فرحاً بربحه الروبل :

ے وأنا ألعب مرة أخرى بروبل ، روبل فقط ، روبل طيب ، روبل شهم صغير !

صرح سنيا:

ـ خسرت ! أضاعف حطتي على السبعة •

وخسرت السبعة أيضاً •

قال كالحانوف فجأة :

_ كفوا عن اللعب ٠

فعاد مشا يقول دون أن بضطرب:

... أُنباعف ٠

وظل ميتيا يضاءن ، وظل بخسر في كل مرة ، ولكن الروبلات العسنيرة التي كان بحطها ماكسيموف ظلت تربح .

مسرخ ميتيا حانقاً:

ــ أضاعف أيضاً ٠

ـ فقال له « السبد » ذو الغلمون :

ے خسرت حتی الآن مائتی روبل • فہل ٹرید اُن ٹقےامر بمائتی روبل دفعة واحدۃ ؟

ـ كيف؟ خسرت ماثنى روبل؟ لا بأس! أضاعف مع ذلك! ألعب بماثتى روبل دفعة " واحدة!

قال ميتيا ذلك وأخرج من جيبه ورقتين بماثتى روبل ، وهم أن يلقيهما على البنت (الدام) ، فاذا بكالجانوف يضع يده عليهما فيغطيها . قال كالجانوف صائحاً بصوت رنان :

_ یکفی هذا!

فسأله ميتيا وهو ينظر اليه مندهشاً :

_ ماذا بك ؟

یکفی هذا و لن أدعك تستمر و

ي لماذا ؟

ــ هكذا ! دعهما وامض • هذا أفضل • صدقنى • سوف أمنعك من متابعة هذا اللعب •

كان ميتيا يتفرس فيه دون أن يفهم •

وتدخلت جروشنكا قائلة بنبرة غريبة في صوتها :

ـ دع اللعب يا ميتيا • ربمــا كان على حق • ثم انك قد خسرت ما فمه الكفاية •

قلق « السيد » القصير فقال يخاطب كالجانوف بالبولندية وهو يحدق اليه تحديقاً قاسياً :

ــ أتراك انمزح ؟

وصرخ « السيد ، الطويل يقول لكالجانوف بصوت راعد !

_ كيف تجرؤ أن ٠٠٠

فغضت حروشنكا وقالت :

ـ لا أسمح بالصراخ هنا . لكأنكم ديكة حانقه !

كان ميتيا ينقل بصره عليهم واحداً بعد واحد • وفعاة لفت انتباهه في هيئة جرونينكا تعبير غريب • وفي تلك اللحظة نفسها ومضت في ذهنه فكرة عجيبة •

بدأ ه السيد ، القصير يتكلم فقال وقد احمر وجهه غضاً:

_ سیدتی أجریبنا ۰۰۰

ولكن ميتيا لم يدعه يكمل كلامه · فقد افنرب منه ، ووضع يده على كتفه وقال له :

ـ كلمتين أيها السيد النبيل!

فسأله هذا بالبولندية :

_ ماذا ترید ؟

فأجابه مشا:

ــ تعال معى الى الغرفة المجـــاورة • أريد أن أكلمك على انفراد، وما سأقوله لك سيسرك كتيرآ • سترى أن ما سأقوله لك يرضيك •

بدت الدهشه على « السيد » القصير ، ونظر الى ميتيا فى خشيه . ومع ذلك رضى أن يتبعه ، ولــكنه اشترط أن يصــــحبه « الســـيد ، فروبلفسكى .

هتف مينيا قائلاً:

ــ حارسك ؟ فليأت هو أيضاً ٠٠٠ ثم ان حضوره ضرورى ٠ هيــا بنا أيها السيدان !

سألته جروشنكا قلقة :

ـ الى أين تذهبون ؟

فأجابها مشا :

_ سنعود بعد لحظة •

من رأى ميتيا فى تلك اللحظة أحس أن فيه عزماً وتصميماً وجرأة، وأحس أنه واثق من نفسه ثقة ً لا تنتظر منه • ان تعبير وجهسه الآن يختلف كل الاختلاف عن تعبير وجهه ساعة وصوله •

قاد ميتيا الرجلين البولنديين الى غرفة تقع على اليمين ، ليست هي الغرفة التي كانت تتجمع فيها جوقة البنات وتنهيئاً فيها المائدة للقاصفين ، ولكنها غرفة نوم ملأى بالحقائب والصناديق ، وفيها سريران كبيران على كل منهما جبل من وسائد ، وكان في الغرفة شمعة مشتعلة فوق منضدة ، جلس « السيد » ذو الغليون وميتيا متقابلين ، ووقف « السيد » العملاف فروبلفسكي في جانب ، واضعاً يديه وراء ظهره ، ان الرجلين البولنديين يرفان ميتيا عابسين ، ولكن كان واضحاً أنهما يشعران برغبة قوية في معرفة ما يريد أن يقوله ،

تمتم « السيد » ذو الغليون يقول بالبولندية :

_ ما الخدمة التي يمكنني أن أقدمها لك ؟

ــ اسمع أيها السيد • لن أراوغ وأخاتل • خــذ المــال (قال ميتيا ذلك وأخرج من جيبه حزمة الأوراف المالية) ، خذ المال ••• هل تريد ثلائة آلاف روبل ؟ خذها واتصرف !

حدف « السيد » الى ميتيا بنظرة فاحصة ، مغرقا عينيه في عينيــه • وسأله بالبولندية :

ـ ثلاثة آلاف روبل أيها السيد ؟ وتبادل وصاحبه فروبلفسكى نظرة خاطفة . قال له مشا :

- نعم ، ملانه آلاف! اسمع أيها السيد: اننى ألاحظ أنك رجل عاقل ، خذ هذه النلاته آلاف روبل واذهب من هنا ، ولكن لا تنس أن تصطحب صاحبك فروبلفسكى ، هل فهمت ؟ على أننى اشترط أن تذهب فوراً ، فى هذه الدقبقة نفسها ، والى الأبد ، الى الأبد ، فهمت ؟ تخرج من هذا الباب ، هل ترى ؟ ماذا تركت فى الغرفة الأخرى ؟ معطفاً ؟ فراء ؟ سأجيئك به ، وسآمر باعداد عربه ترويكا لك فوراً ، ، وأتمنى لك سفراً سعيداً أبها السيد ، هيه ، ما رأيك ؟

كان ميتيا ينتفر الجواب وهو ممتلى نقة ٠ كان لا يراوده شك فى أن الرجل سيقبل هذا العرض ٠ واتخذ وجه « السميد » ذى الغليون هيئة تنم عن غالة العزم والتصميم ٠ وقال يسأل ميتيا :

_ أين المال يا سمدى ؟

_ اليك تفصيل الأمر فيما يتعلق بالمال : أدفع لك الآن خمسمائة روبل سلفة ونفقات سفر • أما الباقى ، وهو ألفان وخمسمائة ، فسأدفعه لك غدأ في المدبنة ، أحلف لك بشرفى • سأجيئك بهذا المبلغ من تحت الأرض اذا لزم ذلك! (هكذا صاح ميتيا) •

تبادل البولنديان نظرة • وأصبح وجه « السيد » ذى الغليون أقل تنسجيماً مما كان منذ قليل • قال ميتيا :

ـ بل أعطيك سبعمائه، سبعمائة روبل ، لاخسمائة، كدفعة أولى... أعطيكها حالاً ، في هذه اللحظة نفسها (كذلك أسرع يقول ميتيا الذي لاحظ أن الأمور أخذت تجرى مجرى لا يبعث على الامل) • ما بك أيها السيد ؟ ألا تصدقنى ؟ لست أستطيع أن أنقدك ثلاثة آلاف دفعة واحدة على كل حال • ذلك أنك قد تأخذ المبلغ الآن ثم تعود اليها غدا • • • ثم اننى لا أحمل الآن هذا المبلغ ، وانما هو مخبأ في مسكنى بالمدينة ، (كذلك تمتم يقول أليونيا الذي كانت شجاعته تهبط عند كل كلمة جديدة ، والذي أصبح يرتعش منذ ذلك الحين خوفاً من الاخفاق) أحلف لك أن هذا المال في بتى ، مخبأ • • •

وفى مدى لحظة قصيرة ، اجتاح وجه َ « السيد » ذى الغليون تعبير ْ عن أنفة خارقة وشمم هائل ، فسأل ميتيا فى سخرية (باللغة البولندية) :

ــ أهذا كل ما تريده ؟

ثم بصق للتعبير عن اشمئزازه بمزيد من القوة • وبصق فروبلفسكي أيضاً •

قال ميتيا وقد شعر باليأس يغزوه ، وأدرك أن كل شيء قد ضاع ، قال :

_ أنت تبصق أيها السيد لأنك تأمل أن تسلب جروشنكا مبلغاً أكبر ا ألا انكما كلمكما لمضحكان !

فقال « السيد ، ذو الغليون ، وقد احمر احمراراً شـــديداً (قال باللغة البولندية أيضاً) :

ــ انك تهينني الى أقصى حدود الاهانة •

ثم أسرع يتجه نحو الباب، في هيئة رجل مستاء لا يريد أن يسمع المزيد من الكلام • وسار فروبلفسكي وراءه متمايلاً • وتبعهما ميتيا مضطرباً حائراً وقد أسقط في يده • كان يخشي غضب جروشنكا، لأنه

_ لقد أُنهنت الى أقصى حدود الاهانة •

فاذا بجروشنكا تصبح في وجهه حانقة مسعورة :

ــ باللغة الروسية ، تكلم باللغة الروســية ! لا أريد بعد الآن أن أسمع كلمة بولندية واحدة ! لقد كنت تعرف الروســـية فى الماضى ، ولا يمكن أن تكون قد نسيتها فى خمس سنين !

وكانت جروشنكا محمر"ة الوجه غضباً •

ـ سيدتي أجريبينا ٠٠٠

ـــ اسمى أجرافين ٠٠٠ أنا جروشنكا ٠٠٠ تكلم بالروسية اذا كنت تريد أن أسمع لك !

جُرْحت كبرياء «السيد» ، فاحمر وجهه ، وأسرع يقول في تنفخ وفخفخة ، متعمداً تشويه الكلمات :

ــ أيها السيدة أجرافين ! لقد جئت وأنا أنوى أن أنسى الماضى وأن أغفر ، جئت وأنا أنوى مسح ما حدث حتى هذا اليوم ٠٠٠

فقاطعته جروشنكا قائلة وهي تثب من مكانها :

ــ جئت لماذا ؟ لنغفر ؟ أتريد أن تغفر لي أنا ؟

_ نعم یا سیدتی ، کنت أرید أن أغفر لك • ان لی نفساً رحبة وقلباً سمحاً • ولکن سلوك خلاً نك قد أدهنسنی • فمنذ هنیهة ، فی الغــرفة المجاورة ، أراد « السید ، میتیا أن یعطینی ثلاثه آلاف روبل لأسافر • فبصقت فی وجهه •

صرخت جروشنكا تسأله بصوت حاد :

قال ميتيا في أنين :

ــ أيها السيد ، أيها السيد ، انها طاهرة كملاك ، ولم أكن خليلها في يوم من الأيام ، لقد كذبت في هذا الأمر ، • •

زأرت جروشنكا تقول :

ــ كيف تجرؤ أن تدافع عنى أمامه ؟ لثن حافظت على طهارتى ، فاتنى لم أفعل ذلك تمسكاً بالفضيلة ، بل ليكون من حقى أن أصرخ فى وجه هذا الرجل حين ألقاه : أنت شقى تعس ! هل يمكن حقاً أن يكون قد رفض المال الذى عرضته علمه ؟

فصاح ميتيا يقول :

ـ رفض ؟ انه لم يرفض ٠٠٠ لقد رضى ٠٠٠ ولكنه أراد أن أنقده الثلانة آلاف روبل دفعة واحدة ، أما أنا فقد عرضت عليه قسطاً أول هو سيعمائة روبل ٠

قالت جروشنكا:

_ اتضح الآن كل شيء : لقـــد علم انني أملك مالاً ، فأراد أن يتزوجني !

صرخ « السيد » يقول :

ـ یا سیدة أجریبینا ، أنا فارس ، أنا بولندی نبیل ، لا شقی تعیس. لقد کنت أرید أن أتخذك حلملة لى ، ولـكننی أرى الآن أمامی امرأة تىختلف كل الاختلاف عن المرأة التي عرفتها ، أرى أمامي الآن امرأة راكة وأسها خالعة عذارها ٠٠٠

صرخت جروشنكا تقول وقد خرجت عن طورها :

الباب! ألا ما كان أشد بلاهتى حين عذبت نفسى خلال هذه السنين الباب! ألا ما كان أشد بلاهتى حين عذبت نفسى خلال هذه السنين المخمس بسببه! • • • لا • • • الني لم اعذب نفسى هذا التعذيب بسببه وانما عذبت نفسى غضباً وحنقاً! ليس هذا هو الرجل الذي أحببته! أوه! انه لم يكن هكذا! ليس هذا الرجل هو من أحببت! أغلب الظن أنه أبوه! أين صنعت لنفسك هذه الباروكة المضمحكة؟ لقد كان ذاك صقراً ، أما هذا فدجاجة مبتلة! كان ذاك يضحكني وينشدني الأغاني • • الا ما كان أغباني اذ لبنت أبكي طوال خمس سنين ، وما كان أحطني ، وما كان أجبنني!

قالت جروسُنكا ذلك وتهالكت على مقعدها من جديد ، وغطت وجهها بيديها • وفي تلك اللحظية ، ترجعت في الغرفة التي تقع على الشمال أصوات جوقة بنات موكرويه اللواتي اجتمع شملهن أخيراً • لقد أخذن بغنن رقصة شيطانية •

فصاح فروبلفسكى على حين فحبأة يقول :

ـ هذا محل دعارة ! يا ريِّس ، اطرد هاته النساء المخليعات !

كان صاحب النزل يلقى على القاعة نظـرات استطلاع من حين الى حين ، فلما سمع الصراخ فأدرك أن نزلاء، قد أخذوا يتشاجرون أسرع اليهم ، وقال يسأل فروبلفسكى بلهجة فظة :

ــ هيه ! أنت ! مالك تصيح هذا الصياح بحلقك العريض كله ؟

فزأر « السيد » فروبلفسكي يقول له :

ــ وغد!

ــ وغد ؟ أنا وغد ؟ هلا ً قلت لى بأى ورق لعبت منذ قليل ؟ لقد جثتك بحزمة مختومة ، فأخفيتها ، ولعبت بورق مغشوش ! هل تعلم أننى أستطيع أن أرسلك الى سيبريا بسبب هذا الغش ؟ ان اللعب بورق مزيف يشبه صنع نقود مزيفة ٠٠٠

واقترب صــــاحب النزل من الكنبة ، فأغطس يده بين الوســــادة والظهر ، فسحب حزمة الورق المختومة ، وقال :

ـ هذا ورقى ، لم يمس ً !

ورفع حزمة الورق بين أصابعه يُظهر عليها جميع الحضور ، وهو يقول :

ــ لقد رأيته من ركنى لحظة دس مده الحزمة في الشق ، وأحل محلها ورقاً من عنده! أنت وبش لا « سيد » •••

وقال عندئذ كالجانوف :

ـ وأنا فاجأت « السبد ، يغش مرتين .

صاحت جروشنكا تقول وهي تضم يديها احداهما الى الأخرى :

_ يا للعار! آه ••• يا للعار! ••• رياه! كيف أمكن أن يتغير هذا الرحل الى هذا الحد ؟•••

قال مشا:

ـ لقد اشتبهت في أنهما يغشان!

فما ان نطق ميتيا بهذه الكلمات حتى التفت « السيد ، فروبلفسكى الى جروشنكا مغتاظاً مضطرباً ، وصرخ يقول لها وهو يمد قبضة ذراعه نحوها :

ــ مومس ا

ولكن ميتيا انقض عليه في تلك اللحظة نفسها ، فأمسك بحسمه كله ، ورفعه ، ونقله بلمحة طرف الى الغرفة التي تقع على اليمين ، الغرفة التي قادهما اليها منذ لحظات ، وسرعان ما عاد الى القاعة لاهناً من الجهد والانفعال ، فقال للقوم :

وأغلق ميتيا أحد مصراعى الباب ، وترك المصراع النانى مفتوحاً ، واتجه الى « السيد » ذى الغلبون يسأله :

_ هل تتنازل ، أيها السيد النبيل ، فتلحق بصاحبك ؟ برزبرازنام ! (معذرة !) •

فهتف تريفون بوريستش يقول :

ــ ولكن يا دمترى فيدوروفتش ، استرد ً منه المال الذي خسرتمه في اللهب ، على الأقل ٠٠٠ لقد سرقاك !

قال كالجانوف :

ـ أنا أثرك لهما روبلاتي الخمسين !

فصاح ستا:

_ وأنا أتنازل عن روبلاتي المائتين ! لن استردها بحال من الأحوال فلمحتفظا بها عزاءً لهما !

_ مرحى ميتيا ٠

كذلك صاحت تقول جروشنكا بصوت فيه شيء من الشر •

فاتجه « السيد » ذو الغليون نحو الباب ، وقد اصطبغ وجهه بحمرة شديدة من فرط الحنق ، ولكنه لم يفقد شيئاً من رصانته ، ومع ذلك فانه قبل أن يخرج من القاعة ، التفت نحو جروشنكا وقال لها (بالبولندية) :

ــ سیدتی ، اذا کنت تریدین أن تتبعینی ، فتعــــالی ! والا ۰۰۰ فوداعاً ۰۰۰

ثم اجتاز الباب عابس الوجه مختنق الصدر غضباً وخزياً •

ذلك انسان لا يهزه شيء . فانه بعد كل ما حدث ظل يأمل أن تتبعه « السيدة » ، لأنه يقدر نفسه قدراً عظيماً .

أغلقت جروشنكا الباب عليهما •

وقال لها كالجانوف ناصحاً:

ـ أقفلي الباب عليهما بالمفتاح •

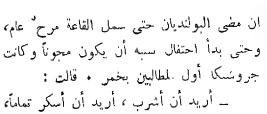
ولكن القفل صرَّ من داخل الغرفة • لقد سارعا هِما الى اقفال البابِ المفتاح •

هتفت جروشنكا تقول بلهجة حاقدة:

_ عظيم! ذلك كل ما كانا يستحقانه!

٨

ه زیان



كالمرة السابقة ، هن تتذكر ياميتيا ، يوم تعارفنا ؟

وكانت حالة ميتيا النفسية أشبه بهذيان ، لأنه كان يتنبأ « بسعادته » . وكانت جروشنكا ، مع ذلك ، ما تنفك تصرفه في كل لحظة ، قائلة ً له :

ـ ادُهب اليهم ، سرِّ عن نفسك ، مرهم بأن يرقصوا ، حتى يكون هنالك انطلاق ومرح ، أريد قصفاً عنيفاً حاراً ، كالمرة السابقة ، كالمرة السابقة تماماً .

كانت جروشنكا مهتاجة جائشة النفس • وكان ميتيا يتحرك هنسا وهناك ليطيعها وينفذ أوامرها • تجمع أفراد الجوقة في الغرفة المجاورة • ان هذه القاعة التي تجمعوا فيها صغيرة مسرفة في الصغر ، تقسمها الى قسمين ستارة من نسيج هندي تخفي وراءها سريراً ضخماً مغطى بلحاف كبير فوقه كدسة من وسائد • وان في سسسائر الغرف الأربع الأخرى « النظيفة ، سرراً على كل حال • استقرت جروشنكا أمام الباب ، حيث

أتاها ميتيا بمقعد تجلس عليه • ذلك هو المكان الذى شخلته « فى ذلك اليوم» ، أثناء احتفالها الأول فى الليل ، تتأمل منه الرقصات وتسمع الغناه • ان البنات اللواتى اشتركن فى ذلك الاحتفال قد جئن اليوم هن أنفسهن • ولم يلبث اليهود أن وصلوا مع آلات الرباب والكمان • وأعلن أخيراً أن عربة الترويكا التي طال انتظارها قد وصلت هى أيضاً تحمل المؤن •

شُغل ميتيا كثيراً ، وراح يتحرك هنا وهناك • كان أناس من أهل القرية يقفون أمام العتبة من حين الى حين ليلقوا نظرة ٌ على الغرفة • لقد أوقظ الفلاحون والفلاحات في وسط اللبل ، وأسرعوا يرتدون ثبابهم ، متوقعين وليمة عجيبة كوليمة الشهر الماضي • ان ميتيا يحيي الوافدين الجملد ، ويعانق الأصحاب القلمامي ، ويبير ذكريان سلمابقة ، ويفتح الزجاجات ، ويقدم الشراب لكل قادم • والبنات وحدهن يقسدرن الشممانيا ، أما الفلاحون فيؤثرون خمر الروم والكونياك ، ويفضــــلون « النش » خاصة • أصدر متا أوامره باعداد شوكولاتة للنات ، وبأن تظل نلاثة سماورات يغلى ماؤها بدون انقطاع لتحضير الشاي والبنش • يجب أن يكون هنالك شراب للجميع • يجب أن يستطيع كل قادم أن يسكر ما شاء له هواه أن يسكر • الخلاصة : قامت الدنــــا وقعدت ، وأخذ الناس يشربون فوضي لا يلجمهم شيء • ولكن ميتيا كان يحسس في هذا السديم المضطرب بارتياح ، ويزداد انتعاشاً ونشـــاطاً على قدر ازدياد الفوضي والسخف في هذه السهرة • فلو خطـــر ببال أول فلاح واصل أن يسأله مالاً في تلك اللحظة ، اذن لأخرج الحزمة من جسمه ووزَّع الأوراق المالية على حلقة الراقصين دون عد • ولعــــل هذا هو السبب الذي جعل صاحب النزل لا يكف عن الحدوم حوله لحمايته في أَعْلَبِ الظُّنِ • وقد عزم تريفون بوريستش على أن لا ينام في هذه اللملة، لذلك لم يشرب هو نفسه الا قلملا جداً (اكتفى بكأس بنش واحد) ،

ولكنه كان يسهر على مصالح ميتيا بمزيد من الانتباه ، ولو على طريقته المخاصـــة ؛ فهو يتدخل متى وجب أن يتدخل ، بلهجه متعاذبة لمنة ، ليوقف ميتيا عند حدود لا يتعداها ، محاولاً أن يحول بينه وبين أن يقدم للفلاحين الجفاة سيجاراً وملبساً «كما فعل في المرة الماضية» ، أو أن يوزع عليهم شيئًا من المال خاصة ٧٢ سمح الله ! كان يسوءه أن يرى البنات تشرب خموراً وتقضم ملبساً ، فيقول : « وسخان ! وسخات ! لأطردهن ما هن به جديرات! » • وتذكر ميتيا الحوذي آندره من جديد مَفَارسل اليه شيئًا من البنش • وكان يردد فائلاً بصوت ضعيف دامع : • لقــــد أسأت اليه منـــذ قليل ، • ورفض كالجانوف في أول الأمر أن يشهر ، • ولم ترضه جوقة البنات •ولكن مرحه اشتد اشتداداً جنونياً بعد أن شرب الكأس الثانية من الشمبانيا ، فكان يسير في خلال الغرفة ضاحكاً مطرياً كل شيء ، الأغاني والموسيقي • وكان ماكسيموف الذي بلغ أوج السكر والغبطة منذ ذلك الحين ، لا يتركه لحظة واحدة . وكانت جروشنكا ، التي ثملت قليلاً هي أيضاً ، ما تنفك تقول لمينيا وهي توميء الى كالجانوف « ما ألطفه فتى ! ما أحلاه وما أعذبه ! » ، فكان ميتيـــا يسرع عندئذ الى كالجانوف فعانقه ويقله بحماسة ؟ وكان يقسُّل ماكسموف في هذه المناسبة. آه ٠٠ ماكان أعظم السعادة التي يوجس ميتيا أنه سينالها! صحيح أن جروشنكا لم تكن قد وعدته بشيء بعد ، وأنها كانت تبدو راغيــــة في تجنب أى شرح الآن ، ولكنها كانت تنظر اليه خلسة " من حين الى حين وقد فاضت عيناها رقة وحناناً • وها هي ذي نمسك يد. على حين فجاّة ، فتجذبه اليها بقوة ، وتقول له وهي جالسة على مقمد أمام الباب كما كانت فير أول الاحتفال :

ــ ما كان أغرب هيئتك حين دخلت علينا منذ قليل ! أوه ! الهد خفت

عندئذ خوفاً شديداً • كيف خطر ببالك أن تتنازل عنى لذلك الرجل ؟ هل يمكن أن يكون ذلك قد خطر بنالك حقاً ؟

دمدم ميتما يقول وقد طاش عقله من فرط السعادة :

_ لم أشأ أن أفسد سعادتك •

ولكن جروشنكا لم تصغ الى جوابه • وصرفته عنهـــا من جديد قائلة له :

- اذهب ، اذهب ، سرِّ عن نفسك لاهيــاً معهم • وليس لك أن تشكى ، فسأناديك بعد قلمل •

انصرف ميتيا ، واستأنفت جرونسنكا تأمل الرقصات والاصمخاء الى الأغنيات ، فلما انقضى على ذلك ربع ساعة أومأت له فهرع اليها ، قالت :

- اجلس بحانبي الآن ، واقصص على ً كيف علمت أمس الني هنا. من أول من قال لك ذلك ؟

أخذ ميتيا يقص عليها بحرارة ، ولكن بفوضى ، فليس فى سرده تسلسل كثير ، والشىء الغريب أنه كان فى بعض الأحيسان يتوقف عن الكلام ويقطب حاجبيه ، قالت له جروشنكا :

_ ما بك ؟

فأجابها:

ـــ لا شيء ٠٠٠ لقد تركت في المدينة مريضاً . أرجو أن يشفي... اني لأهب من عمري عشرة أعوام في سبيل أن يشفي !

ــ لا تفكر بعد الآن في ذلك المريض • قل لى : هل صحيح أنك كنت تريد أن تنتحر في غد أيها الأحمق ؟ لماذا ؟ ثم دمدمت تقول له بلغه منتفخة قليلاً:

_ أحب أمثالك ، المجانين قليلاً ، أأنت مستمد اذن لأن تجازف بكل شيء في سبيلي ؟ أكان في نيتك اذن أن تنتحر من أجلى غداً يا عزيزى الطيب الأبله ؟ ألا فاعلم اذن أن من الأفضل لك أن تنتظر ٠٠٠ قد أقول لك في الغد كلمه صغيرة ٠٠٠ لا اليوم ٠٠٠ بل غداً ! آ ٠٠٠ لا شك أنك تؤثر أن أقولها اليوم ؟ لا ٠٠٠ لا أريد أن أقولها اليوم ٠٠٠ اذهب ، اذهب الآن ، سلً نفسك !

ولكنها نادته فى لحظة من اللحظات مندهشة قلقة ، وسألته : ــ مالى أراك حزيناً هذا الحزن كله ؟ اننى ألاحظ أنك مهموم • وسدًدت اليه نظرة نافذة ، وأردفت تقول :

ـ نسم ، ألاحظ ذلك واضحاً • مهما تضحك وتمزح مع الفلاحين، فاتنى أدرك أن هناك شيئاً يعذبك • كن فرحاً ! أريد ذلك ! أنا فرحة ، فعليك أن تفرح أنت أيضاً ••• تصور أتنى أحب أحداً هنا ••• أوه ! انظر اليه ! لقد غفا فتاى الصغير ••• انه ثمل ، عزيزى !

كانت تعنى كالجانوف ، لقد غفا كالجانوف بضع لحظات على الكنبة بتأثير الكحول ، على أن الحضر وحدها ما كانت لتكفى أن تغرقه فى النوم، وانما الحقيقة أنه شعر فحأة بحزن ثقيل فى وسط هذا الاحتفال ، دون سبب معين واضح ، وذلك ما عبر عنه بقوله انه «ضجر ، ، وكانت أغانى البنات قد أصبحت تثير فيه الانسمتزاز ، لأنها كانت تزداد فسسقا ودعارة بنأثير الحمر شيئاً بعد شى، ، وكذلك كان شأن الرقصات : لقد خطر بهال بنتين من البنات أن تتنكرا د بين ، وأخذت ستيبانيد ، وهى خطر المرأة قوية الجسم خلة البال ، « تعرضهما » وفى يدها هراوة ، قائلة المراخ :

ـ بعنف يا مارى ، والا هويت عليك بالهراوة!

وأخذ الدبان يتدحر جان أخيراً على أرض الغرفة تدحر جاً خالياً من الحشمة كل العخلو حقاً ، فكان جمهـور الفلاحين والفلاحات الذي يشاهد المنظر ينفحر ضحكه المجلجل!

قالت جروشنكا بلهجه الحكمه وهيئة النبطة :

دعوهم یلهون علی ما یشاء لهم هواهم ، ذلك من حقهم مرة .
 ان هذه الفرصة لا تعرض لهم كثیرا ، فلینتهزوها!

وكان كالجانوف ينظر الى المشهد شاعراً بأنه انسخ ؛ وابتعد وهو يقول :

ـ ما أكثر الابتذال في هذا الفرح الشعبي ! أهكذا يتسلون اذن هم الذين يعبشون في قلب الطبيعة ؟

وكانت قد آذته أغنية « جديدة » ايذاء خاصاً • هي أغنية تتردد فيها لازمة تُمثَّل بايماء وتُرقص على ايقاع جرىء ؟ وهي تروى قصة بارين (سد) مسافر يسمى قلوب النات •

سال البارين البنات : * اتحبينني ؟ اتحبينني ؟

ولكن البنات رأين أنه لن يكون زوجاً صالحاً •

سيضربنى البادين ولن أحبه

واتفق ان مر" عندئذ نحجرى :

سال الغجرى البنات : اتحبينني ؟ اتحبينني ؟

ولكنه لم يعجب البنات أكثر من البارين :

سيكون ال<mark>فجرى لصا</mark> ولن تكون هذه هى السعادة

ومر ً رجال أخرون كثيرون ، حتى لقد مر ً جندى :

سأل الجندى البنات : اتحبينني ؟ اتحبينني ؟

ولكن البنات نبذنه باحتقار :

سيحمل الجندى الكيس اما أنا فسوف ٠٠٠

وكان البيت الثانى بذيئاً بذاءة صريحة ، وكانت البنات تغنيه دون أن تحمر خجلاً ، فتثير في الجمهور حماسة عظيمة ، وتقسدم أخيراً الجر :

سال التاجر البنات : اتحبينني ؟ اتحبينني ؟

فأحبته البذات ، لأن :

التاجر سيجنى ثروة كبيرة ويجعلني أمرة ٠٠٠

نفذ صبر كالجانوف فصاح يقول بصوت عال ٍ:

ـ هذه أغنية حدينة جداً • تُرى من مؤلفها ؟ ليس ينقصــها في الواقع الا متعهدو سكك حديدية ويهود • فلو وجدوا لأحرزوا النصر!

كان كالجانوف كمن أ'هين تقريباً ، وقال فجأة انه ضجر ، واضطجع على الكنبة فسرعان ما غفا • وهذا وجهه الجميل ، الشاحب شحوباً خفيفاً، ينزلق على الوسادة قليلاً •

قالت جروشنكا وهي تجذب مشا المها:

ـ أنظر ما ألطفه! كنت منذ قليل أسلَّى نفسى بملاعبة شعره • ان شعره غزير كنيف ، وهو أشبه بمخيوط المحرير نعومة " • • •

ومالت جروشنكا على كالجانوف فى حنان ، وقبلت جبينه ، ففتح كالجانوف عينيه فجأة ، ونظر اليها ، ثم نهض نصف نهوض ، وسألها وقد بدا علمه انشغال البال :

ـ أين ذهب ماكسيموف ؟

فقالت جروشنكا ضاحكة :

- انظروا عمن يسأل • ماكسيموف هو الذي يعوزه ! هلا ً بقيت معى بضع لحظات ! يا ميتيا ، ابحث له عن ماكسيموف وجمه به •

كان ماكسيموف قد أصبح لا يترك البنات ، ولا يبنعد عنهن من حين الى حين الا ليصب قدحاً من الخمر ، وقد شرب أيضاً فنجسانين من الشوكولاتة ، وتلو ن خداه ، واصطبغ أنفه بحمرة قانية ، بينما عيناه المخضلتان الرطبتان تنظران حوله في عاطفه وحنان ، وسرعان ما هرع ماكسيموف يعلن أنه سيرقص رقصة «صانعة القباقيب» على « لحن موسيقى معروف » ، وقال شارحاً :

_ لقد علمونى فى طفولتى هذه الرقصات الراقية الرفيعة • فهتف كالجانوف يقول ، مبعداً الفرصة التى عرضتها له جروشكا وهى أن ينفرد بها :

_ سأمضى أنا أيضاً • اننى أريد أن اراه عن كتب حتماً • وتبعوا ماكسيموف • وعرض ماكسيموف رقصته ، فلم تثر حماسة

أحد الا مينيا • هي رفضه فوامها ففز.ت وتلو ً يات ، ورفع السيقان الى فوف وجعل النعال عاليه ً في الهواء ، فكان ماكسيموف يقرع تعلم بيده في كل مرة •

معلم كالجانوف سفتيه اسنياء ، ولكن ميتيــا وثب لى عنق الرافص قائلًا له :

ـ شكراً لك ياصاحبى الطيب الشهم • يخيَّل الى أنك نعبت • أأنت تنظر الى السـكاكر ؟ أتريد واحدة ؟ أم لعلك تحب أن تدخن سيجاراً ؟

- ـ بل سيجارة •
- _ ألا تريد أن تشرب شيئًا ؟
- ــ شربت خموراً أليس عندكم سكاكر بالشوكولاتة ؟
- ــ ما أكدر ما عندنا منها على المائدة اختر ما يحلو لك يا حمامتي !
- _ لا هذه ، أريدها سكاكر بالونيلة ٠٠٠ أريد ســـكاكر الشيوخ العجائز تلك ! هيء هيء ! ٠٠٠
 - ــ لس عندنا منها يا أخى !
 - ومال العجوز القصير فجأة على أذن ميتيا فسأله موشوشاً :
- _ قل لى : أما من سبيل ٠٠٠ أليس هناك وسيلة ٠٠٠ أنظر الى هذه البنية ، الى مارى اللطيفة هذه ، هى، هى، كم أود لو أتعرف عليها ٠٠ اذا كنت ترى ، بما لك من شهامة وأريحية ، أن الأمر ممكن ٠٠٠
 - _ أوه ! أوه ! أرجو أن تكون هازلاً لا جاداً !
 - ـ لا أديد بها شرآ

كذلك دمدم يقول ماكسيموف مفحكماً • فقال له ميتيا :

ــ طیب ۰۰۰ طیب ۰۰۰ هذا یا أخی غنـــا، ورقص ، ولــکن ذلك هو کل شی، و علی کل حال ۵۰۰ اذا کنت تحرص هذا الحرص کله ۰۰۰ عجیب ! علیك قبل کل شیء أن تأکل وتشرب وتمرح و ألعلك فی حاجة الی مال ؟

أجابه ماكسيموف مبتسماً :

ـ ربما احتاج الى شيء من المال . فيما بعد .

_ طيب ٠٠٠

كان رأس ميتيا ناراً مشتعلة • خرج الى الدهليز وصعد الى الرواق الذي يمتد على جزء من المبنى من جهة الفناء • أحسن اليه الهواء الطرى • توقف في ركن مظلم ، واذ أحس أنه وحيد ، أخذ يفكر • فعما هي الا بضع لحظات ، حتى وضع رأسه بين يديه فبجأة • ان خواطره المتفرفة المتبعثرة ، وان احساسهاته الغامضة المبهمة ، قد اتحدت الآن وترتبت وتوضحت ، فبخرج منها على حين فبجأة ضياء رهيب ! تساءل : « اذا كنت أريد أن أطلق رصاصة في رأسي ، فلماذا لا أفعل ذلك حالا ؟ أمضى فأجىء بمسدسي وأنهي الأمر في هذا المكان نفسه ، في هذا الركن المظلم القذر ذاته ؟ ، ولبث يتردد دقيقة طويلة • انه منه ساعات قليلة ، حين كانت عربة الترويكا تقله الى موكرويه ، كان قد خلف وراءه عاراً هو عار السرقة وسفك الدم • • • ولكن ما كان أسهل اتخاذ القرار الوحيه المكن حبذاك ! لقد كان اتخاذ هذا القرار اسهل منه الآن ، أسهل المارة ، قسه كثيراً ! كل شيء كان يدو عندئذ ضائعاً : كان قد فقد تلك المرأة ، قسد تنازل عنها • • • أصبحت لا وجود لها • • وكان تنفيذ الحكم الذي أصدر على نفسه هيئاً يسيراً • لقد خضع لذلك المحكم خضوعه لقدر لا راد "له ،

لقضاء أعلى لا اعتراض عليه • ماكان حاجته الى البقاء حيًّا بعد أن وفع ما وقع ؟ لم يكن فد بقى شيء يشده الى هذا العالم ويربطه به • أما الآن فقد اختلفت الحال • ان احدى حلقات القدر ، ان أحد أشباح الحوف ، مد تبدد الآن دخاناً !ان صديقها القديم الذي لا يمكن جحوده أو التنكر له ، فد اختفى دون أن يخلف أثراً! ان ذلك الشبح المرعب قد استحال ظلاً تافهاً مضحكا • لقد أخرج من الغرفة كطفل ، وأقفل عليه البــاب بالمفتاح! انها تشعر بالعار من هذا الرجل؟ وقد استطاع منتبا أن يفرأ في عنمها من ذا تحب في الواقع • الآن انما يمكن أن تكون الحاة جملة ، جَمَيلة جداً ٠٠٠ ولكن الحياة مستحيلة بعد أن وقع ما وقع ، مستحيلة ! يا لها من لعنة ! « اللهم ردُّ الحياة الى ذلك الذي صرعتُه قرب السور ! اللهم اجعل الكارثة تمر قربي دون أن تمسني ! اللهم انك فد صنعت معتجزات لأناس غيري كانوا مذنيين متلي ، فهب لي من لدنك معجزة من تلك المعجزات! ••• ولسكن ماذا اذا كان العجـــوز لم يمت! لأمحونَّ عنبدئذ عار الاثم الآخير ، فأرد الميال السروق ، أعيده الى صاحبه ، ولو اضطررت أن أمضي باحثاً عن المال تحت الأرض ٠٠٠ لن يبقى عندئذ أثر من آثار ذلك المار ٠٠٠ الا في قرارة قلمي حيث سيعش إلى الأبد ٠ لا ، لا ، هذا مستحل ، هذه أحلام جان ، أحلام لا سل الى تحقيقها . • يا للعذاب! ، •

ومع ذلك ساوره شعاع من أمل بعد هذه الأفكار ، شعاع ضعيف في ظلام الليل ، انتزع نفسه من تأمله القاتم ، وأسرع ينزل الى غرف الطابق الأرضى ، اسرع اليها من جديد ، الى تلك التى تحكم قلبه الى الأبد ، تساءل : « ألا تساوى ساعة واحدة من حبها ، ألا تساوى دقيقة واحدة من حبها عياة " بأكملها ، ولو كان ثمنها عذاباً وعاداً ، » استولت هذه الفكرة على ميتيا ، وطردت من نفسه سائر الهموم والمشاغل ، قال

يحدث نفسه: « أراها ، أراها أيضاً ، أسمعها ، أنقطع عن التفكير في أي شيء ، أنسى كل ماعداها ، ولو ليلة واحدة ، دقيقة واحدة ! ، • وفيما كان ينزل من الشرفة لمح تريفون بوربستش عند مدخل الدهليز • كان تريفون بوربستش عند مدخل الدهليز • كان تريفون بوريستش حزين الهيئة منزعجاً ، وبدا لميتيا أنه كان يبحث عنه •

ـ أتبحث عنى أنا يا تريفون بوريستش ؟

فأسرع صاحب النزل يحبيه :

ـــ لا ٠٠٠ لا أنت ٠٠٠ ثم علام أبحث عنك ؟ وــــكن ٠٠٠ أين كنت ؟

ــ مالی أراك مظلم الوجه ؟ أتراك غاضــــباً ؟ اصبر علینا قلیلاً ، وسندعك تنام هادیء البال • كم الساعة الآن ؟

ــ هي الثالنة أو تزيد .

۔ سننصرف ٠

ــلا ، لا ٠٠٠ في وسعكم أن تبقوا ما شئتم أن تبقوا ٠٠٠

تسامل ميتيا وهو يسرع الى القاعة التي كانت ترقص فيها البنات :

« ما ذا حدث له ؟ ه • ولكن جروشنكا لم تكن هنساك • لا ولا كانت في الغرفة الزرقاء • وكان كالجانوف ينام على الكنبة نوماً هادئاً • ألقى مبتيا عندئذ نظرة خلف الستائر ، فاذا هو يجدها هناك • كانت جالسة في ركن ، على صسندوق ، مسندة "رأسها ويديها الى حافة السرير ، نبكى بكاء مراً ، محاولة أن تخنق نشسيجها ، جاهدة أن لا ينفجر انتحابها وأن لا تلفت الانتباه اليها • لمحت ميتيا ، فأومأت اليه أن يقترب ، وأسكت يده ، فضغطتها بدها ضغطاً قوياً • وقالت هامسة :

كنسيراً خلال هسنده السنين الحمس ! ترى أأحببت أم كنت أحب حقـ دى ؟ لا بل أحببتـــه هو ! أوه ! نعم ، هو ، هو ! أكذب اذا زعمت انني ما أحببت الاحقدي ! أواه يا ميتيا ! لم يكن عمري حينداك الا سبعه عشر عاماً ، وكان يُظهر لي كبيرا من اللطف والأنس والوداعة ، وكان يغنى لى أغنيات ٠٠٠ أم تراه لم يغلهر لى فتاناً الى ذلك الحد الا لأنني كنت غبية ، لا لأننى كنت طفلة غرة لا ٠٠٠ أما اليوم ٠٠٠ رباء ! انه ليس هو ، أنه ليس ذلك الرجل نفسه! لقد تغير وجهه أبضا ، فهــــو لا يشمهه البته • أنكرته حين رأبته أول وهله • لقد كنت أتساءل طوال الطريق ، وأنا أتيه الى هنا مع تيموتى : « كيف أتصرف حين ألقاء لا ماذا أقول له ؛ كيف ينظر كل منا الى الآخر ؛ ٠٠٠ » • وانهارت نفسي ٠٠٠ لقد صب على رأسي سطلاً من فاذورات • تكلم كما يتكلم معلم مدرسة • اتخذ أوضاع التعالم ، واصطنع هيثة لوفار ، فأرتبج على َ وخرست! لم يتح لى أن أقول كلمة واحسدة • حسبت في البداية أن وجود ذلك البولندي الطويل يحرجه • كنت جالسة هناك ، أمامه ، أتسامل لماذا أصبحت على حين فجأة لا أجد كلمة أقولها له • ان زوجته ، ان تلك المرأة الأخرى هي التي أثرت فيه تأثيراً سيئاً ٠٠٠ تلك المرأة التي من أجلها تركني ثم تزوجها بعد ذلك ٠٠٠ لقد بدلته تبديلاً كاملاً ٠٠٠ يا للعار يا ميتيا! انبي لأُشعر الآن بالعار من حيــماتي كلها! لُعنت تلك السنون الخمس ، الى الأبد .

وتدفقت دموعها من جديد ، ولكنها لم تترك يد ميتيا ، بل ضغطتها في يدها مزيدا من الضغط .

_ ميتها ، حمامتي ، لا تذهب ، انتظر لحظة (ثم دمدمت تقول وهي ترفع البه يصرها) سأقول لك كلمة صغيرة • اسمع • قل لى أنت : من

هو الرجل الذي أحبه ؟ أننى أحب رجلاً هنا · فمن هو ذلك الرجل ؟ قل لى هذا أنت !

وأضاءت ابتسمامة" في وجهها المحتقن من الدموع ، والتمعت عيناها في الفلام • وتابعت تقول :

منذ قليل دخل صقر ، فتوفف قلبي عن الخفقان ، وقال لى قلبي : « أيتها الغبية ، هذا هو ، هذا هو الرجل الذي تحيين ! » لقد دخلت أنت فاتضح لى كل شيء على حين فجأة ، تساءلت : « ولكن مم سو خائف ؟ » ، ذلك أنك كنت خائفا ، وقد بلغت من الخوف أنك لم تستطع حتى أن تتكلم ، قلت في سرى : « ليس خائفاً منهم مع ذلك ، ، أنت لا يمكن أن ترتجف أمام شخص آخور ، انني أعرف ذلك حق المعرفة ، وقلت لنفسي عندئذ : « انه خائف مني ، مني أنا وحدي ، ؛ المعرفة ، وقلت لنفسي عندئذ : « انه خائف مني ، مني أنا وحدي ، ؛ اذ لا شك أن فينيا قد روت لك _ أليس كذلك أيها الأحمق ؟ _ كيف أنني هتفت أقول لأليوشا ، من النافذة ، انني قد أحببت ميتنكا مدة ساعة ، وانني ذاهبة الآن ، من النافذة ، انني قد أحببت ميتنكا مدة ساعة ، أمكنني أن أصدق أنني أستطيع أن أحب رجلا آخو ! ميتيا ، ميتيا ، كيف أمكنني أن أصدق أنني أستطيع أن أحب رجلا آخو بي معدك ؟ ما كان أغاني ! اغفر لى يا ميتيا ؟ هل ستغفر لى ؟ هل تحبني ؟ هل تحبني ؟ هل تحبني ؟

نهضت جروشنكا بهمة وقوة ، ووضعت يديها على كتفيه · أصبح ميتيا أخرس من فرط السعادة ، فكان لا يزيد على أن ينظر الى عينيها ، ووجهها ، وابتسامتها ٠٠٠ ثم عانقها فحأة وغمرها بالقبلات ·

ـ هل ستغفر لى أننى عذبتك؟ لقد عذبتكم جميعا ، من فسرط غضبى وحسرتى ! وبدافع الشر وحده جعلت العجوز مجنوناً بحبى ٥٠٠ هل تتذكر كيف حطمت فى بيتى قدحاً ، فى ذات يوم ، بعد أن شربت؟ لقد تعلمت أنا هذه الحركة ، فحطمت اليوم قدحاً وأنا أشرب « تحف

قلبى الجبان! ، • ميتيا ، صقرى ، لماذا لا تقبّلنى ؟ لقد قبلتنى مرة "ثم أمسكت • انك تنظر الى " ، وتصغى الى " • • • ما قيمة الاصلاء الى " ؟ قبلنى ، بمزيد من القوة ، هكذا ، ما دمت تحبنى! • • • لأكونن بعد اليوم عبدة لك ، مدى الحياة! ما أحلى أن أكون عبدة • • • قبلنى أيضا! اضربنى! عذبنى! افعل بى ما شئت • • • لأننى أسستحق أن تعذبنى . • • لا • • • التظر! نؤجل هذا! لا أريد الآن •

قالت له ذلك ودفعته عنها فجأة • وأردفت تقول :

۔ ادھب یا میتیا ، سـأشرب الآن خمـــراً ، أرید أن أســـكر ، وسأرقص بعد ذلك ، أرید هذا ، أرید هذا !

وتخلصت من عنساقه وغابت وراء الستائر ، تبعها ميتيا ، كان كالسكران ، «ما قيمة ما سيحدث فيما بعدى ما قيمة ما سيحدث فيما بعدى الدقيقة كهذه الدقيقة خير من الكون كله ، بهذا حدث ميتيا نفسه ، شربت جروشنكا كأسا أخرى من الشمانيا سرعان ما صعدت الى رأسها، جلست على المقعد ، في مكانها السابق ، وهي تبسم ابتسامة غبطة وهناءة وسعادة ، احمرت خداها ، احترقت شفتاها ، اضطرب نظرها ، وفي عنيها الساطعين ، كان يتقسر أنداء محموم جامع ، كالجانوف نفسه اضطرب من ذلك ، كأن شيئا قد لسع قلبه ، فاقترب منها ، سألته :

ــ هل أحسست بالقبلة التي وهبتها لك حين كنت نائماً • أوه ! أحس أني سكرى ••• وأنت ؟ ألم تسكر ؟ لماذا لا يشرب ميتيا ؟ ميتيا ، يجب أن تشرب ! أنا شربت وأنت لا تشرب •

_ أنا ؟ أنا سكران بغير شراب · سكران بك · · · ولكننى أريد أن أسكر بالخمر أيضا · وأفرغ مينيا في جوفه كأساً آخر ، فاذا بهذه الكأس الأخيرة تفجر السكر فيه دفعة واحدة ، على حين أن الكئوس السابقه لم تحدث أثراً و . . . شيء غريب ! أخذ كل شيء يدور في رأسه منذ تلك اللحظة ، فكأنه في حالة هذيان ، انه الآن يمشي ، ويضحك ، ويكلم كل من يلقاه فكارجاً عن طوره ، وفي بعض اللحظائة كانت تستيقظ في قلبه عاطفة حارة ثابتة « تحرقه حرقاً كجمرة ، كما قال فيما بعد ، وكان يقترب من جروشنكا ، ويجلس الى جانبها ، وينظر اليها ، ويسمع لكلامها ، . . أما جروشنكا فقد أصبحت تتدفق في هذرها تدفقاً رهياً ؛ وهي تنسادي الناس اليها ، وتستدعي بنتاً من بنات الجوقة ، حتى اذا دنت البنت منها أخذت تقبلها أو رسمت عليها اشارة الصليب ، حتى لتوشك أن تحبش باكية ، وكان يفرحها ويضحكها « العجوز الصغير » خاصة (هكذا كانت تسمى ماكسيموف) ، انه يهرع اليها في كل لحظة ليقبل يدها ، كانت تسمى ماكسيموف) ، انه يهرع اليها في كل لحظة ليقبل يدها ، كانت تسمى ماكسيموف) ، انه يهرع اليها في كل لحظة ليقبل يدها ، كانت تسمى ماكسيموف) ، انه يهرع اليها في كل لحظة ليقبل يدها ، واتنهى به الأمر الى أن أخذ يرقص من جديد على لحن قديم دندنه بصوته ، وقد رقص بحماسة خاصة على اللازمة التي كانت تتكر ر :

الخنزير الصغير ، كريو - كريو العجل الصغير ، هو - هو البطة الصغيرة ، قوا - قوا الأوزة الصغيرة ، جا - جا والدجاجة الصغيرة تركن في الغرفة منادية صغارها : تيوريو - ريو - ريو

قالت جروشنكا :

ــ هلا أعطمته شيئا يا ميتيا! اهد اليه هدية . انه فقير .أوه! رباه!

يا لهؤلاء الأنبقياء جميعاً ، يالهؤلاء المذلِّين جميعاً ! ٠٠٠ هل تعلم يا ميثيا؟ أربد أن أدخل الدير ! بلي ! بلي ! سأدخل الدير ذات يوم • لقد كلمني النوم ألبوشا بطريقة لن أنساها ما حييت ، لن أنساها ماحست ، أما الآن فلنمرح! اليوم سرور وغداً دير! أود أن أقوم بأعمال جنونية! ولسوف يغفر لي الرب • أي ضير في أن نتسلي أيها الناس الطبيون ؟ لو كنت أنا الله ، اذن لغفرت لجميع الناس ، ولقلت لهم : « يا أعزائي الخاطئين ، قد عفوت عنكم منذ اليوم • • • ولسوف أمضى أطلب الغفران من الجميع فائلة لهم : « أيها الناس الطيبون ، اغفروا لامرأة مسكينة حمقاء غبية ! ». ذلك ما سأقوله لهم • أنا وحش مفترس نعم • ولكنني أريد أن أصلَّى • لقد وهن بصلة أنا أيضاً • انني ، أنا الشقية ، أريد أن أصلِّي ! دعهم يرقصون يا ميتيا ، لا تعكر سعادتهم! جميع الناس طيبون ، جميعهم بغير استثناء! آه ! ما أحلى أن يحيا المرء في هذا العالم ! نحن شريرون ، ولكن الحياة جميلة جداً ••• فينا الخير والشر ، الخير والشر في أن واحد••• قهلوا لي أنتم جمعاً! يحب أن أسألكم هذا السؤال! اقتربوا وقولوا لي : لماذا أناطيبة الى هذه الدرجة ؟ انني طيبة فعلاً ، فقولوا لى ، اشرحوا لى : لماذا أنا طسه الى هذه الدرجة ؟

ــ ميتيا ، امنعنى من أن أشرب أكتر مما شربت • اذا طلبت حمراً فلا تعطنى ! بحمل الكحول الى النفس السكينة والهدوء • ان كل شىء يدور الآن أمامي ، الغرفة والمدفأة ! أريد أن أرقص ••• فلينظر الى الجميع ، ولعجبوا برقصى •••

كان هذا من جروشنكا عزماً أكبداً وقـــراراً حاسماً • أخـرجت

منديلاً أبيض من نسيج ناعم رقيق ، وأمسكته من أحد أطرافه بيسدها اليمنى لتلويّ به أثناء الرقص ، تحرك ميتيا هنا وهناك ، صمت البنات، وتهيأن لأن يصدحن بلحن يرافق الرقص جوقة واحدة عند أول اشارة، وحين علم ماكسيموف بأن جروشنكا سترقص ، راح يطلق صرخات متابعة من فرط حماسته ، وأخذ يتواثب أمامها ، وطفق يدندن :

ساقاها دقيقتان ووركاها مدوران ولكن ذيلها كالبوق

أبعدته جروشنكا عنها بحركة من منديلها ، قائلة :

ـ شت ! لماذا لا يجيئون يا ميتيا ؟ فليهرعوا جميعاً • • لرؤيتي • • • ونادهما هما أيضاً ، ناد المحبوسين • • • لمساذا حبستهما ؟ قل لهما انني أريد أن أرقص • فلمجنا هما أيضاً ، لعجا لي !

اتجه ميتيا نحو الباب المقفل بالمفتاح ، مترنح الخطى من السكر ، وأخذ يقرع الباب بقبضة يده ليلفت انتباه البولنديين .

ـ هيه ! أتتما • • • اخرجا • • • انها سنرقص وهي تناديكما •

_ لا جداك (شقى)!

فأجابه مشا:

ـ وما أنت الا « لا جداك ، حقير صغير ٠٠٠ ذلك أنت !

فصاح أحد « السيدين » البولنديين يجيبه بالبولندية :

قال كالجانوف وقد ثمل هو أيضاً ، قال بلهجة تتكلف الوقاد :

ـ هلا كففتم عن اهانة بولندة ؟

ـ اسكت ايها الفتى الصغير! اننى اذ وصفته بأنه شقى ، لم أهن

بولندة كلها • ليس مختال" تافه كل مولندة • صمتاً أيها الطفل اللطيف، لسوف أعطيك ملسة •

قالت جروشنكا مدهوشة وهي تنقدم الى أمام لترقص :

ــ يا للأشرار! أليس فيهم شيء من انســـانية ؟ لماذا يرفضون أن يتصالحوا؟

غنت الجوقة لحناً شعبياً • رفعت جروشنكا رأسها ، وفتحت شفتيها، وابتسمت ، ولو ّحت بمنديلها ، ثم توقفت فجأة وهي تتمايل تمايلاً فوياً في وسط الغرفه ، وتشعر بارتباك شديد • وأنتَّت تقول بصسوت أليم :

ـ أحس بوهن ، معذرة ، اننى ضعيفة جدا ، ، ، ، لا أستطيع ، ، ، أوه ، ، ، هي غلطتي ،

وحيَّت الجوقة ، ثم حيَّت جميع الحضور وهي تلتفت الى جهات الغرفة الأربع جهة بعد جهة ، وتردد قولها :

_ لا تؤاخلوني ٠٠٠ لا تؤاخلوني !

قالت بعض الأصوات في الجمهور :

_ أسرفت في الشراب ، السيدة الشابة ! • • هي ، سكرى ، السيدة اللطفة • • •

وقال ماكسيموف يشرح للبنات ضاحكاً :

... السدة ثملة قليلاً •

ودمدمت جروشنكا تقول بصوت منطفىء:

ـ ميتيا ٥٠٠ خذني من هنا ٥٠٠ انقلني من هنا ٠

فهرع ميتيا اليها ، فتناولها بذراعيه ، وأسرع يركض بحمله الثمين الى ما وراء الستائر • قال كالجانوف لنفسه : « في هذه المرة ، آن أوان الانصراف » ، وغادر الغرفة الزرفاء مغلقاً الباب وراءه • وتتابع الاحتفال بصخب ما ينفك يشتد • وضع ميتيا صاحبته جروشنكا على السرير ، وقبلها قبلة محمومة على الفم • دمدمت تقول بصوت ضارع :

۔ لا تلمسنی ، لا تلمسنی ، أنا لست لك بعد ، ٠٠٠ قلت اتنی سأكون لك ، ولكن لا تلمسنی ، ١٠٠ ارحمنی ، اشفق علی منا ، ٠٠٠ لا تفعل شيئا الآن ، بينما هم لا يزالون هنا ، ما ينبغی هذا ، ٠٠٠ انه هناك ، على بعد خطوتين ، ٠٠٠ أوه ! هذا فظيع هنا ٠٠

قال ميتيا متعتراً في كلامه:

ــ اننى أطيعك ٠٠٠ لم يخطر ببالى هذا ٠٠٠ أنا أمامك فى نشوة ووجد ٠ نعم ، هذا فظيع هنا ٠ يا للمكان الموبوء !

ودون أن يدع عناقها ، تهالك على قدميه ، قرب السرير •

قالت جروشنكا بصون رخو :

- أنا واثقة بك • أعرف أنك متوحش ، ولكن نفسك نبيلة • يجب أن يجرى كل شيء بشرف بعد الآن • • • أريد أن يكون كل شيء طاهراً • • • وأن نكون شرفاء أيضا • • • لا بهائم ، بل بشراً طيبين انفياء طاهرين • • • خذني الى مكان بعيد ، بعيد جداً عن هنا ، هل تسممع ؟ لا أريد بعد الآن أن أعيش هنا • • • أريد أن أسافر الى مكان بعيد حداً •

قال مشا مؤيداً وهو يشدها الى قله:

ــ نعم ، سنسافر ٠٠٠ سآخذك ٠٠٠ سأطير بك ! ٠٠٠ انني مستعد

لأن أهب حياتى كلها فى سبيل سنة واحدة من سعادة ، شريطة أن أعلم ماذا جرى لذلك الدم ٠٠٠

سألته جروشنكا مندهشة :

۔ أي دم ؟ -

فأجابها ميتبا وهو يصرف بأسنانه :

ـــ لا شيء ٠٠٠ انك تريدين يا جروشنكا أن نكون شرفاء ، ولكنني أنا لص ٠ لقد سرفت مال كاتنكا ! ٠٠٠ يا للعار ! ٠٠٠ يا للعار !

_ كاتنكا ؟ الآنسه ؟ لا ١٠٠٠ لم تسرق شيئاً ! رداً اليها مالها ٠ خذ مالى أنا ١٠٠٠ ما بك ؟ ان كل ما أملكه أنا هو الآن لك ٠ ما حاجتنا الى المسال ؟ سوف نبدده على كل حال في القصف واللهو ٠ ان أمشالنا لا يحسنون الاحتفاظ بالمال ٠ انني لأوثر أن نحرث الأرض معا ٠ أريد أنا أن أعمل في الأرض بهاتين اليدين الملتين تراهما ٠ ان من واجبنا أن نعمل ، هل تسمع ؟ ألوشا هو الذي شرح لى ذلك ٠ لن أكون خليلتك ، بل حليلتك ، زوجتك الوفية ، عبدتك لمخلصة ١٠٠٠ سأتعب وأجهد في سيلك ١٠٠٠ سوف نذهب الى الآنسة ، فننحني لها بتحية عظيمة حتى سيلك ١٠٠٠ سوف نذهب الى الآنسة ، فننحني لها بتحية عظيمة حتى البها ٠ ان عليك أن تحبها ٥ واذا لم تغفر ، فسنرحل مع ذلك ٠ أما المال فسترده البها ٠ ان عليك من أن تحبها ٥٠٠ والا فلأخنقنها ١٠٠٠ لأفقأن عينها بابرة طويلة ٥٠٠ لأفقأن عينها بابرة

- أنت من أحب ، أنت وحدك ، وسأظل أحبك من آخر سيبريا .*
- لماذا تتكلم عن سيبريا ؟ لا بأس ! سنسافر الى سيبريا اذا كنت ترغب في ذلك ... ان في وسعنا أن نعمل هناك كما في أي مكان آخر

۱۰۰ ان في تلك البلاد ثلجاً كثيراً ٥٠٠ وأنا أعشــــف التلج ، وأعشق الزلاجات التي تنزلق عليه سريعه مجلجلة أجراسها • هل تسمع ؟ لكأن جرساً يرن عي مكان ما • من أين يأتي رئين هذا الجرس • • • لا شك أنهم مسافرون قد وصلوا الى النزل • • • انقطع الصوت الآن •

وأغمضت جروشنكا عينيها ، متعبة الى أقصى حدود التعب ، وغفت بضع لحظات • كن جرس قد رن فعلا في بعيد ثم صمت • مال ميسا برأسه على صدر جروشنكا • لم يكن قد انتبه الى صوت الجرس والى انقطاع رنينه فجأة ؟ لا ولا لاحظ أن الأغاني قد توقفت وأن الصخب الذي كان يسيطر على النزل حتى ذلك الحين قد حل محله فجأة صمت كصمت الموت • وفتحت جروشنكا عينيها بعد دقيقة • قالت :

ماذا يجرى ؟ أأنا نمت ؟ نعم ٠٠٠ ذلك الجرس ٠٠٠ لقد نمت وحلمت بأننى محمولة على ذلاجة فوق النلج ٠٠٠ كان الجرس يرن ، وكنت أنا نائمة ٠ كنت راكبة عربة ترويكا ، مع رجل عزيز في قلبى ، معك أنت ووكنا ذاهبين الى مكان بعيد ، بعيد جدا ٠٠٠ وكنت أقبلك ، وأشد جسمى الى جسمك ، لأننى كنت أحس ببرد فيما يبدو ٠٠٠ وكان النلج يسطع ٠٠٠ ما كان أعجبه من احساس ! الثلج الباهر ، وضياء القمر ٠٠٠ لكأن ذلك لم يكن على الأرض ٠٠٠ واستيقظت ، فاذا أنا أراك ، يا حبيى ، قريباً منى ٠٠٠ ما أحلى هذا ! ٠٠٠

ردَّد ميتيا كلامها قائلاً وهو يلثم ثوبها ، وعنقها :

ـ نعم ، قريبًا منك كل القرب .

وأحس فجأة باحسماس غريب: خيتًل اليه أنها تنظر الى أمام، ولكن عينيها بدلاً من أن تستريحا على وجهه، تتطلعان الى ما وراء رأسه،

فى جمود عجيب · عبر تَّت قسمان جروشنكا عن الدهشة أولاً ، ثم عن الخوف ·

ودمدمت تقول:

ــ ميتياً ! من ذا يرقبنا من وراء الستائر ؟

التفت ميتيا فاذا هو يلمح شيخصاً يبدو أنه يرصدهما مبعداً الستائر ؟ حتى لقد أحس أن هناك عدة أشخاص يقفون هناك • فنهض من مكانه بسرعة وقوة ، واتنجه نحو ذلك الشخص الفضولى • فاذا هو يسمع صوتاً يقول :

ـ هل تتفضل فتجيء الى هنا يا سيد .

كان المنادي المجهول يتكلم بصوت مخفوض ولكنه جازم قاطع •

خرج ميتيا من وراء السيائر ، فاذا هو يتجمد في مكانه ، كانت القاعة ملأى بالناس ، ولكن هؤلاء الناس ليسوا أولئك الذين كانوا يلهون ويقصفون منذ قليل ، لقد احتل الغرفة أشخاص جدد ، شعر ميتيا برعدة تسرى في ظهره كله ، ان ميتيا يعرف هؤلاء الأشخاص جميعاً ، وها هو ذا يتعرفهم الآن دفعة واحدة ، ان الرجل العجوز السمين الطويل الذي يرتدى معطفاً ويضع على رأسه قبعة ذات ترس وشيسارات ، هو رئيس الشرطة ميشيل ماكاروفتش ، وهذا الشياب الذي يوحى مظهره بأنه مصدور والذي يتأنق في ملسه تأنقاً عظيماً ويلتمع حذاؤه دائماً انما هو وكيل النيابة ، ه انه يملك ساعة من ذهب قيمتها أربعمائة روبل ، لقد أرانيها في ذات يوم لأعجب بها » ، أما ذلك الشاب الآخر القصير القامة الذي بضع على عينيه نظارتين ، م فلم يتذكر ميتيا اسمه ، ولكنه يعرفه أيضاً وقد سبق أن رآه : انه قاضي التحقيق الذي تخرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآه : انه قاضي التحقيق الذي تخرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآه : انه قاضي التحقيق الذي تخرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآه : انه قاضي التحقيق الذي تخرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآه : انه قاضي التحقيق الذي تخرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآه : انه قاضي التحقيق الذي تخرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآه : انه قاضي التحقيق الذي تخرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآه : انه قاضي التحقيق الذي تخريس ماكريفتش الموق » منذ مدة غير طويلة ، وهذا موظف الشرطة موريس ماكريفتش

الذى يعرفه ميتيا منذ زمن بعيد • ولكن ماذا جاء يفعل هنا هؤلاء الرجال الآخرون الذين يحملون على صدورهم صفائح معدنية * ؟ وهدذان الفلاحان ؟ • • وبعد هؤلاء جميعاً ، لمح ميتيا ، عند فرجة باب المدخل ، كالجانوف وتريفون بوريستش • • •

قال مشا:

ماذا أيها السادة ؟ ماذا جرى ؟

ولكنه لم يلبث أن هتف يقول فجأة بملء صوته ، كأنماتدفعه الى ذلك قوة سبيل الى مقاومتها :

_ ف ٠٠٠همت!

تقدم الشاب ذو النظارتين من ميتيا وقال له بصوت وقور وبشيء من السرعة :

_ كنا نريد ٠٠٠ الخلاصة ٠٠٠ أرجـــوك أن تجلس هنا ، على الكنة ٠٠٠ ان علمنا أن تلقى علىك بعض الأسئلة ٠

قال ميتيا خارجاً عن طوره:

ــ العجوز ٠٠٠ والدم المسفوح ٠٠٠ ف ٠٠٠ همت!

وكأنما انهـارت قواه على حين فجـأه ، فتهـالك على كرسي كان مناك .

فاذا برئيس الشرطة العجوز يزأر فجأة وهو يقترب من ميتيا :

ـــ آ • • • فهمت ؟ فهمت ؟ يا فاتل أبيه ! أيها الشيطان ! ان دم أبيك يتهمك !

كان رئيس الشرطة أحمر الوجه من شدة الغضب ، وكان جسمه كله يرتجف .

فصاح الشاب القصير القامة:

ــ ولكن هذا طيش يا ميشيل ماكاروفتش • يجب أن أكون أنا أول المتكلمين • • ما كنت أتوقع منك سلوكا كهذا السلوك •

فاستأنف رئيس الشرطة كلامه قائلاً:

ــ هذا هذیان ۰۰۰ هذا مشهد هدیان ۰ انظروا الیه ۰۰۰ تضرب بدم أبیه ثم هو یقضی السهرة لاهیاً عابثاً ماجناً فی صحبة بنت من بنــات الهوی ۰۰۰ هذا هذیان ۲ هذا هذیان ۰۰۰

أسرع وكيل النيابة يهمس في أذن رجل الشرطة العجوز قائلا :

ــ أرجوك وألح في الرجاء أن تسيطر على انفعالاتك يا عــزيزي ميشيل ماكاروفتش ، والا اضطررت أن أتخذ اجراءات من أجل أن ٠٠

ولكن قاضى التحقيق الصغير لم يدع له أن يتم جملته ، فها هو ذا يتجه الى ميتبا ، ويعلن له بوقار ، وبصوت عال صارم :

ـ أيها السيد الملازم المتقاعد كارامازوف ، ان من واجبى أن أبلغك أنك متهم بمقتل أبيك فيدور بافلوفتش كارامازوف ، الذى قُـتُـل فى هذه اللملة ٠٠٠

وأضاف قاضى التحقيق بضع كلمات أيضا واستأنف وكيل النيابة كلامه بعد ذلك ، فيما ترامى ليتيا ٥٠٠ ذلك أن ميتيا ، رغم أنه قد جهد أن يصغى ، أصبح لا يفهم شميئا ، وانما هو يتفرس وجوههم مجنسون العمنين ٥٠٠

فصاح الشاب القصير القامة:

ــ ولكن هذا طيش يا ميشيل ماكاروفتش • يجب أن أكون أنا أول المتكلمين • • ما كنت أتوقع منك سلوكا كهذا السلوك •

فاستأنف رئيس الشرطة كلامه قائلاً:

ــ هذا هذیان ۰۰۰ هذا مشهد هدیان ۰ انظروا الیه ۰۰۰ تضرب بدم أبیه ثم هو یقضی السهرة لاهیاً عابثاً ماجناً فی صحبة بنت من بنــات الهوی ۰۰۰ هذا هذیان ۲ هذا هذیان ۰۰۰

أسرع وكيل النيابة يهمس في أذن رجل الشرطة العجوز قائلا :

ــ أرجوك وألح في الرجاء أن تسيطر على انفعالاتك يا عــزيزي ميشيل ماكاروفتش ، والا اضطررت أن أتخذ اجراءات من أجل أن ٠٠

ولكن قاضى التحقيق الصغير لم يدع له أن يتم جملته ، فها هو ذا يتجه الى ميتبا ، ويعلن له بوقار ، وبصوت عال صارم :

ـ أيها السيد الملازم المتقاعد كارامازوف ، ان من واجبى أن أبلغك أنك متهم بمقتل أبيك فيدور بافلوفتش كارامازوف ، الذى قُـتُـل فى هذه اللملة ٠٠٠

وأضاف قاضى التحقيق بضع كلمات أيضا واستأنف وكيل النيابة كلامه بعد ذلك ، فيما ترامى ليتيا ٥٠٠ ذلك أن ميتيا ، رغم أنه قد جهد أن يصغى ، أصبح لا يفهم شميئا ، وانما هو يتفرس وجوههم مجنسون العمنين ٥٠٠

الباب التاسع: (المحق قبق (اللقم سيري)

اللبرلابايت لاكمو فقتة للموظف برخوتين

بطرس ابلتش برخوتین الذی ترکناه بطرق طمسرهات ما تنفك تزداد وتقوی ، علی الباب السمیك من منزل آل موروسوف ، قد توسل طبعا الی أن یضحوا له ، وحین

سمعت فينيا هذا الصحب أمام باب الدخول ، وكانت لما تفق بعد من الذعر الذي أصابها قبل ساعتين ، ولا عزمت أمرها على أن تنام ، من سسدة اضطرابها ، حين سمعت فينيا هسذا الصحب اسنبد بها هلم قاتل مرة أخرى : ذلك أنها خلنت أن دمترى فيدوروفتش قد عاد (رغم أنها رأته يسافر على عربة ترويكا) ، لقد قالت فينيا لمصلها : « أى انسان غيره يمكن أن يطرق الباب بمنل هذا العنف ؟ » ، وهرعت الى البواب الذي يمكن أن يطرق الباب بمنل هذا العنف ؟ » ، وهرعت الى البواب الذي أيقفلته الضحة وهم أن يفتح الباب ، فنوسلت اليه أن لا بسمح لأحسد بالدخول ، ومع ذلك سأل البواب الطارق عن اسمه من خلال الباب، فلما عرف سفته ، وعرف أنه يريد أن يكلم فيدوسيا ماركوفنا في أمر هام جدا ، فرر أن يفتح اله .

مضى بطرس ايلتش رأساً الى المطبخ ليرى فينيا التى أصرَّت ، من باب الحفاظ على الشكل ، أن يحضر البواب المقابله ، أخذ الموطف يلقى الأسئلة على المرأة ، فسرعان ما وقع على أمرٍ أساسى : هو أن دمترى

فيدوروفتش حين مضى يسعى الى جروشنكا قد أخذ مدق الهاون ، وأنه رجع بعد ذلك دامى اليدين ولم يكن المدق معه .

ـ كان الدم يسيل ويتساقط قطرات كبيرة على الأرض ٠

كذلك متفت تقول فينيا التي اخترع خيالها المضطرب هذا الوصف التفصيلي الرهيب اختراءا على غير شعور منها • وكان بطرس ايلتش قد رأى الدم في يدى ميتيا بنفسه على كل حال ، وان لم يكن يسپل ، وقد ساعده على غسل يديه • ولم يكن يهم بطرس ايلتش أن يتساءل على كل حال : أجف الدم بسرعة أم لا ، وانما كان يهمه أن يعرف : ماذا فعل دمترى فيدوروفتش بمدق الهاون هذا ، والى عند من ذهب ! همل يمكن أن يستدل من ذلك على وجه اليقين أنه ذهب الى منزل أبيه، وعلى أي شيء يستند هذا الاستدلال ؟ لذلك ألح بطرس ايلتش على همذه النقطة الحاحاً خاصاً ؛ ثم انتهى الى الاقتناع النام ، رغم أن فينيا لم تقدم اليه أية قرينة واضحة دقيقة ، بأن دمترى فيمدوروفتش لا يمكن أن يكون قد حدث يكون قد ذهب الا الى منزل أبيه وأن « شيئاً ما » لا بد أن يكون قد حدث هنالك حتماً •

أضافت فينيا تقول متأثرة أشد التأثر :

سحين رجع ، قصصت عليه كل شيء ، ثم سألته بعد ذلك لماذا أرى يديه داميتين ، فأجاب بأن هذا دم انساني ، وبأنه قد قتل انسانا منذ برهذه اعترف لى بذلك في هذا المكان نفسه ، في هذا المطبخ ، ثم ولتّى هارباً كمجنون وأخذت أفكر بعد انصرافه : « الى أين يركض هذا الركض؟ لا شك أنه ينوى أن يسافر الى موكرويه ليقتسل مولاتي » ، فاندفت ألاحقه ، لأتوسل اليه أن لا يسيء الى الآنسة المسكينة ؟ وكنت آمل أن أجده في مسكنه ، ولكنني لمحته أمام متجر آل بلوتنيكوف وهو يهم أن

يسافر ، وكانت بداء عندئذ نظيفتين (لقد لاحظت فينيا هذا الأمر التفصيلي وحفظته) •

وقد أكدت جدة فينيا العجوز أقوال حفيدتها على نحو ما استطاعت أن تفعل • وبعد أن ألقى بطرس ايلتش بضعة أسئلة أخرى خرج من المنزل وهو أشد اضطرابا وقلقا مما كان عند وصوله اليه •

ربما بدا أن أبسط شيء الآن هو أن يذهب بطرس ايلتش الى منزل فيدور بافلوفتش مستطلعا هل حدث له شيء ، وأن لا يبلغ رئيس الشرطة الا بعد ذلك ، مستنداً ،لي معلومات ثابتة • وهــــذا ما خطر بال بطرس ايلتش في أول الأمر فعلاً • ولكن الليل حالك الظلام ، وأبواب منزل كارامازوف لا بد أن تكون سميكة ، فسيكون عليه اذن أن يطرق من جديد ، وأن يحدث ضجة وصحبًا ، وهو لا يعرف فيدور بافلوفتش الا قليلا جدا • فما عسى يحدث اذا قيل له ، بعد أن يفتح له الباب ، ان شيئًا لم يقم؟ أن فيدور بافلوفتش الساخر لن يفوته أن يروى للمدينة كلهـــا في الغد ، من باب التندر ، أن الموظف برخوتين ، الذي لس بسه وبينه صلة ولا معرفة ، قد اقتحم منزله عند منتصف اللمل ليسأله هل قتله أحد. لكونن ُّ هذا فضيحة ! وبطرس ايلتش لا يرهب شيئًا في هذا العالم كما يرهب الفضيحة! غــــير أن العاطفة التي كانت تدفعه الى العمل والحركة قد بلغت من القبوة أنه بعبد أن قرع الأرض بقيدمه غاضبا وشبتم تفسسه ، أسرع يتخذ قراراً جــديدا : هو أن يذهب لا الى دار فـــدور بافلوفتش بل الى السيدة هوخلاكوفا • سيوف يسألها هل صحيح أنها أعطت دمترى فيدوروفتش ثلاثة آلاف روبل منذ بضع ساعات ، فاذا أجابته بالنفى دهب الى رئيس الشرطة لا يلوى على شيء ولا يمر بمنزل فيدور بافلوفتش ؟ والا أرجأ مساعيه الى الغد ورجع الى بينه • واضمح أن بطرس ايلتش حين يذهب في الساعة الحادبة عشرة من الليل الى سيدة من سيدان المجسم لا يعرفها ، وقد يحملها على النهسوض من سريرها ليلقى عليها سؤالا قد يبدو في مثل هذه الظروف سخيفا مضحكا انما يتعرض لاحداث فضيحة أكبر من فضيحه ذهابه الى فيدور بافلوفتش، غير أن تناقضات من هذا النوع قد يرتكبها ، في ظروف كهذا الظرف ، أشخاص هم أكثر الناس بروده نفس وروية تفكير ، فما بالك وقد فقد بطرس ايلتش في تلك اللحظة كل برودته وكل رويته ! لسوف يطل يتذكر طوال حياته كيف أن قلقاً لا سبيل الى التغلب عليه قد اجتاح نفسه شيئاً بعد شيء ، ثم استحال أخيراً الى عذاب حاد دفعه في تلك الليلة الى أن يتحرك ويتدخل ، على غير ارادة منه تقريبا ، والحق أنه قد استاء وغضب أثناء الطريق ، وقراع نفسه على أنه سيزعج هذه السيدة ، ولكنه حلف «ليسيرنا الى آخر الشوط ، مهما كلف الأمر » ، وردد ذلك عشر مرات وهو يصرف بأسنانه ، وقد برا بيمينه ، فمضى الى آخر الشوط فعلا ،

كانت الساعة هى الحــادية عشرة تماما حين دخـل منزل السيدة هوخلاكوفا • لقد فتتح له الباب بغير مشقة ، ولكن البواب لم يستطع أن يقول له على وجه اليقين أرقدت السيدة أم لا ، واكتفى بأن ذكر له أنها تنام عادة فى مثل هذه الساعة • وأضاف يقول له :

ــ اصعد الى فوق ، وأعلن عن نفسك ، فاذا شاءت استقبلتك ، فكل شيء رهن بارادتها .

صعد بطرس ايلتش الى الطابق الأول • وهنــالك أخــذت تتعقد الأمور • رفض الخادم أن يبــلغ السبدة هوخـــــلاكوفا وصوله ، ونادى المخادمة • فرجاها بطرس ايلتش ، بأدب ولكن بالحاح ، أن تبلغ السيدة هوخلاكوفا أن الموظف برخوتين يريد أن يكلمها حالاً ، وأنه ما كان له

أن يزعجها لولا أن الأمر الذي يريد أن يكلمها فيه هو على جانب عظيم من الخطورة حقا !

_ انقلى اليها هذه الكلمات نقلاً دقيقا !

بذلك أوصى برخوتين الخادمة حين مضت تبلغ مولاتها .

انتظر بطرس ايلتش في الدهليز • وكانت السيدة هوخلاكوفا في غرفة نومها ، ولكنها لم تكن قد نامت بعد ، لقد هز تها زيارة مسا ، وهي تتنبأ بأنها لن تنجو في هذه الليلة من الصداع الشديد الذي يلم بها عادة في أعقاب انفعالات من هــــذا النوع • فلما سمعت ما قالتــه لها خادمتها الزائر الذي ينجيء في غير أوان الزيارة ، أمرت خادمتها بذلك رغم أن مجيء « الموظف برخوتين » اليها في مثل هذه الساعة ، على غير توقع ، قد أثار فيها فضولاً قوياً • ولكن بطرس ايلتش عُـنَّـدُ في هذه المرة عناد بغل ، فلما علم أن السيدة هوخلاكوفا ترفض استقباله ، طفق يلح من جديد الحاحاً شديدا على أن تنقل الخادمة الى مولاتها أقواله حرفاً حرفاً : وهي أنه جاء « لأمر يبلغ من خطورة الشأن أن السيدة قد تندم اذا هي لم تستقبله • » • وقد روى فيما بعـــد أنه أحسَّ في تلك الدَّقيقــة أنه « يسقط في هاوية » • تفرست فيه الخادمة مندهشة ، وأسرعت تقـوم بالواجب الذي عهد النها أن تقسوم به • ذُهلت السندة هوخــلاكوفا ، وفكرت بضع لحظات ، وسألت عن مظهر الزائر ، فقيل لها انه « حسن الهندام ، شاب ، مهذب جدا ، • يجب أن نذكر هنا عابرين أن بطرس ايلتش فتى جميل جدا ، وانه كان شاعراً بذلك • عندئذ قررت السبدة على كنفيها شالاً أسود • وأ دخل الموظف الى الصالون ، حيث استُـقيل

دمترى فيدوروفتش قبل بضع ساعات • تقدمت ربة المنزل نحو الزائر بوجه متجهم مستجوب ، وسألته دون أن تدعوه الى الجلوس :

_ ماذا تريد منى أيها السيد ؟

فيدأ برخوتين كلامه قائلاً :

ولكن ما ان نطق بهـــذا الاسم حتى ارتسم على وجه الســيدة هوخلاكوفا حنق شديد ، فهمتّ أن تصرخ ، ولكنها أمسكت ، وقاطعت محدثها قائلة له بلهجة عنفة هائحة :

الى متى ، الى متى أظل أعد بسبب هذا الانسان الفظيع ؟ كيف تجرأت أيها السيد ، كيف سمعت لنفسك أن تزعج سيدة لا تعرفها ، أن تجيء تضايقها في منزلها ، في متل هذه الساعة ٠٠٠ متحدانا اليها عن شخص أراد منذ ثلاث ساعات ، في هذا الصالون نفسه ، في هذا المكان نفسه ، أن يقتلها ٠٠٠ وقرع الأرض بقدمه ، ثم خرج بطريقة ما كان لأحد أن يسمع لنفسه بمتلها في منزل محترم ! اعلم أيها السيد أنني سأشكوك الى رؤسائك ٠٠٠ أنني لن أسكت لك عن هذه الوقاحة ٠٠٠ وأرجوك أن تخرج من مسكني فورا ٠٠ أنا أم ٠٠ وأنا ٠٠ أنا ٠٠٠

- أراد أن يقتلك ؟ أأراد أن يقتلك أنت أيضا ؟

_ هل قتل اذن أحداً ؟

كذلك سألت السميدة هوخلاكوفا بحرارة • فأجابهما برخوتين بصلابة :

ـ اذا وافقت على أن تسمعي لي ، ولو نصف دقيقة ، يا سيدتي ،

شرحت لك كل شيء في بضح كلمات • في همذا اليوم ، في الساعة المخامسة بعد ظهر هذا اليوم ، جاء الى السيد كارامازوف ورجاني رجاء الصديق أن أقرضه عشر روبلات • وأنا أعلم علم اليقين أنه كان في تلك اللحظة خالى الوفاض ؛ وفي هذا اليوم نفسه ، في الساعة التاسعة ، رجم الى ممسكا بيديه حزمة من أوراق مالية تقصدر بألفي روبل أو بثلاثة آلافي روبل • وكانت يداه ووجهه ملطخة بالدماء ، وكان بتصرف تصرف مجنون • فلما سألته من أبن أتي بهذا المال كله ، أجابني اجابة واضحة مقبقة بأنه قد استلمه منك قبل لحظات ، وبأنك قد أعطيته ثلاثة آلاف روبل من أجل أن يسافر باحثاً عن مناجم الذهب فيما زعم • • •

ظهرت على وجه السيدة هوخلاكوفا علائم انفعال شديد عنيف أليم • وساحت تقول وهي تضم يديها احداهما الى الأخرى :

ـ يا رب السماء! لقد قتل أباه العجوز ٠٠٠ أنا لم أعطه مالاً قط ، لم أعطه مالاً قط ، لم أعطه مالاً قط ، الكف بسرعة ، لا تقل كلمة واحدة أخرى ، لا تضيع الوقت! انقذ أباه ، أسرع الى نجدته ، أنقذه!

۔ اغفری لی الحاحی یا سیدتی • أنت تؤكدین أنك لم تعطیه مالاً، فهل ذكریاتك واضحه فی هذه النقطة ؟

لم يقدر نواياى حق قدرها • وانصرف كمجنون مسمور قارعاً الأرض لم يقدر نواياى حق قدرها • وانصرف كمجنون مسمور قارعاً الأرض بقدمه • وقد هجم على ما فلم يكد يتسع وقتى للاحتماء منه ••• وانى لأسر اليك أيضا ، لأننى قررت أن لا أكتمك شيئاً بعد الآن ، أنه قد بصق على ما مل تستطيع أن تتخييل هذا ؟ اجلس ••• أرجيوك ••• معذر: ••• أنا ••• لا بل اركض ، اركض بسرعة • واجبك أن تنقذ العجوز المسكين من ميتة فظيعه •

ــ ولكن ما دام قد قتله وانتهى الأمر ٠٠٠

ـــ آ • • • نعم • • • رباه ! هذا صحیح • • • نسیت • • • فماذا نفعل الآن ؟ هل فی ذهنك فكرة عما یجب أن نفعله ؟

ومع ذلك أجلست بطرس ايلنش وجلست أمامه • بسط لها بطرس ايلتش ، بايجاز ولكن بوضوح ، لبّ القضية ، في حدود ما شهده بنفسه في ذلك اليوم على الأقل • وروى لها أيضا أنه زار فينيا، وما ذكرته له عن مدق الهاون • فكان من سأن هذه التفاصيل أن هزّ ت السيدة العلية هزاً عنيفا فلم تستطع أن تحبس ، أثناء هذه القصة ، صرخات الارتياع والهول حتى أنها وضعت يديها أمام عينيها عدة مرات • • •

_ فظيع ٠٠٠ رهيب! تصور مع ذلك أننى أوجست بالنبوءة كل شيء لقد أوتيت موهبة عجيبة في التنبؤ ٠ وما أتنبأ به يتحقق لا محاله كم من مرة قلت لنفسى وأنا أنظر الى هذا الرجل الكريه: « سيقتلنى هذا الرجل أخيرا في ذات يوم ٥٠٠ وذلك ما وقع ٢٠٠ أقصد أنه اذا كان لم يقتلنى بل قتل أباء ، فانما يرجع الفضل في ذلك الى تدخل العناية الالهية ٠ لا شك أن الله قد حماني ونجاني في ذلك الحين ٠ أضف الى ذلك أنه لم يجرؤ أن يقتلني لأننى كنت قد علقت في عنقه ، هنا في هذا المكان نفسه ، الأيقونة المقدسة السهيدة عظيمة ١٠٠ ولم يكن يخطر ببالى عند ثذ أننى ألامس الموت ملامسة قريبة في تلك اللحظة ٠ اقتربت منه ، ومسسته تقريبا ، فمد كلى عنقه ١٠٠ يجب أن أقول لك يا بطرس ايلتش ومسسته تقريبا ، فمد كلى عنقه ١٠٠ يجب أن أقول لك الني كنت لا أومن بالمعجزات حتى الآن ، ولكننى أشعر باضطراب شديد حين أتذكر أن تلك الأيقونة التي علقتها في عنقه قد أتقذتني بمعجزة من ميتة فليعة ! آه ٢٠٠ رباه ! ١٠٠ اننى أحس بأنني متأهبة للإيمان من جديد بكل شيء ١٠٠ لا شبك أنك تعسرف قصة الأب زوسيما تلك ، أليس بكل شيء ١٠٠٠ لا شبك أنك تعسرف قصة الأب زوسيما تلك ، أليس بكل شيء ١٠٠٠ لا شبك أنك تعسرف قصة الأب زوسيما تلك ، أليس بكل شيء ١٠٠٠ لا شبك أنك تعسرف قصة الأب زوسيما تلك ، أليس بكل شيء ١٠٠٠ لا شبك أنك تعسرف قصة الأب زوسيما تلك ، أليس بكل شيء ١٠٠٠ لا شبك أنك تعسرف قصة الأب زوسيما تلك ، أليس

كذلك؟ أراني أتيه ، فلا أعرف ماذا أقول ٠٠٠ تصور أنه ، رغم تلك الأيقونة ، قد بصق على معدد بصق فحسب ، صحيح هذا ، ولم يقتلني ٠٠٠ أهممنذا اذن ما مضى يفعله بعد ذلك؟ ماذا يحب أن نقرر الآن ، ما الذي يحب أن نعمله ، قل لى ؟

نهض بطرس ایلتش معلناً أنه سیذهب حالاً الی رئیس الشرطة للطلعه علی الأمر ، فیتولی رئیس الشرطة عمل ما یبجب عمله .

ـ تذهب الى ميشيل ماكاروفتش ؟ انه رجل ممتاز ، ممتاز ، أنا أعرفه ، اننى أنق بسداد رأيه وصواب حكمه ، ميشيل ماكاروفتش : ذلك هو بعينه الرجل الذى يحب ابلاغه الأمر ، فكرتك رائعة ، وما كان لها أن تخطر بالى أنا ، لو كنت في مكانك ،

قال بطرس ایلتش ، وهو ما یزال واقفا ، محاولا أن یضع حداً لار ثرات هذه المرأة المهذار التی لا تدع له فرصة التفوه بكلمة واحدة لیستأذن بالانصراف ، قال :

> ــ لا سيما وأننى أعرفه أنا أيضا معرفة شخصية . تابعت السندة هوخلاكوفا تقول دون أن تنأس :

- اسمع ، اسمع ، يبجب أن تجيء الى ً حتماً لتطلعنى على ما تكون قد علمته ، ١٠٠ على الوقائع التي أمكن أن تعرف ، ١٠٠ وكذلك على العقوبة التي سيحكم بها ، أظن أن الحكم بالاعدام لا وجود له عندنا ، أليس كذلك ؟ تعال الى ً حتما ، ولو في الساعة الثالثة من الصسباح ، أو في الساعة الرابعة والنصف ، اطلب ايقاظي ، الساعة الرابعة والنصف ، اطلب ايقاظي ، وليجروني من السرير جراً عند الحاجة ، اذا أنا أصررت على النوم ، ١٠٠ الني أقول سسخافات على كل حال ، أنتى لى أن أرقد بعد كل هذا ؟ تراودني فكرة : ما رأيك في أن أرافقك الى عند رئيس الشرطة ؟

ـ لا ••• لا داعی الی هذا یا سیدتی • ولکن اذا وافقت ، فی مقابل ذلك ، أن تكتبی لی ، بخط یدك ، تصریحا فی ثلاثة أسطر تشهدین فیه بأنك لم تعطی دمتری فیدوروفتش مالاً فط ، فأعتقد أن هذا یمکن أن یفیدا ••• عند الاقتضاء •

صاحت السيدة هوخلاكوفا تقول واثبةً عن مكانها بحماسة ، متجهة الى مكتبها الصغير :

_ طبعا! طبعا! هل تعلم أنك تدهشنى بسداد رأيك ، ونفساذ بصيرتك ؟ صدّ قنى اذا فلت لك اننى معجبة أشد الاعجاب بما تبرهن عليه فى هدنا المجال من حذق ومهارة! أأنت تعمل موظفاً فى ادارة مدينتنا ؟ ما أسعدنى اذ أعرف أن سلطاتنا تملك معاونين أفذاذاً لهم مثل قمتك!

وفيما كانت السيدة هوخلاكوفا تتكلم ، خطَّت بسرعه ، على ورفه ، الأسطر التالية ، بأحرف كبيرة :

« لم أقرض دمترى فيدوروفتش ، العاثر الحظ ، ثلاثة آلاف روبس أبداً (ذلك أنه الآن شقى عاثر الحظ) • لم أقرضه كوبكا واحدا ، لا اليوم ، ولا فى أية لحظة أخرى ، أبدا أبدا • أحلف على هذا بكل ما هو عندى مقدس فى هذا العالم ، •

هوخلاكوفا

ثم النفتت بقوة نحو بطرس ايلتش فقالت له :

ــ اليك تصريحى • فاسرع الآن • يحب انقاذ هذا الرجل • هذا عمل نبيل تقوم به •

ورسمت عليه اشارة الصليب ثلاث مرات ، ثم شيعته الى الدهليز •

منائي مسك الأنك جئت الى أولا المنازي الك الا تستطيع أن تتصور مدى امتناني مسك لأنك جئت الى أولا المسارة أنني لم أعرفك قبل الآن السوف يسعدني في المستقبل أن أستقبلك في منزلي ١٠ انه لمما يعزى النفس ويشد الأزر أن تملك مدينتنا في شخصك موظفا له مثل كفاءتك وقيمتك ١٠٠ موظف دقيق هذه الدفة عصيف هذه الحصافة خاصة ١٠٠ أنا على يقين من أن رؤساءك يقدرونك حق قدرك و صد قني اذا قلت لك انهم سيفهمونك آخر الأمر ١٠٠ واعلم على كل حال أنني مستعدة من جهتي لأن أقول كلمة طيبة في حقك كلما لزم ذلك ١٠٠ أوه ا انني أحب الشيباب على الشباب حفا الشبيبه في أيامنا هذه هم فوة بلدنا العظيمه الشقية روسيا المنازية أملنا ١٠٠ أنتم معقهد رجائنا ١٠٠ هيا عيد من موه أسرع ١٠٠

ولكن بطرس ايلتش كان قد نزل الى الشارع ، والا لحبسته زمناً آخر ، يجب أن نقول من جهة أخرى ان السيدة هو خلاكوفا قد أحدثت في نفسه أثراً ممتماً خفيّف عنه ما كان يشعر به من قلق لتدخله في قضية مزعجة ، انكم تعلمون ان الأذواق في هذا العالم مختلفة متنوعة ، قال بطرس ابلتش لنفسه راضياً مسروراً : « ليست متقدمة في السن كثيراً ، كان بمكن بسهولة أن أحسبها ابنتها » ،

أما السيده هوخلاكوفا فقد افتتنت به افتتانا • « ما أروع هذا الحذق وهذه الدقة في شاب ، ذلك عدا آدابه الكّيسة ومظهره اللطيف الجذاب ! تلك مزاما نادرة في هذه الأيام ! يدعون أن شبابنا اليـــوم لا قيمة له • فهذا منال يبرهن على نقيض ما يدعون ، الخ ، الخ » • وقد انتهت السيدة هوخلاكوفا من ذلك الى نسيان « الحادث الفظيع » ، ولم تتذكر الا على سريرها أنها « لامست الموت ملامسة قريبة » • فدمدمت تقول : « شيء رهيب ، شيء رهيب » ، ثم لم تلبث أن نامت نوماً عميقا هادئا • على أنني

ما كان لى أن أسهب فى ذكر هده التعاصيل النانوية ، لولا أن هذا اللقاء العجيب الذى يتم بين رجل شاب وأرمله ما تزال نضرة ، وهو هذا اللفاء الذى وصفته الآل ، انما كان نقطه انطلاق فى حياة هذا الموطف الدفيق المنظم ، ان الناس فى مدينتنا ما يزالون حنى يومنا هذا يتكلمون عن هذا مندهشين ، وربما عرضت لنا فرصة أن نقول بضع كلمات عنه فى نهاية هذه القعمه الطويله التى تكنبها عن الاحوة كارامازوف ،

لاكتبليغ



رئيس شرطنا ميشميل ماكاروفش ماكاروف ، وهو ليوتنان كولونيل محال على التماعد ويحمل رتبة « مستشار قضائي » ، رجل أرمل يمتاز بأنه على جانب عظيم من الشهامة والطيبه ، لقد

استطاع منذ اللات سنين في مدينتنا ، أن يكسب مودة جميع الناس له ، ولا سيما لما أوتي من موهبة فذة في « جمع وجوه المدينة بمنزله » • يغلهر أنه ما كان ليستطيع أن يعيش يوما واحدا دون أن يسنقبل في داره عددا من الأصدقاء • كان لا يعخلو بيته يوما من ضيف على العشاء ، ولو كان عدد الضيف شخصا أو شخصين ؛ وما كان ليجلس أحد الى المائدة في منزله بغير مدعوين • وكان يتفق له في بعض الأحيان أن يولم ولائم كبيرة ، متعللاً بحجج كثيرة متنوعة ، حجج قد لا تخطر بالبال • ولئن لم نكن أصناف الطعام فاخرة لقد كانت وافرة • ومع ذلك كان لفطائر السمك التي تقد تم في بيته شهرة ذائعة • وقد لا تكون أنواع الخمور أحود الأنواع ، ولكن كثرتها تنوب عن جودتها على كل حال •

ان الغرفة الأولى من مسكنه قد هيئت قاعة "للعب البلياردو ، وأُنتَّت تأتيناً أنبقا ، وازدانت جدرانها بصور خيول سباق انجليزية ، وتلكم هي

كما تعلمون الزينة المألوفة التي تزيتِّن كلُّ قاعة بلياردو في منزل رجل عازب • وكان يُلعب بالورق كلُّ مساء في منزل مشمل ماكاروفتش ، وان يكن عدد اللاعبين محدوداً في كتير من الأحبان • على أن الاستقالات التي تحضرها صفوة المجتمع من مدينتنا في منزله كانت كثيرة ، وكانت الأمهات تصطحب النها بناتها ، لأنها كان يُترقص فيها • وكان مشت. ماكاروفتنس يعيش حياة عائلية رغم أنه أرمل ، في صححة ابنته التي ترملت هي أيضًا منذ مدة طويلة ، وفي صحبة حفيدتيه اللتين بلغتــا مبلغ الرشد وأنهتا تحصيلهما • لم تكن الفتــاتان دميمتين البتــه ، وكانتا بما تنعمان بها من مرح الطبع وحسن المزاج تجتذبان شباب مدينتنا ، رغم أنه كان معروفًا أنهما لا تملكان مهراً • ولم يكن ميشــيل ماكاروفتش لامع الذكاء ، ومع ذلك كان يقوم بمهام عمله كما يمكن أن يقوم بها رجُّل آخر • واذا أردنا أن نفول الحقيقة وجب أن نذكر أنه كان ضئيل الحظ من الثقافة ، وكان فلمل الاهتمام بالمحدود الدقيقة التي تقف عندها صلاحاته الادارية • كان معنى بعض الاصلاحات * التي تحققت في النظام العجديد يغلب عنه ، وكثيرا ما كان يفسر هذه الاصلاحات تفسيراً يشتمل على أخطاء فادحة مذهلة ، لا لعجز منه بل لقـــلة اكتراث ، فانه لم يكن يجد في وقته مسمعاً لدراستها دراسة عسقة • وكان يحب أن يقسول عن نفسه : « ان لی روح رجل عسکری لا رجل مدنی » • ورغم أنه كان من ملاَّكي الأراضي ، فان ما علق بذهنه من معلومات تتعلق بالاصـــلاح. الزراعي قد ظلت غامضة مبهمة ، وكانت هذه المعلومات تكتمل سنة بعد سنة ، على غير ارادة منه ان صح التعبير ، فانما هي تكتمل بالتجربة الناشئة عن المارسة العملية •

كان بطرس ايلتش يعلم أنه سيلتقى عند رئيس الشرطة فى ذلك الساء بضيوف ، ولكن كان يجهــل من عسى يكون عنــده من هؤلاء

الضيوف • ومن المصادفات أن ميشيل ماكاروفتش كان في ذلك المساء يلعب بالورق مع النائب العام وطبيب المطقة (الدكتور الشاب فارفنسكي الذي وصل من سان بطرسبرج مؤخراً وكان من أوائل متخرجي مدرسه الطب) • فأما النائب العام همولت كيريلوفتش _ وكان يسمى نائماً من بيل المجامله ، لأنه لم يكن في الواقع الا وكيل نيابة ــ فهو رجل على حدة ، ما يزال شاباً ، لم يكد يتجاوز الخامسة والنلاثين من عمره ، فيه استعداد للاصابة بمرض السل ، متزوج امرأةً سمينة عاقراً • انه شديد الشعور بكرامته وكبريائه ، سريع الغضب والحنق ، ولكنه يملك مزايا واضحه من حسن الذكاء وبيل القلب • يبدو أن آفة طبعه الأساسية ناشئة عن أنه مبالغ في تقدير فيمته ، فهذا التباين بين كفاءاته الواقعية وبين رأيه في نفسه كان يخلق له حالة قلق مستمر • وكانت له مطامح علما ، بن ومطامح فنية ، وكان يعتز خاصة بمقدرته في علم النفس ، فهو يعتقد أنه أوتبي مواهب خاصةً في النفاذ الى أسرار النفس الانسسانية ، وفي اكتشاف البواعث العمقة لدى المجرمين • وكان لهذا السب يعتقد أنه منجهول القسمة ، وكان يعشن على قناعة تامة بأن الناس لم يقدروه حق قدره ، أو أن هناك أعداء يكندون له ويعرقلون تقدمه في وظيفته • وكان في ساعات حـــزنه ويأسه يمضي الى حد التهـــديد بالانتقال الى صف المارضة ، فمعمل محاماً أمام المحاكم الجنائة . وقد استثارته قضة مقتلً الأن كارامالوف واستنهضت همته ، فحدَّث نفسه قائلاً : « هذه قضية ستشتهر غداً في روسا كلها • » • ولكن أراني أستىق تتمة القصة •

وفى الغرفة المجاورة كان قاضى التحقيق الشاب نيقولا بارفينوفتش نلبودوف ، الذى وصل الى مدينتنا منذ شهرين ، يثر ثر مع الفتاتين ، لقد د'هش الناس بمدينتنا ، فبما بعد ، من وجود هؤلاء الأشخاص بأعينهم مجتمعين فى مساء وقوع « الجريمة ، نفسه ، فى منزل أحد ممثلى السلطة التنفيديه ، كأنما هم اتفقوا على ذلك • والحق أن تعليل هذه المصادفه طبيعي جدا : ان زوجه هسولت كيريلوفتش تشكو منذ يومين من آلام شديدة في الأسنان ؟ فكان وكبل النبابة المسكين لا يفكر الا في الهسروب من المنزل حتى لا يسمع أنينها • فالى أين يمكن أن يذهب اذا هو لم يذهب الى مشهل ماكاروفتش ؟ أما الطلب فانه ، بحكم مهنته ، كان لا يستطيع أن يقضى سهراته الا لاعبًا بالورق ، لذلك كان وجــوده في منزل رئيس لشرطه أمرآ لا بد منه ولا محيسد عنه • وأما نيقسولا بارفینوفنش نلبودوف ، فلقد کان ینوی منذ نلائه أیام أن یزور میشسمیل ماكاروفتش في ذلك المساء ، وأن يجيء اليه « بما يشبه المصادفة » ، بغية أن يفاجيء بعد ذلك كبرى الفناتين ، أولغا محنائىلوفنا ، بأنه عالم بسرِّها : وهو أن ذلك اليوم هو يوم عيد ميلادها ، وأنها أرادت أن تحفي الأمر عن المجتمع حتى لا تقيم حمــــلة رقص في منزلهــــا • وكان نيقـــولا بارفينوفتش يتصور أمازيح كثيرة سيقوم بها في تلك المناسبة ، ويتلذذ سلملهَا بهذه الأمازيج : كالاشسارة الى أنها تعخشي أن تعلن عن سنها ، وكالتهديد باذاعة الأمر في المدينة كلها غداً ، النح • ان هذا الشاب الفنان « عفريت » كبير ، حتى ان سبداتنا قد لقنه بهذا اللقب ، وكان هذا يلؤه رضي وارتباحاً فيما يبدو • وكان ينتمي من جهة أخرى إلى أسرة ممتازة ، وكان جمُّ الكياسة رفيع المشاعر • ورغم انه كان بطبيعته محباً للمباهج مقلاً على الملذات ، فقد كان كذلك على براءة وكان لا يخل بالمواضعات المقررة ولا بسيء الى الآداب الاجتماعية • وهو قصيسير القامة ، ضعيف السَّة ، رقيق مرهف ، تزين أصابعه النحلة الشاحية خواتم كبيرة كثيرة ٠ وكان في قيامه بأعمال وظيفته رصيناً رصانة عظيمة ، قوى الشعور بخطورة القتلة وغيرهم من المجرمين من أبناء الشعب البسيط أثناء استجواباته ، كبيرا ما كان شير فيهم من الدهشة ان لم يثر فيهم الاحترام •

حين وصل بطرس ايلنش الى منزل رئيس الشرطة صعقه فعلاً أن يعرف أن جميع الحضور كانوا على علم بالأمر • كان اللاعبون بالورق قد كفوا عن اللعب ، وأخذ سائر الضيوف يتناقشون في الحادث بحرارة، وقوفاً • لقد هرع نيقولا بارفينوفتش من الغرفة المجاورة عابس الوجه يوشك أن يكون مستعداً للهجوم • وما كان أشد ذهول بطرس ايلتش حين علم بالنبأ لرهيب : وهو أن العجوز فيدور بافلوفتش قد فتل في منزله فعلا هذا المساء • • • • قاتل وسُرق • وقد عرفت الجريمة في الظروف التالية :

لا شك في أن مارفا اجناتيفنا ، زوجة جريجيوري ، كانت نائمة نومًا عميقًا في اللحظة التي ضُرب فيها زوجها بمدق الهاون قرب السور. وكان يمكن أن تستمر في نومها زمناً طويلاً أيضاً • ولكن شاءت المصادفة أن تستيقظ فجأة ، وأغلب الظن أنها استيقظت بسبب الصرخة الرهية التي أطلقها سمردياكوف الذي يرهد في الغرفة الصغيرة المجاورة مغشياً الصرخة انما تبدأ نوبات الصرع لدى سمردياكوف • وقد أرعتها هـذه الصرخة طوال حياتها ، وخلتُفت في نفسها أثراً مرضيا ، ولم تستطع أن تعتادها في يوم من الأيام • نهضت مارفا منتفضية وهي ما تزال نصف نائمه وأسرعت الى الغرفة التي يرقد فيها سمردياكوف ، على غير شـعور منها تقريباً • كان الفللام حالكاً ، فلا يُسرى شيء ، وانما 'يسمع الشخير الرهيب بخرج من صدر المريض الذي يتخبط • أخذت مارفا اجناتيفنا تصرخ هي أيضًا ، منادية ً زوجها ، ولكنها أوجست فحأة أن زوجهــا لم يكن الى جانبها في السرير حنن استيقظت من نومها ، فأسرعت الىالسرير وأخذت تحس الغطاء ، فأيقت أن الفراش ليس عليه أحد . تساءلت لللى أين ذهب؟ هل خرج؟ ولماذا خرج؟ وهرعت الى درجات المدخل

وأخذت نناديه في الظلام وحلى ، ولكنها لم تنلق جوابا • وفجأة خسُّل اليها أنها تدرك في حلكة الليل أنات مخنوفة كأنها آنيه من الحديقه • فأصاحت بسمعها ، فنكررت الأنات · دمدمت تقول مصلحطربه « رباه ! يشبه هذا ما حدث في الماضي يوم موت اليزابث سمر دياستشايا! . • وهبطت الدرجات خائف ، فلاحظت أن باب الحـــديقة مفتوح ، فقالت لنفسها : « لا شك أن زوجي الطيب هناك » ، فلما اقتربت من باب الحديقة سمعت في هده المرة زوجها جريجوري نفسه يناديها بصـــوت ضعف محنضر مروَّع: « مارفا c مارفا ! » • فقالت مارفا متلعتمة « نجُّنــا من الشر يا رب! » واندفعت في الاتبحاء الذي كان يصمدر عنه النبداء • وهكذا اكتشف جريجورى • ومع ذلك لم تجده قرب السور ، فيالمكان الذي صُرع فيه ، بل على بعد عشرين خطوة من ذلك المكان • وقــد عُمرف فيما بعد أن جريجوري ، حين أفاق من اغمائه وثاب الى رشده ، جراً نفسه على الأرض مدة طويلة ، فأغمى عليه أثناء ذلك عدة مرات ، ولكنه كان يصحو ثم يستأنف زحفه • وسرعان ما لاحظت مارفا أنه كان مضرجاً بدمانه ، فأخذت تصرخ • وكان جريجوري يتمتم بصوت واهن جملاً مضطربة لا تسلسل فيها ، قائلاً : « قتل ٠٠٠ قتل أباه ٠٠٠ لماذا تصرخين يا امرأة غبية ؟ هلمي ! أركضي ! نادي !» • ولكن مارفا اجنانيفنا لم يهدأ روعها ولم تنقطع عن اطلاق صرخاتها الوحشية • فلمــا لاحظت فجأة أن نافذة غرفة مولاها مفتوحة ومضاءة ، أسرعت الى هناك تنسادي فيدور بافلوفتش • واذ لم تسمع جوابا نظرت من النافذة ، فرأت عندلله مشهداً فظيماً : رأت فندور بافلوفتش راقدا على الأرض جثة ً هامدة • بلغت مارفًا اجناتفنا ذروة الهلع ، فاندفعت عنـــدئذ الى خارج الحديقة ، ففتحت الباب الكبير ، وهرعت الى عند جارتها ماريا كوندراتيفنا • كانت المرأتان ، الأم وابنتها ، نائمتين حينذاك ، ولكنهما لقوة الطرقات العنيفة

على مصراعى الباب ، ولشمه الصرخات الحادة التى كانت تطلفها مارفا الجنانيفنا ، استيقظتا من نومهما واقتربتا من النافذة ، فقصت عليهما العجوز المسكينة ما نزل بدارهم من شقاء ، فصت عليهما ذلك بأفوال مصمطربة مشوشة تقطعها أنات ، ومن المصادفات أن توماس الذى يسكن مستأجراً في منزلهما ، والذى يتنقل عادة في البرارى ، كان يبيت في المنزل في تلك الليلة ، فسرعان ما أوقظ من نومه ، وخف الجميع الى مكان الجريمة ، وتذكرت مارى كوندراتيمنا أثناء الطريق أنها قد سمعت في نحو الساعة التاسعة من المساء ، عويلاً صادراً من الحديقة أرعبها ، لقد كان ذلك هو الصرخة التى أطلقها جريجورى لحظة أمسك بيديه احدى ساقي متنا الراك السور ، قائلا : « يا قاتل أبه » ،

والت ماريا كوندراتيفنا شارحة ": « ان أحداً قد صرخ عندئد صراخا ويا جداً ثم صمت فجأة » و وصل اللائه الى فرب جريجورى ، فأنهضته المرأتان بمعاونة توماس ، ونقلوه الى الملحقات ، وأشعلوا شمعه ، وحين مروا أمام الغرفه التى يرقد فيها سمردياكوف لاحظوا أنه ما يزال يتخبط فى تشنجاته وفد جعظت عيناه وخسرج الزبد من فمه ، غسلوا رأس جريجورى بما ، ممسزوج بعل ، فجمله ذلك يصحو تماماً ، فسرعان ما ألقى عليهم هذا السؤال : « أقدل مولاه أم لا ؟ » ، وأرادت الجارتان عندئد أن تصحبا توماس الى غرفة فيدور بافلوفتش ، فلما اجنازتا الحديقة المخلتا أن النافذة لم تكن وحدها مفتوحة ، وانما كان باب المسكن مفتوحا أيضا ، مع أن فيدور بافلوفتش قد أصبح منذ أسبوع يحكم اقفال الباب بالمفتاح كل ليلة ، ولا يسمع حتى لجريجورى بأن يدخل عليه لأى سبب من الأسباب ، وبأى عذر من الأعذار ، فلما رأت المرأتان وتوماس هذا الباب مفتوحاً ترددوا عن الدخول الى غرفة الجريمة «خشية المضاعفات» ، وعادوا الى الملحقات ، فطلب جريجورى ابلاغ رئيس الشرطه بالحادث

فورا • فتولت ماريا كوندراتفنا القيام بهذه المهمة ، فأهاج وصولها ضيوف ميشيل ماكاروفتش ، وأقامهم وأفعدهم • لقد وصلت ماريا الى مزل رئيس الشرطة قبل وصول بطرس المنش بخمس دقائق لا أكنر ، وهكذا مل بطرس المنش أمام هؤلاء الرجال لا منول انسان بربد أن ينقل اليهم شكوكه واسندلالاته ، بل متسول شاهد عيان ، فلم تزد النفاصيل التي ذكرها على أن عززت ما كانوا قد تصوروه من فروض عن شخص القائل (الحق أن بطرس ايلتش نفسه قد ظل الى آخر لحظة بشك في أن يكون ميتيا هو القائل) •

ونفررت المبادرة الى العمل فورا • وأُبلغ مفوض الشرطة المساعد، وتم الفيام بالتحريات الأولى في مكان الجريمة بمنزل فيدور بافلوفتش ، وفقا للأصول القضائيه التي لا داعي لي وصــفها هنا • وفد أصر طبيب زمستفو ، وهو طلب مندي، ممتلي، همهُ وحماسهٔ ونشاطأً ، أصر ً علي أن يصمحت رئيس الشرطة ووكيل النابة وفاضي التحقيق • وسأقتصر هنا على نلخيص ما شاهدود : لفد صُمرع فيدور بافلوفتش ، وكسرت مججمته، ولكن ما هو السلاح الذي استعمل في قتله ؟ لعــــله ذلك السلاح نفسه الذي استعمله القاتل بعد ذلك في ضرب جريجوري • واكتشفت أداة الحبريمة أخيرا بفضل ما استطاع جريجوري أن يذكره لهم على تحسو متسق ، ولو بصوت واهن متقطع ، بعد أن أُ سعف الاسعافات الطبية التي تتطلبها حالنه ٠ استكشف رجال الشرطة الأرض َ التي تجاور السور مستعينين بمصباح ، فلم يلقوا عناءً في العثور على مدق الهاون النحاسي. وجدوه ملقى ً وسط الممر الذي يشق الحديقة ، في موضع يلفت الأنظار على الفور • ولم تكن الغرفة التي يرقد فيها فيلدور بافلوفتش فوضي ، ولكنهم اكتشفوا على الأرض وراء الحاجز ظرفأ ملقى قـــرب السرير •

« هدیه صغیرة من ثلاثه آلاف روبل أهدبها الی ملاکی جروشنکا اذا هے رضت أن تحيء » وفي أسفل الظرف كتبت عارة أخرى أغلب الظن أن فيدور بافاوفش أضافها بعد ذلك هو نفسه : « الى حمامتي » • وكان الظرف الذي ختم بالشمع الأحمر ثلاثه أختام كبيرة فد فضَّ وأفـــرع مما فيه : لقد سُرق المال الذي كان يضمه الظرف • واكتشفوا كذلك على أرض الغـــرفة الشريط الوردي اللون الذي كان يلف الظــرف • وقد أحدثت أفوال بطرس ايلتش أثرآ عمقا في وكسل النابة وقاضي التحقيق وهزنهما هزآ قوياً ، لا سيما بسبب ما ذكره لهما من أن دمترى فيدوروفتش كان يبدو عازماً عزماً مطلقاً على أن ينتحر فبل طلوع الفجر؛ وان دمتري فدوروفتش قد أفهمه ذلك نفسه بم حبن حشا أحد المسدسين بالرصاص أمامه ، وحين كتب بطاقة صفيرة يشرح فيها السب الذي يدعوه الى الانتحار ودستُّها في جيبه ، النح ، حتى اذا قال له بطـرس ايلتش الذي لم يشأ أن يصدق قراره انه سبلغ أقرباءه ما عزم عليه حتى يا عزيزي ه و معنى هــــذا كله أن من الواجب الاسراع في العمــل ، والوصول الى موكرويه على عجل ، حتى يفاجأ القاتل قبل أن ينفذ ماعقد النبة علمه ٠

كان وكيل النيابة يردد قوله مضطربا اضطرابا شديدا :

ـ القضية واضحة وضوح ماء الصخر ، ذلك بعينه هو ما يفعله جميع هؤلاء العابثين القاصفين الأشقياء حين يقعون في الجريمة ، غماً أنتجر ، أما الليلة فألهو وأتسلى ،

وازداد اهتیاج وکیل النیابة حین سمع تفاصیل ما حدث فی المتجر حین اشتری میتیا الشمبانیا وأنواع الحلوی ۰

ــ هل تتذكرون ، أيها السادة ، ذلك الشاب الذي قتل التــــاجر

أولسوفيف ليسلبه ماله ؟ انه بعد أن استولى على ألف وخمسمائة روبل كانت مع ضحيته ، فكتر قبل كل شيء في أن يصفف شعره منموجاً عند حلاق ، ثم أسرع الى البغايا حتى دون أن يكلف نفسه عناء اخفاء المال ، فكان يمسكه بديه تفريبا ، مل هذا القاتل الحديد تماما .

على أن النحفيق وتفتش منزل فيسدور بافلوفتش والاجراءات القانونية الشكلية ، كل ذلك قد استغرق وفتا ، لذلك تقرر أن يوفد إلى موكرويه ، على جناح السرعة ، موظف الشرطة موريس مافريكمفتش خسرستوف الذي جاء الى المدينة في الليلة البارحه لقبض مرتبه • أصدرت اليه معليمات بأن يذهب الى موكرويه ، منتحلاً عذراً من الأعذار ، بحث لا يلفت الانشاه ، وأن يراقب المحرم في الخفاء دون أن يغب عن بصره، الى حين وصول لسلطات • وكان على موظف الشرطة هذا أن يكون الأوامر التي تلقـــاها ، ولزم النخفي ، واقتصر على أن ذكــر لتريفون بوربستش الذي يعرفه مند عهد بعيد بعض الايضاحات عن الأســـــاب الحقيفية لمحبَّه • وفي ذلك الوفت انما التقي منتبا بصاحب النزل في أسفل السلم المفضى الى الشرفة ، فلاحظ تغييراً غريبا في تعيير وجهه وطريقه كلامه • وعلى هذا النحو لم يستطع أحـــد ، لا ميتيا ولا سائر الضيوف ، أن يخطر ببالهم أنهم مرافبون • أما علمه المسدس فقد أسرع تريفون بوربستش يخفسها في مكان مأمون على الفور • ولم تصلالسلطات الى موكرويه الا في الساعة المخامسة ، عند طلوع الفجر • استقل وكيل النابة ، ورئيس الشرطة ، وقاضي التحقيق ، وحاشيتهم ، عربني تروكا. ومكث الطبيب في منزل فيدور بافلوفتش ، ليباشر تشريح جه الفتيل منذ الصباح • ولكنه كان مهتما اهتماما خاصا بحالة سمر دناكوف •

ــ ان نوبات الصرع التي تبلغ هذه الدرجة من التبدة وتدوم مثل

هذه المدة مستمرة كومين ، هي حالات نادرة كل الندرة ، حالات يهتم بها العلم ويكب على دراستها .

كذلك قال الطبيب لصحبه مهتاجاً حين سافروا الى موكرويه ؛ وفد مازحه صحبه وهنأوه على ما أوتى من فرصة مواتية وحظ نادر •

وقد تذكر وكيل النيابة وقاضى التحقيق فيما بعد ، تذكراً واضحاء أن سمردياكوف سيموت قبل طلوع الفجر فيما زعمه الطبيب الشاب .

بعد هذه الشروح التي كانت طويلة بعض الطول ، ولكنها كانت لا بد منها ولا غنى عنها ، سنستأنف الآن قضيتنا من حيث قطعناها في نهاية الباب السابق .

٣

مِعَے ن نفس س ویٹھنے تہ والاُولی



ميتيا يتصفح وجوه محدثيه ، مجنون العينين ، ولا يفهم ما يقال له ، وها هو ذا ينهض فجأة، فيرفع ذراعيه الى السماء ويهتف قائلا بصـــوت قوى :

ــ لست القاتل! أنا لم أسفح ذلك الدم! لم أسفح دم أبى ٠٠٠ كنت أريد أن أقتله ، ولكنني لم أفعل • لست أنا القاتل!

ــ أنا المذنبة ، أنا الشقية المذنبة ، بسببى انما قتل ! أنا التي قدته الى ذلك من كترة ما عذبته ٠٠٠ ولقد عذبت العجوز المسكين الراحسل أيضاً ، بدافـــع الشر الذي في نفسى ٠٠٠ أنا سبب كل شيء ، أنا ، أنا وحدى ، أنا القاتلة في حقيقة الأمر ،

ـ أما أنك القاتلة فهذا صحيح لا شك فيه! أنت مجرمة كبيرة ، أيتها المرأة الضالة الفاسقة! أنت المسئولة عن هذه الجريمة .

كدلك صاح يقول رئيس الشرطه وهو يلوّح بقبضه يده مهدداً . ولكن سرعان ما حُمل رئيس الشرطه على السمكوت ، حتى أن وكيل النيابة أحاطه بذراعيه لينحكم به ويسيطر عليه ، قائلاً له بصوت عال وهو يكاد يختنق غيظاً :

_ لهد أحدثت فوضى يا ميسيل ماكاروفتش ، هذا لا يجوز ! انك نشوش النحقيق وتفسد كل شيء .

وقال نيقولا بارفينوفتش مضطرباً بدوره :

ـ يعجب اتنخاذ اجراءات ٠٠٠ حالاً ٠٠٠ يعجب اتنخاذ اجراءات ٠ واستأنفت جروسكا كلامها فقالت بحرارة وحماسة وهي ما تزال جائيه على ركبتيها :

_ احكموا علينا معا ، أعدمونا معاً ، أنا مستعدة لأن أشاركه العقوبة القصوى !

فهتف ميتيا يقول وهو يرتمى على الأرض فيجثو الى جانب جروشنكا ويعانقها :

ــ جروشا ، حياتى ، روحى ، دمى ، قديستى ! لا تصدقوا ماتقوله، انها ليست مذنبة فى شىء ، أنها لا تشارك أية مشاركه فى المسئولية عن هذا الدم المسفوح ، انها لم تفعل شيئاً !

تذكر ميتيا فيما بعد أن عدة رجال قد فصلوه بالقوة عن جروشنكا التي أقصيت عن الغرفة ، وأنه في اللحظة التي ثاب فيها الى وعيه ، وجد نفسه جالساً أمام المائدة ، وكان يقف وراءه رجال يضعون على صدورهم صفائح من معدن ، وفي الجهة الأخرى من المائدة ، كان قاضي التحقيق نقولا بارفينوفتش الذي جلس على الكنبة ، يلح عليه أن يشرب قليلاً

من الماء مشيراً الى الكأس الموضوعة على المائدة ، قائلاً له بلهجة مهدبة حداً :

ــ اشرب ، الماء ينعشك ويهدئك . لا تبخش شيئًا .

خطفت انتباه ميتيا ، على حين فجأة ، الخواتم الكبيرة التي كانت في أصابع فاض التحقيق ، أن أحد هذه الضواتم يزدان بالجمشت ، والثاني يزدان بحجر أصفر واضح شفاف قوى السطوع ، سوف يظل ميتيا يتذكر خلال زمن طويل مدى ما أحدثته هذه الخواتم في نفسه من اقتنان حتى أنه طوال الساات الرهبية التي استغرقها الاستجواب لم يستطع أن يحول بصره عنها ، ولم ينقطع عن النظر اليها وهو فيما هو فيه من ظروف لا تنفق مع اهتمام تافه هذه التفاهة ، والى يسار ميتيا ، في المكان الذي كان يتجلس وكسل النيابة ؟ والى يمين ميتيا ، في المكان الذي جلست فيه جروش نكا بضع ساعات قبل ذلك ، كان يجلس شاب زاهي اللون ، يرتدى سترة عتيقة جدا مما يلبسه الصيادون ، وأمامه محبرة وورقة ، ولقد اتضح فيما بعد أنه كانب قاضي التحقيق ، أما رئيس الشرطة فقد كان واقفا قرب النافذة ، في المطرف الآخر من الغرفة ، على مقربة من كالجانوف الذي كان جالسا على كرسى ،

كرر فاضى التحقيق يقول بلطف ورقة للمرة العاشرة :

ـ اسرب ماء ٠

فعماح ميتيا يقول ، وهو يبت على فاضى التحقيق نطرته العجامدة جمودا رهيبا في عبنيه العجاحفلنين :

ـ شربت با سادتی شربت ۰۰۰ والآن فاسحــقونی ، اعدمونی ، قرروا مصیری !

سأَله الفاضي بصوت لطيف رفيق ولكنه ملح:

ـ أأنت مصر اذن على أنك برى، من مفنل أبيك ؟

برىء! لقد سفحت الدم ، سفحت دم العجوز الآحر ، ولكننى لم أسفح دم أبى ، أه ٠٠٠ لسد ما بؤسفنى ما فعلن ، لفد قبلت ذلك العجوز المسكين ، صرعنه ، غير أنه يشق على أن أصبح بسبب هده العجايه مسئولاً عن جريمه أخرى ، جريمه فطيعة لم أرتكبها ٠٠٠ ذلك اتهام رهيب يسقعه على سفوط الصاعقة ! ولكن من ذا الذي فتل أبى ؟ من هو القاتل ؟ من عسى بكون القاتل اذا لم أكن أنا ؟ هذا جنون ٠٠٠

بدأ فاضى لتحقيق يفول :

ـ أتسأل من هو القاتل؟ سأقول لك ذلك ٠٠٠

ولكن وكيل النيابة هيبوليت كيريلوفنش سارع يسكته بنظرة منه ، ثم قال مخاطبا ميتيا :

ـ تخطى اذا قلقت على مصير الخادم العجوز جريجورى فاسيليف اعلم أن هذا الخادم لم يمت ، وأنه أفاق من اغمائه واسترد وعيه • حتى أن لطبيب يرى أنه لبس في خطر رغم الضربة الفظيعة التي شهد هو واعترفت أنت بأنك أصبته بها •

هتف ميتيا فجأة يقول وهو يضم يديه احداهما الى الأخرى (وقد أشرق وجهه فرحاً):

ـ أهو حى ؟ اللهم انى أحمـــدك على هذه المعجزة العظيمة التى تهبها لى ، لى أنا الخاطى، المجرم ؟ اللهم انى أحمدك على أنك استجبت لدعائى ٠٠٠ ذلك أن دعائى هو الذى قبل ٠٠٠ لقد لبثت أدعو طوال الليل أن لا يموت .

ورسم ميتيا اشارة العسليب ثلاث مرات وهو يخننق انفعالاً • استألف وكل النبابه كلامه فائلاً :

۔ من جریںجوری ہذا نفسہ نما حصلنا علی معلومات خطیرہ جدا فی شأنك ۰۰۰

ولكن ميتيا فاطعه ووثب عن كرسيه فائلاً :

ـ دقيقة واحدة أيها السادة ! اسمحوا لى بدقيقه واحدة ، دقيقة واحدة ، أناشدكم الله ٠٠٠ أريد أن أكلمها هي ٠٠٠

فصرخ نيقولا بارفينوفتش يقول له بصوت حاد ، ناهضا عن مقعده على حين فحأة هو أيضا :

- آسف! ذلك مستحمل استحالة مطلقة الآن .

وأمسك الرجال الذين يضمون على صدورهم صفائح معدن ، أمسكوا مينيا ، فسرعان ما عاد يجلس دون احتجاج ، وقال :

ـ هذ يؤسفنى أسفاً عميقاً يا سادتى ، لأننى لم أكن أريد أن أراها الا لحفلة قصيرة ٠٠٠ لأبلغها أن ذلك الدم قد امحى من حياتى ، ذلك الدم الذى عذبنى طوال هذه الليلة ، واننى لست قاتلاً! انها خطيتى أيها السادة ، هل تعرفون هذا ؟ (هكذا صاح يقول فيجأة وهو ينقل يصره على محدثيه جازماً) ، أوه! شكراً لكم أيها السادة! لقد رددتمونى الى الحياة بهذه الكلمة وحدها: حى! ان ذلك العجوز كان يحملنى بذراعيه أيها السادة ، وكان يخسلنى فى جرن حين كنت فى السنة الثالثة من عمرى وتركنى الجميع ، كان لى بمئابة أب!

هم القاضي أن يتكلم قائلاً:

_ وهكذا ، فأنت ٠٠٠

ولكن ميتيا قاطعه وهو يضع كوعيه على المائدة ويغطى وجهه بيديه:

السمحوا لى بدقيقة تفكير أيها السادة ، دقيقة واحدة ، دعونى أتنفس لحظة ، وأحاول أن أرى رؤية واضحة ، ان هذا الأمر قد هـزنى هزآ فوياً وقلب نفسى رأساً على عقب ، هذا فظيع ، ، ، ليس ينقرع انسان كما يقرع طبل أيها السادة !

دمدم نیقولا بارفینوفتش یقول له : ـ علیك أن تشرب جرعه أخرى من الماء .

أبعد مينيا يديه عن وجهه وأخسد يضحك . ان في نظرته الأن لفه ، وقد تبدل تعبير وجهه في طرقه عين • وتغير موقفه كذلك ، فهـ و ينكلم بلهجه غير اللهجه التي كان ينكلم بها من قبل . هو يحس الآن أنه عاد ندا لهؤلاء لرجال الدبن بعرفهم والذين كان يمكن أن يجمع بهم ، البارحه ، في سهرة تعم علمه الهوم ، فكأن سُينًا لم يكن . يحسن أن نشير هنا الى أن ميتيا كان قد استنْمبل استقبالاً حاراً جداً بمنزل رئيس المنزل بعد ذلك ، ولا سيما حلال الشهر الأخير • وأصبح رئيس الشرطة، مند زمن ، نقطب حاجبیه حین بری میبا فی الشارع ، ولا برد علی تحته الا من باب الأدب ، وفد لاحظ ميتيا هذا. أما وكيل النيابة فقد كانب معرفة ميثيا به أقل من ذلك أيضا ، رغم أن ميا فد زار زوجه ، وهي امرأة عصبة ذات هواجس ، عدة زيارات سكلمة تماما ؟ كان يذهب النها دون أن معرف لماذا ، وكانت تستقبله حيي هذه الأسابيع الأخبرة بكنر من البشاشة والمودة ، بل وكانت تبدى شميينًا من الاهتمام به . وأما قاضي التحقيق ، فلم نكر سنه وبين مشا علاقات اجتماعية ، واقتصر كل نبيء سنهما على حديث أو حسديمن تبادلا خسلالهما كلاما غامضا عن جنس النساء .

قال مشا مرحاً:

- أرى يا يفولا بارفنوفتش أنك قاض بارع جدا ، ولكن أحسب مع ذلك أن على أن أسساعدك ، أوه ! لقد تنفست أيها السادة ، و لا تؤاخلوني اذا أنا كلمتكم بغير كلفة ، ثم انني ثمل قليلا ، أعترف لكم بذلك صراحة ، أظن يا تيقولا بارفينوفتش أنني قد سبق لى أن سررت وسرفت بلقائك ، عند ميوسوف ، قريبي ، و معددة أيها السادة ! لست أدعى المساواة بكم الآل ، فأنا أعرف موقفي أمامكم حق المرفة ، و هناك تهمة رهية تحثم على و معاه ، اذا كان جريجوري قد شهد على و و فل بد أن تكون القرائن قوية في الظاهر ، و نهم ، و أنا موضع شبهة خطيرة ! فظيع ! انني أفهم هذا حق المهم ، نقوا من ذلك ! ولكن فلنصل الى الوفائع أيها السادة ! انني مستعد ، و وسنوضح الأمور في بضع دقائق يا سادتي ، أليس هذا صحيحاً ؟ ما دمت بريماً ، و اصغوا الى المناه عين ، أليس كذلك أيها الجريمة ، فسوف نبدد سوء التفاهم في طرفه عين ، أليس كذلك أيها السادة ؟

كان ميتيا يتكلم متعجب للاً متدفقاً على نحو عصبى ، وبنوع من الاصرار العنيد على أن يعد محدثيه كأنهم خير أصدقائه .

قال نيقولا بارفينوفتش بلهجة رصينة :

ــ سنسجل الآن اذن أنك تنكر انكارا قاطعا التهمة الموجهه اليك • ثم التفت تحو الكاتب ، وأملى عليه بصوت خافت خلاصة انكارات مشا •

ــ آ • • • أأنتم تسمجلون أقوالى ؟ أتريدون تدوينها ؟ طيب • • • اكتبوا اذا شئتم • • • أوافق على هذا • • • لا أرى فى هذا ضيراً أيهـــا السادة • • • ولكن • • • لحظة من فضلكم ! أريد أن تكتبوا كما يلى :

ه ارتكب جرم استعمال العنف ، فضرب عجوزا مسكينا ، وهـو يعترف بذلك ، ثم اننى فى أعماق نفسى ، فى فرارة ضميرى ، • ولكن لا داعى الى كتابة هذا (هكذا قال ملتفتاً الى الكاتب) • • • تلك حياتى الخاصة التي لا شأن لكم بها أيها السادة ، هذه أغوار فلبى • • • أما فتل أبى فأنا برى و منه ! تلكم تهمة حمقاء ! ذلكم افتراض سخيف • • • سأبرهن لكم على هذا ، فتقتنمون اقتناعا تاما • ســوف تضحكون أيها السادة ، سوف تضحكون أتتم أنفسكم من الشكوك التي راودتكم ، سوف تنفجرون ضاحكين •

تدخل قاضى التحقيق ففال وكأنه يربد أن يضرب بهدوئه هو ملاً لمينيا المندفع المضطرب:

_ هدى، نفسك يا دمترى فيدوروفتش ! أحب أن أرجوك ، فبل أن تتابع الاستجواب ، أن تؤكد لى _ اذا كنت توافق على ذلك _ أنك لم تكن تعجب فيدور بافلوفتش كبيرا، وأن مشاجرات كتيرة كانت تقع بينكما لفد صرحت أنت نفسك ، منذ ربع ساعه ، في هذا المكان نفسه ، اذا لم يخطى ، ظنى ، أنك كنت تنوى أن تقتله ، القد صبحت تقول : « كنت أريد أن أقتله و لكننى للم أقتله ، » .

ـــ أقلت أنا هذا ؟ أوه ! جائز أيها السادة ! نعم ٠٠٠ وا أسفاه ! لقد تمنيت أن أقتله ، وراودتني نفسي على هذا مرارا ٠٠٠ وا أســفاه ! وا أسفاه !

ــ كنت تنوى اذن أن تقتله • فهل تستطيع أن تشرح لنا أسباب هذا الكره الذي كنت تحمله لأبيك ؟

قال ميتيا بلهجة متجهمة وهو برفع كنفيه ويخفض رأسه: ــ ليس هناك ما يُشرح أيها السادة! أنا لم أخف عواطفي ، والمدينة كلها تعرفها ، حتى أن الناس يتحدثون عنها في الكاباريه • ومنذ بضعه أيام لا أكنر ، عبرت عنها في الدير ، في حجرة الشـــيخ زوسيما ٠٠٠ وفي مساء ذلك النوم نفسه ضربت أبي وأوشكت أن أقتله ، وحلفت أمام شهود لأعودن أَ فأجهز عليه • أوه ! في وسعكم أن تجدوا ألف شــاهد على ، بغير عناء • انبي لم أزد على أن هدأت كرهبي له خلال هدا الشهر ••• النساس جميعًا يشسهدون ٥٠٠ الوقائع متوفرة ٥٠٠ الوقائع تتكلم من تلقاء تفسها ، بل هي تصرخ ٠٠٠ أما عواطفي أيها السادة فأمرها أمر آخر! يخيل الى " أيها السادة (وهنا قطب ميتيا حاجبيه) أنه ليس من حقكم أن تســألوني عن عواطفي • ان وظائفكم تخــولكم سلطات ، أنا أعرف هذا وأفهمه ، ولكن عواطفي هي من شأني أنا ؟ هي تتصل بحياتي النفسية ، الحميمة • • • على كل حال ، ما دمت لم أكتمها حتى الآن • • • لم أكتمها في الكاباريه مثلاً ، وكنت أكاشف بها أول قادم ، فليكن ما تريدون ! فلن أخفيها عنكم أنتم أيضاً • أيها السادة ، انني أدرك حق الادراك أن الشبهات كبيرة وأن القرائن قوية : فلقد أعلنت لجميع الناس أنني سأقتله ، وها هو ذا يُقتل • فكيف لا أكون أنا القاتل والحاَّلة هذه ؟ هأهأ ! انني أعذركم أيها السادة ، أعذركم كل العذر ، أنا نفسي قد أذهلني هذا الحادث : من عسى يقتله اذا لم أقتله أنا ؟ أليس كذلك ؟ اذا لم أقتله أنا فمن بقتله ؟ من ؟ (ثم صاح فجأة يقول :) أربد أن أعرف منكم أيها السادة ، أطالبكم بأن تقولوا لى الحقيقة : أين و بجد مقتولاً ؟ وكيف قتل ، بأى سلاح وفي أية ظروف ؟ قولوا لى هذه الأمور ! (كذلك ردُّد بقوة ، وهو ينظر الى وكيل النيابة وقاضي التحقيق واحداً بعد آخر ﴾ •

أجابه وكيل النيابة قائلاً :

ـ وجدناه رافداً على ظهره فوق أوض الغرفة ، مكسور الجمجمة •

قال ميتيا مرتجفاً وهو يضمع كوعيه على المائدة ويخفى وجهه بيده اليمنى :

_ هذا فظيع أيها السادة!

وتدخل نقُولًا بارفينوفتش فائلاً :

ـ لنتابع لاستجواب و لأى سبب كنت تكره أباك ؟ لقد صرحت على رءوس الأشهاد ، فيما أظن اننى أعلم ، أن لنيرة هى التى كانت تؤليك عليه ، فهل هذا صحيح ؟

_ هى الغيرة ان شئتم • ولكن الغيرة ليست السبب الوحيد لموقفى منه •

_ لعل هناك خصومان على مال ؟

ــ نعم ، نعم ، مسائل مالية .

_ كان الخلاف يدور، اذا لم يخطىء ظنى ، على ثلاثة آلاف روبل هي من حقك في الميراث ولم يدفعها لك .

قال ميتيا مستاءً :

_ ثلاثة آلاف روبل ؟ بل أكثر كنيراً ، أكثر كثيراً ، كان مديناً لى بأكثر من سستة آلاف روبل ، وربما بأكثر من عشرة آلاف ، قلت هذا لجميع الناس ، صحت به في كل مكان ! ولكنني كنت مستعداً لقبول ثلاثة آلاف روبل تسماهلاً ، لأتني كنت في حاجة مستعجلة رهبية الى هذا المبلغ ٠٠٠ فكان ذلك الظرف الذي يضم ثلاثة آلاف روبل والذي يوجد تنحت وسادته ، (أنا أعلم ذلك) والذي أعداً ، هو لجروشنكا ، كان في نظري مالاً سُرق مني ، هل تفهمون أيها السادة ؟ كنت أعد ذلك المبلغ حقاً من حقوقي ، وملكاً شرعياً لى ،

بادل وكيل النيابة قاضى التحقيق نظرة ذات دلالة ، وغمزه بعينــه غمزة خفيفة •

أسرع القاضي يقول :

ـ سنعود الى هذه المسالة • واسمح لى أن أسجل هده النقطة بعينها : وهى أن ذلك المبلمة المودع فى الظرف كان فى رأيك حقاً مشهوعا لك •

- اكتبوا أيها السادة! انني أدرك أن هـــذا قرينة جديدة على ، ولكنني لا أخشي شيئاً ، ولسوف أمدكم بقرائن أخرى • سوف أمدكم أنا نفسي بقرائن أخرى ، هل تسمعونني ؟ يبدو لي أيها السادة أنكم ترونُ فيُّ رجلاً مختلفًا كل الاختلاف عمًّا أنا في الواقع (كذلك أضاف يقول حزينا مظـملم الوجه) • ان أمامكم أيها السادة انسمانا صادقا مستقيما لا يعرف طبعه الالتواء والمخاتلة ، ان أمامكم انسانا ـ لا يغب هذا عن بالكم _ ان يكن قد ارتكب حقارات كئـــيرة ، فانه ظل دائما في قرارة نفسه ، أعنى في أعماق قلبه ، طاهرا ٠٠٠ الخلاصة ٠٠٠ انني لا أحسن الافصاح عما بنفسي ٠٠٠ لقد تألمت طول حياتي بسبب اندفاعات روحي الى ما هو خير وسمو ، وكنت أبحث عن نبل الطبعة الانسيسانية بعث ديوجين عسه ان صبح النمبير ، حاملاً مصاحاً ٠٠٠ ورغم ذلك قارفت دناءات في كل خطوة من خطواتي ، كما نقارف جمعا هذه الدناءات أيها السادة ٠٠٠ أقصد ٠٠٠ لا ٠٠٠ لا كما نقارفها جمعا ، بل كما أقارفها أنا وحدى ، لقد أسأت التعبير يا سادتى ٠٠٠ نعم ، كما أقارفها أنا وحدى ٠٠٠ ان بي صداعا أيها السادة (كذلك قال فعجأة وقد تقبضت قسمات وجهه على ألم) ٠٠٠ نعم يا سادتي ٠٠٠ كنت أكره مظهره ؟ كان في جسمه شيء يوحي بالدنس ، كان فيه تبجح واحتقار لكل ما هو عظيم مقدس ، كان فيه سخريه وكفر ! أوه ! كان هــــذا دنيئًا ، دنيئًا جداً ! ولكنني أفكر الآن غير هذا التفكير بعد أن غاب عن الوجود •

_ غير هذا التفكير ؟ ماذا تعني ؟

ـــ لا غير هــــــذا التفكير ، ولكننى آسف لأنى كرهته ذلك الكره الشديد كله .

_ أأنت نادم اذن ؟

لا ، لا يعنى ذلك اننى نادم ، لا تكبتوا هــــذا ! أنا نفسى ملى المعيوب أيها لسادة ! أنا لست منال جمال النفس ، فلم يكن من حقى اذن أن أنفر منه ذلك النفور كله ٠٠٠ هذا ما تستطيعون أن تكتبوه ٠

وبدا على ميتيا ، بعد هذا الجواب الأخير ، أنه قد خارت فواه جدا على حين فجأة • وكان وجهه قبل ذلك ببغسم دقائق قد أخذ يزداد اكنهراراً وجهامة كلما تتابع الاستجوب • وهذا مشهد لم يكن في الحسبان بقع بغته " في تلك للحظة نصبها • كانت جروشنكا قد أبعدت من الغرفة طعاً ، ولكنهم لم يقصوها الى مكان ناء ، وانما أودعوها في الغرفة النالـة ، وهي غرفة لا يفصلها عن الغرفة الزرفاء التي يجلس فيها ميتيا والقاضي الا القاعه التي فام فيها الرقس وتم فيها لقصف أثنا ١١١ليل • هي غرفة صغيرة ذات نافذة واحدة جلست فمها جروشنكا بصحبة ماكسموف الذي روَّعته الأحداث فكان ينشبث بجروشنكا تشبث الغريق بلوح النجاة • وعلى باب تلك الغرفة كان يرابط فلاح على صدره صفيحة من معدن • كانت جروشنكا تبكي ، وها هي ذي تحس فجأة أنها أصبحت لا تقوي على كبع حزنها ، فاذا هي تنهض وتضم يديها احداهما الى الأخرى ، وتصبح فائلة : « يا للشقاء ! » ، ثم تندفع الى خارج الغرفة ، متجهة اليه ، الى عزيزها ميتيا ؟ وقد تم ذلك على نبحو بلغ من المباغتة أن أحداً لم بنسع وقته لصدُّها • وقد سمع منتبا صرختها ، فارتعش ، ووثب عن كرسيه ، وأطلق من صدره نوعاً من العوبل ، واندفع نحوها طائش العقل ، كأنه نسى الوضع الذي هو فيه ملم يُشرك لهما أن يلتقيا ، وان تكن نظراتهما له التقت • أُ'مسك مبتيا بقوة ، فأخذ بصارع حانقاً مسعوراً ، ولم تمكن

السيطرة عليه الا ينعاون ثلاثه رجال أو أربعة • وأمسكت هي أيضاً ، ورأى ميتيا كيف كانت تصرخ وتمد اليه ذراعيها في لوعة شديدة بينما كانوا يقتادونها • حتى اذا رجع كل شيء الى الهدوء وجد مينيا نفسه مرة أخرى في ذلك المكان نفسه ، أمام المائدة ، فبالة القاضي ، فصاح يسأن القاضي قائلاً له :

ــ ماذا فعلت لكم ؟ ماذا تعذبونها ؟ انها ليست مذنبة ، انها لم تصنع شيئًا ٠٠٠

فحاول وكيل النيابه وقاضى التحقيق أن يهدئاه • وانقضت على هذه الحال عشر دقائق • وأخيراً عاد الى الغرفه ميشيل ماكاروفتش الذي كان فد غاب ؛ وتقدم نحو وكيل النيابة بمخطى سريعة وقال له بصوت عال واضطراب شديد :

ــ ابعدناها من هنا • هى الآن تبحت • هل تأذنون لى أيها السادة أن أقول كلمتين لهذا الانسان العائر الحظ ، كلمتين لا أكثر ؟ بعحضوركم أيها السادة ، بعضوركم •••

فأجابه القاضي :

_ لك ما تشـــاء يا ميشيل ماكاروفتش ، نحن لا نرى في هذا أي بأس ، في هذه الحالة الخاصة .

فبدأ مبشين ماكاروفتش يقول مخاطباً ميتيا :

ــ دمتری فیدوروفتش ، بنی ً المسکین ، أصغ الی ً •••

كان وجهه ، المحمر من الانفعال ، يعبر عن شفقة على المسكين تشبه أن تكون شفقة أب . وتابع كلامه قائلاً :

لقد تولیت بننسی أخذ آجرافین الکسندروفنا الی الطابق الأرضی ، وعهدت بها الی بنات صاحب النزل ؟ کما أن العجوز الصغیر ماکسیموف

أصبح لا يتركها و وقد كلمتها ، وطمأنها ، هل تسمعنى ؟ أفهمتها أن عليك أن تدافع عن نفسك ، أن تبرىء نفسك ، فما ينبغى لها أن تمنعك من ذلك بتنبويشك ، والا فقد تدلى من شهدة اضطرابك بأقوال خطأ تشهد عليك ، هل تفهمنى ؟ الخلاصة ٠٠٠ أقنعها فقالت انى على حق ، انها ذكية وطيبة جدا ! كانت تريد أن تقبيل يدى "لأننى شيخ عجوز ، وتضرعت الى " من أجلك ؛ وطالبتنى ملحة " بأن أجىء اليك لأطلب منك أن تكون مطمئن البال عليها ، يجب أن تطمئن يا عزيزى ، وأريد أن أعود اليها الآن لأبلغها أنك مطمئن وأنها لا تخشى عليها من شىء ، أعود اليها الآن لأبلغها أنك مطمئن وأنها أحس بأننى مذب في حقها، ان لها نفساً مسيحية ؛ نعم يا سادتى : هى طفلة وديعة بريئة ، ههل أستطيع أن أبلغها يا دمترى فيدوروفتش أنك ستهدأ الآن ؟

كان الرجـــل الطيب يخبـط فى كلامه خبط عشـــوا. • ان ألم جروشــنكا ، هذا الألم الانســانى ، قد نفذ الى قلبه رأســاً ، فكان فى عينيه دموع • نهض ميتيا واندفع نحوه ، وصاح يقول :

_ باذنكم يا سادتى ، باذنكم ، انك يا ميشيل ماكاروفتش ملاك من ملائكة الخير ، شكراً لك من أجلها ، نعم ، أنا هادى ، قل لها هـنا ، وسأكون مرحاً ، و فل لها ، بما لك من طيبه وأريحية ، اننى مرح ، مرح جداً ، حتى لأشتهى أن أضـحك ، لعلمى بأنها فى حماية ملاك حارس منلك ، سأنهى هذا الالتباس بسرعة ، حنى اذا انتهيت ، خففت اليها ، فلتعتمد على وانتقلرنى واثفة ، أيها السـادة (كذلك قال بخاطب قاضى النحقيق ووكيل النيابة) ، سوف أفتح لكم نفسى كلها ، سوف أسرا اليكم بكل شىء ، فنفرغ من هذا الحادث بسرعة وننتهى منه مرحين ضاحكين ، لأننا سنضحك جميعا فى النهاية ، أليس كذلك مرحين ضاحكين ، لأننا سنضحك جميعا فى النهاية ، أليس كذلك بيرا سادتى ؟ ، و ان هذه المرأة هى ملكة قلبى ! أوه ! اسمحوا لى أن

أقول لكم اننى أشعر بالحاجه الى أن أفضى اليكم بما فى علبي ٠٠٠ لأننى أرى أن أمامى أناساً لهم نفوس نبيلة ٠ انها ضيائى وحياتى أيها السادة ! آه ٠٠٠ ليتكم تعلمون ! هل سمعنم كيف صرخت تقول : « سأشاركك العقوبة القصوى ! » ؟ فماذا أعطيتها أنا الذى لا أملك شيئاً ، حتى أستحق منها معل هذا الحب ؟ لست جديرا بههذا الحب ، أنا الانسسان السى ، بوجهى المنفس ، وسلوكى الأخرق ، ومظهرى التقيل ٠ أأنا جدير بمثل هذا الحب ؟ ماذا فعلت فى سسيلها حتى تكون مستعدة لأن تتبعنى الى سجون الأشغال الشاقة ؟ لقد ارتمت على أقدامكم نمنذ هنيهة فى سبيلى ، هي الشماء التى لم ترتكب ذنباً يمكن أن تلام عليه ٠ فكيف لا أعدها ، كيف لا أندفع تحوها كما اندفعت منذ لحظة لا أغفروا لى أيها السادة ! ولكننى قد تأسيت الآن ٠٠٠

قال ميتيا ذلك وعاد يتهالك على الكرسى ، وأخفى وجهه بيديه وأخذ يبكى ناشجاً منتحباً ولكن دموعه في هيده المرة كانت دموع التخفف والسكينة والطمأنينة وكان يشعر أنه استرد ذاته ورجع الى نفسه وأشرق وجه رئيس الشرطة ، وظهر الرضى والارتياح على رجلى القضاء أيضا : لقد أحسا أن الاستجواب سيدخل مرحلة جديدة و ورجع ميتبا اليهما بعيد أن شيئع رئيس الشرطة ، عاد هادىء النفس مطمئن الحان و وقال :

- والآن أيها السادة ، أضع نفسى تحت تصرفكم ، ولكن ليتكم ترضون أن لا ترتبكوا بجميع تلك التفاصيل ، فنتفاهم عند لله بسرعة كبيرة ، انتى أتيه في تلك التفاصيل ، أنا مستعد أيها السادة ، ولكن صدقوني اذا قلت لكم : ان الثقة المتبادلة لا بد منها ولا غنى عنها في مثل هذه الحالة ، يجب أن تصدقوني كما أصدقكم ، والا فلن نصل أبدا الى

النهاية . أقول لكم هذا لمصلحتكم أنتم . فهياً بنا أيها السادة ، هيا بنا الى الوفائع ! ولكن كفوا خاصة عن النبش فى نفسى ، ولا تعذبونى فى سبيل سفاسف وترهان ؟ ألقوا على أسئلة تتصل بالقضية وحدها دون غيرها. اصلبوا وقائع ، وفائع ، ولأجبينكم بما يرضيكم كل الارضاء . دعونا من النفاصل!

كذلك صاح ميتيا ، واستؤنف الاستجواب •

المحنبة الكثباينة

ييتو ال

نیقولا بارفینوفتش کلامه قائلاً : ـ لا تستطیع أن تتصور یا دمتری فیدوروفتش الی أی مدی تشمجمنا نیتك الطیبة هذه ۰۰۰

كان الرضى يُقرأ فى عينيــــــه الشــــــــــهباوين الواضحتين الحسيرتين اللتين رفع عنهما النظارتين حين بدأ كلامه • وتابع يقول:

_ ان ما قلته عن ضرورة الثقة المتبادلة صادق كل لصدق صحيح كل الصحة • ان هذه الثقة المتبادلة شرط أساسى فى قضيية لها هذه الخطورة ، ولا سيما حين يريد الشخص المتهم أن يبرى • نفسه وحين يكون فى امكانه أن يبرى • نفسه • نحن من جهتنا سنفعل كل ما يتعلق بنا ، ولا بد أنك لاحظت بنفسك بأية روح نجرى هذا الاستجواب • • • أنت توافقنى على هذا يا هيبوليت كيريلوفتش ، أليس كذلك ؟ (أضاف هذا مخاطا وكل النابة فعاة) •

أجاب وكيل النيابة مؤيداً ، ولكن بلهجة جافة بعض الجفاف ، لهجة تتعارض مع ما أظهره قاضي التحقيق من اندفاع حار :

_ بدون شك •

ولنذكر مرة واحدة أن نيقولا بارفينوفتش الذي وصل الى مدينتنا

منذ زمن فصير والذي هو هي بدايه عهده بمهنته ، فد سعر دفعه واحدة باحترام عظيم لشيخص وكيل النيابه عدنا هيبوليت كيريلوفتنس ، فانعقدت بين الرجلين صدافة فويه ، وكان على كل حال هو الانسان الوحيسد المؤمن حقا بالمو هب السيكولوجية والخطابية الفذة التي ينعم بها هيبوليت كيريلوفتش « الذي لم يقدر حق قدره » ، وكان يعتقد هو أيضا ، اعتقادا جازما ، بأن المراجع العليا تظلم وكيل النيابة هذا الذي سمع عنه في سان بطرسبرج قبل أن يجيء الى مدينتنا ، وكان نيقولا بارفينوفتش ، الشاب بعدا ، هو كذلك الانسان الوحيد الذي سعر نحوه صاحبنا « المجهول القدر » بعاطفة صادقة ، وقد اتسع وقتهما في طريقهما الى موكرويه ، لأن تتفق آراؤهما في هذه القضية ، ولأن ينجمعا على الموقف الواجب اتخاذه ، والطريقة الواجب تبنيها ، بحيث أن الفكر المرهف الذي ينعم التخاذه ، والطريقة الواجب تبنيها ، بحيث أن الفكر المرهف الذي ينعم الثي تحول في ذهن زميله الأكبر منه سناً ، ويحزرها نصف كلمسة ، باشارة خاطفة ، بحركة في عضلات وجهه ، بغمزة من عينيه ،

استأنف متيا كلامه متحمساً:

ـ دعونى أتكلم أيها السادة دون أن تقاطعونى مستوضحين تفاصيل تافهة ؟ وسأبسط لكم القضية كلها بسرعة •

_ موافق • شكراً لك • على أننى قبل أن أسمع ما تريد أن ترويه لنا أحب أن أستوضح واقعة صغيرة تهمنا كثيراً ، هى مسألة تلك الروبلات العشرة التى اقترضتها أمس مساءً ، مى نحو الساعة الخامسة ، من صديقك بطرس ايتلتش ، وأودعته مسدسيك رهناً •

ـ صحيح أيها السادة ، نعم ٠٠٠ رهنتهما ! أى شيء خارق فى هذا ؟ الني ما ان عـدت الى المـدينة بعد تلك الرحلة ، حتى رهنت المسدسين ٠٠٠ الأمر بسيط جدا ٠

ـ بعد تلك الرحله ؟ هل تغست اذن ؟

ـ طبعا ! سافرت الى خارج المدينة ، على مسافة أربعين فرسخاً من هنا . أكنتم تمجهلون ذلك اذن ؟ تبادل وكيل النيابة وقاضى التحقيـــق النظرات .

لله للقضية بأن تصف لنا على وجه الدقة توزع وقتك بالأمس منذ الصباح • اسمح لى أن أسألك منلاً ، ماذا كان الغرض من تغيبك ، ومتى سافرت ، وفي أية ساعة رجعت • ان جميع هذه الوقائع •••

قاطعه مشا وهو ينفحر ضاحكا :

- كان ينبغى أن تسألنى عن ذلك فسوراً • بل اننى لأعتقد أنه يعحسن أن نبدأ القصة لا من أمس بل من أمس الأول ، من صباح أمس الأول ، وستفهمون عندئذ لماذا قمت بتلك الرحلة ، وماذا كان هدفى منها ، وما هى الظروف التى أحاطت بها • فى صباح أمس الأول ، أيها السادة ، ذهبت الى التاجر سامسونوف على نبة أن اقترض منه ثلاثة آلاف روبل لقاء ضمانات موثوقة تماما • ذلك اننى احتجت الى هذا المبلغ احتياجا مستعجلا على حين فجأة ، احتياجا مستعجلا جدا أيها السادة • • •

قاطعه وكيل النيابة بسأله بأدب:

ــ اسمح لى أن أسألك لماذا احتجت فجأة الى المال ، ولأى غسرض وجب علمك أن يكون ممك ثلاثة آلاف حتماً ؟

ــ ما فائدة هذه التفاصيل كلها أبها السادة ؟ لمـــاذا ومتى وكيف وأين ٠٠٠ ما فائدة هذا كله فى الواقع ؟ لأن أحتـــاج الى ثلاثة آلاف روبل أو الى أى مبلغ آخر ٠٠٠ لن نفرغ من الأمر أبدآ اذا نحن تهنا في هذه التفاصيل الدقيقة! لسوف نحتاج عندئذ الى ثلاثة مجلدات على الأقل ، عدا المقدمة! • • • •

كان ميتيا يتكلم بلهجة خالية من الكلفة رغم التململ ، لهجة انسان يريد أن يذكر الحقيقة كاملة وتحركه أطيب النوايا ، واستأنف كلامه فجأة يقول :

_ لا تؤاخذونى أيها السادة على هذه الخشونة • نقوا أننى أشعر نحوكم بكل الاحترام الواجب لكم على مواننى مدرك موقفى تمام الادراك • وهأنذا أكرر ما سبق ان قلته : لا تغلنوا كذلك أننى ثمل • فقد صحوت من سكرى كل الصحو • ولكن حتى لو كنت ثملاً ، فان ذلك لن يغير من الأمر شيئاً ، ولن يكون له أى تأثير فيما سأوضحه لكم • أنا واحد من أولئك الذين يصدق فيهم قول الشاعر :

انا ان صحوت رایتنی غبیا فاذا سکرت غدوت عبقریا :

هأ هأ هأ ! ولكننى ألاحفل أيها السادة أنه لا يليق بى الآن أن أن أنكت ، إلى أن نفرغ من ازالة هذا الالتباس على الأفل • فاسمحوا لى اذن أن أحافظ على وقارى • اننى أدرك حق الادراك التفاوت القائم بيننا الآن : فأنا على كل حال انما أقف أمامكم موقف مجرم ، فهيهات أن أكون لكم ندا • ان مهمتكم هى أن تراقبوني • ولا شك أنكم أن تلاطفوني وتلاعبوا بأيديكم شهمرى وتهنئوني على الحسادث الذي وقع لى مع جريجورى • فليس من الجائز للانسان أن يصرع الشيوخ بغير ذنب جنوه ، وأنا أعلم حق العلم أنكم ستطالبون بأن يتحكم على المستجن ستة أشهر أو قولوا سنة ، معاقبة لى على هذا الفعل الذي اجترحته ، ولكن دون سقوط مدنى • أنا لست معر ضاً للحرمان من حقوقي المدنية ، أليس

كذلك يا وكمل النبابة ؟ قلت اذن أيها السادة انني أدرك حق الادراك الفرق بين موقفي وموة كم ٠٠٠ ومع ذلك أرجوكم أن تعترفوا من جهتكم بأن الله نفسه يمكن أن تربكه أسئله من هذ النوع : كم خطوة مشست ، في أي لخظه رفعت قدمك اليسري ، في أية لحظة أنزلت فدمك اليمني ، على أى شيء سرت ؟ اذا أخذتم تلقون على مثل هذه الأسئلة ، فسأرتبك أخيراً ، وستسجلون الخطأ الذي سأقع فيه ، وسينشأ عن ذلك أن لا نصل الى شيء ﴿ وَمَا دَمَتَ قَدْ بِدَأْتُ بِبِعْضِ الكَذْبِ ﴾ فلا بأس أن أستمر في الكذب، وستغفرون لى كذبي ، لأنكم أناس مهذبون مثقفون ثقافة عالية. أحب في الختام أن أرجوكم أيها السادة أن تقلعوا عن تلك الأساليب البالية في الاستجواب ، أعنى البدء بالقاء أسئلة تافهة : كيف نهضت من نومك هذا الصباح ؟ ماذا أكلت ؟ أين بصقت ؟ ثم المبادرة ، بعد « تنويم فتلت القتبل وسلمته ماله ؟ a • هأ هأ ! ••• ذلكم هو روتبنكم ، ذلكم هو علمكم كله ، تلكم هي الحيلة الكبرى في أسلوبكم! قد تستطيعون أن تباغتوا فلاحين بمثل هذه الأنواع من المكر ، ولكن ذلك لا ينطلي عليُّ أنا! أنا نفسي خبر في هذه الشئون ، لقد عملت أنا أيضًا في هذا المجال ... هأ هأ هأ ! لا تزعلوا يا سادتي ، واغفروا لي هذه الوقاحة (كذلك صاح وهو ينظر اليهما ببراءة تبعث على الدهشة) فما دام ميتكا كارامازوف هو الذي يتكلم بهذه الطريقة ، فان التسامح والتساهل ممكن ، لأن ما لا يكن غفرانه اذا هو صدر عن رجل ذكى ، يجب أن لا يُكترث به حين يكون متكا هو الذي يقوله! هأ هأ! •••

كان نيقولا بارفينوفتش يضحك أيضا وهو يصغى الى ميتيا ، ولكنه كان يلاحظه بالحاح ، ولا يحول عنه بصره النافذ ، ويحاول أن يسمحل

كل كلمة من كلمانه بل وأيسر حسركة من حسركاته ، وحتى أخف لاختلاجات في عضلات وجهه •

قال القاضي وهو ما يزال يضمحك :

ـ يعجب أن تنصفنا هذا الانصاف على الأقل ، فنعترف بأنا لم نستعمل على هذا الأسلوب ، اننا لم نحاول أن نربكك بسؤالك كيف نهضت من ومك في الصحيباح وماذا أكلت ، وانما واجهنا الأمر الأسلس دفعة إحدة ، بسرعة لعلها كانت مفرطة أيضا .

ساننى أفهم هذا وأقدره حق فدره • وأقدر كذلك ما أظهرتموه محوى من طيبة وشهامة تدلان على سمو أخلاقكم • اننا جميعا ، نحسن لللائة صادقو النية تحركنا أنبل المسساعر • فليجر كل شيء بيننا كما بنبغي أن تجرى الأمور بين أصحاب يتق بعضهم ببعض ، وتربطهم روابط النبالة والشرف ! اسمحوا لى على كل حال أن أعدكم أصدقاء في هذه الدقيقة من حياتي ، في هذه الساعة التي يذل فيها شرفي أكبر الاذلال ! أرجو أن لا يسوءكم هذا يا سادتي !

قال نيقولا بارفينوفتش مؤيداً .:

ـ بالعكس ! لقد عبَّرت أحسن تعبير ، ووجدت أنسب الكلمات ! صاح ميتيا يقول بحماسة :

_ أما التفاصيل ، أما تلك التفاصـــيل الزخرفية الســخيفة كلها ، للندعها وشأنها ، والا لم نعلم الى أين يمكن أن ينتهى هذا كله ، أليس ذلك صنحيحا يا سادتمى ؟

قال وكيل النيابة يتخاطب ميتيا فجأة :

_ أنا مستعد كل الاستعداد لأن آخذ بنصائحك السديدة ، ولكنني

لن أستطيع مع ذلك أن أعسدل عن سؤالى • فانه لعلى جانب عظيم من خطورة الشأن فى نظرنا أن نعلم لماذا احتجت ذلك الاحتياج الشديد كله الى هذا المبلغ ، أعنى الى الثلاثة آلاف روبل •

- لماذا احتجت الى ذلك البلغ ؟ احتجت اليه لأسباب عدة ٠٠٠ الحفلاصة : لأردَّ ديناً على من المخلاصة : لأردَّ ديناً على من المخلاصة : المنابعة على المنابعة المن

۔ دینا لمن ؟

- ذلك أرفض أن أقوله لكم رفضاً قاطعاً أيها السادة! أرفض أن أقوله لكم لأننى لا أستطيع أن أقوله لكم ، لا عن خوف من أى شى، ، بل لأن الأمر فى الواقع هو من السفاسف التى لا قيمة لها البتة ، ولئن صمت عنه مع ذلك ، فلأن القضية قضية مبدأ : ان هذا السؤال يمس حياتى المخاصة ، ولن أسمح لكم بالتدخل فى حياتى المخاصة ، لا ، ، هنا لا تسامح ولا تنازل! ان ما تسألون عنه لا علاقة له بالقضية ، وكل ما يتجاوز هذه المحدود فهو من حياتى المخاصة! لقد أردت أن أرد ديناً هو دين شرف ، ولكنتى لن أذكر لكم اسم الشخص الذى كنت أريد أن أرد "له هذا الدين ،

قال وكيل النيابة :

_ اسمتح لنا بتسجيل تصريحك .

ــ سجلوا ما شئتم ! اكتبوا أننى لن أجيب عن هذا السؤال بعصال من الأحوال ! اكتبوا أن فى الاجابة عن هذا السؤال اخلالا بشرفى ! ليس الوقت هو ما يعوزكم فيما يبدو !

استأنف وكيل النيابة كلامه قائلاً بصوت أصبح قاسياً رصيناً على حين فحأة :

ـ أعتقد أن من واجبى أن أنبهك أيها السيد ، اذا كنت تجهـــل ذلك ، أن من حقك طبعا أن لا تجيب عن الأســــئلة التى تلقى عليك ، وأننا لا نملك أن تجبرك على الاجابة ذا أنت رأيت لسبب من الأسباب أن تتخفى هذه النقطة أو تلك من النقاط ، ولكن من واجبنا أيضـــا أن نلفت نظرك الى الأذى الدى يمكن أن تلحقه بنفســـك اذا أنت رفضت الادلاء بالملومات المطلوبة ،

دمدم ميتيا يقول وقد اضطرب من اللهجة الرصينة التي خاطبه بها وكمل النابة :

_ ولكننى يا سادتى لم أغضب ٠٠ أنا ٠٠ أنا ٠٠ ان سامسونوف ذاك الذي ذهبت اليه حينذاك ٠٠ يا سادتى ٠٠

بن تنقل هنا سلسلة الوفائع التي ذكرها ميتيا ، فان القاري، يعرفها، لقد أراد ميتيا أن يقدم عرضاً كاملا ومفصلاً ، وكان من جهة أخسري يستعجل انتجاز هسندا العرض ، لذلك كان يتسكلم متسرعاً ، غير أن تصريحائه كانت تستجل شيئاً بعد شيء ، فكان هذا يضطره الى التسوقف دائما من حين الى حين ، وكان هسندا التوقف يضايقه ويزعجه ، فكان يتوقف عن الكلام وهو يدمدم متململاً ، ولكن دون أن يخرج عن طيبته وبساطته ، كان يتفق له أن يصبح قائلاً في بعض الأحيان : « أيها السادة ، أو كان الله نفسه في مكاني لضاق صدره في هذه الظروف ! ، أو « لست أرى أيها السادة ما الفائدة من امتحان أعصابي على هذا النحو! ، ، ولكن دون أن يفسد من ذلك مزاجه الذي كان عندئذ منطلقاً ودوداً ، روى كيف أن سامسونوف قد خدعه قبل يومين (لقسد أخذ يدرك الآن أن سامسونوف ضلكه وغرر به) ، وذكر أنه باع سساعته بستة روبلات ليتمكن من السفر ، وتلك واقعة كان يجهلها وكيل النيابة وقاضي التحقيق، ليتمكن من السفر ، وتلك واقعة كان يجهلها وكيل النيابة وقاضي التحقيق، ليتمكن من السفر ، وتلك واقعة كان يجهلها وكيل النيابة وقاضي التحقيق،

الحاحهما على هذه النقطه أن أخرجا مشا عن طوره ، لأنهما رأيا أن من الضروري تسبحيل هده الوافعة ، دليلاً جديدًا على أنه كان عشبة وقوع الجريمة لا يكاد يملك قرشاً واحداً • ومنذ تلك اللحظة أخذ يتجهم وجه ميتيا مزيداً من التجهم نسيئًا بعد شيء • وبعد أن روى قصة ســفره سعاً الى لياجافي ، وقضائه ليلة ً في الكوخ الذي يملؤه الدخان ، وصف عودته الى المدينة ، وأخذ يصوِّر ، من ثلقاء نفسه في هذه المرة ، دون أن يُـطلب منه ذلك ، جميع تباريح غيرته على جروشنكا • فكان القاضيان زمن طويل ، مركزاً للمراقبة وراء منزل فيدور بافلوفتش في حــديقة ماريا كوندراتىفنــا ، وأنه كان يترصــــد جروشنكا من هنـــاك ، وأن سمر دياكوف كان ينقل الله أخباراً ويطلعه على ما ينجري في منزل أبيه ٠ هذه الظروف كلها قد سُنجَّلت بكثير من العناية والاهتمام • وتكلم ميتنا عن غيرته بافاضة وانفعال • فانه رغم البحرج النفسي الذي شعر به من عرض عواطفه الحميمة وتعرية نفسه تعريةً تسيء الى شرفه أمام الناس ، قد حاول أن يتغلب على هذه المقاومات وأن يذلل هذه الصعوبات حرصا منه على أن يقول الحقيقة صادقًا • غير أن النظرات القاسبة الباردة التي كان يصبها عليه قاضي التحقيق ووكبل النيابة محدِّقين اليه متفرسين فيه أثناء روايته القصة قد اضطربت منها نفسه آخر الأمر • قال في سرِّم أحاديث تافهة غثة عن النساء ، وان وكبل النبابة هذا المريض النفس ، لا يستمحقان أن يسمعا ما أفضى السهما به من اعترافات نفسي. يا للعار! ٠٠٠ ولكنه استرد عزيمته مردداً ذلك البت من الشعر الذي يقول : « قلمي اعتصم° بالصبر والاذعان » • وتابع يروى قصته مجاهداً متجلداً • فلما وصل من حديثه الى الكلام على زيارته للسيدة هوخسلاكوفا انبسطت أساريره من جديد وشاع في نفسه المرح ، وأوشك أن يروى نكتة عن هذه السيدة كانت تشيع في حسالونات المدينة ، ولكنها لا تناسب الظروف كتيراً و لدلك اسبوهه القاصى عن الكلام بلطف وكياسه ، راجيا منه أن ينتقل الى وفئع أهم و وحين وحسيف انصرافه من منزل تلك السيدة واليأس الدى اجتاح نفسه في الشارع ، لم يسقط من حديثه تلك الواقعة ، وهي أنه فد حطر باله وهو فيما هو فيه من حيرة واضطراب وأنه لم يبق له الا أن يذبح أحدا ويسلبه ماله باقصى سرعه للحصول على ذلك المبلغ ، » وعندئذ طلب منه القاضيان أن يكرر أنه « قد خطر بباله أن يذبح أحداً » ، وأسرعا يسجلان ذلك و وتركهما مينيا يسجلان أقواله دون امتعاض أو احتجاج و فلما وصل من حديثه أخيرا الى اللحظة التي علم فيها فجأة أن جروشنكا قد كذبت عليه حين زعمت له أنها ستبقى عند سامسونوف الى منتصف الليل ، مع أنها في الواقع قد تركت التاجر العجوز بعد أن ود عها مينيا ببضع دقائق أمام باب منزل كوزمتش ، لم يملك أن يمنع نفسه من أن يصبح قائلا :

_ لئن لم أقتل فينيا تلك حين علمت النبأ ، فان السبب الوحيـــد يا سادتي هو أنني قد أعوزني الوقت .

سُنجِّلت هذه الأقوال كذلك بعناية واهتمام • فكان مينيا ينتظر ، عابس الوجه مكفهر الأسارير ، أن يفرغ الكاتب من كتابته ؛ وهم أن يشرح بعد ذلك كيف أسرع الى حديقة أبيه ، ولكن قاضى التحقيق قاطعه فجأة ، اذ فتح محفضة أوراقه الموضوعة على الكنبة قربه ، وأخرج منها مدق المهاون النحاسي ، وسأله :

_ مل تعرف هذه الأداة ؟

فقال ميتيا وهو يبتسم ابتسامة شاحبة :

- _ هدا ؟ آ ٠٠٠ نعم ٠٠٠ طبعا أعرفها ! أرنيها ٠٠٠ بل لا داعى لأن أراها ٠٠٠ ما فائدة ذلك ؟
 - ـ نسيت أن تتكلم عن مدق الهاون هذا .
- ـ صحیح كان ینبغی أن أذكر هذه الواقعة ، فلولا هذا المــــدق لما وقع شیء ، ولكن الأمر كان قد خرج من ذهنی •
 - ـ هلاُ ذكرت لنا الظروف التي تسلحت فيها بهذا المدق!
 - ـ بكل سرور يا سادتي •
 - وروى ميتيا كيف تناول مدق الهاون من مطبخ فينيا عرضاً
 - _ ماذا كان هدفك من أخذ هذا السلاح؟
- ـ ماذا كان هدفى ؟ لم يكن لى غرض ، وانما أخذته هكذا ٠٠٠
 - ـ ما هذا الكلام؟ أكنت تأخذه لو لم يكن لك هدف؟
- غلى ميتيا حنقاً كان يتفرس في « الفتى الغر ، مبتسما ابتسامة عدا وكر ذلك أنه كان يشعر بمزيد من الحزى والعار ، شيئاً بعد شيء ، من أنه ارتضى أن يصف « لأناس مثلهم » ، بمتل هذا الصدق كله وبمثل هذا الاندفاع العاطفي كله فوق ذلك ، مشاعر الغيرة التي كانت تعذبه
 - _ مالنا ولهذا المدق اللعين ؟
 - ــ ولكن ٠٠٠
- _ ولكن ٠٠ ولكن ٠٠ طيب ٠٠ كنت أريد أن أدافع عن نفسى من كلاب الثمارع ٠٠ في الظلام ٠٠ احتياطا للمفاجأة ٠٠
- ے هل اعتدت ، من قبل ، حین تخرج لیلا ، أن تشلح خوفا من الفلام ؟

ـ هوه! حقاً انه ليستحيل الحديث معكم أيها السادة ٠٠٠ كذلك صاح يقول ميتيا وقد بلغ أوج الغيظ والحنق ٠

ثم التفت نحو الكاتب ، فقال له بصوت فيه اهتياج غريب ، وقد احمر وجهه غضاً :

ــ اكتب ٠٠٠ اكتب حالاً « اننى أخذت المدق على نية الذهاب فورا الى أبى فيدور بافلوفتش ٠٠ لقتله ٠٠ لتحطيم جمجمته ٠٠ ،

ثم هنف يقول مخاطبا قاضى التحقيق ووكيل النيابة ، وهو يرشقهما بنظرة متحدية مستفزة :

_ أأنتم راضون الآن أيها السادة ؟ هل طبتم نفساً ؟ هل اغتبطت قلوبكم ؟

فأحابه وكيل النيابة بلهجة جافة :

ـ نرى انك قد أعطيت هــذا التصريح بسبب حنقك منا وبسبب ضيقك بهذه الأسئلة التي تظن أنها تافهة • ولكننا مضطرون الى القاء هذه الأسئلة عليك لأنها في الواقع هامة جدا •

ـ أرجوكم أيها السادة! أخذت هذا المدق ٠٠٠ طيب! ان المرا يشعر أحياناً بالحاجة الى أن يكون في يده شيء ٠٠٠ الحق انني أجهل لماذا أخذته و لقد أخذته راكضاً ، هذا كل شيء و ألا تخجلون أيها السادة ؟ دعونا من هذا ، والا فيميناً لن أحكى شيئاً بعد الآن!

قال ميتيا ذلك ووضع كوعيه على المائدة ، وجعل رأسه في يده . كان جالسباً الى جانب بالنسسة الى الرجلين ، وكان ينظر الى الحائط محاولاً أن يسيطر على غضبه .وكان يغريه فعلاً أن ينهض وأن يصرح بأنه لن بقول بعد الآن كلمة واحدة « ولو سيق الى الموت » .

فال فحأه وهو يجاهد في سبيل أن لا ينفجر :

- أتعرفون أيها السادة ؟ اننى ، وأنا أصغى اليكم ، أشعر باحساس غريب ٠٠٠ يذكرنى هذا الاحسساس بتحلم ٠٠٠ بتحلم ما ٠٠٠ يعاودنى فى كنير من الأحيان أثناء النوم ٠٠٠ أحلم أن أحداً يطاردنى فى الليل ، فى الفلام ٠٠٠ أحداً أخاف منه خوفاً رهيباً ٠٠٠ انه يبحث عنى ، وأحاول أنا أن أختبى منه ، أن أغيب عن بصره ٠٠٠ فألوذ جباناً وراء باب أو وراء خزانة ، فألطو هناك جامداً لا أتحرك ٠٠٠ والرجل الآخر يعرف أين أنا ، يعرف مخشى ، ولكنه يتظاهر بأنه يجهله ليطيل عذابى ٠٠٠ وليتمتع بهلعى زمناً أطول ٠٠٠ ذلك هو بعينه ما تفعلونه أنتم فى هذه اللحظة أيها السادة ! ذلك هو بعينه ما تفعلونه أنتم فى هذه اللحظة أيها السادة ! ذلك هو بعينه تماماً !

- ــ أتراودك اذن أحلام فيها خوف وقلق ؟
- ـ أى نعم ٠٠٠ ألا تريدون أن تسجلواهذا أيضاً ؟
- _ لا ٠٠٠ لن نستجله ولكنه اشارة هامة في الواقع الحق انك ترى أحلاماً غريبة ٠٠٠
- ے غیر أن ما أراه الآن لیس حلماً! انه واقع أیها السادة ، هو واقع الحياة الرهيب! أنا ذئب وأنتم الصيادون فهلموا وراء الذئب!
 - قاطعه قاضي التحقيق قائلًا له برقة ولطف:
 - ـ تنخطىء أن ترى الأمور هذه الرؤية لماذا هذا التشبيه ؟ فقال مشا غاضاً :
- ـ بلى أيها السادة! ان هذا التشبيه يصدق على الظرف الحاضر كل الصدق!

غير أن جوابه هذا قد خفف عنه ، فهدأ فليلاً ، وأخذت الطبية تغزوه من جديد ، فتابع كلامه قائلاً :

من حقكم أن تشكوا في مجرم أو متهم تعذبونه باستجوابكم ، ولكن حين يكون أمامكم انسان مستقيم نبيل أيها السادة ، وحين يكلمكم هذا الانسان مستسلماً لأصدق اندفاعات فلبه ، فما ينبغي لكم عندئذ أيها السادة أن تشكوا في كلامه ٠٠٠ لا يحق لكم أن لا تصدقوه ٠٠٠ لا يحق لكم ذلك حينذاك ٠٠٠

٠٠٠ عليك بالصمت قلبي*

اصبر وأذعن ، وصمتا !

ثم سألهم فجأة وقد أظلم وجهه :

ـ أأستأنف سرد قصتي ؟

فأجابه نيقولا بارفينوفتش :

ـ طبعا ا لقد هممت أن أرجوك أن تفعل •

ولحنسة واشامته



مينيا سرد قصته بصيوت كالح ، ولكنه يحاول الآن ، أكنر مما كان يحياول قبل ذلك ، أن لا ينسقط أى واقعة من الوافائع التفصيلية • روى كيف وثب فوق السور ليدخل الى حديقة أبعه ،

ووسف مشيته الصامته للاقتراب من النافذة ، وعرض عرضا دقيفا ماجرى آثناء اللحظات التي ظل فيها متربصا مرافيا وراء الشجيرات ، وصور تصويرا واضحا التي هزت نفسه حين كان يحاول قلقاً أن يعرف هل جروشنكا عند أبيه أم لا ، ولكنه استغرب أن يرى أن وكيل النيابة وقاضى التحقيق يصغيان اليه في هذه المرة وقد ظهرت في وجهيهما قسوة ، واصطنما الجد والكلفة ، أصبحا لا يسالانه عن شيء ، كان يستحيل عليه أن يدرك من تعبير وجهيهما ما كانا يفكران فيه ، قال في نفسه : « لا شك أنهما غاضبان مستاءان ؛ فليكن ما يكون ! ه محتى اذا وصل من حديثه الى « الاشارة » التي قرر أن يستعملها حتى يظن أبوه أن جروشنكا وصلت فيفتح النافذة ، لا حلط أن قاضى يظن أبوه أن جروشنكا وصلت فيفتح النافذة ، لا حلط أن قاضى خطورته ولا يفهمان ما هي تلك « الاشارة » التي يتحدث عنها ، فاستغرب متنا ذلك أشد الاستغراب ، فلما وصل أخيرا الى اللحظة التي رأى فيها

أباه يميل من على النافدة ، فشعر بتأجيج كرهه له وأخرج مدق الهاون من جيبه ، توفف ميتيا عن الكلام كأنه تعمد ذلك ، وأخسف يحدق الى المجدار ، ولكنه أحس أن الرجلين يرقبانه بانتباه شديد ، قال وكيل النيابة :

_ هيه ، أخرجت السلاح من جيبك ٠٠٠ ثم ٠٠٠ ثم ٥٠٠ ماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ بعد ذلك ؟ قتلته ٠٠٠ ضربته على صدغه وكسرت جمجمته ٠٠٠ هذا ما حدث في زعمك ، أليس كذلك ؟

هكذا صاح ميتيا وقد قدحت عيناه شراراً • لقد تأجج الغضب في الفسه من جديد ، بعنف متزايد •

قال نيقولا بارفينوفتش :

۔ ذلك في زعمنا نحن • طيب • فماذا في زعمك أنت ؟ حفض ميتيا عينيه • وخيتَم صمت طويل •

ثم استأنف ميتيا كلامه قائلاً بصوت هادى: :

_ فى زعمى أنا ، اليكم ما حدث أيها السادة • لا أدرى أبتهلت أمى الى الله فى تلك اللحفلة ، أم السكبت دموع بريئة طاهرة لابعاد الشر ، أم أسكنى من يدى ملاك لا يُرى ؟ المهم أن الشيطان قد غُلب • ابتعدت عن النافذة ، وركضت متجها نحو السور • • • ذعر أبى ، وعرفنى فجأة ، وأطلق صرخته ، وغاب عن النافذة • • • أتذكر هذا تذكراً واضحاً • اجتزت الحديقة ، وآسرعت أبلغ السور ، وفى تلك اللحظة انما ظهر جريجورى الذي أدركنى حين كنت قد جثمت على السور •

قرر ميتيا أخيراً أن يرفع عينيه نحو محدثيه • فلاح له أنهما كانا

ينظران الله بغير اكتراث • فألمت به رعدة من غضب • وقال لهما :

ـ ألاحظ يا سادتي أنكم تسخرون مني !

فسأله نيقولا بارفينوفتش :

ـ ما سب خطور هذه الفكرة بالك؟

سانكم لا تصدّ قون كلمة واحدة مما أقول ، أنا أدرك هذا ، أوه ! فهمت : لقد وصلت الى عقدة القضية ، العجوز يرقد الآن جنة هامدة معطم الجمجمة ، وأنا ، بعد أن وصفت لكم وصفا فاجعا كيف أردت أن أفتله ، وكيف أخرجت مدق الهاون من جيبى لهذا الغرض ، أصرّ حلكم فجأة بأننى لم أزد على أن ابتعدت عن النافذة ! ٠٠٠ هذه قصسيدة حقا ، أليس كذلك ؟ كان ينبغى أن يقال هذا الكلام كله شعراً "! كيف يمكن أن ينصد تق رجل مشلى ؟ آه ٠٠٠ ألا أنكم لتمسرفون كيف تسخرون وتضحكون دون أن يظهر عليكم ذلك ،

قال ميتيا هذا الكلام ، واستدار ثقيلا على كرسيه فقرقع الكرسى •

فال وكيل النيابة عند أن يبدو عليه الاكتراث باضــطراب ميتيا :

ـ هل لاحظت أثناء ابتعادك عن النـافذة أكان البـاب المفضى الى الحديقة في الطرف الآخر من المبنى مفتوحا أم كان مغلقا ؟

_ كان مغلقا ٠

_ منلقا ؟ أأنت متأكد ؟

ـ كل التأكد • كان ذلك الباب مغلقاً • ثم انه ما كان لأحد أن يستطيع فتحه • • هذا • • هذا الباب • • لحظة ! (كذلك صاح ميتيا يقول

مرتعشاً ، كأن فكرة ً قد ومضت في ذهنه فجأة) • ألعلكم وجــدتم ذلك الباب مفتوحا ؟

ـ نعم ، كان مفتوحا .

ـ فمن عسى يفتحه ان لم تفتحوه أنتم أيها السادة .

كذلك قال مبتيا مندهشاً كل الاندهاش .

فقال وكيل النيابة بصوت رصين بطيء ، مقطعا كلماته :

_ كان الباب مفتوحا ، ومن المؤكد أن قاتل أبيك قد دخل المنزل من هناك ؟ حتى اذا أتم جريمته خرج من ذلك الباب نفسه أيضا ، تلك نقطة تعدها مفروغاً منها ، فمما لا يخالجنا فيه ريب أن القاتل قد ارتكب جريمته في الغرفة لا من خسلال النافذة ، ان هسله النتيجة يدل عليها جميع ما شاهدناه ، يدل عليها وضسع الجثة وتدل عليها مجموعة من القرائن الأخرى ، لم يبق أي شك من هذه الناحة ،

عبَّر وجه ميتها عن دهشة عميقة • وصاح يقول زائغ الوجه :

- ولكن هذا مستحيل كل الاسستحالة • أنا • • أنا لم أدخل البيت ! أو كد لكم جازماً أن الباب ظل مغلقا أثناء وجودى فى الحديقة ، وأنه كان مغلقا أيضا حين هربت • اننى لم أتحسرك من مخبئى ؛ ومن النافذة وحدها • • • اننى أتذكر جميع النافذة وحدها • • • اننى أتذكر جميع النفاصيل • وهبنى لا أتذكرها ، فاننى على يقين من أن الباب كان مغلقا ، لأن أحداً لم يكن بعرف « الاشارات » الا أنا وسمر دياكوف ، والمتوفى طبعا ؛ وبدون الاشارة المتفق عليها لا يمكن أن يفتح العجوز الباب •

ـ الاشارات؟ عن أى اشارات تتكلم؟

كذلك سأله وكيل النيابة بفضول شره محموم أفقده وضع الرصانة

والوفار في لحظه • كان في نبرة سؤاله شيء من مذلة ، شيء من ضراعة، ذلك أنه قد أحس أن هناك واقعه هامه كان ما يزال يجهلها ، وهو يخشى أن يرفض مبتيا أن يكشفها له بأكملها •

أجابه ميتيا وهو يغمز بعينه ويبتسم ابتسامة ماكرة :

ـ آ ٠٠٠ أنت لا تعلم ؟ فما رأيك اذا لم أشأ أن أقول لك شيئاً عن أمر تلك الاشارات ؟ من عسى يطلعك على ذلك فى هذه المحالة ؟ ذلك أن هذه الاشارات لا يعرفها أحد الا أنا وسمر دياكوف والمتوفى و ان أحدا لم يُطلّع على السر ، فليس يعرفه ، عدانا ، الا الله ٥٠٠ ولكن الله لن يقول لك شيئاً عن هذا الأمر ؟ وهو أمر هام الى أبعد الحدود ، لا يعرف الا الشيطان جميع النتائج التي يسمع بالوصول اليها ، هأ هأ ، نحاوفكم حمقاء ! انكم لا تعرفون الانسان الذي تخاطبونه ، ان أمامكم منهما يتلذذ بجمع القرائن التي تشهد عليه ! آ ٥٠٠ نعم يا سادتي ! ذلك أنني أنا فارس شرف ، ولكنني لن أقول مثل هذا الكلام عنكم أنتم !

بلع وكيل النيابة هذه الأفوال الجمارحة برفق ولطف ، لأنه كان يحترق رغة في معرفة الواقعة الجديدة ، تكلم ميتيا بافاضة ودقة عن كل ما ينصل بالاشارات التي تصمورها خيال فيدور بافلوفتش لاسمتعمال سمر دياكوف ، وأوضح معنى كل طربقته من تلك الطرق المختلفة في قرع النافذة ، ومثله هو نفسه بالضرب على المائدة ، فسأله نيقولا بارفينوفتش عندئذ هل قرع النافذة بالاشمارة المتفق عليها لينبىء فيدور بافلوفتش بأن « جروشنكا وصلت » ، فأجابه ميتيا بأنه قد قرع النافذة فعلا بعدد الضربات المتفق عليها لاعلان وصول السيدة الشابة ، وختم ميتيا كلامه قائلاً :

ـ فهأنتم أولاء اطلعتم على الأمر • هلموا اجمعـــوا القرائن فوق القرائن ء وتابعوا استدلالاتكم واستخرجوا نتائجكم •

ئم حول وجهه عن الرجلين باحتقار • سأله نقولا بارفنوفتش مرة أخرى :

ـ أنت تؤكد اذن أنه لم يكن أحـد غيركم ، أنت وأبوك والخـادم سمر دياكوف ، يعرف هذه الاشـــارات ، أليس كذلك ؟ ألم يطلع عليها أحد غيركم البتة ؟

ــ لم يطلع عليها أحد غيرنا ، أنا وسمر دياكوف والله • لا تنسوا أن تسجلوا أن الله كان على علم بالسر • قد يكون العون الالهى ضرورياً لكم أنتم أيضاً في هذه القضية •

أسرعوا يستجلون جميع هذه التفاصيل • ولكن بينما كان الكاتب يكتب ، قال وكيل النيابة فجأة كأن فتراضا جديدا قد ومض في ذهنه على حين بغتة :

ـ ولكن اذا كان سمردياكوف يعرف هذه الاشارات هو أيضا ، واذا كنت تنكر من جهة أخرى أن تكون أنت قاتل أبيك ، أفلا يمكن أن يكون هذا الدخادم نفسه قد قرع الاشارة المتفق عليها ، فاستدرج أباك الى فتح الباب ، ثم ٠٠٠ ارتكب الدريمة ؟

فرشقه ميتيا بنظرة فيها سخرية شديدة وكره عنيف في آن واحد؟ وظل يحدَّق اليه مدة طويلة دون أن ينطق بكلمة واحدة ، حتى أن عني وكيل النيابة أخذتا تطرفان • ثم انفجر ميتيا يسأله أخيرا:

- أتريد أن تقبض على الثعلب من جديد بهـــذا السؤال المغرى ؟ ولكن الثعلب قد هرب ٠٠ هأهأهأ ! ٠٠٠لقد أدركت لعبــك يا وكيل النبابة ! خيتًل اليك أننى سأنب على هذا « الطّنم » الذي تمده الى " ، وأننى سأنبى هذا التعليل المجميل الذي توحى به ، أليس كذلك ؟ لاشك أنك كنت تنسوقع أن أصبح مل عنجــرتى قائلا : « نعم نعم ، هو

سمر دياكوف ؟ سمر دياكوف هو القاتل ؟ » اعترف ٌ بأن هذه هي فكرتك الخفية ، اعترف بذلك ، فأتابع قصتي .

ولكن وكيل النيابة لم يعترف ، بل ظل ينتظر صامتاً • قال ميتياً :

_ خطأ ! لن أتهم سمردياكوف •

ـ لا ولا يساورك أى شك فيه ؟

ــ وأنت هل يساورك هذا الشك ؟ هل تشتبه فيه ؟

ــ لقد تصورنا هذا الاحتمال أيضا •

أطرق ميتيا الى الأرض · ثم استأنف يقول وقد أظلم وجهه على حين فجأة :

م كفى مزاحاً واليكم ما أريد أن أقسوله لكم اذا شعثم الجد لا الهزل و اننى منذ البداية ، وفى اللحظة التى أزحت فيها الستائر متقدما نحوكم ، فى تلك اللحظة تقريبا ، ومضت فى ذهنى هذه الفكرة « أيكون هو سمر دياكوف ؟ ووه ، و بم ، حين جلست أمامكم ، وبينما كنت أصبح قائلاً اننى لم أسفح دم أبى ، كنت أقدر فى قرارة نفسى أن سمر دياكوف قد يكون هو القاتل ، ولم يبارح هذا الافتراض ذهنى بعد ذلك و وفى هذه الدقيقة نفسها ، بينما كنت تلقى على هذا السؤال ، قلت لنفسى مرة أخرى : « انه سمر دياكوف ! » ، ولكننى سرعان ما انتهيت الى هذه النتيجة قائلا فى سرى : « لا و و و السر هو سمر دياكوف ! » و ليست هذه الحريمة من صنعه و التهية من صنعه و المنتوريكوف ! » و السرويكوف ! » و السرويمة من صنعه و التحريمة من صنعه و التحريم التحريمة من صنعه و التحريم التحريمة من صنعه و التحريم التح

سأل نىقولا بارفىنوفتش محاذرا:

_ هل تشتبه اذن في شخص آخر ؟

فقال مشا جازما:

ـ لا أدرى من عسى يكون القاتل ، اللهم الا أن يكون الله أو أن

يكون الشيطان هو الذي تدخل في الأمر ٠٠٠ ولكن لا يمكن أن يكون سمر دياكوف هو القاتل ٠

ــ ما الذي يدفعك الى أن تؤكد جازماً هذا النجزم ، ملحاً هـــذا الالحاح ، أن القاتل ليس سمردياكوف ؟

سهو افتناع داخلی بستند الی احساسات کنیرة و اننی أعتقد أنه لیس القاتل ، لأنه انسان ذو طبیعة حقیرة جدا ، ولأنه رعدید فوق کل شیء و لیس سمر دیا کوف رجلا جبانا بل هو جمیع أنواع الحبن فی هذا العالم قد تجسدت کائنا حیا یسعی ؛ ان هذا الانسان هو الخوف نفسه متحسدا أیها السادة و لقد ولد هذا الرجل فی خم! کان ، کلما کلمته ، یر تجف خوفا من أن أقتله ، مع أننی لم أکن أرفع یدی علیه و کان برتمی علی قدمی باکیا و یقبل حذائی ضارعا الی آن لا « أخیفه ، و هل یرتمی علی قدمی باکیا و یقبل حذائی ضارعا الی آن لا « أخیفه ، و هل سمعون ؟ « أن لا أخیفه! ه ماذا تعنی هذه الکلمة ؟ و مع ذلك کنت لطیفا معه علی الدوام ، و کنت أهدی الیه الهدایا و هذا فرخ ممروض مصاب بالصرع متأخر العقل یستطیع أن یضربه طفل فی الثامنة من عمره و أهذا و بطل ؟ لا یا سادتی ، لیس لسمر دیا کوف ضلع فی هذا الأمر و ثم انه لا یحب المال ، و لقد کان یر فض المکافآت التی کنت أرید أن أهبها له و العجوز ؟ ربما کان سمر دیا کوف ابن العجوز ؟ ربما کان سمر دیا کوف ابن العجوز ، ابنه غیر الشرعی ، هل تعرفون هذا ؟

ــ نعرف هذه الشائمة • ولكنك أنت أيضا ابن فيدور بافلوفتش ، ثم لم يمنعك ذلك من أن تعلن في كل مكان أنك تنوى قتله •

وهذا حجر آخر فی حدیقتی! انه لصغار وحطة منکم أن تأخذوا علی هذا! هیئا أیها السادة ، أنا لا أخشی غمیزاتکم ولمزاتکم! ولکن ألستم ترون أیها السادة أنه لیس لائقا أن ترموا وجهی بما أسررت به الیکم أنا نفسی ؟ هیه ۰۰۰ طیب ۰۰۰ أنا لم أشأ أن أقتله فحسب ، بل

كان مى وسعى أن أفعل ، وقد اتهمت نفسى أمامكم بأننى أوشكت أن أصرعه ذات يوم • غير أنهى لم أفتله ، فان ملاكى الحارس قد حمانى من ارتكاب هذه الحريمة • • • واكنكم لا تعتقدون أن عليكم أن تقيموا وزنا لهذا الكلام • ذلك هو الشر فى موففكم ، ذلك هو فى موففكم مايستحق الاحتقار! اننى لم أقتله ، اننى لم أقتله ، لا ، لم أقتله ، هل تسمع ياوكيل النيابة • أنا لم أقتله !

ــ فما الذي قاله لكم صاحبنا ســـمردياكوف ؟ هل يجوز لى أن أسألكم عن هذا ؟

فأجابه وكمل النمابة قائلاً بلهجه قاسمة جافة :

من حقك أن تلقى علينا ما تشاء من أسئلة • اننى أسمع لجميع الأسئلة التى تتصل بالظروف المادية للقضية • أعود فأقول لك ان من واجبنا أن نطلمك على جميع النقاط التى قد تنيرها • لقد وجدنا هذا المخادم سمر دياكوف الذى سألت عنه الآن راقداً على سريره مغشياً عليه يعانى من نوبة صرع شديدة ، هى النسوبة العاشرة فيما أظنن ، لأن النوبات تتلاحق بلا انقطاع ، حتى لقد صراح الطبيب الذى رافقنا صراح ، بعد أن فحصه ، أن أغلب الظن أنه لن يعيش بعد هذه الليلة •

ـ فالشيطان هو الذي قتل أبي اذن!

بهذا هتف ميتيا ، كأنه لا يزال يتساءل حتى تلك اللحظة : « أهو سمر دياكوف أم لا ؟ ه ٠

قال نيقولا بارفينوفتش حاسماً المناقشة :

ـ سنعود الى هذه المسألة فيما بعـــد • هل يمكننى أن أرجوك أن تستأنف سرد الوقائع ؟

طلب ميتيا أن يؤذن له بأن يستريح بضع لحظات ، فوافق وكيك النيابة على ذلك بلطف وكياسة • وتابع ميتيا كلامه بعد انقطاع قصير ، ولكن كان واضحا أنه أصبح خائر القوى ، وأن الاستجواب فد أرهقه ، وأن نفسه كانت مهتزة مستاءة • ثم ان وكيل النيابة كان يبدو أنه يتعمد الآن أن يثير أعصابه بتصديعه في كل لحظة بأسئلة تتناول أمورا تافهة لا قيمة لها • من ذلك مثلا أنه ما كاد ميتيا يصف كيف جتم على السور وكيف ضرب بمدق الهاون العخادم جريجودي الذي تشبث بساقه اليسرى وكيف سارع يثب الى الحديقة بعد ذلك ويميسل على الضحية ، حتى استوقفه وكيل النيابة واجيا منه أن يوضح طريقة جلوسه على السور • فدهن ميتبا من هذا الالحاح ، وقال يجيبه :

ــ جلست ۰۰ هکذا ۰۰ راکبا ۰۰ کرکوبی علی حصان ۰۰۰ فی کل حهة ساق ۰

_ ومدق الهاون ؟

ــ مدق الهاون ؟ كنت أمسكه بندى •

ـــ لا في جيبك ؟ هل تتذكر هذا تذكراً تاما ؟ هل اندفعت اندفاعة فوية لتضربه ؟

ـ لا بد ٠٠٠ ما دمت قد ضربت ضربة قوية ٠ لماذا هذا السؤال؟

ــ هل لك أن تجلس على هذا الكرسى بالطريقة التي جلست بها على السور ، وأن تقلد الحركة التي قمت بها ، والاندفاعة التي اندفعتها بذراعك ، والحجهة التي سددت اللها الضربة ، زيادة ً في الايضاح ؟

سأل ميتيا محدِّثه وهو يرشقه بنظرة متكبرة :

ـ أتراك تسخر مني ؟

ولكن وكيل النيابة لم تطرف عينه • فاستدار ميتيا فوق كرسميه

- بحرکهٔ عصبیة ، وجلس علیه راکبا رکوبه علی حصان ، ورفع ذراعیه ، وقال :
- انظروا کیف ضربته ، انظروا کیف قتلته ! أأنتم راضون الآن ؟
 ماذا تریدون أیضا ؟
- _ شكراً هلاً شرحت لنا الآن لماذا وثبت بعد ذلك الى الحديقة ، وماذا كان هدفك من هذا ؟ ما هو الدافع الذى خضعت له حين تلبثت هذا التلث قرب ضحتك ؟
- ـ عجيب ٠٠٠ هل أعرف لماذا ؟ ملت عليه وكفى ، لست أعـرف السب الذي دفعني الى ذلك ٠
- ـ لقد قفلت َ راجعاً الى الحديقة مع انك كنت تعانى انفعالا ً شديدا وكنت تريد أن تهرب فهلا ً شرحت لنا هذا ؟
 - ـ نعم ، كنت منفعلاً وكنت أريد أن أهرب
 - فهل كان في نيتك أن تسعفه ؟
- ۔ لا ۰۰۰ علی کل حال ، لا أدرى لعلنى أشفقت عليه ، لا أتذكر الآن
 - ــ لا تتذكر ؟ أكنت قد أصبحت لا تعرف ماذا تفعل ؟
- بل كنت واعيا كل الوعى ، وانى لأتذكر أيسر التفاصيل ، دعونا من ذلك الكلام! لقد أردت أن أرى الحالة التى كان عليها ، وأن أمسح دمه بمنديلي ،
- ــ عنرنا على المنديل هل كنت تأمل انقاذ حياة الانســـان الذي صم عته ؟
- ــ لا أدرى هل كنت آمل ذلك ، لقد أردت ، بكل بساطة ، أن أعرف أهو ما يزال حياً أم لا ؟

۔ ها ؟ أردن أن تعـــرف أهو ما يزال حيّاً أم لا ؟ فماذا وجدت عندئذ ؟

ــ لم أستطع التأكد ، لأننى لست طبيبا • ثم هربت معـــتقدا أننى قتلته • وها هو ذا صحا من اغماله • • •

قال وكمل النمابة أخيرا :

ے عظیم • شکراً • ذلك بعینه ما كنت أرید أن أعرفه . هلا ً تفضلت فتابعت سرد الوقائع ؟

وا أسفاه ! لم يتخطر ببال ميتيا ـ رغم أنه يتذكر تذكراً واضحا ـ أن يذكر أنه انما وثب الى الحديقة بدافع الشفقة ، وأنه حين مال على العجوز جريجورى قد نطق بكلمات تعبّر عن الشفقة على ذلك العجوز الذى آلمه أن يراه محندلاً فى هذا المكان ، ان كل ما حفظه وكيل النيابة من أقوال ميتيا هو أنه وثب عن السور « فى لحظة كتلك اللحظة ، رغم الانطراب الشديد الذى كان يعانيه » ، دون أن يكون له من هدف الا أن يعرف هل الشاهد « الوحيد » على جريمته ما يزال حياً أم أنه مات ، وحد ّث وكيل النيابة نفسه قائلاً : « ان هذا السلوك يدل على قدر كير من هدو، الأعصاب وقوة النصميم ودقة الحساب لدى هذا الرجل » كم أضاف يقول لنفسه : « وأخرا ! لقد استطعت أن أنهك قواه بهذه السفاسف ، فاذا هو يفضح نفسه ، » .

وتابع ميتيا سرد قصته في عناء ومشقة ، ولكن نيقولا بارفينوفتش استوقفه عن الكلام من جديد • سأله :

ـ كيف ذهبت الى الخادمة فيــدوسا ماركوفنا مع أن الدم كان ما يزال يلطخ يديك وحتى وجهك ، كما ثبت ذلك فيما بعد ؟

_ لم ألاحظ عندئذ أنني كنت مضرجا بالدم •

قال وكيل النيابة وهو ينظر الى قاضي التحقيق :

- انه يقول العحقيقة الآن ، فذلك ما يحدث عامة في مــل هذه العالة .

فقال ميتيا مؤيدا كلامه بحرارة :

ـــ لم ألاحظ ذلك عندئد ، نحن الآن متفقان كل الاتفاق يا ســــيادة وكيل النيابة !

بقى عليه أن يروى كيف قرر فجأة أن « يتنجى عن الطريق » ، وأن « يخلى الدرب للحسيين السعيدين » • ولكنه أحس أنه لا يملك الآن ، كما كان يملك في بداية الاستجواب ، القدرة على أن يفتح قلبه ، وأن يتحدث عن « ملكه قلبه » حدينا طلقاً حراً • ان شعورا بالاشمئزاز أمام هذين الانسانين الفاترين اللذين يشتان عليه أعينهما ، بل يغرسانها في لحمه غرسا كحشرات تمص دمه ، أفول ان شعورا بالاشمئزاز كان يصده عن الانطلاق في الكلام • فاقتصر على بضعة أجوبة مقتضبة جافة عن أسئلة مكررة ألقت عليه حول هذه النقطة •

- نعم فررت أن أنتحر • لم يبق ثمة ما يربطنى بالحياة ويشدنى اليها ، وكان هذا العحل يفرض نفسه بنفسه • ان صديقها القديم الشرعى الذى هجرها فى الماضى قد عاد اليها بعد خمس سنين ممتلى القلب حبا ، ليتزوجها فيصلح بذلك ما أفسد من أمرها ، ويزيل عنها الأذى الذى ألحقه بها • أدركت عندئذ أن كل شى قد انتهى • • • وعدا هذا كان يلاحقنى ذلك العار ، وكان ورائى دم جريجورى هذا • • • ففيم الحياة بعد ذلك كله ؟ هكذا ذهبت الى ذلك الموظف لأسترد منه المسدسين ، وحشوت أحدهما على نية أن أطلق فى رأسى رصاصة منذ الفجر • • • وبانتظار ذلك ، قررت أن تلهو وأن تعبث وأن تقصف طوال

ـ نعم نعم ، قررت ذلك ! هلا " انتهنا من هذا أيها السادة ! لقد

عزمت عزماً أكيدا على أن أنتحر هناك ، في أقصى هذه القرية ، وكان ينبغى أن أنفذ عزمى هذا في الساعة الخامسة من الصباح ، وقد هبأت كلمة أشرح فيها السبب ، كلمة كنتم ستجدونها في جيبى ، لقد كتبتها عند برخوتين حين حشوت مسدسى ، اليكم الورقة التي كتبت عليها تلك الكلمة ، اقرأوها ان شئتم ،

وأضاف يقول فحأة ً باحتقار :

ــ ولست أروى هذا كله من أجلكم أنتم •

ثم سلَّ من جيبــه ورقة ورماها على المائدة • قرأ وكيــل النيابة وقاضى التحقيــق الورقة باستطلاع شـــديد ، وضماًها الى الملف وفقــاً للأصول •

۔ أَلَم يَخْطُر بِبَالِكَ أَن تَغْسَل يَدَيِكَ قَبِل أَن تَذَهُبِ الى السَّسِيدِ برخوتين ؟ أَلَم تَكُن تَخْشَى اذَن أَن تُوقَظ شَبِهَاتِ وَشَكُوكَا ؟

- شبهات وشكوكا ؟ ماذا يهمنى هذا ؟ كنت سأجىء الى هذا المكان لأطلق على رأسى رصاصة فى الساعة الخامسة من الصباح ولو لم تحم حولى شبهة ارتكاب جريمة • وما كان لوقتكم أن يتسع عندئذ لتدخلكم • فلولا المصبة التى سحلت بأبى ، لما عرفتم شيئاً ولما و جدتم الآن هنا • ذلك من صنع الشيطان ، هل تعلمون ؟ ان الشيطان هو الذى قتل أبى وتولى مهمة ابلاغكم بهذه السرعة ! ماذا فعلتم حتى استطعتم أن تصلوا الى هنا بعد وقوع الجريمة بزمن قصير هذا القصر ؟ ذلك أمر لا يصدًى !

ـ ذكر لنا السيد برخوتين أنك حين دخلت عليه كنت تمسك بيديك ٠٠ بيديك الداميتين ٠٠ أوراقا مالية ٠٠ مبلغا ضخما ٠٠ حزمة من الأوراق المالية من فئة المائة روبل ؟ ويظهر أن خادمه الصغير قد رأى هذه الأوراق المالية أيضا ٠

_ صحيح . فعلا . أظن أنني أتذكر هذا .

قال نيقولا بارفينوفتش بصوت رفيق جدا:

ـ هنا ينبئق سؤال صغير ، ألا تستطيع أن تقول لنا من أين جاءك هذا المال ، مع أن جميع الظروف تدل على أنك لم يتسبع وقتك حتى للمرور بمنزلك ؟

أجاب مِنتيا قائلاً بهدوء ظاهر ، ولكن مطرقاً الى الأرض:

.۔۔ لم أمر ً ببيتى فعلا ً !

فعاد نيقولا بارفينوفتش يقول برفق وجل غامز :

- فاسمح لى اذن أن أكرر سؤالى : من أين جنّت بهذا المبلغ مادام ينتج من تصريحاتك نفسها أنك فى الساعة الخامسة بعد الظهر كنت ٠٠٠ ولكن ميتيا قاطعه بعصية قائلاً :

_ فى الساعة الخامسة ؟ كنت فى حاجة ملحة الى عشرة روبلات ؟ فرهنت مسدسى عند برخوتين > ثم ذهبت الى السيدة هوخلاكوفا لأقترض منها ثلاثة آلاف روبل > فرفضت أن تقرضنى > وهلم جرا ٠٠٠ أعرف القصة (كذلك أضاف ميتيا يقول بلهجة هجومية) • كنت لا أملك قرشا واحدا > أليس كذلك أبها السادة > ثم اذا بى أملك ألوف الروبلات على حين فجأة > هه ؟ أحسب أيها السادة أنكم ترتجفون خوفا من أن أرفض أن أذكر لكم مصدر هذا المال > أليس كذلك ؟ طيب ٠٠٠ أنا أرفض عمم أرفض أن أشير لكم الى مصدر المان • لقد حزرتم • لن أتكلم > ولن تعرفوا شماً عن هذه النقطة •

كذلك حسم ميتيا الكلام بلهجة قاطعة وهيئة حازمة •

وساد صمت ٠

واستأنف نبقولا بارفينوفتش حديثه يقول بلهجة فيها رفق واذعان:

- اعلم يا سيد كارامازوف أنه لا غنى لنا عن معرفة مصدر المال • - أدرك ذلك ، ولكننى مع هذا لن أقول لكم شيئًا •

فقاطعه مسا قائلاً بفظاظة:

_ وهلم جرا أيها السادة ، وهلم جرا ! كفى ! لقــد سبق أن سمعت هذه الأقوال المعادة المكرورة ! ثم اننى أدرك أنا نفسى خطورة هذا السؤال الذى تلقونه على ، وأعلم أنه النقطة الرئيسية في القضــية ، ولكننى مع ذلك لن أتكلم .

فقال نىقولا بارفىنوفتش بلهجة عصمة :

ــ هى مصلحتك أنت لا مصلحتنا نحن على كل حال ! لك أن تفاقم حالتك ما دمت حريصا على ذلك !

رفع ميتيا عينيه ، ونظر اليهما بصلابة وثبات قائلاً :

- اسمعوا أيها السادة • سأكون صريحا • لقد أحسست منذ البداية أننا سنصطدم عند هذه النقطة • ولكن حين بدأت قصتي هذه كان هذا الحاجز ما يزال يبدو لى في مكان بعيد غائم ، كأنه غارق في الضباب ، حتى لقد بلغت من السيذاجة في تلك اللحظة انني اقترحت عليكم أن نقف دفعة واحدة على أرض الثقة المتبادلة • واني لأدرك الآن أن هذه الثقة كانت مستحيلة ، لأننا كنا سنصطدم بهيذا الجدار عاجلاً أو الجلاً • • • وها نحن أولاء نصطدم به • • • فمن المستحيل أن نستمر •

هذا كل شىء • ولست ألومكم على كل حال ، فاننى أفهم حق الفهم أنكم ليس في وسعكم أن تصدقوا ما أذكره لكم على عهد الشرف •

قال ميتيا ذلك وصمت مظلم َ الوجه •

- ألا تستطيع على الأقل ، دون أن تنزحزح عمنًا عزمت عليه من صمت حول النقطة الأساسية ، ألا تستطيع أن تذكر لنا ولو باشارة يسيرة البواعث القوية التى أمكنها أن تحملك على أن لا تجيب عن سؤالنا فى ساعة خطيرة وخطرة الى هذا الحد بالنسبة اليك ؟

ابتسم ميتيا حزينا واجما مفكرا •

- أنا خير مما تتصورون أيها السادة ، سأشرح لكم هذه البواعث، سأذكر لكم ما تطلبونه ، رغم أنكم لا تستحقون ذلك كثيرا ! اننى أرفض أن أنكلم لأننى أخشى العار ، ان الجواب على السؤال عن مصدر ذلك المبلغ من المال يشتمل بالنسبة الى على دناءة اذا قيست بها جريمة قشل أبى وسلبه المال بدت أمرا هينا يسيرا ، حتى ولو كنت أنا المجرم ، ذلكم هو سبب اضــطرارى الى الصمت ، ان الشــعور بالعار يختقنى ، ماذا تفعلون أيها السادة ؟ أنر يدون أن تسجلوا هذه الأقوال أيضا ؟

تمتم نيقولا بارفينوفتش يقول :

س نعم سنستجلها .

سما ينبغى لكم أن تسمجلوا ما قلته عن « الدناءة » • لقد فتحت لكم قلبى من قبيل المجاراة • كان بمكننى أن أمنع عنكم هذا الايضاح • لقد قدمت البكم هذا الايضاح بغير داع الى ذلك ، فهل تسارعون الى تسجيله أيضاً ؟ ليكن أيها السادة ! اكتبوا ما شئتم أن تكتبوا ، أنا لا أخشاكم ، ولن أطأطى ، رأسى أمامكم •

بهذا ختم ميتيا كلامه مشمئزاً •

دمدم نيقولا بارفينوفتش يسأله :

ـ هل تقبل أن تقول لنا ما نوع الدناءة التي تعنيها ؟

ــ انتهى ! لا تلحوا ! اننى اذ تكلمت أمامكم قد دنست نفسى بما فيه الكفاية ، فعلام أدنس نفسى مزيداً من الدنس ؟ ••• كفى أيها السادة ، لن أقول بعد هذه اللحظة كلمة واحدة •

تكلم ميتيا بلهيجة قاطعة جداً ؟ فاعتقد نيقولا بارفينوفتش أنه لا جدوى من الالحاح ، ولكنه سرعان ما أدرك من نظرة هيبوليت كيريلوفتش أن هذا لم ييأس بعد +

ــ قل لنا على الأقل مقدار المال الذى كان بيديك حين وصلت الى السيد برخوتين • كم روبلاً كان المبلغ ؟

ــ لا أستطيع أن أقول •

ــ أَلَم تتحدث الى السيد برخوتين عن اللائة آلاف روبل زعمت أنك أقترضتها من السدة هوخلاكوفا ؟

ربما ذكرت له شيئاً من هذا القبيل • كفى أيها السادة ، لن أفول بعد هذا كلمة واحدة •

ــ أوضح لنا اذن كيف جئت الى هنا ، وماذا فعلت منذ وصولك الى موكرويه !

من ستعرفون ذلك بسهولة متى سألتم الأشخاص الآخرين الموجودين هنا • على كل حال ، لا أرى بأساً في أن أروى لكم هذا •

وقص عليهم ميتيا قصية هذه الليلة التي يعرف القارى، جميع تفاصيلها + وكان يتكلم هذه المرة في جفاف ، مقتصراً على اشسارات مقتضبة ، فلم يتحدث عن الدفاعات حبه الحارة + ومع ذلك ذكر أن عزمه على الانتحار قد زال بسبب « ظروف جديدة » • ولم يتحدث عن حالاته

النفسية ، بل افتصر على الوقائع المادية وحدها • ولم يزعجه أحد بالأسئلة أثناء ذلك ، فلقد كان واضحاً في نظر وكيل النيابه وقاضي النحفيق أن الأمر الأساسي لسر هنا •

قال نبقولا بارفينوفتش ليختم الاستجواب:

- سنتحقق من صدق أقوالك ، وسما نعود اليها حين نسمع أفوال الشهود ، بحضورك طبعاً • أحب أن أرجوك الآن أن تضع على هذه المائدة جميع الأشياء التي معك ، ولا سيما الأموال ••• جميع المبالغ التي هي في حوزتك الآن •

المال أيها السادة ؟ طيب ، طيب ، • • أنا أفهم أن هذا لا بد منه ، بل اننى لأستغرب أنكم لم تظهروا هذا الفضول قبل الآن • وما كان لى أن أتهرب طبعاً ، ما دمتم ترافبوننى • اليكم المال • عدوه • خذوا • أحسب أن هذا كل شيء • • •

أفرغ ميتيا جيوبه افراغاً كاملاً ، وأخرج حتى النقود الصغيرة ، ومنها قطعتان نقديتان من فئة العشرة كوبكات ، أخرجها من جيب صديرته ، وجنمعت الأموال ، فبلغت ثمانمائة وسيتة وثلاثين روبلاً وأربعين كوبكاً ،

سأله القاضي:

_ أهذا كل شيء ؟

ے تعم 🔸

ـ لقد تفضــــلت فقلت لنا منذ قليل ، أثناء سرد الوقائع ، أن نمن ما اشتريته من متجر آل بولتنيكوف قد بلغ ثلاثمائة روبل ، فاذا أضعنا اليها العشرة روبلات التي رددتها الى برخوتين ، والعشرين روبلا التي أعطيتها الحوذي ، والمائتي روبل التي خسرتها في اللعب بالورق أثناء الليل ، ثم ٠٠٠

أجرى نيقولا بارفينوفتش الجمع تفصيلاً ، وكان ميتيا يساعده راضياً ، وو'ضعت قائمة دفيقة بجميع النفقات ، وحسب نيقولا بارفينوفنش الحاصل ، فقال :

_ فاذا حسبنا الثمانمائة روبل التي بقيت لك ، كان معنى هذا الك كنت تملك ألف وخمسمائة روبل ، ألس كذلك ؟

ے ممکن

- ـ فكيف يُنجمع الشهود اذن على أن المبلغ أكبر من ذلك
 - ــ لهم أن يقولوا ما يشاءون •
- ــ لقد أكدت أنت نفسك أنك كنت تملك أكثر من هذا .
 - _ لعلني أكدت ذلك •

م سنمتحن هذه الوقائع على ضوء شهادات الشهود الآخرين و أما المال فلا تخش عليه و سنحتفظ به في مكان مأمون ، وسيرد اليك في نهاية ٥٠٠ هذا التحقيق ٥٠٠ اذا ظهر عندئذ أو قل اذا ثبت عندئذ ثبوتاً قاطعاً أنه لك أنت بغير شك ٠٠٠

قال نیقولا بارفینوفتش هذا ، ونهض فجأة ، وأعلن لیتیا بصــوت قاطع أنه بری نفسه « مضطراً » الی أن « یفتش ملابسه و کل ما معه نفتیشاً دقیقاً » •

- ـ افعلوا أيها السادة سأقلب جيوبي إن ششم وأخذ بقلب جبوبه
 - _ لا هكذا لا بد من أن تخلع ملابسك •
- ــ ماذا ؟ أخلع ثيابي ؟ عجيب ٠٠٠ ألا يكون نبش جبوبي أسهل من ذلك ؟

ــ بل لا بد من خلع نیابك یا دمتری فیدوروفتش • یجب أن تخلع ثیابك •

قال ميتيا عابساً مذعناً:

ے کما تشاءون • ولکن لا هنا ، بل وراء الستائر ••• أرجوكم ••• من يتولى التفتيش ؟

قال قاضي التحقيق وهو يحنى رأسه موافقاً :

_ طبعاً وراء الستائر •

وطاف بقسمات وجهه الدقيقة عندئذ تعبير عن وقار خاص ٠

وكتيب ليالك بابت يستوش ميس تيا

ما حدث عند لذ لم يكن فى حسبان ميتيا أبداً . ما كان له أن يتخيل ، قبل دفيقة واحدة ، أن من الممكن أن يعاملوه هذه المعاملة ، هو ، دمترى كارامازوف! ان فى هـــذا « اذلالاً » له ،

« وازدراء متعالياً » منهم! وليتهم لم يطلبوا منه أن يخلع الا ردنجوته! لقد رجوه أن يخلع ملابسه كلها ٠٠٠ بل لم يكن هذا منهم رجاءً ، وانها كان في الواقع أمراً ، وقد فهم هو ذلك ، فخضـــع للأمر دون تذمر ، كبرياءً واشمئزازاً! وقد دخل الى ما وراء الستائر ، عدا وكيل النيابة وقاضى التحقيق ، عدد من الفلاحين أيضاً ، فقال مينيا يحدث نفسه: « لقد دخل هؤلاء للمساعدة في اجباري على خلع ملابسي ، وربما لبواعث أخرى كذلك » .

سأل ميتيا بصوت يصطنع الحزم : ــ هيه ! هل أخلع القميص أيضاً ؟

ولكن نيقولا بارفينوفتش لم ير داعياً الى الاجابة • لقد كان مشغولاً مع وكيـل النيـابة بتفتيش الردنجوت والسروال والصــديرة والفبعة • وكان يبدو على الرجلين أن هذا التفتيش يهمهما الى أقصى حد • قال ميتيا

في نفسه : « أصبحا لا يتحرجان من سيء ، ولا يراعيان أبسط قواعد الأدب واللباقة ! » وقال يسألهما :

- أسألكم مرة أخرى : أيجب أن أخلع القميص أم لا ؟

فأجابه نيقولا بارفينوفتش قائلاً بلهجة جافة آمرة (هذا احساس ميتيا على الأقل) :

_ لا تقلق ، سنقول لك ذلك في حنه ٠

كان وكيل النيابة وقاضى التحقيق يتبادلان الرأى بصوت خافت ، ان هناك بقع دم ، غير متخثرة تخثراً كاملاً ، تظهر على الردنجوت ، ولا سيما فى الظهر وفى الحافة اليسرى ، وان هناك بقع دم أخرى تنوى فى السروال أيضاً ، وعدا ذلك أخذ نيقولا بارفينوفتش ، بحضور الفلاحين المكلفين ، يجس الياقة وطيات الأكمام ، ويجس كذلك مختلف خياطات الثياب ، كأنه يقدر أن يكتشف فيها شيئاً ، ، ، هو المال طبعاً ، ، وأخطر ما فى الأمر أن الرجلين كانا يدلان بذلك ، بحضور ميتيا ، على انهما يريان أن من الجائز جداً أن يكون قد أخفى المال المسروق فى بطانات الثياب ، فجمحم ميتيا يقول :

ـ انني أعامل الآن معاملة لص ، لا معاملة ضابط .

لقد كانا يتبادلان الآراء بصــوت عال وصراحة تامة دون اكتراث بوجوده • من ذلك متلاً أن الكاتب ، الذي كان كثير الحركة هو أيضاً ، قد لفت انتباه نيقولا بارفينوفتش الى القبعة التي أخذ يجسها أيضــاً ، قائلا له:

ـ تذكروا المستخدم جريدتكا • لقد أوفد في هذا الصيف لقبض رواتب جميع موظفي الدائرة ، فلما عاد صرَّح بأنه فقد المال وهو في حالة سكر • فأين وجدوا المال بعد ذلك ؟ وجدوه في شريط قبعته! لقد صنع

من أوراق المائة روبل لفات صغيرة استطاع أن يدستُها تحت الشريط ، ثم خاط الشريط •

لم يكن وكيل النيابة وقاضى التحقيق قد نسيا قضيه جريدنكا ، فوضعا قبعة ميتيا فى جانب وفى نيتهما أن يفتشا ملابسه بعد ذلك بمزيد من التدقيق أيضاً

ورأى نيقولا بارفينوفتش قبضة الكم اليمنى من قميص ميتيا ملطخة بالدم ومقلوبة ، فهتف يقول فيجأة :

_ هل تسميح ؟ هذا دم أيضاً ان لم يخطى، ظنى .

فأجاب ميتيا قائلاً بصوت قاطع :

ــ تعم ۶ هو دم ۰

سدم؟ أى دم؟ ٠٠٠ ولماذا قلبت الكم؟

فذكر ميتيا أنه بعد أن تلطخ كمه أثناء اهتمامه بحريجورى ، قد شمره عند برخوتين الذي غسل يديه عنده أيضاً .

قال نيقولا بارفينوفتش:

ـ سيجب أن تنزع قميصك أيضاً ٠٠٠ هذا أمر هام جداً لاستكمال المشاهدات المادية ٠

فاحمر وجه مشا وقال غاضباً :

_ أأصبح عارياً الآن ؟

ــ اطمئن ٠٠٠ سنرتب هذا ٠ وبانتظار ذلك ، أنزع جوربيك من فضلك ٠

سأل ميتيا وقد سطع في عينيه حنق :

ــ أأنتم تمزحون ؟ أهذا ضرورى حقًا ؟

فأجابه القاضي قائلاً بلهجة قاسية :

ـ ما نيحن في موقف المزاح فنمزح!

غمهم ميتيا يقول وقد جلس على السرير وأخذ يخلع جوربيه: _ ليكن ٠٠٠ ما دام هذا ضروريًا ٠٠٠ أنا ٠٠٠

كان يشعر بحزى لا يطاق ، اذ يرى نفسه خالعاً ثيابه هكذا بين أناس يغللون مرتدين ثيابهم ، شىء غريب: انه حين خلع ثيابه شعر فجأة بأنه مجرم ، كاد يسلم هو نفسه عند ثذ بأنه أصبح دون الآخرين قيمة على حين بغتة ، وأنه أصبح من حق هؤلاء أن يحتقروه ، قال يحتّث نفسه: «حين يكون الجميع عراة فلا عار ، أما حين أكون وحدى عاريا فذلك هو العار! لكأنني في حلم! لقد سبق أن عانيت في الحلم انحطاطات من هذا النوع » ، وقد شق عليه كثيراً أن يخلع جوربيه: انهما وسخان ، كسائر ملابسه الداخلية أيضاً ، ففي وسع الجميع أن يلاحظوا هذا الآن ، كسائر ملابسه الداخلية أيضاً ، ففي وسع الجميع أن يلاحظوا هذا الآن ، ولا سيما أصابع قدمه اليمني التي كان أحد أظافرها مسطحاً تاماً فلا ينحني ولا سيما أصابع قدمه اليمني التي كان أحد أظافرها مسطحاً تاماً فلا ينحني فارت نفسه ، وأصبح فلماً عن عمد ، قال :

۔ ألا تحبون أن تلاحقوا تحرياتكم الى أبعد من هذا اذا كان الحياء لا يصدكم ؟

ــ لا ، لا داعي الى ذلك الآن •

وسأل ميتيا بلهجة حانقة :

ــ هل علي ۖ أن أنتظر عاريا ۗ ؟

ـــ لابد من ذلك • تفضل فاجلس هنا • في امكانك أن تتدثر بغطاء السرير ••• وسأحاول أن أتدبر الأمر •

أُ ظهر الفلاحون على ملابســه ليكونوا شــهوداً • حتى اذا انتهى تحرير المحضر خرج نقولا بارفينوفتش • وأ'خذت الملابس ، وانصرف

وكيل النيابة أيضاً • لبث ميتيا وحده مع الفلاحين الذين كانوا يرقبونه صامتين ولا يحو لون عنه أبصارهم • تدثر مينيا بالغطاء ، لأنه كان يحس ببرد شديد ، ولكنه لم يستطع أن يحمى قدميه العاريتين على أى نحو تلفف • وتأخر نيق ولا بارفينوفتش عن العسودة ، كأنه يريد « اطالة تعذيه » •

وجمجم ميتيا يقول وهو يكل بأسنانه :

ـ يحسبنى صـــبياً! وقد انصرف الوغد وكيل النيابة كذلك ٠٠٠ احتقاراً في أغلب الظن ٠٠٠ واشمئزازاً من رؤية رجل عار ٠

وكان ميتيا يقدر مع ذلك أنهم سيرجمون اليه ثيابه بعد تثبت جديد • فما كان أشد استياءه حين رأى نيقولا بارفينوفتش يعود اليه ووراءه فلاح يحمل ثياباً أخرى غير ثيابه •

قال له القاضي بلهجة ودود طلقة :

ـ اليك هذه التياب التي حصلنا لك عليها أخيراً •

وكان واضحاً أنه سعيد بالنتائج الني وصلت اليها مساعيه ، وتابع كلامه يقول :

ــ ان السيد كالجانوف هو الذي تفضل ، في هذا الظرف الغريب ، فقدم اليك هذا الرداء وقميصاً نظيفاً قد أتى بهما في حقيته من حسن الحظ ، أما ملابسك الداخلية وجورباك ففي امكانك أن تتحتفظ بها ، انفجر متنا فزأر يقول بصوت مهدد متوعد :

- لا أريد هذا الرداء الذي ليس لى ردوا الى مدانى
 - _ مستحيل ٠
 - ـ أريد ردائى أنا شيطان يأخذ كالجانوف وثيابه !

ولم يمكن ردنه الى الصواب الا بكير من العناء ولكنه هدأ آخر الأمر بعد أن نبرحوا له ضرورة « ضم التياب الى و ثائق الاثبات » مادامت ملطخة بالدم • وقد حرص قاضى التحقيق على أن يقول له « انه لم يكن من حقه أن يدع له ملابسه المخاصة ، فليس يدرى أحد ما هو المجرى الذى قد تجرى فيه القضية » • اقتنع مينيا أخيرا بهذه الحجيج ، وأخذ يرتدى التياب الجديدة ، مع محافظته على صمت متجهم عابس • واكتفى بأن قال وهو يلبس رداء كالجانوف ان هذا الرداء أثمن كثيراً من ردائه ، وانه يكره أن « يستفيد » منه ؟ وأضاف يقول :

ـ ثم انه ضيِّق على فهو يجعلني مضحكاً ٠ هل على أن أظهر للناس مضحكاً ٠٠٠ لتتسلوا أنتم ؟

وحاولوا أن يقنعوه من جديد بأنه يبالغ ، وبأن قامة السيد كالجانوف كقامته هو ، وان يكن السيد كالجانوف أطول منه قليلاً ، وبأن السروال وحده سيكون طويلاً عليه بعض الطول ، ولكن اتضح ان السيترة مثمدودة جداً عند الكتفين ، فجمجم ميتيا قائلاً من جديد :

ــ يستحيل عقد أزرارها • أرجوكم أن تبلغوا السيد كالجانوف أننى لست أنا الذى رغبت فى أخذ ثيابه ، وأننى أ'كرهت على ارتدائها كمهر ًج!

فدمدم قاضي التحقيق يقول:

ے ہو یفهم هذا ، و هو یأسف ۰۰۰ لا یأسف علی حرمانه من ثیابه ۰۰۰ لا ۰۰۰ بل یأسف لما وقع لك ۰

ــ لا حاجة بى الى أسفه! أين يجب أن أذهب الآن ؟ أم أنا مضطر. الى النقاء هنا ؟

_ أرجو أن تنتقل الى « الغرفة الأخرى » من جديد . دخل ميتيا الى هناك متفبض الوجه غضباً ، يحاول أن لا ينظر الى

أحد • كان يبحس وهو فى نيابه المسنعارة أنه مذل حتى فى نظر الفلاحين، وفى نظر تريفون بوريستش الذى لاح وجهه خلسة من خلال باب شقه ثم أسرع يغلقه • قال ميتيا فى نفسه : « أواد أن يتأملنى وأنا فى هذا الزى المضحك » • وجلس على الكرسى الذى كان يشغله منذ قليل • كان يبدو له أنه يعيش حلماً ثقيلاً ، أنه يعيش كابوساً ، وكان يتسامل ألم يفقد عقله ؟

التفت ميتيا نحو وكيل النيابة منقبض الفكين :

ــ هيه ، والآن ، هل تأمرون بعجلدى ؟ لم يبق لكم الا هذا !

لم يشأ أن يخاطب نيقولا بارفينوفتش ، لأنه أصبح يعده غير جدير بانتباهه بعد الآن ، وقال يحدث نفسه : ه لقد تلذذ بتأمل جوربي زمنا طويلا جدا ، حتى لقد أمر بقلبهما عامداً _ يا للشقى ! _ بغية أن ينظهر الجميع على أن ملابسي الداخلية قذرة جدا ! » .

قال تنقولا بارفينوفتش وكأنه ينجب عن سؤاله :

_ سنبدأ الآن استجواب الشهود •

فقال وكيل النيابة يؤيد كلام القاضي ساهماً :

ــ نعم نعم •

لقد كان يبدو على وكيل النيابة أنه يفكر في أمر ما • وتابع القاضي كلامه فقال :

ـ لقد بذلنا قصارانا يا دمترى فيدوروفتش لنساعدك في موقفك و ولكن بعد أن رفضت رفضا خشنا أن تلبى طلبنا فتقدم لنا بعض الايضاحات عن مصدر المبلغ الذى في حوزتك ، فاننا نرى أنفسنا ملزمين الآن بأن و و

قاطعه ميتا سائلاً:

ــ من أى نوع من أنواع الحجارة الكريمة صُنع هذا الخاتم ؟

كان مينيا يتكلم كمن هو في حلم ، مشيراً الى واحد من الخواتم الثلاثة التي تزين يد القاضي الصغيرة • فسأله القاضي في دهشة : _ خاتمي أنا ؟

ـ نعم ، هذا الحانم ٠٠٠ ذلك الذي بزين الاصبع الوسطى ٠٠٠ ما هذا الحمر الكريم ؟

كذلك قال ميتيا ملحاً بلهجة فيها غير قليل من نفاد الصبر ، كطفل عنيد ذى نزوات . فأجابه نيقولا بارفينوفتش مبتسما :

ـ هو زمرد أدكن ! هل تريد أن تراه ؟ سوف أنزعه ف ٠٠٠

فصاح میتیا یقول بعنف وقد ثاب الی رشده ، واضطرب و خجل و ثار علی نفسه :

لا نما الساده ! هل تنزعه ٥٠ ليس يعنيني هذا ١٠ آه ٥٠ قد دنستم نفسي أيها الساده ! هل تغلنون اذن أتني كان يمكن أن أكذب عليكم لو أتني فتلت أبي فعلا ، هل تغلنسون اتني كان يمكن أن أرتضي لنمسي هوان الانكار وتمنيل دور البراءة وبراعة التهرب من أسئلتكم ؟ انكم لاتعرفون دمتري فيدوروفتش ! ما كان له أن يمنل مهزلة كهذه الهزلة ! يمينا ، الوكنت مجرما لما انتظرت أن تصلوا الى موكرويه ، ولما بقيت حيا الى الفهجر كما كنن أنوى ذلك ، وانما كنت أقتل نفسي فورا ! لقمد تعلمت في هذه اللبلة الواحدة المنحوسة أكنر مما كان يمكن أن أتعلم على مدى عشرين عاما من الحاة ! أكان يمكن أن أتصرف كما تصرفت هذه اللبلة أكان يمكن أن أتصرف كما تصرفت هذه اللبلة أكان يمكن أن أخاطبكم الآن ، أكنت أجد هذه اللهجة ، أكنت أقوم بهذه الاشارات ، أكنت أستطيع أن أنظر اليكم وجها لوجه ، أنتم والعالم بأسره ، لو كنت قاتل أبي حقا ؟ على أن مجرد تصوري أنني ارتكبت جريمة قتل جريجوري عرضا قد ظل يعذبني طوال اللبل ، لا خوفا ٠٠ أبدا ٠٠٠ لا خشية من عقابكم !

ختم ميتيا كلامه المستفيض وقد بدا في وجهه أنه عازم عزما مطلقا على أن لا ينطق بعد الآن بكلمة واحدة • وكان وكيل النيابة يرقبه بانتباه، منتظرا أن ينهى كلامه ، فما ان ختم ميتيا قوله حتى قال له بهدو • بارد ، كأن الأمر أمر مشاهدة طسعة جدا •

- فى موضوع ذلك الباب بعينه ، ذلك الباب المفتوح الذى جئت على ذكره الآن ، استطيع أن نطلعك ـ وهذا هو الوقت المناسب لذلك فيما أظن ـ على واقعة من أغرب الوقائع ومن أخطـ رها شأنا كذلك ، بالنسبة اليك وبالنسـ بة الينا معا ، وهى واقعة تنتج من أقوال العجوز جريجورى فاسيليف الذى جرحته ، لقد صر على نحو واضح جازم قاطع ، أفاق من اغمائه وثاب اليه وعيه ، صرح على نحو واضح جازم قاطع ، في الاجابة على أسئلة ألقيناها عليه ، أنه حين خرج من باب مسكنه فسمع

ضجة مشبوهة ، قرر أن يدخل الحديقة مارآ ببابها الحديدي الدي لم يكن مغلقا ؛ ولكنه فبل أن يلمحك في الحديقة أثناء هروبك في الظلام مبتعدا عن النافذة التي رأيت فيها أباك كما قلت لنا منذ فليل ، قد لاحظ أيضا ، من مكان أفرب اليه كبيرا ، لاحظ أيضا ذلك الباب الذي تزعم أنه خلل مغلفا طوال مدة وجودك في الحديقة ، فرأى أنه كان مفتوحا على معسراعيه خلافا ادعواك ولا أسستطيع أن أكتمك أن فاسيليف يستنج من ذلك ويؤكد جازما أنك لا بد أن تكون قد هربت من هذا الباب ، رغم أنه لم ير هروبك بمينيه وانما لمحك حين كنت قد أصبحت من الباب على مسافه ما ، وسط الحديقة ، واكضاً نحو السور ٠٠٠

وثب ميتيا عن كرسيه دون أن يدع لوكيل النيابة أن يتم كلامه ، وأعول يقول خارجا عن طوره :

ــ هذا كذب • هذا كذب دنيء ! لا يمكن أن يكون قد رأى الباب مفتوحا ، لأن الباب كان مغلقا في تلك اللجظة ••• انه يكذب !

من واجبى أن ألفت انتباهك الى أن أقواله واضحة جدا فى هذه النقطة ، وان شهادته لم تختلف ولم تتناقض ، بل هو ظل مصرآ عليهما بالحام ، لأننا سألناه عن هذا الأمر مرارا كثيرة ٠

قال نيقولا بارفينوفتش مؤكدا كلام زميله بشيء من الحماسة :

ـ أنا نفسي استجوبته ٠

فاستأنف مشا كلامه صارخا:

مدا كذب! هذا كذب! لا يمكن أن يكون هـــذا الا وشاية تستهدف الايقاع بيء أو أن يكون أوهام رجل يهذى و لا بد أن العجوز قد رأى حلما أثناء هذيانه بسبب جرحه وانسكاب دمه ٥٠٠ فقص عليكم ما رآه في الحلم حين صحا من اغمــائه ٥٠٠ وأغلب الظن أنه ما يزال بهذى ٥

ـ أتمنى لو أصدِّق ما تقول ، ولكن العجوز لم ير الباب مفتوحا

_ هذا كذب ، هذا كذب ، ذلك لا يمكن أن يكون! ان الكره هو الذي يدفعه الى اتهامى ٠٠٠ لا يمكن أن يكون قد رأى ذلك الباب .٠٠ أنا لم أهرب من الباب!

هكذا صاح ميتيا مختنقا ٠

فالتفت وكيل النيابة الى نيقولا بادفينوفتش وقال له بلهجة رصينة : ــ أره الغلرف •

فاذا بالقاضى يضع على المائدة ظرفاً كبيرا من ورق قوى ، تُرى عليه ثلاثة أختام من شـــمع لم تمس ، وقد أُفرغ الظرف بنمزيقه من أحد أُطرافه ؟ قل القاضى يسأل ميتيا :

ـ هل تعرف هذا ؟

فدمدم ميتيا يقول:

ـ لا شك انه الظرف الذي كان عند أبي ٠٠٠ الظرف الذي كان يضم ثلاثة آلاف روبل ، اذا كان عليه كتـابة ٠٠٠ هل تسـمح لى بأن أرى ؟ نعم ، هذه هي الكتابة : « الى حمـامتي » ، وهنا : « ثلاثة آلاف روبل » ٠

وصاح ميتيا :

_ ثلاثة آلاف روبل ٠٠٠ أرأيتم ؟

_ طبعاً رأيناً ••• ولكننا لم نعثر على ذلك المبلغ • كان الظرف ممزقاً ملقى على الأرض قرب السرير وراء الحاجز •

لبث ميتيا بضع ثوان كالمصعوق • ثم صاح يقول بغتة " بكل ما أوثى من قوة :

ــ هو سمر دیاکوف ، أیها السادة ! انه هو الفاتل والسارق • انه الانسان الوحید الذی کان یعرف الموضع الذی خبأ فیه العجوز الظرف • انه هو ، کل شیء واضح الآن !

ــ ولكنك كنت أنت أيضا تعلم بوجود هذا الظرف ، وتعرف انه موضوع تنحت الوسادة .

ـ بل كنت أجهل ذلك كل الجهل • لم أر هذا الظرف حتى الآن ، ولم أكن أعلم بوجــوده الا من مسارات سمردياكــوف • • • كان سمر دياكوف وحده يعرف أين خبأ العجوز الظرف • • • أما أنا فكنت لا أعرف • •

كذلك فال ميتيا متقطع الأنفاس •

ــ عجيب ! لقد أكدت أنت نفسك منذ قليل أن هذا الظرف كان موجودا تحت وسادة المتوفى أبيك • لقد حدَّدت بنفسك أنه كان مخبأً تحت الوسادة • معنى هذا أنك كنت تعرف المخبأ !

وأمَّن نيقولا بارفينوفتش على كلام زميله قائلا :

ـ لقد سُعجِّلت تصريحاتك في محضر الاستجواب ٠

مسخف ۱۰۰ جنون! ۱۰۰ لم أكن أعرف أنه تحت الوسادة ۱۰۰ ولمله كان في موضع آخر ۱۰ لقد ذكرت الوسادة مصادفة ۱۰۰ ماذا فال لكم الكم سمر دياكوف الاهمل سألتموه أين كان الظرف مخبأ الافماذ قال لكم الكم هي النقطة الرئيسية! ۱۰۰ أما أنا فقد كذبت عامداً ۱۰۰ كذبت وكنت لا أعرف أن الظرف كان تحت الوسادة الوهادة وهأتتم أولاء سوف ۱۰۰ كثيراً ما يقول المراء بعض الأمور مصادفة وعرضاً ۱۰۰ يخطر بباله أن يقولها ۱۰۰ لقد كان سمردياكوف وحده عارفاً بالأمر الاولم يكن

يعرفه أحد سواه ! رفض أن يكشف لى عن المخبأ ، حتى أنا رفض أن يكشف لى عن المخبأ ، حتى أنا رفض أن يكشف لى عن المخبأ ، انه هو ، هو القاتل ! هو القاتل لا محالة ، لقد وضع الأمر الآن وضوح النهار .

كذلك صاح ميتيا مضطرباً اضطراباً ما ينفك يزداد ، وقد أصبحت عاراته مفككة عير متماسكة ولا منسجمة من فرط الانفعال •

- افهموا أخيراً واعتقلوه فوراً دون أن تضيعوا لحظة واحدة! ٠٠٠ لقد أصبح واضحاً انه قتل أبى بينما كنت أنا أهرب وكانجر يجورى راقدا في الحديقة بلا حراك • أصبح كل شيء واضحاً • • • قرع الباب بالاشارة المتفق عليها ، ففتح له أبى الباب • • • ذلك أنه الشخص الوحيد الذي كان على علم بالاشارات التي ما كان لأبي أن يفتح الباب لولا أن سمعها

استأنف وكيل النيابة كلامه قائلاً بتلك اللهجة الموزونة نفسها على شيء من التعبير عن الانتصار في نبرة صوته :

_ يظهر أنك تنسى من جديد أن الاشارات تصبح زائدة لا داعى اليها ولا ضرورة لها ما دام أن الباب كان مفتوحا من قبل ، بينما كنت أنت ما تزال في المكان ، أعنى في الحديقة •••

قال مبتيا متلعثماً:

_ الياب ١٠٠ الياب ٢٠٠

وسكت ، وحدَّق الى وكيل النيابة بنظرة متجهمة • ثم تهالك على الكرسى كالمنهار • وساد صمت • ثم هتف يقول زائغ الوجه :

_ نعم • • الباب! • • كان هذا شبحاً! الله ضدى! • • •

قال وكيل النيابة بلهجة رزينة :

ـ أرأيت ؟ فاحكم الآن بنفسك با دمترى فيدوروفتش . هناك من

جهة أولى هذه الشهادة القوية الدامغة ، في نظرك وفي نظرنا ، أعنى الشهادة بأن الباب كان مفتوحا وأنك هربت منه ، وهناك من جهة ثانية هذا الصمت الذي تلوذ به عن مصدر الله الذي أصبح في حوزتك فجأة بينما كنت قبل ذلك بنلاث ساعات ، فيما صرحت به أنت نفسك ، مضطرا الى رهن مسدسيك للحصول ولو على عشرة روبلات ، فماذا نصدق وعلى أي نبى استند ؟ هلا قلت لى ٠٠٠ فلا تأخذ علينا ، فللما وعدوانا ، أننا أناس مستهزئون باردون مستهترون عاجزون عن أن نفهم ما في نفسك من اندفاعات نبيلة ، بل ضع نفسك في مكاننا ٥٠٠ وحاول أن تفهمنا أنت أيضا ٥٠٠

كان ميتيا مضطربا • وشحب لونه • ثم هتف يقول فجأة :

ــ طیب ! سأكشف لكم عن سرى ، سأطلعكم على مصدر المال ٠٠٠ سأكشف عن عارى ، حتى لاألوم نفسى ولا ألومكم فى المستقبل ٠

قال نيقولا بارفينوفتش بفرح يوشك أن يكون فيه حنان :

ــ ثق یا دمتری فیدوروفتش أن اعترافا صادقا کاملا منك الآن قد یخفف عنك کنیرا فی المستقبل ، حتی لقد ۰۰۰

ولكن وكيل النيابة لكزه بقدمه لكزة خفيفة من تحت المائدة فصمت القاضى في الوقت المناسب • وكان ميتيا لا يصغى اليه على كل حال •

ولسروفكبيرولزي يحتفظ بهميسيا يتخسف خصب خاكية

ميتيا كلامه فقال منفعلاً أشد الانفعال : في ميتيا كلامه فقال منفعلاً أشد الانفعال : في منا السادة ٠٠٠ أريد أن أعترف بالحقيقة في كلها ٠٠٠ كان هذا المبلغ لي أنا ٠٠٠

استطال وجها وكيل النيسابة وقاضى التحقيق • لقد خاب فألهما وأخفق انتظارهما ، لأنهما كانا يتوقعان اعتراف يختلف عن هذا الاعتراف كل الاختلاف •

دمدم نيقولا بارفينوفتش يقول :

ــ كان ذلك المال لك أنت ؟ كيف هذا ؟ أنت تقول في اعترافاتك تفسها انك في الساعة الحامسة بعد الظهر ٠٠٠

ـ سحقاً للساعة الخامسة ولاعترافاتي ! ليس هذا هو الموضوع الآن ! لقد كان ذلك المال لى أنا ٠٠٠ أفصد أنني استوليت عليه ، سرفته ، نعم سرقته ، هــو مبلغ ألف وخمسمائة روبل ٠٠٠ كنت أحملها دائما معي ، معي ٠٠٠

من أين أخذتها ؟

ــ من صدری أیها السادة ، من هذا الصدر الذی ترون ٠٠٠ كنت أخبئها هنا ، معلقه بعنقی ، مخیطهٔ فی خـــرفه ٠٠٠ هكذا كنت أحمل عاری منذ زمن طویل ، منذ أكنر من شهر ٠٠٠

ـ ولكن من عند من ٥٠٠ استوليت ٥٠٠ على هذا المبلغ ؟

ــ تريدون أن تقولوا من عند من « سرقته » ، أليس كذلك ؟ سمُّوا الأشياء بأسمائها ! أنا أعتقد فعلا " أننى سرقت هذا المال ، أننى « استوليت » عليه اذا كنتم تؤثرون هذا التمبير • وأنا أرى أنه سرقة • وأمس مساء ، اكتملت السرفة •

ـــ أمس مساء ؟ ولكنك قلت انك ٠٠٠ حصلت على هذا المــــال منذ شهر ٠

- نعم ، ولكن لا من عند أبى ، لا من عنده ، اطمئنوا ! لم أسرقه من عنده ، الله الله أسرقه من عند أبى ، بل من عندها • دعونى أروى لسكم الوقائع دون أن تقاطعونى • انه لأمر قاس على نفسى أن أتكلم ، هل تفهمون ؟ منذ شهر، نعم منذ شهر استدعتنى كاترين ايفانوفنا فرخوفتزيفا ، خطيبتى السابقة • • هل تعرفونها ؟

_ كيف لا ؟

- أعلم أنكم تعرفونها • هذه انسانة ذات نفس نبيلة ، لا تضارعها في نبلها أحد • • • ولكنها كانت تكرهني منذ زمن طويل • • • طويل جدا • • • وكان من حقها أن تكرهني على كل حال • • • هناك أسباب تحملها على كرهي •

سأله القاضي مندهشا :

ـ كاترين ايفانوفنا ؟

وظهر الاستغراب على وكيل النيابة أيضاً •

قال مشا:

_ أوه ! لا تذكروا اسمها بغير داع ٍ الى ذلك ! ما كان أشقاني حين ذكرت اسمها هنا ٠٠٠ نعم ، كنت أعلم انها تكرهني ٠٠٠ منذ زمن طويل ٠٠٠ منذ النوم الأول ، في مسكنها هناك ٠٠٠ ولكن كفي ! كفير حديثًا في هذا الأمر! انكم لا تستحقون أن تعلموا هذه الأشاء، ولا داعر الى ذكر هذه الأشباء على كل حال ٠٠ يكفيكم أن تعلموا أنها استدعتني منذ نسهر وأعطتني ثلانه آلاف روبل كلفتني بأن أرسلها الى أختها والى فريبة أخرى الها بموسكو (أما كانت تستطيع أن تتولى ذلك بنفسها ؟) • • وأنا • • • كانت تلك الساعة هي بعينها الساعة الحاسمة في حياتي ، كانت تلك اللحفلة هي اللحفلة التي ٠٠ الخلاصة ٠٠ هي اللحظة التي كن قد أحست فيها امرأة أخرى منذ قليل ، هي اللحظة التي كنت فيها قد أحستها «هي» •• امرأة هذا الـوم •• تعلمون ••• تلك التي أودعت تحت ، جرونسنكا ٠٠ فجئت بها الى هنا ، الى موكرويه ، فأنفقت خلال يومين من الاحنفــان والقصف ، نصف ذلك المســلغ اللعين ، أعنى ألفاً وخمسمالة روبل ، واحتفظت بالنصف الآخر ، فهذه الألف وخمسمائة روبل الناقبة هي ما احتفظت به منذ ذلك الحين معلقا بمنقى مخبطا في كيس • وقد فتحت الكيس أمس ، فأنفقت هذا المال في القصف هنا • وان الثمانمائة روبل التي وخمعتها في مكان مأمون يا تقولا بارفينوفتش هي كل ما يقي من الألف وخمسمائة روبل التي أخــ جنها من الكس آمس •

_ اسمح لى ! هناك شىء ليس واضحا . فى المرة الماضية ، أعنى فى الشهر الماضى ، أنفقت هنا ثلاثة آلاف روبل لا ألفاً وخمسمائة . ذلك أمر بعرفه جميع الناس .

ــ من أين عرفوه ؟ من ذا الذي حسب نفقاني ؟ أنا لم أطلع على ذلك أحداً •

_ كيف ؟ لقد حكيت لكل انسان أنك أنفقت ثلاثة آلاف روبل • صحيح ، حكيت هذا ، بل لقد حكيته للمدينة كلها ، والناس يتحدثون عنه في كل مكان ، وما من أحد الا ويعتقد اعتقادا جازما بأنني أنفقت ثلاثة آلاف روبل • وأهل موكرويه مقتنعون بهذا أيضا • ولكنني، مع ذلك ، لم أنفق في الواقع الا ألفا وخمسمائة روبل ، ثم خطت باقى المبلغ في كيس • تلكم هي الحقيقة أيها السادة ، ذلكم هو مصدر المسال الكنبر الذي كان في حوزتي أمس •

دمدم نيقولا بارفينوفتس يقول:

_ يشبه هذا أن يكون من المعجزات •

وتدخل عندئذ وكيل النيابه فقال يسأل ميتيا:

- اسمح لى أن أسألك هل أفضيت بهذا السر الى أحد قبل هذا اليوم ٠٠٠ أعنى : هل يعرف أحد أنك احتفظت بمبلغ الألف وخمسمائة روبل هذا ؟

- ـ لم أفض بذلك الى أحد .
- ـ غريب ٠٠٠ لم تذكره لأحد في العالم كله ؟
- ـ في العالم كله لم أذكره لأحد البتة أؤكد لك ذلك •

- فلماذا هذا السكوت ؟ ما هي الأسباب التي دفعتك الى الاحتفاظ به سراً لا يذاع ؟ سأشرح ما أريد أن أقوله • لقد كشفت لنا أخيرا عن سراك الذي تراه « محزياً » الى هذا الحد في نظرك ، رغم أن هـــذا الفعل ليس في الواقع ـ اذا فيس بغيره طبعا ـ الا هفوة صــنيرة • ان استيلاءك على مبلغ اللائه آلاف روبل التي عهد بها اليك واؤتمنت عليها فاحتفظت بها لنفسك • • مؤقتاً • • • أنا متأكد من هذا • • • انما ينبغي أن يعد خطأ مرده الى الخفة ، ولكنه ليس فعلاً يدنس الشرف ، ولا سيما اذا نظرنا بعين الاعتبار الى طبعك

٠٠٠ فلنفرض أن هذا الفعل فعل يؤسف له ٠٠٠ وأنا أسلم بذلك ٠٠٠ ولكنه ليس دناءة أو حفارة أو حطة أو ما أشبه ذلك ٠٠٠ واعلم على كل حال أن كبيرا من الناس ، في هذه المدينة ، فد حزروا ، أثناء هذا الشه ، أنك بددت الثلاثة آلاف روبل التي ائتمنتك علمها الآنسة فرخوفتزيفا . لقد انستهوا فيك واعتقدوا أنك بددت المال ، رغم أنه لا أدلة على ذلك ، حتى لقد وصلت هذه الشائعة الى أسماعنا ، وعلم بها مشيل ماكاروفتش أيضًا ، فليس الأمر أمر سر اذن ، وانما هو كلام يقال ويردد في كل مكان ٠٠٠ ويبدو من جهة أخرى كذلك أنك اعترفت أنت نفسك ذات مرة ، أثناء حديث خاص ، اذا لم يخطىء ظنى ، بأن ذلك المبلغ مصدره الآنسة فرخوفتزيفا ٠٠٠ لذلك استغرب أشد الاستغراب حين أرى حتيم هذه الدقيقة أنك تولى هذه الألف وخمسمائة روبل ، فيما تدعى ، اهتماما خارقا وتضفى علمها خطورة عظيمة ، ولا أفهم البتة أن تجعلها سراً لاتتكلم عنه ، سراً مصحوبا بنوع من الهلع الأخلاقي ٠٠٠ ليس من المعقول أن الاعتراف به صعبا الى هـــذا البحد ٠٠٠ ألم تعلن منذ قلــل أنك تؤثر السحن على محرد الاعتراف بالحققة ٩

سكت وكيل النيابة • وكان قد تحمس أثناء الكلام ، واشتعل فيه استياء متزايد يشبه أن يكون غضبا ، وساق كلامه دون اهتمام بالخطابة ، ودون كثير من التسلسل أيضا ، وانما كان يدع لأفكاره أن تنفجر انفجاراً في جمل مقطعة •

قال ميتيا بصوت جازم :

ــ ليس العار في الاستبلاء على هذه النلاثة آلاف روبل ، بل العار في أننى ادخرت نصف هذا المبلغ ، أي ألفا وخمسمائة روبل !

فقال وكبل النيابة وهو يضحك ضحكة اغتياظ :

_ حقا ؟ هلا فلت لى آين العار فى أن تحتفظ بنصف امبلغ كنت فد استوليت عليه استيلاء غير لائق ، أو اسيلاء مخزيا ان كنت تؤثر أن تصمه بهذه الصفه ؟ ان الأمر الهام هنا هو أنك حصلت على هذا المبلغ بطريقة ليس فيها كير من الأمانة ، لا أنك تصرفت فى المال على هسذا النحو أو ذاك من الأنحاء! بالمناسبة : هل تستطيع أن تقول لى لماذا قسمت المبلغ نصفين ، وماذا كان هدفك من ادخار أحد النصفين ؟

صاح ميتيا يقول:

ـ ذلك بعينه هو الدرامه كلها! لقد قسمت هذا المبلغ عن حقارة ودناءة ، أى عن حساب ، ذلك أن الحساب هو بعينه الدناءة والحقارة في متل هذه الحاله ، • • وقد امتدت هذه الدناءة وهذه الحقارة على شهر بأسره!

_ كلام لا يُفهم!

استغرب هذا منكم و ولكننى سأشرح ما أريد قوله و ابنى أسلم بأن كلامي قد يبدو من أول وهلة أنه لا يشهم و فاصغوا الى و تابعوا ما أفول: لنفرض ابنى استوليت على ثلاثة آلاف روبل اؤتمنت عليها و فأنفقتها في القصف الى آخر كوبك منها و ان في امكاني أن أذهب الى آنستى في الغد وأن أقول لها: « كاتيا ، اغفرى لى ، لقد بددت الثلاثة آلاف روبل التى ائتمنتنى عليها » وليس هذا خيراً بطبيعة الحال ، وانما هو سوء أمانة ، وضعف خلق ؟ هو سلوك انسان لا يستطيع أن يسيطر على الدفاعاته و ولكنني في هذه الحالة لن أكون سارقاً ، لن أكون لصاً ولن أكون لصاً بلدت المال الذي اؤتمنت عليه ، ولكنني لم أسرقه و فلنفرض الآن فرضاً بددت المال الذي اؤتمنت عليه ، ولكنني لم أسرقه و فلنفرض الآن فرضاً ثانياً ، فرضا أفضل من الأول أيضا و تابعوا ما أقول ، والا فقد أرتبك من جديد و أن رأسي يدور قليلا و و و الكم الفرض الثاني : لنفرض أنني

أنهفت في القصف نصف المبلغ فقط ، أي ألفاً وخمسمائة روبل ، ولنمرض أنني ذهبت اليها في الغد حاملاً ما يقي من مان ، وفلت لها : « استردي مني المال يا كاتيا لأنني لست الا انسانا تسميا طائس العقل محموم الرأس ، استردي نصف المبلغ الذي التمنتني عليه ، والا فقد أبدده كما بددت نصفه الأول ، انني لا أريد أن أتعرض لهذه الغواية!»، فماذا أكون عندلذ؟ أكون ما نشتم ، أكون شيطانا وأكون نمقيا ، ولكنني لن أكون العما ، لن أكون فد أصبحت لصاحفيق ، لأنني لو أردت أن أسرق لما رددت الألف وحمسمائة روبل البافية ، وانما كنت أحتفظ بها لنفسي ، كانت سندرك هي عندلذ أنني ما دمت أرد اليها نصف المبلغ ، فسأرد اليها النصف التاني آخر الأمر ، في يوم من الأيام وأنني قد أظل فسأرد اليها النصف التاني آخر الأمر ، في يوم من الأيام وأنني قد أظل أعمل عند الضرورة طوال حياتي مدخراً قرشا فوق فرش لأجمع المال الذي أنفقته في العصف فأرده اليها في ذات يوم ، صحيح أنني أكون في هذه الحالة رجلا جانا ، ولكنني لا أكون لصما ؟ أكون ما شئم ، ولكنني لا أكون سارقا على الأقل ،

فال وكل النبابة بلهجة فمها سمخرية باردة :

ــ لنسلتم بأن هناك مجالاً للنمييز فعلاً • اننى أظل أستغرب أن تضفى على هذا الفرق الزهيد دلالة تبلغ هذا المبلغ من شدة الخطورة وصفة المأساة!

_ بالعكس • ليس هذا الفرق زهيداً بل هو فرق رئيسي • ان أى انسان بمكن أن يكون جانا ، ولا شك أتنا جميعا جبناء بدرجات متفاوتة • ولكن ليس كل انسان لصا • لا بد من حقارة خاصة حتى يكون المسرء الحما • أحسب أنني لا أجيد التعبير لأننى تعوزني الرهافة • • • ولكن اللص أحقر الحقراء وأدناً الأوغاد • تلكم هي قناعتي العميقة ! اصغوا الى " • لقد حملت هذا المال في عنقي مدة أربعة أسابيع ، وكنت أستطيع

فى كل لحظة أن أذهب فأرد اليها هذا المال ، فلو فعلت لمسا كنت وغداً حقيرا ، أما وأننى لم أستطع أن أتخد هسذا القرار ، فذلك هو الأمر الخطير ! كنت كل ّ يوم أفكر فأقول لنفسى : « فرر أيها الشفى ، يجب أن ترد المال » • ولكن القرار لم يجى ، وطالت القضية شهراً بأكمله • فما رأيكم ؟ ألعلكم ترون هذا جميلا ؟

أجابه وكيل النيابة بصوت مكظوم :

- أعترف بأن ذلك شر ، أنا أفهم هذا حق فهمه ، ولا يخطر ببالى أن أجحده ، ولكننى أقترح عليك مع ذلك أن تدع الكلام عن هـذه الفروق ، وأن تدع هذه الرهافة في التمييز بين الأمور ، وأن تعود الى جوهر القضية ، لآنك لم تقبل حتى الآن أن تشرح لنا ، في الاجابة عن سؤالى ، السبب الذي دفعك الى أن تقسم هذا المبلغ نصفين فتنفق النصف الأول منه في القصف و تحتفظ بالنصف الناني معك ، ماذا كان هدفك من ذلك ، وعلى أي غرض وقفت هـذه الألف وخمسمائة روبل التي احتفظت بها ؟ انني أصر على هذا السؤال يا دمترى فيدوروفتش !

ساح ميتيا وهو يلطم جينه:

ما ٠٠ ولكن ٠٠ هذا صحيح ٠٠ معذرة ١٠ اننى أعذبكم بهذه المناقشات بدلا من أن أشرح لكم جوهر الأمر ٠ لقد نسبت أن أفعل المنقول لكم الآن فسرعان ما تفهمون ٠ ذلك أن العار كله يكمن هنا ٠ اسمعوا : لقد كان العجوز ، المتوفى ، يلاحق أجــرافين ألكسندروفنا بالحاحه ولحاجته ، وكنت أشعر أنا بغيرة شديدة ٠ وكنت أتخيل فى ذلك الحين أنها مترددة بينى وبينه لا تعرف أتختارني أم تختاره ، فكنت أتساءل لل يوم : « ما عسى يحدث اذا هى حزمت أمرها فجأة وكفت أخيرا عن تعذيبى وصارحتنى قائلة : أنت الذى آحبه لا هو ، فلنسافر ٠٠٠ خذنى الى مكان بعيد ، الى أبعد مكان تسمــتطيع أن تأخذنى اليه ! » • كنت

أتساءل ما عسى يبحدت عندئذ وأنا لا أملك في جيبي الا بضعه كوبكات ! أين ننا المال الذي نسبافر به ؟ ما عسماى فاعلاً حينذاك ! كان ذلك هو الهوه ، هو اليأس ! لاحظوا أتنى لم أكن قد عرفتها حق معرفتها في ذلك الأوان • كنت أظن أنها لا تستغنى عن المال ، وأنها لن تغفر لى فقرى • ذلكم هو السبب الذي من أجله قررت ، جبانا ، أن أحتفظ بنصف التلائه آلاف روبل ، وأن أخيط المبلغ في كيس • وذلك ما فعلته ببرود ، بحساب ، من قبل أن أسكر ! وبعد ذلك ، بعد أن طويت الكيس وخطته، الما سافرت ألهو وأقصف بالألف وخمسمائة روبل الأخرى • لا • • • له فهمتم الآن ؟

انفجر وكيل النيابة وقاضى التحقيق فى ضـــحك صاخب . وقال نقولا بارفينوفتش ساخرا :

- أننى سرف ، هنا العقارة! آه ۱۰۰۰ با رب! ان عجزكم عن الفهم برو عنى! كنت أتناء حملى همذه الألف وخمسمائة روبل فى عنفى ، أردد على نفسى كل يوم وكل ساعة: « أنت لص ، أنت لص ! ه٠ وبسبب هذا المار الذى يرهةنى ، بسبب هذا الشعور بأننى سارق ، انما كنت نبرسا نلك الشراسة كلها عنيفا ذلك العنف كله خلال هذا الشهر الأخير ، ذلكم هو السبب فى أننى تشاجرت واقتتلت فى الكاباريه ، وأننى ضربت أبى ، وحتى أليونما أخى لم أجرؤ أن أعترف له بالحقيقة فى موضوع الألف وخمسمائة روبل ، فالى ذلك الحد كنت أشعر بالحقارة والدناءة! ولاحظوا أيضا الني طيلة مدة احتفاظى بالمال المودع فى الكيس سلما لا أمسه ، كنت أستطيع أن أقسول لنفسى كل يوم وكل ساعة:

« لا يا دمترى فيدوروفنش ، ربما لم تكن لصا! » • لماذا ؟ لأننى كنت استطيع في كل لحظة أن أذهب الى كاتيا فأرد اليها هذا المال • وأمس فقط ، بعد أن تركت فينيا ، وفي طريقي الى منزل برخوتين ، انما قررت أن أفض الكيس • أما فبل ذلك فلم أستطع أن أحزم أمرى • ولكننى مند نلك اللحظة قد أصبحت لصا بالنعل ، لصا لا يمكن انكار انه لص ؛ أصبحت رجلا فقد شرفه الى آخر الحياة • لأننى حين مزقت الكيس قد مرقت في الوقت نفسه أملى في أن أذهب الى كاتيا وأن أقول لها : « أنا جبان • • • هل تفهمونني الآن أيها السادة ؟

_ فلماذا اتخذت قرارك هذا أمس ؟

لانتجار ، في هذا المكان ، عند الفجر ، قلت لنفسى : «ما قيمة أن اموت شريفا أو وغداً بعد الآن ؟ » ، ولكننى أدركت أن الأمرين لا يستويان ، مستويف أيها السادة ! ان العذاب الأكبر الذى عانينه في هسله الليلة الرهيبة لم يكن شعورى بأننى قتلت الخادم العجوز ، ولا تصورى اننى سأ حكم بالسجن مع الأشغال الشاقة ، لا ، ، ، صحيح أنه أمر رهيب أن أرحل الى السعجن في اللحظة التي أخذ فيها حبى ينتصر ، في اللحظة التي انفتحت فيها سماوات السعادة أمامي ، ، ولكن ذلك لم يكن عذابي الأكبر ، ، ولا كان يساوى ، على الأفل ، عذابي من تصور أنني فتحت الى الكيس اللعين ، وأتلفت ذلك المبلغ المنحوس ، وأصبحت بهذا لصالى الأبد ! أيها السادة ، اننى وقدتهدمت الى أعمق أعماق كياني ، أعود فأنول لكم : لقد تعلمت أشياء كثيرة في هذه الليلة ، لم أنعلم فقط أنه أمر لا يطاق أن يعيش المرء جبانا ، وانما تعلمت أيضا أنه أمر مستحيل أن بموت المرء وغداً حقيراً ، ، ، لا يمكن أن يموت المرء الا وهو

يشمر انه انسان شريف! •••

كان ميتيا شاحب اللون ، مشدود العضلات ، وكان وجهه المتقبض على ألم يبدو كأنه خلا من الدم ، رغم أنه قد تحسس أثناء الكلام ، قال وكيل النابة بلهجة ملطفة فيها شيء من عطف ، قال ببطء :

_ بدأت أفهمك يا دمترى فيدوروفنش • ولكننى أعتقد أبك تبالغ قليلا ، وأن أعصابك ، أعصابك المريضة ، هي السبب الحقيقي لعذابك • هيم ٥٠٠ فملا : لماذا لم يخطر ببالك ، حتى تتخلص من الآلام النفسية التي قاسيت منها خلال شهر بأكمله ، لماذا لم يخطر ببالك أن تذهب الى تملك الانسانة التي ائتمنتك على ذلك المبلغ لترد اليها الألف وخمسمائة روبل الألا يكون أبسط من هذا كله ، بعد أن تشرح لها الخطيئة التي ارتكبتها في لحظة ضلال ، أن تعمد الى حلى يخطر على البال من تلقاء نفسه ، وكان يمكن أن يخرجك من المأزق الذي كنت فيه كما تقول ؟ فعد كان في وسعك أن تعلم اليها أن تعترف لها اعترافا مليسًا بالنبل ، كان في وسعك أن تطلب اليها أن تقرضك المبلغ الذي كنت في حاجة اليه ؟ واني لعلى يقين ، لمرفني بسمو نفسها ، أنها ما كان لها أن ترفض اقراضك ذلك المبلغ ، ولا سيما وأنت فيما أنت فيه من ضياع نفسي • • • خاصة فائك كنت تستطيع أن توقع لها سنداً أو أن تقدم اليها الضمانات التي عرضتها على التاجر سامسونوف ، وعلى السيدة هوخلاكوفا أيضا ! أظن عرضتها على التاجر سامسونوف ، وعلى السيدة هوخلاكوفا أيضا ! أظن طما أنك ما تزال تعد تلك الضمانات موثوقة تماما •

احمر وجه مينيا فجأة • ثم هتف يقول مستاء وهو يحد ق الى عينى وكيل النيابة تحديق من يشك في أن يكون وكيل النيابة قد فهم الموضوع:

ـ هل بُعقل أن تتصوروني منحطاً ،لى هذه الدرجة ؟ أنا لا أستطيع أن أسدق أنكم تتكلمون جادين !

فدهش وكيل النيابة هو أيضا ، وانبرى يقول له :

ـ أؤكد لك انني جاد كل الحد • لماذا تشك في ذلك ؟

- عجيب! لو فد فعلت ذلك لكان حطة ما بعدها حطة! هل تعلمون أيها السادة أنكم تعذبوننى تعذيبا رهيبا ؟ طيب! سأقول لكم كل شيء ، اننى أذعن لارادتكم فأقول لكم كل شيء • سأتيح لكم أن تروا العحقيفة لجهنمية ؟ فتعرفوا ، لتشعروا أنتم أنفسكم بالعار والخزى ، الى أى جبن يمكن أن ينحدر ضمير انسان • ان هذا الحمل الذي ذكرته الآن يا سيادة وكيل النيابة قد خطر ببالى • نعم يا سادتى ! لقد فكرت في هذا الحل أيضا خلال هذا الشهر المنحوس ، وكنت على وشك أن أذهب الى كاتيا من فرط حطني وصغارى ، أذهب اليها فأعترف لها بخيانتى ، ثم أطلب اليها بعد ذلك الاعتراف ، أن تقرضني مالا لأنفذ هذه الخيانة ، أطلب اليها بعد ذلك الاعتراف ، أن تقرضني مالا لأنفذ هذه الخيانة ، كاتيا ، أطلب مالا منها هي ، كاتيا ، أطلب ، أتضرع ، هل تسمعون ؟ ثم أهرب مع امرأة أخرى ، مع غريمتها ، مع امرأة تكرهها ، امرأة أساءت اليها وأهانها • ألا انك لمجنون يا سيادة وكيل النيابة !

ـ أما أن أكون مجنونا ، فقد لا أكون مجنونا ؟ ولكننى أثناء احتدام النقاش لم يتخطر ببالى عنصر الغيرة النســوية هذا اذا افترضا أن من الممكن أن يكون ثمة غيرة في هذه الحالة كما تقول ٠٠٠ والحق أن من واجب المرء أن لا يغفل عن عاطفة من هذا النوع ٠٠٠

كذلك ختم وكيل النيابة كلامه بلهجة ساخرة •

زأر ميتيا يقول وهو يضرب المائدة بقبضة يده ضربة قوية :

ـ ان عملاً كهذا العمل يكون فيه من الصغار والحطة والدناءة ، ويبلغ من شدة ما يبعنه في النفس من اشمئزاز ، أنني قد تراجعت عنـه أنا نفسي ! هل تعلمون أنه كان يمكن جـــدا أن تعطيني ذلك المال؟ أنا على يقين من أنها كانت ستعطيني ذلك المال ، بدافع الانتقام ، انتلذذ بالثأر،

لتطهر لى احتقارها ، لأنها هى أيضا نفس جهنمية عنيفة غضوب! وكنت سآخذ منها المال ، هذا أكيد ، فأظل طول حياتي ٠٠٠ أوه ٠٠٠ رباه المعذرة يا سادتي ! لئن صرخت الآن ، فلأن هـنه الفكرة الكريهة قد ساورتني ، ساورتني أسس الأول ، بينما كنت أتخبط يلا فرب لياجافي ٠٠٠ وعاودتني أمس مرة أخسرى ٠٠ نهم ١٠ انني أتذكر هسذا ٠٠ وحاصرتني طول النهار الى حين وقوع ذلك الحادث ٠

_ أي حادث ؟

كذلك تدخل يسأله نيقولا بارفينوفتش مستطلعاً ، ولكن ميتيا لم يأبه لسؤاله • وختم متيا كلامه يقول مظلم الوجه :

لله الله لقليل أن تقدروه حق قدره فحسب ، وانما ينبغي لكم أن تعترفوا بقيمته ٠٠٠ والا ٢٠٠ اذا الزلق هذا الاعتراف على صفحة نفوسكم دون أن يؤثر فيكم ، فيجب أن نسلم عندئذ بأنكم لا تضمرون لى أى احترام ، الكم تحتقرونني ؟ ولأموتن عندئذ من شعوري بالعار لأنني فتحت قلبي لأناس منلكم ، لأطلقن عندئذ رصاصة في رأسي ! ولكنني أزى أنكم لا تصدقونني ، أدى ذلك ! ماذا ؟ أتريدون أن تسمجلوا هذه الأقوال أيضاً ؟

هكذا صاح مبتيا مروَّعاً جداً • فأجاب نيقولا بارفينوفتش يفول وقد أدهشه قلق ميتيا :

_ بن نسجل الا التصريح الذي أدليت به الآن ٠٠٠ سنسجل انك كنت تنوى ، حتى الدقيقة الأخيرة ، أن تذهب الى الآنسة فرخوفتزيفا لتقترض منها هذا المبلغ ٠٠٠ تلك واقعة هامة جداً بالنسبة الينا يا دمترى فيدوروفتش ٠٠٠ صدقنى ٠٠٠ هذه التفاصيل كلها هامة ٠٠٠ ولا سيما بالنسبة اليك ، اليك أنت ٠

هنف ميتيا يقول وهو يضم يديه احداهما الى الأخرى متوسلاً:

ـ أضرع اليكم يا سادتمى ! اعدلوا عن تسجيل ما ذكرته لكم الآن ،
اعدلوا عنه من باب الحياء والخفر على الأقل ! لفد فتحت لكم نفسى ، فاذا
أنتم تسرعون فتغمسون فيها أيديكم لتنبشوا آلامى . آه . . . رباه !
قال ذلك وأخفى وجهه بيديه كمداً وكرباً وقنوطاً !

فتدخل وكيل النيابة يقول :

- اطمئن يا دمترى فيدوروفتش • ان كل ما نسبجله الآن سينقرأ عليك بعد ذلك ، وسنعد ل عندئذ الفقرات التي لا توافق عليها متقيدين بما تذكره • ولكن يجب على الآن ، مرة الثة ، أن ألقى عليك سؤالا صلغيراً : هل ينعقل فعللاً أن لا يكون أحد ، أن لا يكون أحد على الاطلاق ، قد علم بوجود ألف وخمسمائة روبل مخيطة في الكيس ؟ اعترف لك بأن هذا يهدو لى غير معقول كثيراً • • •

ـ قلت ان أحداً لم يعلم بهذا الأمر • لم أحك هذا الأمر لأحد • اذن لم تفهموا شيئًا البتة ! دعوني وشأني أخيراً •

سرطيب ولن ألح وسيكون علينا أن نوضح هذه النقطة ولكن ما يزال لدينا وقت كتير وعلى اتنى أرجوك أن تفكر فيما يلى : ان عندنا عشرات من الشهود سيشهدون جميعاً بأنك كنت تروى أنت نفسك وحتى لتكاد تصبح بذلك صياحاً من فوق سطوح المنازل ، أنك قد أنفقت في القصف في المرة الماضية مبلغ ثلاثة آلاف روبل ، لا ألف وخمسمائة وحتى في هذه المرة ، قلت لعدة أشخاص بصدد المال الذي أصبح في حوزتك فجأة ، انه يبلغ ثلاثة آلاف روبل أيضاً و٠٠٠

صاح ميتيا يقول:

ــ الشهود ؟ ستجدون من الشهود مثات لا عشرات ! سيجيء ماثنا شخص يؤكدون ذلك ، وربما جاء ألف شخص • ستحدون من الشهود ما تشاءون •

- ـ هأنت ذا ترى اذن •لقد سمعك جميع الناس تقول هذا الكلام وهم جميعاً بؤكدونه اليوم هل تفهم ماذا تعنى كلمة « جميع الناس » هذه ؟
 - ــ لا تعنى شيئًا ! أنا كذبت وكرر الناس كذبتى •••
 - ـ فلماذا «كذبت » ؟ على حد تعبيرك ٠٠٠

لا يعلم ذلك الا الشيطان! لعلني كذبت افتخاراً ٠٠٠ أو لأسياب أخرى ٠٠٠ لألمع بالكلام عن قصف بلغ ذلك المبلغ من البذخ ٠٠٠ أو لأسى ذلك المال المخيط في الكيس ٠٠٠ تعم ، ذلك هو ، ذلك هو الباعث الحقيقي الذي دفعني الى الكذب ٠٠٠ أنا أحس هذا! ٠٠٠ الى الشيطان على كل حال! انكم تعودون فتلقون على نفس الأسئلة و لقد كذبت وكفي! هذا كل شيء وهل يعلم أحد ما الذي يمكن أن يدفع الإنسان الى الكذب ، في بعض الأحيان ؟

قال وكيل النيابة بصوت رزين :

- ـ حقاً ان من الصعب ان يعرف المرء ما قد يدفع الانســــان الى الكذب و لكن قل لى : ماذا كانت ابعاد الكيس الذي كنت تحمله معلقاً برقبتك ؟ هل كان كبيراً !
 - ـ لا ، لم يكن كبيرا البتة .
 - _ ماذا كانت أبعاده تعريباً ؟
 - ـ أبعاد ورقة المائة روبل حين تطوى الورقة نصفين •
 - _ هل بقيت لك منه قطع ؟ هل تستطيع أن ترينا تلك القطع ؟
- ـ قطع الكيس ؟ أتريد أن تضحك ؟ انني لا أدرى ما الذي صارت
 - البه ٠
- ــ عجيب ! أين ومتى نزعت الكيس عن عنقك ؟ لقد صرَّحت أنت نفسك بأنك لم ترجع الى منزلك •

- نزعته أثناء الطريق بعد أن تركت فينيا لأذهب الى برخوتين •
 نزعته عن عنقى وأخرجت منه المال
 - ـ في الظلام ؟
- ــ هل كان على أن أشعل شمعة ؟ لقد توصلت اليه باللمس في مثل لمح البصر •
 - _ في الشارع ؟ بدون مقص ؟
- ـ نعم ثم ذلك في الميدان اذا لم يخطى، ظنى ما الداعى الى مقص حين يراد تمزيق خرقة عتيقة بالية ؟ لقد تمزقت من تلقاء نفسها ... ماذا فعلت بتلك الخرقة بعدئذ ؟
 - ـ رميتها
 - ــ أين ؟
- عجيب ! في الميدان ! أنتَى لى أن أتذكر المكان الذي رميت فيــه الخرقة على وجه التحديد ؟ لماذا هذه الأسئلة ؟
- ـ ذلك هام جدا يا دمترى فيدوروفتش ألا تفهم أن هذه الخرقة يمن أن يكون وثيقة اثبات لصالحك ؟ من ساعدك في خياطة الكيس على المال ، منذ شهر ؟
 - ـ لم يساعدني أحد قمت بذلك وحدى
 - ــ أأنت تعرف اذن أن تخيط ؟
- ــ لا بد أن يعرف الجندى كيف يخيط ثم ان هذا لا يحتاج الى أية براعة •
- ـ أين وجدت القماس ، أعنى تلك الخرقة التي خطتهـا على المال ؟
 - ـ أأنتم تسخرون منى ؟
- _ أبدا ثق أننـــا لا نرغب في الضـــحك أية رغبــة يا دمترى فيدوروفتش !

- _ لا أتذكر من أين أخذت تلك الخرقة لا بد أنني لمتها من مكان ما
 - _ كيف يمكن أن تنسى ذلك ؟
 - ـ أحلف لكم أنني لا أعرف لعلني قد مزقت أحد الملابس •
- _ هذا شيء هام قد نعس غدا هي منزلك على ذلك اللباس الممزق الذي انتزعت منه قطعة ، وربما كان قميصا من قمصانك ••• ما نوع نسيج تلك الحرفة ؟ أكانت من كنان أم كانت من قطن ؟
- ـ أأنا أعرف ؟ لحظة ٠٠ لا ٠٠٠ لم تكن قطعة قماش منتزعة من أحد الملابس ٠٠ كانت الخرقه من قماش خاص ٠٠ أظن أننى خطت المال في طاقية لصاحبة المنزل الذي أفيم فيه ٠
 - ـ لصاحبة المنزل الذي تقيم فيه .
 - _ نعم ، اختلست هذه الطافيه من عندها ؟
 - _ اختلستها ؟
- _ أظن أتنى أتذكر فعلا أننى فى ذات يوم أخلف طاقية من عندها كنت فى حاجة الى خرقة ، ربما لأمسيح قلمى ، فأخذت تلك المخرقة دون أن أفول لأحد ، لأنها طاقية لا قيمة لها ••• طاقية عتيقة من قماش قطنى غيسل وأعيد غسله مائة مرة ••• وظلت الطاقية ملقاة فى غرفتى مسلة ذلك الحين ••• فلمسا أردت أن أخبى علك الألف وخمسمائة روبل ، تناولت الطافية وخطتها على المال •••
 - _ هل تنذكر هذا نذكراً واضحاً ؟
- ــ في هذه الحالة ستستطيع صــاحبة المنزل أن تذكر انها افتقدت طاقية ، ألس كذلك ؟

- ــ لا • أبداً انها لم تلاحظ غياب الطاقيه نلك خرقة عتيقة غير ذات فائدة • • •
 - ـ والابرة ؟ من أين أخذت الابرة ؟ والخيط ؟
- ــ أتوقف عن الكلام أرفض الجواب عن منل هذه الأســئلة كفي !
 - كذلك حسم ميتيا المناقشة وقد نفد صبره •
- ــ انه لغريب حقاً أن تنسى في أى مكان على وجه الدقة رميت ذلك الكيس في الميدان !
- ـــ ليس عليكم الا أن تأمروا بكنس الميــــدان غداً ، فربما عترتم عليه .

بهذا أجاب ميتيا ساخراً • ثم أردف يقول بصوت متعب مكدود:

ـ هذا يكفى أيها السادة ، يكفى ويزيد • اننى لأرى رؤية واضحة أنكم لا تصدفوننى ! انكم لم تصدفوا كلمة واحدة مما كنت أقول • وذلك خطئى أنا لا خطؤكم أننم : كان على "أن أصمت بدلاً من أن أفضى بذات نفسى أمامكم في غاء وبلاهة • آه • • • لماذا ، لماذا أسففت ذلك الاسفاف فكشف اكم عن سرتى ؟ انكم لا تزيدون على أن نضحكوامن ذلك ، أنا أفرأ هذا في نظراتكم • أنت الذي دفعتنى الى الكلام يا وكيل النيابة • أنتم الآن منتصرون أيها الجلادون المناحس !

قال ميتبا ذلك ، وخفض رأسه وأخفى وجهه فى يديه ، وصمت وكيل النيابة وقاضى التحفيق ، وبعد دفيقة ، رفع ميتيا رأسه ونظر اليهما فارغ العينين ، ان فسمات وجهه تعبر فى هذه المرة عن يأس كامل لا برء منه ؛ وظل جامداً على كرسيه لا ينطق بكلمة واحدة كأنه غائب عن نفسه ، وكان لوقت أثناء ذلك ينقضى ، فلا بد من الانتهاء ، ولا يمكن تأخير سماع الشهود مزيداً من التأخير ، لقد دقت السياعة الثامنة من

الصياح ، وذابت الشموع منذ زمن طويل ، وهذا ميشيل ماكاروفتش وكالجانوف اللذان غابا عن العرفه مراراً أثناء الاستجواب ، يخرجان الآن من جديد ، وان وكيل النيابة وقاضى التحقيق ببدوان متبعين هما أيضاً الى أقصى حدود التعب ، والصباح كالمح مكمهر ، والسماء تغطيها الهيوم ، والأمطار تهطل سيولاً غزيرة ، وميتها ينظر من خلال النافذة كالآلة ،

قال ميتيا يسأل نيقولا بارفينوفتش:

ـ هل أستطيع أن ألقى نظرة من النافذة ؟

فأجابه هذا بقوله :

ــ ما شئت أن تنظر ٠٠٠

فنهض ميتيا واقترب من النافذة • المطر ينهمر على الزجاج انهماراً قوياً • وأمام المنزل يُرى طريق قذر ؛ وبعد الطريق ، في الضباب الماطر ، تُلمح الكتل السوداء البائسة ، كتل الأكواخ التي تبدو في المطر ملفعة بمزيد من الجهامة والحزن • فكر ميتيا فجأة في « فيبوس ذي الضفائر الذهبية » ، وفيما كان قد عقد عليه عزمه من انتحار عند الفجر • فقال في نفسه وهو يبسم ابتسامة مرة : « هذا صباح كان يناسب مشروعي جداً » ثم طرد هذه الرؤيا بحركة عريضة من يده ، والتفت الى جلاديه وصاح:

- أيها السادة ، أرى أننى ضعت ، ولكن ماذا عنها هى ؟ قولوا لى ، أضرع اليكم ، هل سيكون عليها أن تهلك معى ، انها لا شأن لها بالأمر؟ وفى لحظة من ضلال انما اتهمت نفسها أمس بأنها « مسئولة عن كل شىء » ، هى لم ترتكب أى خطيئة ، هى غريبة عن هذه الدرامة كل الغرابة ، لقد تألمت طوال الليل وأنا أفكر فيها بينما كنتم تستجوبوننى ، ألا تستطيعون أن تقولوا لى ما هو المعير الذى ينتظرها ؟

بادر وكيل النبابة يجيبه:

- اطمئن عنها يا دمترى فيدوروفتش • ليس هناك حتى الآن أى سبب يدعونا الى اقلاق الانسانه التى تهتم بها هذا الاهتمام كله ، وأرجو أن تضعها نهاية التحقيق فى خارج القضية نهائيا ••• وسنعمل من جهتنا كل ما فى وسعنا فى سسلها • فلا تخش علمها شيئا !

ــ شكراً باسادتى • كنت أعلم حق العـــلم فى الواقع أنكم رغم الغلروف أناس عادلون شرفاء • لقد أزحتم عن صدرى عبثاً تقيلاً ••• ماذا أنتم صانعون بى الآن ؟ اننى مستعد •

- لم يبق لنا وقت نضيعه • يجب أن نبادر الى سماع الشهود حالا، وهذا لا يكون الا بحضورك • لذلك • •

قاطع نيقولا بارفينوفتش قائلاً :

- ألا يكون من الأفضل أن نحتسى فنجانا من الشاى أولا م أحسب أننا نستحق فنحانا من الشاى !

وتقرر احتساء شيء من الشاى اذا وجد شاى ساخن تبحت (وهذا مرجع ، والا فهل كان يتغيب ميشيل ماكاروفتش الا لطلب الشاى ؟). وبعد الشاى يُستأنف الاستجواب ويتابع بلا كلال ، أما الافطار بمعنى كلمة الافطار ، أما الافطار مع « الزاكوسكى » * فيؤجل الى ما بعد ، واتضح أن هناك شاباً مهياً بالفعل تحت ، فجىء بالشاى الى الغرفة ، رفض ميتيا في أول الأمر أن يتنساول الكأس التي مدهما اليسه نيقولا بارفينوفتش بكثير من اللطف والمودة ، ولكنه عدل عن رأيه بعد لحظة فتناول الكأس واحتسى الشاى بشراهة ، كان يتدو مرهقا ارهاقا غريبا، ما كان لليلة قصف ، ولو حفلت بانفعالات عنيفة ، أن تهدم هذا التهديم ما كان لليلة قصف ، ولو حفلت بانفعالات عنيفة ، أن تهدم هذا التهديم رجلاً له مثل قوة جسمه ، ولكن ميتيا كان لا يكاد يستطيع الثبات على كرسيه ، وكانت الأشياء الموجودة في الغرفة تدور أمام عينيه في بعض كرسيه ، وكانت الأشياء الموجودة في الغرفة تدور أمام عينيه في بعض اللحظات ، قال يحدث نفسه : « لحظات ثم أهذى » ،

لُ فَوَلِال الْمُشْهِدِ و الْلِقِبِ بِي

استجواب الشهود • ولكننا لن نذكر هنا جميع تفاصيله ، كما فعلنا باستجواب ميتيا • لن نحكى اذن كيف أوضح نيقولا بارفينوفتش لكل شاهد أن من واجبه أن يقول الحقيقة كاملة ، وأنه

سيحمل فيما بعد على أن يكرر أقواله معرزة بحلف اليمين ؟ لا ولن نصف الشكليات الاجرائية، كنذبيل الشهود لمحضر استجوابهم بتوقيعهم. وحسبنا أن نشير الى أن الأسئلة التى ألقيت على مختلف الأشخاص انما دارت في الدرجة الأولى على الثلاثة آلاف روبل : لقد طلب من الشهود أن يقولوا هل أنفق دمترى فيدوروفتش ، في موكرويه ، أثناء سهرة القصف السابقة ، في الشهر الماضى ، ثلاثة آلاف روبل أم هو أنفق ألفأ وخمسمائة فحسب ، وهل كان معه في الليلة البارحة ، في أول سهرة القصف التانية هذه، هل كان معه ثلاثة آلاف أم كان معه ألف وخمسمائة. واحزناه ! لقد شهدوا جميعا عليه ولم يشهد أحد له ، حتى أن عددا منهم واحزناه ! لقد شهدوا جميعا عليه ولم يشهد أحد له ، حتى أن عددا منهم ذكروا قرائن جديدة قوية تكذب دعاواه ،

وكان تريفون بوريستش أول من سنمعت شهاداتهم • تقسدم أمام القضاة دون أن يبدو عليه أى خبجل ، فهيئته هيئة رجل مستاء أعمسق الاستياء من سلوك المتهم ، وهذا ما أضفى على تصريحاته طابعا قويا من الصدق ، وأتاح له أن يصطنع أوضاعا فيها كثير من الكرامة والمهابة والوقار ، وكان موجزاً في كلامه ، متحفظا في أقواله ، ينتظر الأسئلة بدلاً من أن يستبقها ، ولكنه أجاب عن كل ساوال بكثير من الدقة والروية والتأمل ، وقد أكد بلا تردد أن البلغ الذي أنفق في السهر الماضي لا يمكن أن يقل عن ثلاثة آلاف روبل ، وأن جميع فلاحي المنطقة قد سمعوا رقم الثلاثة آلاف ينطقه « دمتري فيدوروفتش » بلسانه نفسه، وانه يكفي أن يسألوا عن ذلك ، وختم صاحب النزل كلامه بقوله :

ــ لقد أنفق على الغنجر وحدهم ثروة طائلة ، أعطى النساء ألف روبل في أقل تقدير •

فعلق ميتيا على ذلك فائلاً وهو مظلم الوجه :

ـ لم أكد أعطيهم خمسمائة روبل • من المؤسف أننى لم أحسب، لأننى كنت ثملاً ، ولولا ذلك •••

ردً عليه تريفون بوريستش قائلاً بلهجة حازمة :

لقد كلفوك أكثر من ألف روبل يا دمترى فيدوروفتش • كنت ترمى اليهم المال بدون حساب ، وكانوا يلنقطونه من الأرض • ان هؤلاء الغجر أوغاد • • • ذلك معروف • • هم لصوص خيل • • • وقد طئردوا من المنطقة ، ولولا ذلك لكان يمكن أن يؤتى بهم ليقولوا كم سلبوك في تلك الليلة • لقد رأيت بعينى الحزمة التي كنت تمسكها بيديك • ولئن لم أعد الأوراق المالية التي كانت تضمها الحزمة ، لأنك لم تتح لى ذلك فاننى أتذكر أنها كانت تضم أكثر كثيرا من ألف وخمسمائة ووبل ، اذا

صدق النظر مع أكثر كنيرا على كل حال! أنظن أننا لم نر مبالغ ضخمة فى حياتنا معم اننا نستطيع نحن أيضا أن نقدر ما تضمه حزم الأوراق المالمة معه

أما عن المبلغ الذى جاء به ميتيا فى الليلة البارحة فقد صرح تريفون بوريستش بلهجة قاطعة لا تقبل الجـــدل بأن ميتيا ما ان نزل من عربة الترويكا حتى قال له ان معه ثلاثة آلاف روبل .

فحاول ميتيا أن يحتج قائلاً :

ــ ما هذا يا تريفون بوريستش ؟ أأنا زعمت بمثل هـــذا القطع والحزم ان معي ثلاثة آلاف روبل ؟

- أنت قلت ذلك يا دمترى فيدوروفتش! وقد قلته بحضور آندره. وهو ما يزال هنا لم ينصرف ، فاسألوه ، وبعد ذلك بقليل صحت تقول في القاعة ، وأنت تغدق على أفراد الجوقة ، انك تنفق هنا الألف السادس من الروبلات ، جاعلاً الثلاثة الآلاف الأولى في حسابك طبعا ، ولقد سمع كلامك ستيفان وسيمون ، وسمعه بطرس فومتش الذي كان الى جانبك عندنذ ، فلعله يتذكره هو أيضا ، ، ،

اهتم القضاة بهذا التصريح المتعلق بالألف السادس من الروبلات اهتماماً شديداً • ان هذه المعادلة الجديدة تنخلب عقولهم : ثلاثة آلاف في هذه المرة = ستة آلاف فعلاً •

واستجوب الفلاحان اللذان ذكرهما تريفون بوريستش ، وهمسا ستيقان وسيمون ، واستجوب الحوذى آندره ، واستجوب كذلك بطرس فومتش كالجانوف ، فأما الفلاحان والحوذى فقد أيدًا تصريحات صاحب النزل بلا تردد ، وقد سنجتًلت ، بوجه خاص ، التفاصيل التي أوردها آندره عن الحديث الذي جرى بينه وبين ميتيا أثناء الطريق حين سأله ميتيا : « هل سيذهب ، هو دمترى فيدوروفتش ، الى جهنم أم الى الجنة،

وهل سيُغفر له فى السماء أم لا » • وقد تذكر هيبوليت كيريلوفتش فى هذه المناسبة مواهبه الرفيعة فى « النفاذ السيكولوجى » ، فاستقبل ما رواه آندره بابتسامة مفهومة ، وأمر بضم هذا التصريح الى ملف القضية •

واستُدعى بعد ذلك كالجانوف ، فدخل القاعة وقد بدا في وجهه التململ والضجر والتجهم ، وأظهر أثناء الاستجواب كثيرا من النزوات وأبدى كثيرا من سرعة الغضب • تحدث مع وكيل النيابة وقاضي التحقيق حديثه مع أناس يراهم لأول مرة ، مع أنه يعرفهما منذ زمن طويل ، ومع أنهما التقى بهما مرارا في المجتمع • وقد بدأ كلامه بقوله « انه يجهل كل شيء عن هذه القضية ، ولا يحب أن يقحم نفسه فيها » • ولكنه اضطر أن يوافق على أنه سمع صيحة ميتيا في موضوع الألف السادس من الروبلات ، وأنه كان الى جانبه في تلك اللحظة . فلما سئل كم كان مع ميتيا من المال قال : « لا أعرف عن هذا شيئًا » • وأكَّد في مقابل ذلك أن الرجلين البولنديين قد غشتًا أثناء اللعب بالورق • وذكر كذلك ، بعد الحاح القضاة عليه الحاحاً متكرراً، أن ميتيا قد حظى، بعد طرد البولنديين، برضى أجرافين ألكسندروفنا ، وأن أجرافين الكسندروفنا قد أكدت أنها تحبه • وقد تكلم كالنجانوف عن أجـــرافين ألكسـندروفنا بلهنجة فيها احتشام واحترام، ولم يسمح لنفسه مرة واحدة بأن يسممها «جروشنكاء. ورغم الانزعاج الواضح الذي كان يحسه هذا الشاب من اضطراره الى الادلاء بشهادته ، فان هيبوليت كيريلوفتش ظل يستجوبه مدة طويلة ، حتى علم منه جميع التفاصيل التي تألفت منها خلال الليل « رواية ه ميتيا• وقد ترك ميتيا للشاب كالجانوف أن يتكلم دون أن يقاطعه ، وصُـرف الشاب أُخيرا ، فابتعد دون أن يخفى استناءه وامتعاضه ٠

واستجوب البولنديان أيضا • كانا قد استقرا للنوم فى الغرفة التى حُبِسا فيها ، ولكن لم يغمض لهما جفن طوال الليل ، وأسرعا يرتديان ثيابهما حين سمعا وصول القضاة ، لأنهما كان يقد ران أنهما سيستدعيان

للادلاء بشبهادتهما • تقدما نحو القضاة برصانة ووفار ، ولكن بشيء من الخوف والخشية مع ذلك • وعُـرف عندئذ أن « السيد » الصغير الذي كان يبدو أنه هو الشخصة الهامة من الشخصيتين ، موظف محال على التقاعد من الدرجة الثانية عشرة ، قد خدم في سيبريا طبيبا بيطربا • وأن اسمه موزيالوفكتش . أما « السيد » فروبلفسكي فقد صرح بأنه «طبيب أسنان حر » ، وهذا اصطلاح يعني في الروسية أنه « خالع أسنان » • منذ أن دخل البولنديان الغرفة التفتا نهجو مشيل ماكاروفتش لبجيا عن الأسئلة كان يلقيها علمهما نيقولا بارفينوفتش. كان واضحا أنهما يتصوران أن رئيس الشرطة ، المنتحى قليلاً ، هو أرفع الشخصات الموجودة في الغرفة رتبةً ، فكانا لا ينفكان يخاطبانه بقولهما : « سيادة الكولونيل » • ولم يعزما أمرهما على الاتجاه بحديثهما الى نيقولا بارفينوفتش الابعـد احتجاجات كتيرة من مشمل ماكاروفتش، مصحوبة بايضاحات وتعلمات. وقد تبيُّن أنهما يجيدان الكلام باللغة الروسية اجادة نامة ، بصرف النظر عن بعض عبوب النطق • عرض «السبد» موزيالوفكتش علاقاته الحاضرة والماضة بحروشنكا ، متكلما بلهجة مسرحة ، مظهرا كثيرا من الحرارة والكبرياء ، فكان من شأن ذلك أن أحنق مشا وأخرجه عن طوره فصاح يقول انه لا يحتمل أن يتحدث انسان «حقير» على هـذا النحو أمامه ٠ فسر عان ما ألح َّ «السيد» موزيالوفكتش على أن يُستحِّل في المحضر أن ميتيا استعمل كلمة «حقير» • فصاح ميتيا يقول :

- حقير ٠٠٠ نعم ٠٠٠ حقير ا سجلوا هذا الكلام ، وسجلوا أيضا أتنى لا أعبأ بالمحضر ، ولن يمنعنى المحضر من أن أصرخ في وجهك مرة أخرى قائلاً : أنت حقير !

أمر نيقولا بارفينوفتش بتسجيل الاهانة ، ولكنه عرف بعسد ذلك كيف يختم هذا الحادث الأليم ببراعة عظيمة وحنكة مهنية فاثقة • دعا

ميتيا الى التزام الهدوء بلهيجة فاسنة ، وعدل بعد ذلك فورا عن القاء أسئلة جديدة تتناول الجانب الروائي من القضيه • وعلى وجه الاجمال ، كان في أفوال «السيدين، البولنديين نقطة لفتت انتياه القاضيين لفتاً خاصاً ، وأثارت فيهما اهتماما شديدا ، ألا وهي محـــاولة ميتبا أن يتخلص من «السيد» موزيالوفكتش بأن يعطيـــه ثلاثة آلاف روبل ثمناً لتنازله عن جروشنكا ، منها سبعمائة روبل ينقده اياها فورا ، والباقى وهو ألفان وثلاثمائة روبل ، يدفعه له « منذ صباح الغد في المدينة » • وقد ذكر «السيد» البولنسدي أن ميتيما حلف له أنه لا يملك المبسلغ كاملا في موكرويه ، ولكنه يملكه مخبأً في المدينة • احتد ميتيا حين سمع هــذا التصريح وأنكر أن يكون قد وعده باكمال المبلغ منذ الصباح في المدينة. غير أن «السيد» فروبلفسكي أيد أقوال رفيقه - ففكَّر ميتيا قليلاً ، ثم وافق ، مقطباً ، على أن من الجائز فعلاً أن تكون الأمور قد جرت على هذا النحو الذي يذكره «السيدان» البولنديان ، وقال انه كان مهتاجا أشد الاهتياج أثناء ذلك الحديث ، فمن الممكن أن يكون قد قال ذلك الكلام. وهكذا بدا ثابتا الآن (وذلك ما لم يفتهم الاستناد اليه فيما بعد) أن تصف الثلاثة آلاف روبل التي صارت الى يدى ميتيا انما هو مخبأ في المدينة ، وربما في موكرويه نفسها • بذلك تبدد ذلك الغلرف الذي كان يعرقل الاتهام ، أعنى كون ميتيا لا يحمل الا ثمانمائة روبل ، وهذا أمر كان الى ذلك الحين هو العنصر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في دعم صدق أقواله ، وإن تكن دلالة هذا العنصر ضيعيفة . هكذا انهارت المشاهدة الوحيدة التي كان يمكن أن تدافع عن ميتيا • فلما سأل وكيل النماية متنا من أين كان يأمل أن يأخــذ ما ينقعـــه ، وهو ألفان وثلاثمائة روبل ، من أجل أن يدفع «للسيد» البولندي ، ما دام جميع ما يملكه هو ألف وخمسمائة ، وما دام قد وعد باكمال المبلغ في الغد ، أجاب ميتيا جازماً بأنه كان لا ينوى أن يعطى البولندى المبلغ مالاً سائلا ، بل تنازلاً خطياً عن حقوقه فى أراضى تشرماشنيا ، وهى الحقوق التى سبق أن أراد التنازل عنها للتاجر سامسونوف وللسيدة هوخك لاكوفا • فابتسم وكيل النبابة من دسذاجة هذا التملص » •

هل تظن جاداً أنه كان سيرضى بهذه الحقوق بديلا عن ألفين وثلاثمائة روبل عداً ونقدا ؟

أجاب ميتيا فائلا بحرارة :

ـ طبعا كان سيقبل • ذلك أنه يربح بذلك أكثر من ألفي روبل. ان في وسعه أن يقبض بهذه الطريقة أربعة آلاف روبل على الأقل ، وربما قبض ستة آلاف • كان سيسرع الى توكيل بعض المحامين ، اليهود أو المبولنديين، فيجبر العجوز على التخلى لا عن تلائة آلاف روبل بل عن قرية تشرماشنا ا

سنجتّات أقوال «السيد» موزيالوفكتش طبعا ، بجميع تفاصيلها ، ثم صُرف البولنديان ، ولم يزعجهما أحد بموضوع الغش في اللعب بالورق ، لقد كان نيقولا بارفينوفتش شاكرا لهما تصريحاتهما فلم يشأ أن يصدّعهما بسفاسف وترهات ، لا سيما وأن الأمر لا يعدو أن يكون بعد كل شيء خلافا في اللعب بين قاصفين سكارى ، ألم تكن الليسلة كلها حافلة بفضائح وحوادث شتى ؟ هكذا بقيت الماثنا روبل ملكا حلالا «للسيدين» البولنديين ،

وجاء بعد ذلك دور العجوز ماكسيموف • بدا عند وصوله وجلاً كل الوجل ، واقترب من القضاة بخطى صغيرة ، حزين الوجه شديد الارتباك • كان قد ظل طول الوقت في صحبة جروشنكا ، لاطياً بها كأنما لتحميه • وكان في كل لحظة ينفجر باكيا ، ويمسح عينيه بمنديل أزرق ذي مربعات ، كما روى ذلك ميشيل ماكاروفتش فيما بعد • وقد بلغ من فرط الكرب واليأس أن المرأة الشابة اضطرت أن تهدئه وأن تواسيه

مرارا • اعترف العجوز دفعة واحدة ، والدموع في صوته ، أنه يعد نفسه مذنبا لأنه افترض من دمترى فيدوروفتش عشره روبلات « بسبب شدة فقره » ، وأنه مستعد لردّها • • • فلما سأله نيقولا بارفينوفتش هل يعلم كم كان في يدى ميتيا من مال ، لأنه استطاع أكتر من أى شخص أخر أن ينعم النظر في الحزمة حين تناول العشرة روبلات ، أجاب على الفور باقتناع : « كان في الحزمة نحو عشرين ألف روبل » •

فسأله نيقولا بارفينوفتش مبتسما :

- هل أتيح لك قبل ذلك أن ترى مبلغ عشرين ألف روبل ؟
- هل رأيت ؟ طبعا رأيت ، ولكننى لم أر عشرين ألفا بل رأيت
سبعة آلاف ، وذلك حين رهنت زوجتى قريتنا الصيغيرة ، لقد تباهت
أمامى بالمبلغ الذي أعطيته ، وأذنت لى أن أنظر الى الحزمة ، ولكن من
بعيد ، كانت حزمة كبيرة من أوراق نقدية كالأوراق التي كانت مع
دمشرى فيدوروفتش ،

ولم يطيلوا استجوابه • واستدعيت أخيرا جروشنكا • كان القضاة يبخشون ما قد يرد به ميتيا حين يراها ، حتى لقد اعتقد نيقولا بارفينوفتش أن من الضرورى أن يقول له بضع كلمات من باب النصيح • ولكن ميتيا اقتصر جوابه كله على أن حنى رأسه قليلا ، كأنه يريد أن يقول : « لن يحدث اضطراب ! » •

ان ميشيل ما كاروفتش هو الذى أدخيل جروشنكا • وقد دخلت عاسة مقطبة ، ولكن على هدوء ظاهر ، وجلست بغير ضجة على كرسى أشار لها اليه نيقولا بارفينوفتش أمامه • وكانت شياحبة الوجه جدا ، وكان يبدو أنها تشعر ببرد شديد ، وكانت تتلفع بشالها الأسود الرائع • والحق أنها كانت تشعر برعدات حمى هى بداية ذلك المرض الطويل الذى أصيبت به منذ تلك الليلة • وكان من شأن قسماتها الرضية ونظرتها الحجادة الصريحة ووضعها الهادى • أن أحدثت فى نفوس الجميع أثراً

عظیما • حتی لقد «فتن» بها نیقولا بارفینوفتش بعض الشیء • فقد روی فیما بعد ، حین وصف مشاعره فی ندوة من ندوات المجتمع ، أنه أدرك مدی جمال تلك المرأة لأول مرة حینذاك • وقال انه لم یكن یری فیها حتی ذلك الحین الا « غانیة ریفیة » • وقد صاح یقول ذات مرة فی مجتمع نسوی : « ان لها أداباً عظیمة ، فأحدثت هذه الصیحة استیاء شدیداً فی نفوس سامعاته ، فسرعان ما وصفنه بأنه «فاسق»، فسر هو بهذا الوصف سرورا عظیما •

حين دخلت جروشنكا الغرفة ألقت على ميتيا نظرة خاطفة ، فتأملها قلقا ، غير أن منضر هدوتها لم يلبث أن طمأنه • سألها نيقولا بارفينوفتش، بعد الاجراءات الشكلية وبعد بضع كلمات تشجيعية ، سألها مترددا بعض التردد ، ولكن بكثير من الأدب والتهذيب « ماذا كانت علاقاتها بالملازم المتقاعد دمترى فيدوروفتش كارامازوف » ، فأجابته جروشنكا بصسوت حازم رقيق عذب :

_ كان أحد َ من أعرف من الناس ، وبهذه الصفة انما كنت أستقبله في بيتي أثناء الشبهر الأخير .

وألقيت عليها أسئلة أخرى كان بعضها دقيقا محرجا ، فكانت تحبيب في كل مرة بصراحة تامة ، وهكذا اعترفت بأن ميتيا كان قد أعجبها « في بعض الساعات » ولا شك ، غير أنها لم تكن قد أحبته ، وانما كانت تلعب به لعبا « بدافع الخبث المنحط وحده » ، كما كانت تلعب « بالعجوز » من جهة أخرى ؛ وكانت قد لاحظت أن ميتيا يغار جدا من فيدور بافلوفتش ، ومن رجال آخرين أيضا ، ولكن ذلك لم يكن عندها الا موضوعا جديدا للتسلى والضحك ، أما فيدور بافلوفتش فانها لم تزره في يوم من الأيام ، لأنها لم تزد على السخرية منه طول الوقت ، وأضافت تقول :

- ثم اننى قد كانت لى خلال هــــذا الشهر الأخير مشاغل أخرى مختلفة عن ذلك كل الاختلاف ، فقد كنن لا أفكر فيهما ، لأننى كنت أتنظر وصول رجل أعده آئماً في حقى ٠٠ ومهما يكن من أمر ، فاننى أحسب أنه ليس لكم أن تتدخلوا في هذا الشأن ، وليس على أن أدوى هذه التفاصيل ، لأن هذا من حياتي المخاصة ،

أسرع نيقولا بارفينوفتش يخضع أمام هسنده الحجة ، فكف عن سؤال جروشنكا عن العناصر الروائية في القضية ، وبادر يواجه النقطة الأساسية رأساً ، أعنى مسألة الثلاثة آلاف روبل ، فأيدت جروشنكا أن المال الذي أنفق في موكرويه في الشهر الماضي يرتقى الى ثلاثة آلاف روبل ، فلئن لم تعد المال ، لقد سمعت دمترى فيدوروفتش نفسه يذكر هذا الرقم ،

سألها وكبل النابة :

ـ هل أسر اليك بهـ ذا الرقم على انفراد أم بحضور أشخاص آخرين ؟ أم هل عرفته لأنك سمعته يُذكر لآخرين ؟

فأوضعت جروشنكا أنها سمعت ميتيا يذكر هذا الرقم لأشخاص آخرين ، ولكنه حدثها عنه أيضا ، على انفراد وبحضور آخرين .

فسألها وكيل النيابة مرة أخرى :

ــ هل سمعته يذكر هذا الرقم مرة واحدة أم عدة مرات ؟ فأجابت :

_ بل عدة مرات •

رضى هيبوليت كيريلوفتش عن هـذه التصريحات رضى عظيما • وقد أتاحت تتمة الاستجواب أن يُعرف ، عدا ذلك ، أن جروشنكا كانت

على علم بمصدر هذا البلغ ، وأنها كانت لا تجهل أن ميتيا قد أخذه من كاترين ايفانوفنا ٠

ـ ألم تسمعى أبدا أن المبلغ الذى أُنفق فى القصف فى الشـــهر الماضى لم يكن ثلاثة آلاف روبل ، بل دون ذلك كثـــيرا ، وأن دمترى فدوروفتش قد احتفظ بنصف المال ؟

ـ لا ، أبدا • لم أسمع هذا في يوم من الأيام •

واذ طلبوا الى جروشنكا أن تزيد هذه النقطة وضوحا ودقة ، فقد تأدوا بها الى أن تصرح بأن ميتيا ، خلافا لذلك ، قد أكد لها طوال هذا الشهر أنه لم يبق معه كوبك واحد • وختمت جروشنكا كلامها قائلة :

_ وكان يأمل دائما أن يأخذ مالاً من أبيه •

هنا تدخل نيقولا بارفينوفتش فسألها :

ــ هل اتفق له أن قال بحضورك أو ذكر عرضاً أو صاح وهــو في سورة من غضب أنه ينوى أن يقتل أباه ؟

فأجابت جروشنكا متنهدة:

_ قال ذلك وا أسفاه!

_ أقاله مرةً واحدة أم قاله مراراً ؟

_ قاله مرارا ، ولكن في لحظات الغضب دائما •

ـ مل صدقت أنه سيقدم على تنفيذ نواياه ؟

ــ لا ، لم أصدق هذا في يوم من الأيام ، لأننى كنت على ثقة بنبل خلقه .

كذلك قالت جروشنكا بلهجة حازمة .

فصاح ميتيا يقول فحأة :

- اسمحوا لى أيها السادة ! هل أستطيع أن أقول كلمة ، كلمـــة واحدة ، بحضوركم ، لأجرافين ألكسندروفنا ؟

قال نيقولا بارفينوفتش:

_ افعل!

فقال ميتيا وهو ينهض عن كرسيه :

ـ أجرافين الكسندروفنا ، صدقيني ، فان الله على ما أقول شهيد : أنا لم أسفح دم أبي !

قال ميتيا تلك الكلمسات وعاد ينهالك على كرسيه • فنهضت جروشنكا ، ورسمت اشارة الصليب بخشسوع وتقى وهى تنجه الى أيقونة ، وقالت بصوت حار مؤثر :

_ الحمد لله!

ثم أضمافت تقول مخاطبة كيقولا بارفينوفتش بينما كانت تعمود تجلس :

ـ ان ما قاله هو الحقيقة ، وعليكم أن تصدُّقوه ، أنا أعرفه ، قد يمزح لعباً أو عناداً ، ولكنه لن يكذب في يوم من الأيام متخالفا ضميره. سيقول الحق دائما في الأحوال الخطيرة ، كونوا من هذا على يقين ! قال ميتيا بصوت يهدُّجه الانفعال :

ـ شكراً أجرافين ألكسندروفنا ! ان أقوالك قد واست قلبى • وفى موضوع المال الذى كان مع ميتيا فى الليلة البارحة ، صرحت جروشنكا بأنها لا تعرف مقداره ، ولكنها اعترفت بأن ميتيا قد أكد لعدة أشخاص أنه جاء بثلاثة آلاف روبل • وأما عن مصدر ذلك المال فقد قالت جروشنكا أن ميتيا اعترف لها ، لها وحسدها ، بأنه « سرقه » من قالت جروشنكا أن ميتيا اعترف لها ، لها وحسدها ، بأنه « سرقه » من

كاترين ايفانوفنا ، وانها أجابته على ذلك بأن هذا ليس سرقة ، وان عليه أن يرد اليها المال منذ الغد ، فلما ألح وكيل النيابة على أن يعرف ما هـو المبلغ الذى يدعى ميتيا أنه سرقه من كاترين ايفانوفنا _ أهو الثلاثة آلاف روبل التي كانت معه في الليلة البارحة ، أم هو الثلاثة آلاف روبل التي أنفقها بموكرويه في الشهر الماضي _ أجابت بأن ميتيا قد تكلم من الثلاثة آلاف روبل التي أنفقت في الشهر الماضي ، وأن هذا ما فهمته هي من كلامه .

هنا انتهى استجواب جروشنكا • وأسرع نيقولا بارفينوفتش يعلن لها أنها حرة تستطيع أن ترجع الى المدينة ، فاذا كان فى وسعه أن يعمل شيئاً من أجلها ، كأن يأمر لها بخيل أو أن يهيى، لها خفراً ، فانه سوف يسعده أن •••

فقاطعته جروشنكا تقول وهي تنحني المحناءة توديع يسيرة :

_ أشكر لك لطفك ، ولكننى أنوى البقاء فى صحبة هذا العجوز المسكين ، هذا الملاك الذى أرغب فى أن أوصله الى منزله ، وبانتظار ذلك أوثر أن أبقى تحت ، اذا أذنتم بذلك ، ريثما تقرروا مصير دمترى فيدوروفتش .

وخرجت جروشنكا من الغرفة . كان ميتيا هادئاً ، حتى لقد كان وجهه يعبر عن رباطة الجأش وطمأنينة البال ، ولكن ذلك لم يدم الا لحظة قصيرة . ان وهناً جسميا شديدا كان يغزوه شيئا بعد شيء ، وان عينيه كانتا تغمضان من فرط التعب ؟ ولم يكن قد بقى شهود يستمع الى شهاداتهم ، وقد بدأت كتابة المحضر في صورتها الأخيرة ، فها هو ذا ميتيا ينهض عن كرسيه ، ويتجه الى زاوية الغرفة قرب الستارة ، حيث تتمدد حقيبة كبيرة مغطاة بسجادة ، فسرعان ما ينام ، فيرى في منامه حلماً غريبا لا يتفق مع هذه الظروف في شيء من الأشاء ما رأى نفسه في عربة

تجتاز سهوباً في المنطقة النبي كان قد خدم فيها ضابطا ، والعربة يقودها خلال السهل الوحل فلاح يعمل حوذيا • إن متنا يشعر ببرد • هـــذه أوائل شهر تشرين الأول (نوفمس) • النلج يتساقط سبائخ كبيرة رطبة ما ان تلامس الأرض حتى تذوب • الفلاح يستحث الحيل ويشبجعها على أن تسيرع العدو ملوِّحاً بسوطه • ان له لحية حمرًا. طويلة جدا • ما هو بالعجوز ، قد يكون في الخمسين من عمره ، انه فلاح بسبط يرتدي قفطانا فقيرا أشهب • وهذه ضعة صغيرة تترادي في مكان قريب • ان الناظر يلمح أكواخها السوداء الحزينة وقد احترق نصفها ولم يبق منها الا هاكل محترقة • وعند مخرج الضمة تصطف نساء ، تصطف كترة من النساء • انهن هزيلات هزالا رهيبا • وجوههن بلون التراب • بينهن واحــدة تلفت النظر خاصة ، قد وقفت على حافة العــــريق • هي امرأة بارزة العظام طويلة القامة ، تبدو في الأربعين ولكن ربما كان عمرها لا يزيد على عشرين • وجهها مستطل جاف• وعلى ذراعها طفل يبكي• لا شك أن تديبها قد نضبا ، فلم يبق فيهما قطرة من لبن • الطفل يبكي، وما ينفك يبكي بلا انقطاع ، ماداً ذراعيه الصغيرتين ، ذراعيه العاريتـين البائستين اللتين ازرقت قبضتاهما من شدة البرد .

سأل ميتيا حين مرت العربة أمامهم مسرعة :

ــ لماذا يبكون ؟ لماذا ؟

فأجابه الحوذي :

ـ الصبي هو الذي يبكي •

فوجى ميتيا من قول الفلاح: « الصبى » ، بدلا من أن يقول: « الطفل » • أعجبه من الفلاح أن يستعمل هذه التسمية • ان في كلمة « الصبى » من العطف والشفقة ما ليس في كلمة « الطفل » • ألح ميتيا يسأل الفلاح رغم شعوره بغياوة سؤاله:

- ـ ولكن لماذا يبكى ؟ لماذا ذراعاه عاريتان ؟ لماذا لا يغطون ذراعيه؟ قال الفلاح :
 - ـ الصبى قد تخدر من البرد ؟ تجلدت ثيابه فأصبحت لا تقيه عَنَدَ مِنَا فَظُل يَسْأَلُ فَي غَاء :
 - ــ ولكن لماذا ؟ لماذا ؟
- ــ هؤلاء نساء فقیرات ، احترقت دورهن ، ولم یبق معهن خبز ، فهن پستجدین .

قال ميتيا وكأنه لا يفلح في أن يفهم :

لا ، لا ، قل لى : لماذا هن هنا ، تلك الأمهات اللواتي احترقت دورهن ، لماذا هن فقيرات الى هذه الدرجة من الفقر ، لماذا هذا الصبي يبكى ، ولماذا هذه السهوب عارية كل هذا العرى ؟ نعم ، لماذا لا يتعانقن جميعا ، لماذا لا يرتمى بعضهن في أذرع بعض منشدات أغنية فرح ؟ لماذا أصبحت وجوههن بلون التراب من شدة الفقر والبؤس ، لماذا لا يطعمن الطفل ؟

ان ميتيا يحس في قرارة نفسه أن هذه الأسئلة بلهاء سخيفة، ولكنه يشعر بحاجة قوية الى القائها ، ويعلم أنها يجب أن تلقى ، وهو يشعر كذلك بشفقة كبيرة تشب في قلبه ، شفقة لا عهد له بمنلها من قبل ، وهو يريد أن يبكى ، ويتمنى أن يفعل شيئاً ليساعدهن حميما ، حتى يكف الصبى عن الأنين ، وحتى تنقطع عبرات أمه ذات الوجه الهزيل المغبر ، وحتى لا يبكى أحد في هذا العالم بعد اليوم ، انه يريد أن يعمل شيئاً على الفور ، بغير انتظار ، وبدون أن يحسب حساب أي شيء ، مندفعا غلى الاندفاع الجامح الذي يتميز به آل كارامازوف ،

ــ سأكون معك ، لن أتركك بعد الآن ، سأبقى الى جانبــك مدى الحاة .

كذلك قال على مقربة منه صوت جروشنكا الرقيق المحنون المتأثر.
اشتعل قلبه مندفعا نحو ضياء بعيد . انه يريد أن يحيا ، أن يحيا ،
أن يمشى ، أن يمشى بلا توقف نحو ذلك الضياء الذى يناديه ، أن يسافر حالا ، بمزيد من السرعة ، على الفور ، على الفور ا

هتف فجأة وهو يفتح عينيه ويجلس على الحقيبة ، كأنه يصحو من غيوبة :

_ أين ؟ كيف ؟

وكانت بسمة مشرقة تضيء وجهه .

كان نيقولا بارفينوفتش واقفا أمامه يدعوه أن يسمع قراءة المحضر وأن يوقعه • أدرك ميتيا أنه نام ساعة أو أكثر • ولم ينتبه أى انتباء الى كلام نيقولا بارفينوفتش ، لأنه لاحظ أن وسادة كانت موضوعة تحت رأسه ، مع أنه لم يكن ثمة وسادة حين استلقى على الحقيبة مهدود القوى • هتف يسأل وهو يشعر بامتنان متحمس ، وفي صوته دموع ، كأنه قد مُن عليه بفضل عظيم :

- من وضع وسادة تحت رأسي ؟ من عطف على مدا العطف النبل ؟

غير أن الانسان الذي قام ببادرة العطف النبيلة هذه قد ظل مجهولا. لعل أحد الشهود أو لعل كاتب نيقولا بارفينوفتش هو الذي أمر باحضار الوسادة • أحس ميتيا بتأثر شديد يرقرق الدموع في العينين • واقترب من المائدة ، وأعلن أنه سيضع توقيعه على كل ما يشاءون أن يضع توقيعه علىه .

وقال بصوت غريب :

ـ رأيت حلماً جميلا يا سادتبي ٠

ان قسمات وجهه لا تعبر الآن عما كانت تعبر عنـــه أثناء الليل • لكأنه قد بدَّل انسانا آخر • ان محيًّاه غارق في ضياء مشرق •

لاقتسيا وميستلا



تم توقیع المحضر التفت نیقولا بارفینوفتش نحو میتیا فی أبهة ، وقرأ علیه نص « قرار ، بتضمن أنه فی یوم كذا ، سنة كذا ، وفی مكان كذا ، استجوب فاضی التحقید ق فلانا (أی میتیا) ؟

وحيث أن المتهم ، رغم انكاره التهمة المنسوبة اليه ، لم يكن قادرا على أن يبرى، نفسه ؟ ونظراً للتهم المنسوبة اليه من الشهود (و تليت قائمة بأسماء الشهود) ، ونظرا لظروف القضية ، فقد قرر قاضى التحقيسق ، بالاستناد الى مواد القانون (و تليت أرقام المواد) أن يودع المتهم السجن٠٠ حتى لا يستطيع الفرار من وجه العدالة ، وأن تبلغ صورة من هذا الحكم لوكيل النيابة ، النح ٠

لیکن ما تشاءون یا سادتی ۰۰۰ لست أؤاخذکم ، أنا مستعد ۰۰۰ اننی لأدرك حق الادراك أنکم ما کان فی وسعکم أن تفعلوا غیر مافعلتم فشرح له نیقولا بارفینوفتش ، فی لین ورفق ، أن موریس مافریکیفتش الذی کان فی المکان بما یشبه المصادفة، هو الذی سیقتاده ۰

هتف ميتيا يقول فجأة في سورة جامحة لا تقاوم ، متجها بكلامه الى جميع الحضور في القاعة :

ـ لحظة يا سادة ! نحن جميعا قساة ، نحن جميعا وحوش مفترسة، تبحن سبب الدموع التي تسكبها الأمهات ويسكبها الأطف الرضع ، ولكننى أنا ــ أقول هذا جهارا على رموس الأشهاد هنا ــ أنذل الناس ، وأدنأهم طراً • انني أسلِّم بهــــذا • وما من يوم انقضي في حياتي الا وحلفت فیه ، وأنا ألطم صدری ، لأصلحن أمری ولأقو من عوجی ، ولكننى كنت أهوى الى أخطائى منذ الغد • اننى أدرك اليوم أن رجالاً مثلي محتاجون الى أن يضربهم القدر ، محتاجون الى أن يضربهم القــدر ضربة تدمِّر كيانهم وتوقظ في أنفسهم قوى الحقيقة العليا • ما كان لي أبداً ، أبداً ، أن أستطيع النهوض من تلقاء نفسي ! ولكن الصاعقة قد نزلت على * • وأنا أقبل عَذاب الاتهام الموجه الى ، وأقبل العار الذي تلطخ به شرفی أمام الناس . أريد أن أتألم ، وأن أتطهر بالألم . لأنني سأفدى نفسى بالألم ، أليس هذا صحيحا أيها السادة ؟ ولكنني أؤكد لكم أخر مرة : أننى لم أسفح دم أبي ! اننى أقبل العقاب لا على قتله، بل على أننى أردت أن أقتله ، وربما كنت سأقتله في النهاية ٠٠٠ ولكنني سأكافح لدفع التهمة عن نفسي ، فاعلموا هذا ! سأدافع عن نفسي حتى النهاية ، وسيقرر الرب مصيري • الى اللقاء أيها السادة • واغفروا لى ما ظهر مني من غضب أثناء الاستجواب • آه • • ما كان أغباني عندئذ! بعد بضع ثوان لن أكون الا ســـجينا ؛ ولآخر مرة انما يمـــــد دمترى فيدوروفتش كارامازوف يده البكم مصيافحا مصافحة رجيل حر طلبق • وانبي اذ أودعكم انما أودِّع العالم ••

أخذ صوته يرتجف ، وقدم يده ، لكن نيقولا بارفينوفتش الذي

كان أقرب الحضور اليه ، سحب يده فجأة بحـــركة تشــبه أن تكون متشنجة • فلاحظ ميتيا ذلك فارتعش وسقطت يده •

دمدم نيقولا بارفينوفتش يقول محرجا:

لك النجاح فيما ستبذله من جهود لتبرئة نفسك ، لقد كنت أميل دائما لك النجاح فيما ستبذله من جهود لتبرئة نفسك ، لقد كنت أميل دائما يا دمترى فيدوروفتش الى أن أعدك انسانا عائر الحظ ان صح التعبير ، لا انسانا مجرما ، ، و و و و حميما مستعدون _ اذا جاز لى أن أنطف بلسان الآخرين أيضا _ لأن نوى فيك شابا نبيل الخلق في قرارة نفسه ، لكنه ، وا أسفاه ، قد اندفع مع أهواء عنيفة جامحة اندفاعا ربما كان فيه افراط ،

وحين نطق القاضى بهذه الكلمات الأخبرة اصطنع شخصه الفسئيل وضع مهابة قصوى ووقار عظيم • وأحس مينيا فجأة أن هسذا « الولد الصغير » سيمسكه من ذراعه فينتحى به جانبا ويستأنف معه حديثه الأخير عن « النساء الصغيرات » • هل يتصور أحد أية خواطر غريبة شاذة يمكن في ظروف كظروف هذه اللحظة أن تومض في ذهن الانسان ، ولو كان هذا الانسان مجرما يُساق الى التعذيب ؟

سأل مثيا:

_ سادتی ، أننم أناس طيبون انسانيون • فهل نسمحون لی بأن أراها مرة أخبرة لأودعها ؟

_ طبعا ٠٠٠ ولكن ، بالنظر الى الظروف المخاصة ٠٠٠ أقصد ٠٠٠ لا يمكن أن تراها على انفراد بل بحضور شهود ٠

_ لا أرى أي ضير في أن تحضروا اللقاء •

مضى بعضهم يحضر جروشنكا • ولكن الوداع كان موجزا ، وهذا ما خيب ظن نيقولا بارفينوفتش • انحنت جروشنكا تحيى ميتيا تحيـــة عمقة • وقالت له:

ـ قلت اننی سأكون لك الى الأبد • سأصـــحبك حيثما تذهب ، مهما يكن مصيرك • استودعك الله ، يا من ضيعت نفسك دون أن تكون مذنبا •

واختلجت شفتاها ، وسالت الدموع من عينيها •

ــ اغفرى لى يا جروشنكا ، اغفرى لى أننى أحبيتك · فسببت لمك الضياع بهذا الحب ·

أراد ميتيا أن يضيف شيئا آخر ، ولكنه انقطع عن الكلام فجأة وخرج من الغرفة ، وسرعان ما وجد نفسه محاطا برجال لم يغب عن أنظارهم ، وتحت ، أمام درجات الباب الذي وصل اليه الليلة البارحة على عربة آندره محدثا ضجة كبيرة ، كانت تنظره عربتان ، ان موريس مافريكيفتش ، وهو رجل سمين قصير مغضن الوجه ، يبدو معتكر المزاج قد أحنقه طاريء ما ، فهو يغضب ويصيح ، وها هو ذا يدعو ميتيا الى ركوب العربة بلهجة عده ها ميتيا مسرفة في الخشونة . فال ميتيا يحدث نفسه : «حين كنت أسقيه خمرا في الكاباريه ، كان يبدى غير ما يبدى الآن ، » ، وظهر تريفون بوريستش في أسفل درجات الباب أيضا ، واحتشدت جمهرة من الفلاحين والنساء والحوذيين قرب الباب تتفرس في متنا ،

هتف ميتها يقول لهم من مكانه:

ــ استودعكم الله أيها الناس الطبيون! سامحوني!

فترجُّعت أصوات تقول له:

ـ اغفر لنا نحن أيضا •

ـ أستودعك الله أنت أيضا يا تريفون بوريستش !

ولكن صاحب النزل أبي حتى أن يلتفت • لعله كان مشغولا جداء فلقد كان يصرخ ويتحرك منهمكا هو أيضا : والحق أن العربة الثانية التي يجب أن يركبها خفيران من رجال موريس مافريكيفنش لم تكن بعد مستعدة للسفر كل الاستعداد • كان الفلاح القصير الذي كلف بسوق العربة يصر على أن يزعم ، بينما هو يرتدي قفطانه ، أن الدور دور آكيم ، لا دوره هو ، في القيام بهذه المهمة • ولكن أبن آكيم ؟ ان أحداً لم يستطع العثور عليه • لقد بحثوا عنه في كل مكان • والفسلاح القصير ما يزال يصر ويتوسل أن ينتظروه مزيدا من الانتظار •

هتف تريفون بوريستش يقول:

ــ ان هؤلاء الناس الذين ينتمون الى سقط الشعب وقحون وقاحة فغليعة يا موريس مافريكيفتش ، أنظر كيف يتصرفون !

وأضاف يخاطب الفلاح الصغير :

۔ لقد أعطاك آكيم منذ ثلاثة أيام خمسة وعشرين كوبكا ، فشربت بها خمرا ، وتريد الآن أن يحل محلك وأن ينوب عنك •

وعاد الريفون بوريستش يخاطب موريس مافريكيفنش:

تدخل مشا قائلا:

ـ لماذا هذه العربة الثانية ؟ تكفينا عربة واحـــدة ، ألا تظن ذلك يا موريس مافريكيفتش ؟ اننى لن أتمرد ولن أزعجك في شيء ! لاحاجة الى خفر من أجلى !

فأجابه موريس مافريكيفتش قائلاً بشراسة :

ــ تعلم كيف يجب عليك أن تكلمنى يا سيد اذا كنت لا تعرف ذلك بعد • أنا لست رفيقك ، واننى أمنعك من مخاطبتى بصيغة المفــرد• مفهوم ؟ أما نصائحك ففى وسعك أن تمتنع عن اسدائها الى فى المستقبل•

كان واضما أنه يسعده أن يفرُّج عن نفسه بالاستسلام لغضبه ٠

صمت ميتيا • وكان قد احمر احمرارا شديداً • وها هو ذا بعد لحظة يشعر ببرد • لقد انقطع المطر عن الهطول ، ولكن السماء الشهباء مغطاة بالسحب ، وان ريحا جافة جدا تسفع وجهه • تسمال ميتيا بينه وبين نفسه وهو يضم كتفيه في تشنج : « أهمذه رعدة حمى ؟ ، • وركب موريس مافريكيفتش العربة أخيرا • جلس في مكانه ثقيلا ، واسترخى على راحته دافعاً ميتيا الى ركن المقعد دون أن يبدو عليه أنه لاحظ ذلك • الحق أنه كان معتكر المزاج جدا ، وكان مستاء "أشد الاستياء من هذه المهمة التي عهد اليه بها •

ــ استودعك الله يا تريفون بوريستش !

كذلك صاح ميتيا يقول مرة أخرى ، ولكنه شعر بأنه لا يخاطب صاحب النزل في هذه المرة بروح المودة ، وشعر بأن الغضب هو الذي انتزع منه هذه الصيحة انتزاعا بغير ارادته .

ظل تريفون بوريستش ساكنا لا يهتز ، واضعا يديه وراء ظهره.

وحدًى الى ميتيا دون أن يجيب ، ناظراً اليه نظرة منقلة بالكبرياء و لتعالى زاخرة " بالاستنكار والاستياء •

ودو ًى صون كالجانوف يقول فجأة وقد انبجس لا يدرى أحد من أين :

ـ الوداع يا دمتري فيدوروفتش ، الوداع !

كان كالجانوف يحرى نحو العربة عارى الرأس ، ماداً يده الى مينيا ، فاتسع وقت مينيا لأن يمسك يده ويصافحه ، قائلا له :

ــ الوداع أيها الصديق الشهم • لن أنسى كرمك ما حبيت ! ولكن العربة تحركت ، فانفصلت بداهما ، ورنت الجلاجل • اقتيد ميتيا •

انسحب كالجانوف الى الدهليز ، فجلس فى ركن ، واضعا رأسه فى يديه ، وأخسد يبكى ، وظل يبكى زمنا طويلا ، كصبى صغير ، لا كشاب فى العشرين من عمره ، لقد كان شبه مقتنع ، وا أسفاه ! ، بأن ميتيا قد قتل أباه ، فكان يهتف بغير انقطاع ، وهو يشسمر بحسرة مرة ولوعة شديدة : « ما قيمة البشر بعد هذا ؟ كيف يئق المرء بالبشر بعد الآن ، و وبدا له فى تلك اللحظة أنه أصبح لا يحب أن يحيا ، فهسو يشساءل قانطأ : « فيم الحياة ؟ فيم الحياة ؟ ه . •

حواش

- ب ب بالانفاظ قائم على Sosna Kak So Sna بالانفاظ قائم على التشابه بين كلمة Sosna ومعناها الصنوبر وبين Sosna بمعنى : « فى الحلم » •
- ۲۲ * « أنا الآن في موقف فاموسوف » : أشارة الى المسرحية الهزلية التي كتبها جريبويدوف وعنوانها : « كثير من الذكاء ضرر » ، ودوستويفسكي كثيرا ما يستشبهد بهذه المسرحية · في المشهد الاخير من هذه المسرحية يفاجيء فاموسوف ابنته صوفيا منحدثة مع تشاتسكي على السيلم الكبير في المنزل ·
- ۲۸ پ « بقوة عظیمة انجذب » : أغنیة یقول دوستویفسکی فی رسالة
 کتبها سنة ۱۸۷۶ انه سمعها فی موسکو قبل آربین عاما ،
 وکان یغنیها الخدم (وسوف تذکر أیضا فی الصفحة ۳۳ من هذا المجلد) •
- ٣٠ لا أمى امرأة نتنة : اشارة الى معنى اسم أمه «سمر دياشيتيايا»
 (راجع حاشية الصفحة ٢٣٦ من المجلد السابق) •
- ٣١ * « نابوليون الأول ، وهو أبو الامبراطور الحالى » : واضح خطأ سمر ديا كوف فان نابوليون الاول هو عم نابوليون النالت الذي حكم فرنسا بهذه الصفة من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٥٠
- ع به «وريقات الاشتجار الطريات النديات» : استعمل دوستويفسكى هذه العبارة مرارا ، وهي مستمدة من قصيدة للشاعر بوشكين في وصف الربيع ،
- وه اذا كان الله غير موجود فيجب اختراعه »: هنا استشهاد بعبارة للكاتب الفرنسي فولتبر في « رسيالة الى صانم الخدع

السلات »، وقد تحورت عبارة فولتير قليلا ، لانها في الاصل : « اذا لم يكن اله ٠٠٠ » ،

- ٥٢ په يجب أن تتذكر أن العالم الروسى نيقولاى لوباتشفسكى قد عرض سنة ١٨٢٦ مذهبا جديدا فى «هندسة غير اقليدسية» ، فسبق بذلك أنيشتاين ومهد له •
- 00 ★ « يوحنا الرحيم » : يخطىء دوستويفسكى هنا ، فلا شمك أن المقصود هو « جوليان الرحيم » الذى اتخفه الكاتب المرنسي فلوبير موضوعا لاحدى قصصه ، وفعد قام تورجنيف بترجمة هذه القصة إلى اللغة الروسية سنة ١٨٧٧ ·
- به ينقل دوستويفسكى هنا نقبلا أمينا مضمون وأسلوب النشرة التى أصدرتها « لجنة توزيع الكتب الدينية في اقليم « فو » بسويسرة ، وعنوان النشرة « جذوة جديدة تنتزع من النار ، أو القصة الحقيقية التي تروى اهتداء وموت لويس فردريك ريشار الذي أعدم بمدينة جنيف في ١١حزيران يونية ١٨٥٠٠ وان تنفيذ عقوبة الاعدام هذه التي أنزلت في ريشار وشهدها ما يفرب من عشرة آلاف شخص ، قد وصفت في نشرات أخرى، منها النشرة التي أصدرها ارنست كرامر في جنيف سنة منها النشرة التي أصدرها الخيرة التي عاشمها لويس فردريك ريشار » •
- به . ★ يجب أن نتذكر أن الليوتنان ايلنسكى لم يحكم عليه ، بتهمة قتل أبيه ، عام ١٨٤٨ ، الا بالسبجن مع الاشعال الشاقة عشرين سينة •
- هم به ان الشاعر ن٠٠٠ نكراسوف قد صور هذا المشهد في قصيدته «تأملات في هذا الزمان» (١٨٥٩) ، وتحت نأثير هذه القصيدة انا ألف دوستويفسكي حلم راسكولينكوف في الفصل الخامس من الجز∗ ألاول من روايته « الجريمة والعقاب » ٠
- ٦٤ هى قضية ابن صاحب البنك كروننبرج، الذى أحيل الى المحكمة لسوء معاملته ابنته ، ثم براته هيئة المحلفين بفضل المرافعة الداهية التي القاها المحامى فلادبمبر سباسوفكتش ، وقد وقف

- دوستويفسكي على هذه القضية فصلا كاملا من «يوميات كاتب» (شباط فبراير ١٨٧٦) .
- ٩٦ → هما مجلت ان كانتا تصدران بانتظام مند ١٨٦٣ ، وكان دوستويفسكى يفرؤهما في كثير من الاحيان ، غير أن الواقعة الني يذكرها هنا مأخوذه عن « مذكرات قن » التي كتبها كاتكوف ، وهو من أنصار السلافية ، ونشرتها مجلة «الرسول الروسي» سنة ١٨٧٧ ٠
- ۹۲ په محرر الشعب »: هو اللقب الذي أصبح يلقب به الاسكندر التاني بعد الغاء نظام القنانة في ۱۹ شباط فبراير سنة ۱۸۲۱
- νο په وصف دوستوبفسكى كماب فكنور هوجو «أحدب نوتردام» بأنه عمل عبقرى قوى ، وقد نشر فى مجلته «الزمان» أول ترجمة روسية لهذا الكتاب ، سنة ١٨٦٢
- γο * « وعندنا في موسكو * : نظم القسيس جريجوري عروضا مسرحية في موسكر منذ سنة ١٦٧٢ ، لبلاط القيصر الكسي وقد بداها بمسرحيتين اقتبستا عن اللغة الالمانية وهما «استير» و « توبي » •
- γγ ، نزول العذراء الى الجحيم ه : هى قصيدة بيزانطية منسحولة حظيت برواج كبير فى روسياً ، ولعلها أثرت فى كتاب دانتى « انكوميديا الالهية » ٠
- γγ به ساعود قريباً » : قول المسميح في رؤياً يوحنا الرسول ، (الاصبحام الناني والعشرون ، ۱۲)
- γγ بیتان من فصیدة شیلس « الرغبة » ، نظمها الشاعر سنة γγ . ۱۸۰۱ . وترجمها الى الروسیة ف وکوفسکی
 - ٧٧ 🗼 « ظهرت هرطقة » : اشارة الى حركة «الاصلاح» ·
- ٧٨ * « ايتها الارض التي ولد فيك ملك السماوات » ، الغ : آخر رباعية من قصيدة للشاعر ف١٥٠ تيوتشيف عنوانها : «هذه القرى الفقرة ، هذه الطبيعة الهزيلة » ، وقد كتبها الشاعر

- سنة ١٨٥٥ ، وان قوله « في صورة عبد » تعبير مستمد من رسالة بولس الرسول الى أهل فيليبي (الاصحاح التاني ، ٦)٠
- ۷۸ * « فی نیران رائعة » الخ : بیتان مستمدان من قصیدة للشاعر الکسندر بولیجایف (۱۸۰۶ ـ ۱۸۳۸)
 - ٧٨ * « تمجيدا للرب » : هو شعار اليسوعيين ٠
- γχ په « كبرق يسطع من الشرق الى الغرب » : هكذا ستكون عودة المسيح على نحو ما يصفها انجيل متى (الاصــحاح الرابع والعشرون ، ۲۷ : « كما أن البرق يخرج من المسارق ويظهر الى المغارب ، هكذا يكون أيضا مجى ابن الانسان ») •
- ٨٠ همن معجزات المسيح فيما أورده انجيل متى (الاصلحاح التاسع،
 ٢٥) وانجيل مرقص (الاصلحاح الخامس ، ٤١) ٠
- ٨٠ هـ الهواء معطر بعبق أشبجار الرند والليمون » : هكذا يصف الشاعر بوشكين مدينة اشبيلية في قصيدته عن دون جوان ٠
- . به « اذا أردت أن تتأكد أنك ابن الرب ۰۰۰ » : جاء في انجيل متى (الاصحاح الرابع ، ٥ ـ ٦) : «ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له : أن كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكنه بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك » · وممل هذا جاء في انجيل لوقا (الاصحاح الرابع ، ٩ ـ ١١١) ·
- γ من رسولك الكبير بروى ٠٠٠ » : هو بوحنا الرسبول في رؤياه (رؤبا يوحنا الرسول ، الاصحاح السابع ، ۳ ـ ۸) .
 يذكر فلاديمير سولوفييف أن رؤبا يوحنا الرسول كانت سفر دوستويفسكي المفضل في السنين الاخيرة من حياته .
- عه به « فمنذ نمانية قرون ۰۰ » : اشارة الى انشاء دولة البابا سنة ۷۵۳
- ٨٥ هـ هـ صورة من رؤبا بولس الرسول (الاصحاح السابع عشر) ولعلها
 دمز الى روما الوثنية ٠
- ١٠٨ * « الاب سيرافيكوس » : أطلق هــذا الاسم من أســماء القرون

صفحة

الوسطى على الفديس بونافانتورا ، وهو يظهر في المشهد الاخير من الجزء الناني من « فاوست » جوته •

- ۱۱۵ م پر «تشرماستنیا» : هو اسم فریة ملحقة بأملاك والد دوستویفسکی ۰ وقد زار دوستویمسکی هذه الاماکن منذ طفولته حتیسنة ۱۸۷۷
- ۱۳۱ * « كولاك » : كان اسمه « كولاك » يطلق على المحتسكرين وعلى الفلاحين الاغنياء ، وهو من الكلمة التترية كولاك ومعناها قبضة اليد
 - ۱۳۳ 🙀 «لیاجافی» : نعت معناه «کلب راقد» ۰
- ۱٤٥ ﴿ ﴿ اذَا لَمْ تَفَنَ حَبَّةَ القَمْحِ ٠٠٠ ﴾ : قول المسيح بعد فيام عازر من الموت ، كما ورد في انجيل يوحنا (الاصحاح الناني عشر ، ٢٤ ــ ٢٥) ، وبهذا القول صدر دوستويفسكي روايته هذه ٠
- ١٥٤ ★ " أتر الكتب المقدسة في حيساة الاب زوسسيما »: في رسالة تاريخها ٧ آب (أغسطس) ١٨٧٩ ، موجهة الى ن ليوبينوف ، وهو نائب محرر مجلة « الرسول الروسي » ، يفلول دوستويهسكي حين بعث اليه بالنص : « أن في هلذا الفصل حماسة وشاعرية ، منله كمنل بعض تعاليم تيخون زادونسكي، وسنداجة التعبير فيه مستوحاة من الكتاب الذي عنوانه «إسفار الراهب باراني» •
- ارملة وأربع قصص مستمدة من النوراة والانجيل »: قالت أرملة دوستويفسكى: « فى هذا الكتاب انسا تعلم فيدور ميحانيلوفتش القراءة » وهو موجدود الآن فى مستحف دوستو نفسكى بموسكو .
- ۱۵۵ * " على اسى أذكر أن الانفعال الديني الاول ۱۰۰ : بقول أرملة دوستويفسكى: هنا يروى فيدور ميخائيلوفتش ذكريات طغولته الشخصية ، فقد سمعته يتكلم عنها مرازا ٠
- ١٥٥ * " كان يعيش في أرص عوص ٢٠٠ " : اشارة الى الفصل الاول من سفر أيوب •

- ۱۹۲ پر ه ۰۰۰ في موصوع حدث كان فد وقع ۰۰۰ ٪ اشارة الى نوره الديسمبريين في سهر ديسمبر ۱۸۲۵ ٠
- ٧٤٢ * « كانت حيانه هادئة وادعة » . يضيف دوستويفسكي هنا حاشية الشرح التيالية : « حين انهاض جنمان راهب بسيط (لنعله من الحجرة الى الكنيسة ، ونقله بعند قداس الجنازة من الكنيسة الى المقبرة) نتلى الآية: كانت حياته هادنة وادعة، أما اذا كان الراهب من اصحاب النذور ، من المرتبة النانية ، فانه يربل له النشيد « ربنا هب لنا من لدنك عونا واحمنا »
 - ۲۶۱ 🙀 « فينيا » : تصغير اسم فيدوسيا ·
- ٧٧٣ * في رسالة تاريخها ١٦ ايلول (سبتمبر) ١٨٧٩ ، موجهة الى ن ليوبينوف ، كتب دوستويفسكي بقول : « أرجو أن تعنني بتصحيح أسطورة «البصلة» لقد أخذت هذا النص النمين من فلاحة ، ولا خلك أنه يسجل الآن أول مرة ، أنا على الاقل ، لم يسبق لى أن رايته » ،
- ۲۸۹ یو « وفی الیوم البالب کان عرس فی فانا الجلیل ۲۰۰ » : من انجیل یوحنا ، الاصحاح الثانی ، ۱ ـ ۹
- ٣٣٩ ﴿ كَفَى ! » اشارة الى فصة نورجنيف التي تحمل هذا العنوان
 والتي ظهرت سينة ١٨٦٥ ، وفيها بعلن تورجنيف عزمه على
 الانفطاع عن الكتابة ، ويودع قراءه ٠
- ۲۲۳ * « نستیدرین » : أحد محرری مجلة « المعساصر » ، وهی مجلة لبرالیة ، أوقفها الرقابة عن الصدور سنة ۱۸٦٦ .
- ۳۹۵ په متجر آل بلوىنيكوف ، : ذكرت أرمــلة دوستويعسكى أن زوجها كان يذهب كبيرا الى بقــالية ب٠ج٠ بلوتينكوف ، فى مدبنة شترايا روسا ، ليشترى منها معبلات وحلاوى ٠
- ٣٧١ * بيتان من الشمع يقولهما أوليس في المفطع الخامس من فصيدة للشماع شيللر عنوانها « عيد النصر » ، وهي تصور معسكر اليونان بعد أخذ طروادة ، وقد قام بنرجمة القصيدة الى الملغة الروسية ف ج نيونسيف سنة ١٨٥١ .

- به به شطران الفهما دمترى نفسه ، وقد سبق ورودهما في الصفحة به الموادية به الموادية
 - ٣٩٧ ﴾ كان موظفو دوائر الدولة في روسيها يرتدون زيا رسميا ٠
- . . و بارين ، : بهذا اللقب كان يخاطب الخدم سادتهم في روسيا قبل التورة (١٩١٧) ·
- س. به يا « سيد » : قال البولندى السمين كلمة «سيد» هذه باللغة البولندية والبولنديان كلاهما سيدور أكبر كلامهما بهذه اللغة البولندية ممزوجة بالفاظ روسية وكان ينبغى أن نميز البولندى من المرهما في هده الترجمة العربية بأحرف طباعة خاصة لو لم يتعذر ذلك •
- ٢٦٤ ۗ ۗ « النفوس الميتة » هي رواية جوجول الشمهيرة (١٨٤٢) التي كسييرا ما يسمسهد بهيا دوستويفسكي . أما نوزدريوف ونستنسيكوف فهما من أبطال هذه الرواية .
- درو به المنافعة المحقيقي المنافعة على المنافعة المنافعة
- داهدا أنت ۱۰۰ المساعر بوالو ۲۰۰۰»: مطلع أبيات ساخرة للشاعر الى آ كريلوف تستهزى، بما فعله الكونت د ٠ ج٠ خفوستوف ، وهو شاعر ضعيف ، حين ترجم كتاب بوالو «فن الشعر» ترجمة رديئة ٠ الشعر» ترجمة رديئة ٠
- و ابيات ساخرة للشاعر باتيوشكوف عنوانها « قصيدة الى سافو جديدة »، وفيها يتهكم بالشاعرة الروسية الاولى آنا بونينا ، آسفا على أنها لم بغرق كما غرقت الاديبة اليونانية الشهيرة سافو ،
- ووسيا بحدودها السابقة على سنة ١٧٧٢ ،: ابتداء من سنة ١٧٧٢ انما استردت روسيا بعض الاقاليم ، بعد اقتسام بولنده بلات مرات ، وهذه الاقاليم التي سميق أن احتلها اللتوانيون كانت أحد مطالب التورين البولندين •

صفحة

- ۲۲۷ ★ "قصة السيد بودفيزوكي ": في رسيالة الى محرر مجلة "الرسول الروسي "، كتب دوستويفسكي يفول: «سمعت هذه العصدة ثلات مرات في حياتي ، في أمكنة مختلفة ومن بولنديين مختلفين " .
- 117 یو فی رسالة تاریخها ۱٦ نشرین البانی (نوفمبر) ۱۸۷۹، موجهة الی ن ۲۰ لیوبینوف ، کنب دوستویفسکی یقول: «هذه الاغنیة، التقطتها بنفسی ، وهمی متال علی الفن القروی الحالی » ۰
- ٤٦١ هـ من آخر سيبريا »: في سيبريا انسا كان المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة يقضون مدة العقوبة •
- 271 م كانت السلطات الني ينتخبها العلاحون في قرية من القرى نحمل على صدورها صلفائع معدنية تشلير الى رتبها أنناء ممارستها عملها ، وهي تقوم بدور الشهود أنناء تحقيق قضائي .
- ٤٨٠ معنى بعض الاصلاحات ، : انسارة الى اصلاحات الكسندر النائى فى سنوات ١٨٦١ ـ ١٨٦٦ (الغاء القنائة ، الاصلاح القضائى ، الخ) .
- ورو ﴿ وَ عَلَيْكُ بِالْصِيمِتِ قَلْبِي ٢٠٠ ﴾ : من قصيدة «الصيمت» للساعر الفيلسوف ف ج نيوتشيف (١٨٣٣) •
- ۵۷۵ ★ "« الزاكوسكى » : مائدة مفبلات باردة ، مع فودكا ، يصيبها الطاعمون عادة في حجرة مجاورة لقاعة الطعام ، ويمضون اليها قبل الوجبة .

فهسرس

•

æ	 411

٥	الباب الخامس (ما للأمر وما عليه)
۵	١ ـــ الخطوبة
۲٦	۲ _ قیتارة سمبردیاکوف
κ۸	٣ ــ الالحوة يتعارفون ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠
00	٤ ـ التمسرد
٧٥	ه ـ المفتش الكبير ١٠٠٠٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠
1 • 4	٦ ـ حيث لا سبيل الى الفهم بعد ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
1 27	٧ ـــ يلذ للمرء أحيانا أن يتحدث مع رجل زكى ٠٠٠٠٠٠
111	الباب السادس (الراهب الروسي) ١٠ ٠٠ ٠٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠
121	۱ ــ الشيخ زوسيما وضيوفه ،، ،، ،، ،، ،، ،، ،،
	٢ ـ حياة الشبيخ زوسيما ، مستمدة من المسارات التي جمعها
ነደአ	ودونها الكسى فيدورفتش كارامازوف ١٠٠٠٠٠٠
۲٠٠	٣ _ بعض المتعاليم التي عبر عنها الأب زرسيما في أحاديته
***	الجزء الثالث ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠
770	الباب السابع (اليوشا)
770	١ ــ رائحة الجثة ١٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠
710	٢ _ دقيقة كهذه الدقيقة
407	٣ _ البمسلة
አ _ለ ሃ	٤ _ عرس قانا ،، ،، ،، ،، ،، ،، ،، ،، ،، ،، ،،

الصفحة

19 Y	لباب الثامن (ميتيا) ١٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ٠٠
194	۱ ــ ســامسونوف
110	۲ ـ لياجافي ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
44	٣ ـ مناجم الذهب ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
'٤٨	٤ _ في الظلام ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
70	٥ ــ قرار مفاجيء ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
4 Α	7 _ مأناذا
۰۳	٧ _ الصديق القديم الذي لا يمكن جحوده ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٤١	۸ ــ هذیان ۱۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
47	الباب التاسع (التعقيق التمهيدي) ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٦٧	١ _ البدايات الموقفة للمــوظف برخوتين
¥9	۲ _ التبلیخ التبلیخ
4 •	٣ _ محن نفس ــ المحنة الاولى ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠
• ٦	٤ ــ المحنة الثانية
۲•	ه ـ المحنة الثالثة
٤١	٦ _ وكيل النيابة يشوش ميتيا
٥٥	٧ ـــ السر الكبير الذي بحتفظ به ميتيا بتخذ هزاة ٠٠٠٠٠
۷۵	۸ ــ اقوال الشهود ۰ الصبي ۲۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
41	۹ ـ اقتیاد میتیا ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
4 4	At

ر وسنوبيسكب الاعمال الادينة الكاملة

ان معاصري دوستوينسكى قداسا، وافهمه ، فأكثرهم لم يشأ أن يرف فيه إلاكالبا اجتماعيا يدافع عن "الفقراة والمذلين المهانين" فاذا عالج مشكلات ما تنعنك تزداد عقا أخذ بعضهم يشهتر به ويصفه بأنه موهبة مرينية "ومن النقاد من لم يدرك أن الواقعية الخيالية "التي يمكن أن توصف بها أعال دوستويقسكى إنما تسبراً عمق أغوار النفس الإنسانية ، وأن دوستويقسكى كان رائك النفس الإنسانية ، وأن دوستويقسكى كان رائك المسبق نظرية المتحليل النفسى التي أنشاها فنريقية ، وآدلر ، وأنه زرع هذه المشكلة الميتا فيزيقية ، مشكلة الميتا فيزيقية ، مشكلة الميتا فيزيقية ، مشكلة الميتا فيزيقية ، مشكلة المسراع بين الخير والشر ، في كانفس ..."